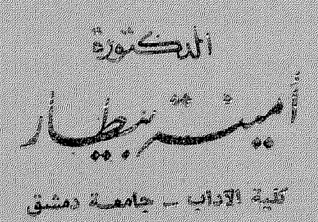


كلية الآداب - جامعة دمشق

تاريخ



الطبعة الرابعة

منشورات جامعة دمشق

١٤١٦ - ١٤١٧ هـ

١٩٩٦ - ١٩٩٧ م



الدكتورة

أمينة بيطار

تاريخ





مقدمة

العصر العباسي هو العصر الذهبي للخلافة العربية الاسلامية ، العصر الذي اكتملت فيه حضارتها ونضجت ، عصر يشمل حقبة زمنية تزيد على خمسة قرون ، ويشمل اراض واسعة تمتد من بلاد ماوراء النهر والسند شرقا حتى ساحل المحيط الأطلسي غربا ، ومن جبال طوروس وارمينية شمالا حتى المحيط الهندي جنوبا .

ينتسب العباسيون خلفاء هذه الدولة الى العباس بن عبد المطلب عم الرسول الكريم ، الذي كان على قيد الحياة حين توفى الرسول . فقد تسلم احفاده حكم الخلافة العربية الاسلامية اثر قيامهم بثورتهم التي اعدوا لها اعدادا كبيرا . واستطاعوا بذلك ان يطيحوا بالخلافة الاموية ، وان يرسو قواعد الخلافة العباسية على انقاضها .

اهتم عدد من المؤرخين من عرب ومستشرقين بدراسة العصر العباسي ، واستطاع بعضهم ان يصل الى نتائج قيمة في هذا المجال ، ولكن بعض مناحي الحياة في الخلافة العباسية ، مازالت تحتاج الى دراسة واعية ، يبذل فيها الباحثون جهدهم وامكاناتهم ، ويستقصون المصادر الاصيلة للوصول الى نتائج صحيحة . وقد بذلت جهدي ان اكون في عداد هؤلاء الباحثين ، وان يكون بحثي هذا عملا علميا بكل مافي هذه الكلمة من معنى . وسيرا مع الخطة المرسومة للبحث ، فاني قسمته الى خمسة ابواب . ومهدت له في مطلع الباب الاول بدراسة الظروف العامة التي ادت الى قيام الخلافة العباسية ، ثم تناولت بالبحث والاستقصاء الدعوة العباسية ، فطرحت جانبا كون الدعوة العباسية حركة قومية فارسية ، واثبت أنها حركة عربية أصيلة ، ساهم فيها الفرس مساهمة جادة للاطاحة بالامويين ،وللوصول الى حقوقهم التيمنحهم اياها الاسلام عن طريق نجاح الاسرة الجديدة فيالوصول الى الحكم ، التي اتخذت من شعار المساواة بين العناصر الاسلامية المختلفة شعارا لها ، دون ان ادعي بأنني أول من

اثبت ذلك . وقسمت هذا الباب الى قسمين ، تناولت في القسم الاول الحديث عن المرحلة السرية للدعوة العباسية ، كما تناولت في القسم الثاني المرحلة العلنية ومراحل حروب الدعوة حتى اعلان الخلافة العباسية .

اما الباب الثاني ، فقد خصصته لدراسة الاوضاع العامة في الدور العباسي الاول ، وبداته بالبحث في مميزات هذا الدور العامة،ثم تحدثت عن الاوضاع السياسية للخلافة العباسية في هذا الدور ، واوضحت ما بذله خلفاء العباسيين من جهد لتوطيد وتثبيت اركان الحكم العباسي ، وعن القوى المناهضة التي قامت في وجههم ، ثم انتقلت للحديث عن الاوضاع العامة في كل قطر من الاقطار التي شملتها اراضي الخلافة ، وبعد ذلك تحدثت عن العلاقات الخارجية بين العباسيين والدول المعاصرة.

أما الباب الثالث فقد خصصته لدراسة عصر سيطرة قادة الاتراك ، وبحثت قضية الصراع حول السلطة ، وبذلت اهتماما كبيرا في الحديث عن الصراع الاجتماعي والسياسي الذي ساد هذا العصر ، مع التركيز الشديد على الاسباب التي ادت اليه، والنتائج التي أسفرت عنه .

اما الباب الرابع وهو بنظري اهم الابواب جميعا ، فقد خصصته للحديث عن اهم مظاهر الحضارة العربية الاسلامية في فترة البحث ، ودراسة الحضارة في هذه الفترة ، لها أهمية خاصة لان العصر العباسي كان يمثل نسيجا وحده من حيث سمات الخلافة وبروز وظائف جديدة في الدولة لم تكن معروفة في الفترات السابقة ، كما ان هذه الفترة كانت فترة نضوج للوظائف التي وجدت قبل هذا العصر ، يضاف الى ذلك عملية الاختلاط والتمازج بين الشعوب التي كان يتألف منها المجتمع في ذلك الحين ، ذلك التمازج الذي ادى الى جانب أسباب هامة أخرى متعددة ، الى نضوج الحضارة العربية الاسلامية التي بدت وكأنها شمس بين كواكب صغيرة جدا ، اخذت تبث اشعاعها في عالم العصور الوسطى على من يحيط بها . فأصبحت بغداد وغيرها من المدن كعبة للعلم ، وملتقى للعلماء في مجالات العلوم المختلفة .

وقد اقتصرت في دراستي في هذا الكتاب على البحث في الخلافة العباسية في الفترة الممتدة من سنة ١٣٢ – ٣٣٤ هـ ، وهي فترة تشمل مايمكن ان يسمى بالعصر الذهبي للخلافة العباسية ، وفترة عصر سيطرة قادة الاتراك ، وهذه الدراسة تغطي ساعتين من مقرر تاريخ العصر العباسي الذي خصص له أربع ساعات اسبوعية .

واود ان اذكر بأن بحثي لاوضاع الخلافة العباسية في هذه الفترة ، لم يكن الهدف منه استقصاء جميع احداث فترة الحكم العباسي ، لان ذلك تعجز عن استيعابه الصفحات القليلة المخصصة ، ولذلك فانني حاولت قدر جهدي رسم الخطوط العريضة لاهم هذه الاحداث ، بما يتفق ومفردات منهاج المقرر ، بحيث تكون الصورة أقرب الى الواقع ، وقد استخدمت من أجل ذلك أهم المصادر والمراجع العامة والمتخصصة استخداما مفيدا بعد دراسة واستقصاء للمتحيزة منها ، والتى تتميز بالحياد التام والنظرة الموضوعية الخالصة .

وبعد فاني أرجو ان أكون قد وفقت بما بذلته من جهد لاخراج هذا البحث على وجه مرض ، وان كان فيه مايقصر عن الهدف ، فأرجو ان يكون في محاولاتي القادمة مايعوضه ، والله ولي التوفيق .

أمينة بيطار



مفردات مقرر تاريـــخ العصـــر العبـــاسي

السنة الثالثة ــ قسم التاريخ

١ ــ الاوضاع العامة للخلافة والعالم المحيط بها اثر قيام الخلافة العباسية . والعوامل التي أدت الى سقوط الخلافة الاموية .

٢ ــ الثورة العباسية عوامل نجاحها ، الفترة السرية ، النقباء والدعاة وأعمالهم . الفتره العلنية والتصدي للثورة . حروب الدعوة ، اعلان الخلافة العباسية . دور العناصر المختلفة في الدعوة . سمات الخلافة العباسبة . وأدوارها .

٣ ــ الدور العباسي الاول ، خلفاء هذا الدور ، ومميزات هذا الدور .

ــ توطيد وتثبيت حكم بني العباس ، الموقف العدائي المتبادل بين العباسيين وبنى أمية وانصارهم ، سياسة العباسيين تجاه القبائل العربية والمدن الشامية، ثورة نصر بن شبث العقيلي ، ثورات اجناد الشام وموقف العباسيين منها ، الصراع بين افراد الاسرة العباسية ، موقف العباسيين من الخوارج ، حركات التشيعة في الدور العباسي الاول ، الصراع بين العرب والموالي : الصراع السلمي، الشعوبية ، الزندقه، الصراع بين الخلفاء والوزراء . الصراع المسلح : الراوندية ، المقنعية ، البابكيــة . الاوضاع في مصر وبلاد النوبه . الاوضاع العامة في بلاد المغرب . الاوضاع في الاندلس .

ــ العلاقات الخارجية : مع البيزنطيين ، الكارولنجيين ، الهند ، الصين .

ــ أهم مظاهر الحضارة :

ــ نظام الحكم : النظام السياسى ، الخلافة ، الوزارة ، الكتابة والحجابة .

ــ النظام الاداري ، النظام العسكري ، النظام المالي ، النظام القضائي ، الحياة الاقتصادية ،

ــ الحياة العلمية والعمرانية . الاوضاع الاجتماعية .

٤ ــ الدور العباسي الثاني :

ـ طور النفوذ التركي : خلفاء هذا الطور ، الاعتماد على الاتـــراك في الجيش ونتائجه ، أمرة الامراء .

الاوضاع العامة ، الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية ونتائجها ، الدول المستقلة في هذا الدور .

ـ الدور البويهي : بلادالديلم وشعبها، شعبالديلم والاسلام،الديلموالتشيع، ظهور الاسرة البويهية ، استيلاء اولاد بويهعلى بغداد ، معز الدولة،عز الدولةبختيار، عضد الدولة ، تمزق الدولة البويهية بعد عضد الدولة ، انحدار الحكم البويهـــي ، التحولات الاقتصادية والاجتماعية .

ـ الدور السلجوقي : هجرة التركمان الى خراسان . التركمان والدولـــة الفزنويه ، الصراع على خراسان حتى معركة داندانقان ، قيام السلطنة السلجوقية ، سلطنة طغرلبك الزحف السلجوقي على بغدا د، حركة البساسيري ، هجرة التركمان نشاطهم في العراق والجزيرة واسيـــة الصغرى وارمينية وبلاد الشام ، التركمان العراقية ، سلطنة الب أرسلان ، معركة منازكرد ، الاقطاع العسكري ، سلطنة ملك شاه ، الصراع بين السلطنة والخلافة ، استيلاء التركمان على بلاد الشام ، الزحف نحو مصر ، بركياروق وتمزق الامبراطورية السلجوقية ، سلطنة محمد ، سلطنـــة سنجر ، الخلافة وصراعها مع السلطنة ، الخليفة الناصر وحركة الفتوة ، ظهور المغول وزحفهم على بلاد الاسلام حتى سقوط بغداد .

ـ الدول المستقلة عن الخلافة العباسية :

الطاهرية ــ السامانية ــ الصفارية ، دولة طبرستان ، الدولة الغزنويـــة ، القراخانية ، الحمدانية في الموصل ثم حلب، العقيلية ، المرداسية ، بنـــو مزيـــد ، الطولونية ، الاخشيدية ، الخلافة الفاطمية(الطور المصري) ، دول شـــبه الجزيرة العربية .

الباب الأول

تمهيد

آ ـ الاوضاع العامة للخلافة الاسلامية ، والعالم المحيط بها ، اثر قيام الخلافة العباسية :

يطلق اسم العصر العباسي على الفترة الزمنية التي تمتد من ١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ/ ٧٥٠ ـ ١٢٥٨ م [١] • وينتسب العباسيون مؤسسو هذه الخلافة والقائمون بأمرها الى العباس بن عبد المطلب ، عم الرسول الذي كان على قيد الحياة عند وفاة الرسول •

حكمت الاسرة العباسية في مطلع عهدها ، العالم الاسلامي ، بحدوده التي ورثتها عن الاسرة الاموية • (انظر خريطة رقم ١) وضمت تحت جناحيها اسبانيا والبرتغال في اوربا ـ عدا الزاوية الشمالية الغربية منها المسماة اوشتوريش ـ ، وشمالي افريقية ، وجنوب غربي قارة آسية ، فضمت بالتالي :

١ ـ في قارة آسية المنطقة التي يحدها شمالا حوض نهر سيحون [٢] والسواحل الجنوبية لبحر الخزر (قزوين) ومرتفعات القفقاس وأرمينية وجبال

---

(١) يمكن ان تسمي الفترة المذكورة في المتن والممتدة من سنة ١٣٢ ـ ٦٥٦ هـ العصر العباسي العراقي وذلك انه بعد سقوط الخلافة على يد المغول سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م ، عادت السلالة ثانية الى تسلم الحكم في مصر سنة ٦٥٩ هـ ، ولم يكن للخليفة العباسي فيها امر ولا نهي سوى ذكر اسمه في الخطبة ونقشه على السكة ، والامر كله للماليك . واستمرت الخلافة العباسية الشكلية قائمة يستمد منها سلاطين المماليك وبعض القوى الاسلامية شرعية حكمهم ، حتى دخول العثمانيين الى مصر . وابعاد الخليفة العباسي المتوكل على الله عنها سنة ٩٢٣ هـ ـ ١٥١٧ م .

(٢) ـ نهر مشهور كبير بما وراء النهر بعد سمرقند في حدود بلاد الترك . انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٣ ، ص ٢٩٤ .

طوروس ، وشرقا حوض نهر السند ، ومن الجنوب الشرقي الخليج العربي ، ومن الجنوب بحر العرب ، ومن الغرب البحر المتوسط والبحر الاحمر •

٢ ــ في افريقية ، المنطقة الشمالية بكاملها المطلة على البحر الابيض المتوسط شمالا ، والبحر الاحمر شرقا ، وشمالي السودان حتى الشلال الثالث للنيل والصحراء الافريقية الكبرى جنوبا ، والمحيط الأطلسي غربا •

٣ ــ في قارة اوربة اسبانيا والبرتغال عدا شمالها الغربي [٣] •

الا ان خلفاء العباسيين لم يستطيعوا الحفاظ على وحدة اراضي الدولة العربية الاسلامية ، بل كان الامتداد المكاني لهذه الدولة بين مد وجزر •

وان نظرة متفحصة لهذه الرقعة المكانية التي كان يضمها العالم العربي الاسلامي تحت جناحيه في مطلع العصر العباسي،لتدل على سعة هذه الدولة العربية الاسلامية ، واذا شملت هذه النظرة العالم المعروف آنذاك •لاتضحت عظمتها بشكل اكبر • ومكانتها في عالم العصور الوسطى • ففي شرق هذه الدولة بلاد الهند التي تفتقر الى الوحدة السياسية ، فقد كانت موزعة الى ممالك متعددة تحكمها أسر محلية • وفي الشمال الشرقي من الخلافة العربية الاسلامية تمتد الصين وعلى رأسها اسرة تانغ (٦١٨ ــ ٩٠٧م) • وقد احست بالخطر العربي الاسلامي ، وقوة الخلافة في المناطق الشرقية ، فجمعت قوتها الكاملة ، حيث واجهت جيوش العباسيين في معركة طلس سنة ١٣٣ هـ / ٧٥١ م بعد فترة وجيزة من استلامهم الحكم [٤] •

اما شرق بلاد ما وراء النهر (ترانس أوكسانيا) فقد كانت منتجعا للقبائل التركية التي تجوب السهوب الممتدة بين شمال البحر الاسود والخزر (قزوين) وبحر آرال • ولم تكن هذه القبائل التركية قد نالت شيئا من الحضارة بل كانت تعيش عيشة بدوية خالصة تنتقل طلبا للكلأ والماء ، وكثيرا ما دفعتها الظروف

---

(٣) ــ للتعرف على الاراضي التابعة للخلافة العربية الاسلامية في العهد الراشدي والاموي انظر اطلس التاريخ الاسلامي هارى وهازارد : ترجمة وتحقيق خورشيد وزيادة وغيرهم ، ص ٨ .

(٤) ــ ليلى صباغ : معالم العصر العباسي ، املية لطلاب اللغة العربية ، سنة ثالثة ص ٤٢ .

الطبيعية ، ومطالب الحياة الى اجتياز مناطقها الى بلاد ما وراء النهر حيث تستقر هناك ، وتتصل بالقبائل المستقرة قبلها والمعتنقة للديانة الاسلامية ، فتتأثر بها •

وفي شمال الخلافة العربية الاسلامية ، تقوم الامبراطورية البيزنطيـة التي تسيطر على آسية الصغرى ، والبلقان وعلى جنوبي شبه جزيرة ايطاليا ، كما يمتد نفوذها على الجزر المنتشرة شرقي المتوسط وجنوبه ، وكانت هذه الدولة قـد ارتطمت بصدمات كبيرة وقاسية قد افقدتها صوابها اثر انسحابها من بلاد الشـام ومصر ، وشمال افريقية ، وتبعية هذه المناطق للخلافة العربية • ثم مشاركة العرب لها في السيادة على البحر المتوسط منذ معركة ذات الصواري[٥] • وكانت أوضاع هذه الدولة سيئة في هذه الفترة فقد وقعت في عداء مع العرب المسلمين فأخذوا في غزو أراضيها ومحاولة فتح عاصمتها القسطنطينية[٦] • كما اصطدمت بمطامع القبائل السلافية والبلغارية في أراضيها ، ومحاولاتهم المتكررة للاستقرار في شبه جزيرة البلقـان[٧] •

ولم تكن المنطقة جنوب الخلافة الاسلامية في افريقية تشكل دولة موحدة ، عدا غانا التي كانت قد أسست دولة منذ القرن الرابع الميلادي • وكانت علاقـة العرب المسلمين مع هذه البقاع تقتصر على المبادلات التجارية •

اما أوربا فكانت على الشكل الاتي :

القبائل المتبربرة التي مزقت الامبراطوربة الرومانية قد توضعت في البقاع التي وفدت اليها ، وكونت ممالك اقطاعية متمايزة ، منها دولة القوط في اسـبانيا التي قضى عليها العرب المسلمون سنة ٩٢ هـ/٧١١ م[٨] • ودولة الفرنجة في بلاد الغال التي كانت تحكم من قبل الاسرة الكارولنجية وكان على رأسها عند قيـام

---

(٥) ــ انظر ابراهيم احمد العدوي : الامويون والبيزنطيون ، الدار القومية للطباعة والنشر ، طبعة ثانية ص ١٠٠ ــ ١١٦ •

(٦) ــ Bury : A History of the later Roman Empire 1931., P II., PP 312-313

(٧) ــ ابراهيم احمد العدوي : المرجع السابق ، ص ١٠٧ •

(٨) ــ انظر احمد بدر : دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ، ص ١٧ ــ ١٩ •

الخلافة العباسية ببيان الثالث ١٢٩ ــ ١٥٠ هـ/٧٤٧ ــ ٧٦٨ م والد شارلمان [٩] ، ولايضاح مدى تأخر هذه الدولة قياسا لحضارة الخلافة العربية الاسلامية في ذلك الحين ، يمكننا ذكر موقف شارلمان من الهدية التي وصلته من الخليفة العباسي هارون الرشيد وبشكل خاص حين تفحص الساعة الدقاقــة ، والتي ظن ان بهــا شياطين [١٠] .

اما القبائل المتبربرة التي استقرت في انكلترا على انقاض الحكم الرومانــي فيها فقد شكلت سبع ممالك تتنافس فيما بينها ، كما كانت ايطاليا موزعة بين قوى رئيسية ثلاث : القوة اللومباردية في الشمال ، والبابوية في الوسط ، والبيزنطية في الجنوب والشمال الشرقي . وفي شرقي أوربا فان القبائل السلافية كانت تسعى لتثبيت ذاتها على أرض شبه جزيرة البلقان منذ القرن السابع الميلادي [١١] . في حين لا يرى في موقع روسيا وبولونيا في تلك الفترة سوى قبائل جوابة [١٢] .

وهكذا فاننا نجد بناء على هذه اللمحة السريعة ، او النظرة الشاملة للعالم المعروف آنذاك ، أنه لم تكن هناك دولة تضاهي حضارة واتساع الدولة العربية الاسلامية في العصر العباسي . وقد كانت هذه الدولة تضم شعوبا عديدة ، والكثير منها يحمل حضارات غنية . وعلى الرغم من أن الحكم العربي الاسلامي لهذه المناطق كان قد استقر فيها لمدة قرن تقريبا منذ أن تم فتحها ، فان هذا المجتمع لم يكن عند استلام العباسيين السلطة قد اصطبغ في جميع بقاعه بالصبغة العربية الاسلامية . فالدين الاسلامي لم يصبح دين الغالبية العظمى ، على الرغم من اعتناق الكثيرين له ، ولاسيما في مصر وشمالي افريقية وبلاد فارس وما وراء النهر . فقد ظلــت الشام محافظة على صبغتها النصرانية حتى القرن الثالث للهجرة ، وكذلك ايبريــا (الاندلس) . أما اللغة العربية فهي كذلك لم تبتلع اللغات السائدة بين الاقوام

---

(٩) ـ Muir : the Caliphate., Its Rise Decline and Fall., Beirut 1963., P. 464.

(١٠) ـ فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي ، ص ١٩٥ ـ العباسيون الاوائل ، جزء ٢ ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦١ ـ زهدي الداية : هارون الرشيد وشارلمان ، مجلة الهلال ١٩٣٢ ، ص ٩٦٨ ـ ٩٦٩ .

(١١) ـ صباغ : المرجع السابق ، ص ٤٢ ـ ٤٤ .

(١٢) ـ عن روسيا وسكانها في العصر العباسي ـ انظر رسالة ابن فضلان ، تحقيق سامي الدهان الطبعة الثانية من ص ١٧٥ ـ ١٩٤ .

التي صمتها وخاصة تلك التي تختلف لغاتها اختلافا جذريا عن اللغة العربية التي كان لها حضارة سالفة راقية كالفرس • فاللغة العربية لاقت قبولا وتداولا في مصر والشام والعراق ، والى حد ما في شمالي افريقية لانتشار الآرامية فيها وتشابه جذور لغاتها معها • ويعود هذا الامر الى سماحة الاسلام وحكامه الذين تركوا حرية المعتقدات لسكان البلاد المفتوحة ، وحين فرضوا عليهم الجزية تكفلوا بحمايتهم والدفاع عنهم ، ولا يعني هذا أن خلفاء العرب المسلمين لم يبذلوا جهودا لاجل نشر الاسلام واللغة العربية ، بل كانت الامثلة على نشاطهم في هذا المجال كثيرة ومتعددة ، ومن قبيل ذلك بناء المساجد العديدة في المناطق المفتوحة حديثا وبث دعاة الاسلام بين صفوف عناصر السكان في هذه البلاد لنشر الدين • ويمكن ان نجعل ما فعله الخليفة عبد الملك بن مروان من تعريب للدواوين ، وما فعله عمر بن عبد العزيز تجاه المسلمين الجدد من حيث اعفائهم من ضريبة الجزية من قبيل نشر الاسلام واللغة العربية بطريقة غير مباشرة ، فاعتنق الكثيرون منهم الاسلام •

ب ـ عوامل سقوط الخلافة الاموية :

قبل ان نستعرض الدعوة العباسية ، لا بد لنا من ذكر العوامل التي أدت الى سقوط الخلافة الاموية ، لان العباسيين استغلوا بعض عوامل الضعف هذه لمصلحتهم ، فكانت عوامل سقوط الخلافة الاموية من عوامل نجاح الدعوة العباسية ، وأول هذه العوامل :

ـ انهيار القاعدة العريضة التي كان يعتمد عليها خلفاء الامويين • وهي وحدة البيت الاموي ، ووحدة عرب الشام ، اثر الثورة التي اطاحت بالوليد الثاني ، نتيجة مؤامرة اشترك فيها بعض رجالات البيت الاموي كيزيد بن الوليد الاول ، وسادات قبيلة كلب مثل منصور بن جمهور الكلبي • لقد كان مقتل الوليد نذيرا بانهيار الاسرة الاموية ، وعلى ايدي رجال من بني أمية انفسهم ، فالوليد الثاني لم يكن خارجا او مدسوسا على السلطان ، وانما خليفة له بيعة في الاعناق ، وقد استخلف من قبل هشام بن عبد الملك • لذا فان مقتله كان نقطة البدء في تحدي فكرة الشرعية ومسمارا ضخما في نعش الخلافة ، كمنصب له قدسيته وهيبته [13] •

(١٣) ـ د • نبيه العاقل : دراسات في تاريخ بني امية ، ص ٢٩٨ •

لقد اعتمد الامويون منذ أن قامت خلافتهم في بلاد الشام على أهله كمجموعة واحدة تؤيد البيت الاموي بكل ما تستطيع ، وتمنحه ثقتها ، وكان بنو كلب العنصر البارز في هذا التجمع الشامي المساند للبيت الاموي • ففرقت الاحداث الاخيرة هذه الجماعة الموحدة ، وخلقت بينها تيارات عديدة يرتبط كل منها بفئة وجد أن مصالحه معها •وقد أدى تصدع القاعدة التي يعتمد عليها البناء الاموي الى تصدع البناء الاموي بكامله • وفقد هذا البيت هيبته في جميع الاطراف ، وشعر الناقمون والثائرون الذين يعملون في الخفاء ، والمتآمرون الذين يعدون العدة لاستلاب السلطة أن فرصة ذهبية قد سنحت ، وأن هذه الفرصة يجب أن تستغل وأن تكون الضربة قاضية ، لان البيت الحاكم لايستطيع الرد عليها • وهكذا كثر الشاغبون وعمت الفتن الاطراف ، وظهر على مسرح الاحداث مغامرون وطلاب ثروة وجاه ، يريدون أن يحققوا لانفسهم في هذا الظرف ما عجزوا عن تحقيقه حين كان الجسد الاموي صلبا متماسكا (١٤) •

ـ عايشت الخلافة الاموية الاحزاب السياسية والدينية في بداية نشأتها وتطورها ، تلك الاحزاب التي أدى صراعها على منصب الخلافة الى اضعاف الخلافة الاموية ومن ثم الى سقوطها • وكانت هذه الاحزاب في البداية عربية المحتد ، الا انه لم يلبث أن تسلل اليها عناصر أخرى غير عربية من العناصر التي كانت تشكل الخلافة الاسلامية • وقد دانت بعض هذه العناصر بالاسلام لاستغلاله والاستفادة منه لتحقيق مآرب شتى • فاستغلت الوضع ورفدت الاحزاب الناشئة بمفهومات متنوعة • ومن هذه الاحزاب حزب الخوارج والشيعة والمرجئة (١٥) •

والشيعة والخوارج اقدم الفرق السياسية والدينية في الاسلام • تفرعا من شجرة واحدة (انصار علي بن ابي طالب) • كان السبب المباشر لنشأة الخوارج

(١٤) ـ عاقل : المرجع السابق ص ٢١٩ ، ومن اجل الثورات التي قامت في بلاد الشام . في هذه الفترة انظر المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٣٢٥ ـ ٣٢٦ ـ ومروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ١٥٩ حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، جزء ٢ ، ص ١٥٣ Muir : OP- cit., P. 418 .

(١٥) ـ عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٢ ، ص ٢١٠ وما بعدها .

مسألة التحكيم ابان معركة صفين • فثار قسم من شيعته عليه لقبوله بالتحكيم • وتنادوا أن لا حكم الا لله ، وقد تزعم هذه الفرقة المنشقة شبث بن ربعي الرياحي ، وعبد الله بن الكواء اليشكري ، ويزيد بن قيس الارحبي [١٦] • وكان الخوارج في عالبيتهم من تميم وبكر وهمذان وغيرها من قبائل الكوفة [١٧] •

وقد خرج علي الى المنشقين وجادلهم في رأيهم ، واقنعهم بالعودة الى صفه • فاقتنعوا ودخلوا معه الكوفة وانضموا اليه • وقد سميت هذه الجماعة الاولى باسم الحرورية لاجتماعهم في حروراء • ولكنهم مالبثوا ان نقضوا عهدهم وعادوا الى العصيان ، بحجة ان عليا وعدهم أن يسير بهم دون ابطاء لمحاربة أهل الشام ، فلما لم يفعل ، وأرسل ابا موسى الاشعري لحضور جلسة التحكيم ، اعتبروا أنفسهم في حل من طاعته ، وخرجوا عليه من جديد ، حتى اضطر الى قتالهم في النهروان [١٨] •

وهكذا كان نشوء هذه الفرقة التي استمرت طوال العصر الاموي ، ومن بعده العباسي [١٩] ، شوكة في حلق الدولة العربية الاسلامية ، وأبدت رأيها في الخلافة ، ومن يستحقها • فقالت بأن الخلافة حق لكل عربي مسلم حر • ثم تطور هذا الرأي بعد دخول اعداد وفيرة من الموالي ضمن صفوفها ، فجعلت الخلافة حقا لكل مسلم شرط العدل ، وبذلك فان هذه الفرقة مثلت الديمقراطية في الاسلام •

وتشدد هؤلاء في آرائهم ، فجعلوا الجهاد فرضا لقتال اعدائهم من مغتصبي الخلافة [٢٠] • وقد رأت بعض فرقهم قتال كل من لم يقل برأيهم • وقالوا بأن

---

(١٦) ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ص ٤٠٥ .

(١٧) ـ يرى بعض مؤرخينا بان الخوارج من عرب الردة ، الذين خرجوا اثناء الفتوح وبعدها عن شبه الجزيرة العربية ، ليستوطنوا الكوفة والبصرة ، وممن آمن بحرفية الدين وضرورة اخضاع السياسة له .

(١٨) ـ عاقل : عصر الرسول والراشدين ، ص ٣١٨ .

(١٩) ـ مازالت بعض فرقهم موجودة .

(٢٠) ـ لم يكن الخوارج فرقة واحدة ، بل انقسموا الى فرق متعددة ، اختلفت في درجة تشددها في آرائها . انظر من اجل ذلك ابن خلدون : العبر ، مؤسسة الاعلمي ببيروت ، جزء ٣ ، ص ١٤١ وما بعدها وانظر يوليوس فلهاوزن : احزاب المعارضة في صدر الاسلام ، ترجمة بدوي ، الطبعة الثانية ص ٤٢ ـ ٤٣ . وانظر عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

العمل جزء من الايمان ، وجعلوا مرتكب الكبيرة كافرا ، وغير ذلك من أمور [٢١] • وقد وجد هؤلاء بين الموالي والاعراب المماثلين لهم اجتماعيا بيئة صالحة • فانتشرت آراؤهم في منطقة الجزيرة ، وفي جنوب العراق ، وفارس ، وسواحل شبه الجزيرة الشرقية ، واليمن ، وفي شمالي افريقية •

حارب الخوارج أعداءهم حربا لا هوادة فيها ، ووقفوا موقفا حازما من علي ابن ابي طالب ومن الامويين • واصطر الاخيرون الى تجهيز الجيوش لقتالهم باستمرار • وكانوا بذلك سببا من أسباب اضعاف الامويين واشغالهم • وتعطيل الجزء الاكبر من قوتهم • ففسحوا المجال بذلك واسعا امام القوى المعادية للامويين [٢٢] •

اما الشيعة شيعة علي ، فقد رأوا أنه أحق من كل الذين تولوا الخلافة قبله ، لقرابته من الرسول وفضله [٢٣] ولان الرسول أوصى له بها ، كما رأوا أن الامامة (الخلافة) ليست قضية مصلحية يمكن أن تفوض الى نظر المسلمين ، فينتخبون من شاؤوا لتوليها ، بل هي قضية اصولية ، وهي ركن الدين [٢٤] • فأيدوه وناصروه ، وقاتلوا معه الاعداء ، وعلى الرغم من تمسك علي بأصول الدين وفقه الاسلام [٢٥] ، فقد فشل أمام دهاء وسياسة معاوية ، وبالتالي فقد ارتفع شأن معاوية وأهالي الشام أنصاره • وانخفض رصيد علي وأنصاره في العراق ، وانتهى الامر بقتله على يد الخوارج [٢٦] •

وعلى حين قتل علي ، فان أنصاره التفوا حول أبنائه الحسن [٢٧]

---

(٢١) — انظر عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٢٢) — انظر عن حركاتهم في العصر الاموي : كتاب الدكتور نبيه عاقل : دراسات في تاريخ بني امية ، صفحة ١١٥ — ١٢٤ .

(٢٣) — فلهوزن : المرجع السابق ، ص ١١٢ .

(٢٤) — ابن خلدون : مقدمة ، دار الشعب ، ص ١٧٥ .

(٢٥) — عن صفات علي انظر ما قاله ضرار بن ضمرة لمعاوية في المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٤٣٣ .

(٢٦) — المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٤٢٣ وما بعدها — نبيه عاقل : تاريخ عصر الرسول ، ص ٣٢٤ .

(٢٧) — نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

والحسين [٢٨] اولا • ثم خلف ابنه محمد بن الحنفية [٢٩] • ووقع هؤلاء الشيعة في عداء مع الامويين ، وزاد هذا العداء اضطراما موقف الامويين من هذه الفرقة . واستخدامهم القسوة والشدة في القضاء على ثوراتهم • وكمثال على ذلك فاجعة كربلاء ، تلك الفاجعة التي أدت الى ازدياد ترابط الشيعة ، وكثرة المتعاطفين معهم ، وبشكل خاص الموالي • وقد أدت سياسة الشدة التي اتبعها الامويون معهم الى انقلاب حركتهم الى عقيدة دينية مطبوعة بطابع الحزن والالم والتوبة والنـــدم • وتكررت حركات الشيعة وكثرت فرقهم حتى أصبحوا أخطر الاحزاب على بنـــي أمية ، وكان لهم دور اساسي في القضاء على حكمهم [٣٠] •

ـــ واذا عدنا الى نهاية فترة حكم الخلافة الاموية ، لوجدنا بأن مروان بن محمد آخر خلفائهم لم يتول الخلافة بتفويض ولاية العهد • ولم تكن له بيعة في الاعناق من قبل من سبقه من الخلفاء • بل اعتلى المنصب بقوة السلاح • وبالتالي فان الامويين لم يجتمعوا حوله ، كما لم يجتمع عرب الشام على خلافته • وقد أدى ذلك الى ثورات كثيرة قامت في وجهه • منها ثورة سليمان بن هشام الذي اتخذ موقفا مؤيدا ليزيد الثالث • كما ثار ضده عرب اليمن في كل مناطـق الشـــام في فلسطين والاردن وحمص وتدمر [٣١] •

ـــ ويضيف المؤرخون ان مروان بن محمد ابن أمة كردية ، ولم يكن من عادة الامويين تولية ابناء الاماء ، وهذا السبب هو الذي أبعد مسلمة بن عبد الملك عن الخلافة ، على الرغم من انه كان أهلا لذلك • واذا كان هذا رأي بعض المؤرخين ، فان بعضهم الاخر وعلى رأسهم المسعودي [٣٢] كان يرى بأن يزيد بن الوليد هو ابن أمة فارسية ، ومع ذلك فقد تولى الحكم • وبالتالي فان توليه أبناء الاماء كان نادرا ولكنه عرف قبل خلافة مروان بن محمد •

---

(٢٨) ـ المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، من ص ٦٤ ـ ٧٢ ـ نبيه عاقل : دراسات في تاريخ بني امية ، ص ٥٢ وما بعدها .

(٢٩) ـ المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ، ص ٨٧ ـ نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص٩٩

(٣٠) ـ عمر فروخ : المرجع السابق ، ص ٢١١ ـ ٢١٢ .

(٣١) ـ نبيه عاقل : المرجع السابق ، ص ٢٩٩ وما بعدها .

(٣٢) ـ مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٢٣٩ .

ـ فشل الامويون بتنظيم حكومة مركزية قوية • واعتمدوا على ولاة أعطوهم صلاحيات واسعة ، وأن بعض ولاتهم ـ وان كانوا على درجة عالية من قوة الشخصية والاخلاص للامويين ـ الا أنهم تصرفوا كحكام مستقلين ، وفعلوا ما رأوه صالحا في رأيهم • كما أن الامويين لم يقووا مركزهم في مدينة دمشق لأنهم في أغلبهم لم يستقروا بها ، بل قضوا معظم أوقاتهم في مدن على أطراف الصحراء • وفي المدة الاخيرة تركزت اقامتهم في مناطق الشام الشمالية •

ـ لم يكن للخلافة الاموية جيش نظامي ، وكانوا يدعون الجند حين الضرورة [٣٣] • أما الفرق العسكرية التي عرفت ، مثل فرقة الذكوانية وغيرها ، فقد ظهرت في نهاية فترة العصر الاموي [٣٤] • أما تنظيمات الشرطة والامن الداخلي ـ ان استطعنا استخدام هذا التعبير ـ فلم تكن على درجة متقدمة ، كما ان اعدادها لم تكن كافية ، بدليل انتشار التنظيمات السرية دون وصول خبرها الى الخليفة •

ـ واذا اضفنا الى ذلك أن الامويين جعلوا من خراسان ولاية تابعة لولاية العراق ـ ماعدا فترات بسيطة تمثلت في عهد عمر بن عبد العزيز والفترة الاولى من حكم يزيد بن عبد الملك ـ وان ولاة العراق لم يكن يهمهم الا أن تكون هذه المنطقة خزينة لهم • واذا استرجعنا وضع العراق في العصر الاموي ، وما نشب فيه من ثورات معادية للامويين ، لادركنا مدى ما كان يكلف به أهالي المناطق الشرقية من أعباء مادية ، وبالتالي لادركنا سبب ابتعاد قلوب هؤلاء عن الامويين ، واستعدادهم للانضمام الى الدعوات المضادة ، وبالتالي لادركنا سبب انضمامهم الى الدعوة للرضا من آل البيت •

---

(٣٣) ـ من المعروف ان الامويين كانوا يدعون الرجال حين الحاجة . ومثالنا على ذلك الجيش الذي وجهه يزيد بن معاوية الى المدينة حيث دعا مسلم بن عقبة الناس للسير معه : انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٨٥ . وكذلك دعوة الحجاج الناس للحاق بجيش المهلب لقتال الخوارج . كما أن المهلب جمع جيشا من اهل البصرة لقتال الخوارج . انظر الدينوري : الاخبار الطوال ، ص ٢٧٢ .

(٣٤) ـ انظر عاقل : المرجع السابق ص ٣٠٢ .

ـ أما مايذكره المؤرخون عن وصول حكام ضعاف الى سدة الخلافة ، فهو سبب وضع دون دراسة علمية للعصر الاموي . ولتوضيح ذلك ونفي فكرة وصول حكام ضعاف أثروا على مجرى الخلافة وكانوا سببا من الاسباب التي أدت الى سقوطها ، لابد من استرجاع الاوضاع الخلافية منذ خلافة هشام بن عبد الملك . ويعتبر الخليفة هشام بن عبد الملك مثال الخلفاء من حيث المقدرة السياسية والادارية ، ويمكن مقارنته بالوليد بن عبد الملك ، ومعاوية بن أبي سفيان . استمر في حكمه حتى سنة ١٢٥ هـ / ٧٤٣ م ، وتولى مروان بن محمد الخلافة في سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م وكان على درجة كبيرة من المقدرة السياسية والعسكرية . والدليل على ذلك ما قام به من أعمال عسكرية بطولية وتهدئته لثورات متعددة ، وذلك بالاضافة للتنظيمات العسكرية التي أجراها [٣٥] . ولم يحكم الوليد بن يزيد ـ اذا كان هو المقصود بالخلفاء الضعاف ـ فترة تجعل هذا الضعف يؤثر على سير الخلافة الاموية . فحكمه وحكم يزيد الثالث لم يتجاوز السنتين ، وبالتالي فان ضعفهما مهما بلغت درجته فلن يؤدي الى سقوط الخلافة الاموية . واذا كان الوليد الثاني ضعيفا فان أعوانه لم يكونوا كذلك . فقد كان عامله على المدينة يوسف بن محمد الثقفي . وفي دمشق عبد الملك بن محمد بن الحجاج الثقفي ، وفي خراسان نصر بن سيار ، كما استبقى الابرش الكلبي مستشار عمه في منصبه [٣٦] .

ـ استيقاظ روح العصبية القبلية بين عرب الشمال والجنوب . وتفضيل الخلفاء الامويين لقبيله أو لاخرى حسب الظروف كان له اثره في نفور القبائل من القتال ، وفتور حماسها للذود عن الخلافة الاموية . ومما لاشك فيه ان استيقاظ روح العصبية القبلية ، كان بسبب السياسة التي سار عليها خلفاء بني أمية . فقد عمل معظم هؤلاء الخلفاء على تقريب أحد فرعي القبائل العربية اليهم دون الاخرى الا من عمل منهم على حفظ التوازن القبلي وكانوا قلائل [٣٧] .

ونتيجة لهذه السياسة التي سار عليها الخلفاء الامويون فقد التهبت نار الاحن

---

(٣٥) ـ عاقل : المرجع السابق ، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

(٣٦) ـ عاقل : المرجع السابق ، ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

(٣٧) ـ انظر عمر رضا كحالة : معجم القبائل العربية ، ٣ اجزاء ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٨ ، جزء ٣ ، صفحة وحاشية ص ٩٩١ .

والاحقاد بين الفرعين ، اندلع لهيبها أول الامر في بلاد الشام مركز الخلافة الاموية . وأسفر ذلك عن حروب كثيرة بين هذه القبائل كادت تخرب بلاد الشام . ثم مالبثت أن تطاير شذاها الى غيرها من الولايات الاسلامية . وغدت بقاع كثيرة من الدولة مسرحا للاصطدام بين هذه القبائل . فقد نشبت ثورة يزيد بن المهلب في العراق ، واتخذت طابع العصبية ، وان لم تكن العصبية هي السبب في خروج ابن المهلب عن الطاعة (٣٨) . وانتقلت العصبية الى خراسان ونشب فيها النزاع بين فرعي قبائل العرب بسبب تعارض مصالحهما (٣٩) . وقد استغل دعاة العباسيين هذه الفوضى السياسية ، وقاموا بنشر دعوتهم . ومما لاشك فيه أنه كان يزيد في اضرام نار المنافسة بين هذه القبائل ، ما كان يحدث من تفاخر بين ابنائها حتى أمام الخلفاء انفسهم ، الى جانب هجاء الشعراء وتفاخرهم (٤٠) .

وبدت القبائل العربية وكأنها أنهكت لهذا التذبذب بينها من قبل خلفاء الامويين . حتى انها انفرجت عن مساعدة مروان بن محمد في محنته . بدا ذلك واضحا في معركة الزاب . فكان مروان بن محمد كلما نادى على قبيلة من القبائل لنصرته ، تبتعد منه وتطلب منه أن ينادي على القبيلة الاخرى قبلها (٤١) . فلم يتحمس العرب القيسية للقتال مع مروان ، بل انهم على العكس وثبوا عليه في دمشق . كذلك يئس العرب اليمنية من الامويين عامة ، وانقلبوا الى حزب معاد ، وانضموا للدعوة العباسية ، وكانوا من اكبر انصارها (٤٢) . وهكذا يبدو انه على الرغم من أن الاحداث هي التي كانت تفرض على الخلفاء الامويين الانحياز لأحد

---

(٣٨) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١٧٢ ـ ثابت اسماعيل الراوي : العراق في العصر الاموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ، مطبعة الارشاد بغداد ١٩٦٥ ، ص ١٨٤ . احمد زكي صفوت : عمر بن عبد العزيز ، من سلسلة اقرأ ، طبع ونشر دار المعارف القاهرة ٦٣ ، ص٦٩

(٣٩) ـ فان فلوتن : السيادة العربية في عهد بني امية ، مطبعة السعادة ١٩٣٤ ، ص ٦٢ ـ ٦٣ .

(٤٠) ـ عن اسباب العصبية القبيلة ودورها في سقوط الخلافة الاموية : انظر المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، من ص ٢٤٢ ـ ٢٤٦ ـ وانظر سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص١٤٦ـ١٤٨ .

(٤١) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٣٤ .

(٤٢) ـ فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية الطبعة الاولى ، طبعة دار الارشاد بيروت ١٩٧٠ ، ص ١٢٤ نقلا عن الامامة والسياسية .

الفرعين القبليين ، فان هذا الأنحياز أدى الى اســتيقاظ روح العصبية القبليــة بينهما ، وأدى الى نفور الفرعين عن مســـاندتهما وانحياز العرب اليمنيــة إلى العباسيين ، وكان لهذا ما كان من دور بارز في انهزام مروان بن محمد في معركة الزاب ، ثم اضطراره الى الانسحاب من بــلاد الشام ومقتله ، وسقوط الخلافــة الامويــة .

ــ وقد أجمل أحد شيوخ بني أمية أسباب سقوط الخلافة الاموية فقال : (انا شغلنا بلذاتنا عن تفقد ما كان تفقده يلزمنا ، فظلمنا رعيتنا فيئسوا من انصافنا، وتمنوا الراحة منا ، وتحومل على أهل خراجنا فتخلوا عنا ، وخربت ضياعنا فخلت بيوت أموالنا ، ووثقنا بوزرائنا فآثروا مرافقهم على منافعنا ، وأمضوا أمــورا دوننا أخفوا علمها عنا ، وتأخر عطاء جندنا فزالت طاعتهم لنا ، واستدعاهم أعادينا فتظافروا معهم على حربنا ، وطلبنا اعداؤنا فعجزنا لقلة أنصارنا ، وكان اســـتتار الاخبار عنا من أوكد أسباب زوال ملكنا)[٤٣] .

ــ لقد أدت هذه الحركات المتعددة الى اضطراب حبل الامن ، فهاجت الفتنة واندلعت الثورات في كل مكان ، ومع كل ذلك فقد تمكن مروان من القضاء على حركات العرب اليمنية في الشام ، [٤٤] كما استطاع القضاء على حركة عبد الله بن معاوية في العراق ، ففر الى خراسان [٤٥] ، وكذلك فانه تمكن من القضاء عــلى ثورات الخوارج ، وقام بكل ذلك بكفاية ومقدرة [٤٦] ، ولكنه حين تمكن من القضاء على هذه الحركات كان مشرق الخلافة الاسلامية يشتعل نارا ، فقد قامت حركة تطالب باصلاح الاوضاع الاجتماعية ، وهي حركة الحارث بن سريج[٤٧] ،

---

(٤٣) ــ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٢٤١ .

(٤٤) ــ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١١٣ ــ ١١٤ .

(٤٥) ــ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١١٥ .

(٤٦) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٤٤ ــ ٣٤٧ و ص ٣٤٨ و ص ٣٤٩ ــ ٣٥٣ و ص ٣٧٤ ــ ٣٧٦ ــ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٦٤ وما بعدها حتى ص ١٦٩ .

(٤٧) ــ الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٥ ــ و ص ٣٠٩ ــ ٣١٠ ، وص ٣٣٠ــ ٣٣٤ ، ــ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١١٥ ــ ١١٧ .

كما اندلعت ثورات قبلية قام بها جديع بن علي الكرماني • ولما قتل قاد ابنه علي الثورة [٤٨] •

ـ كان التذمر يعم المنطقة الشرقية ، فخراسان ومنطقة ما وراء النهر بعناصرها العربية المسلمة التي استوطنتها بعد الفتح والفارسية المسلمة منذ انتشار الاسلام ، وفي الفترات التالية ، والتركية المسلمة حديثا كانت في حالة تذمر • فقد ابقى الامويون ضريبة الجزية والخراج على المسلمين الجدد ، اللهم ماعدا عمر بن عبد العزيز • كما اثقلوا كاهل الاهالي بضرائب اضافية كضريبة المهرجان والنوروز ، وغيرها •

وفوق كل هذا وذاك فان هذه الفئة حرمت من العطاء ، ويتضح ذلك مما قاله أحدهم لنخليفة عمر بن عبد العزيز حين قابله (يا أمير المؤمنين عشرون الفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ، ومثلهم قد أسلموا من اهل الذمة يؤخذون بالخراج) . وكان جواب عمر الى واليه (انظر من صلى قبلك الى القبلة فضع عنه الجزية)[٤٩] •

وعلى هذا الشكل فقد تذمر الموالي من الظروف السيئة التي عاشوها ، ولم تكن هذه الظروف وقفا عليهم ، بل ساءت حال الكثيرين من العرب • فقد تسلطت الارستقراطية العربية التي برزت زمن الحكم الاموي ، وفئة الدهاقين [٥٠] من رجالات الاقطاع الفارسي ـ التي استمر نفوذها في ظل البيت الحاكم ـ على الفئات الاخرى من الموالي والعرب وعلى فئات الشعب فتذمرت منهم ، ويؤيد تذمر بعض

---

(٤٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٨٥ ـ ٢٩٣ ، و ص ٣٦٧ ـ ٣٧١ و ص ٣٨٦ ـ ٣٨٨ •

(٤٩) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥٥٩ ويلاحظ ان عامة المسلمين خلطوا بين الجزية والخراج ، فعلى حين يذكر الرجل لعمر بان جماعته اسلموا ويؤخذون بالخراج علما بان ما يرفع عن الذمي حين يسلم ضريبة الجزية . وقد ادرك عمر بن عبد العزيز الموقف وخاطب عامله بوضع الجزية عن الناس .

(٥٠) ـ الدهاقين / هم طبقة النبلاء من الفرس المحليين وكانوا في العهد الساساني مسؤولين عن تنظيم الضرائب وجبايتها . وكانت الدولة تعفيهم من الضرائب ، بينما يقع عبؤها على كاهل الفلاحين .

فئات العرب من الاوضاع في خراسان ما أورده الدكتـور فاروق عمر [٥١] حيث يقـول :

(ان المتذمرين من العرب المستقرين ، التابعين لقبائل متباينة الذين حرموا من العطاء ، والذين نظروا بعين الحسد الى اخوانهم المقاتلة من أصحاب الامتيازات ؛ كان هؤلاء العرب المستقرين يأملون تغيرا في الطبقة الحاكمة • ان هذا يفسر حقيقة كسب الدعوة العباسية لا لليمانية وحلفائهم الربعية فحسب ، بل وحتى المضريـة الذين كانوا يشعرون بخيبة أمل) •

ويتضح من هذا بأن قسما من العرب الذين لم يكن لهم شرف الاتصـال بالطبقة الحاكمة واولئك الذين هاجروا الى خراسان لمشاكستهم للدولة الاموية كانوا يعيشون كغيرهم على هامش الاحـداث ، ويشعرون باهمال السلطة الامـوية لشؤونهم ، كما كانوا يخضعون لنظام الضرائب القاسي ، وجور الدهاقين المكلفين بجباية الضرائب في المقاطعات الشرقية ، فتعصبوا بعضهم لبعض ، وتكتلوا ضـمن عصبيات وأحلاف جديدة ، وانضموا الى صفوف الثائرين على الدولة الاموية ، وأيدوا الثورة العباسية ، ووقفوا صفا واحدا مع الموالي ضد الفئة العربية الاخرى التي تتمتع بالامتيازات وتتقاسمها مع فئـة الدهاقين ممثلي الارستقراطيـة الفارسية [٥٢] • وفوق هذا وذاك ، فان العرب المقاتلة ، كـان لهم ما يدعوهم الى التذمر والشكوى ، فقد كانوا يوجهون بين الفينة والفينة لاخضاع البقاع الثائرة والمتمردة فيما وراء النهر ، ولما كانت الثورات متكررة فقد جمد المقاتلة بالثغور وفي خطوط القتال ، ولم يسمح لهم بالعودة الى أهلهم وذويهم لقضاء فصل الشـتاء • يضاف ، الى اسباب تذمرهم شعورهم بالغبن المـادي ، اذ أن حكام الامويين لـم يكونوا يعطونهم حقهم من الفيء والغنائم • فالنفائس يحتفظون بها لأنفسهم أو

(٥١) ـ الدعوة العباسية ، ص ٨٣ •

(٥٢) ـ ان استمرار نفوذ الدهاقين في العهد الاسـلامي نتج عن بنود المعاهدة التي عقـدت بين المسلمين ومرزبان مرو حين فتحت خراسان ، وقتل يزدجرد الثالث آخر اكاسرة الفرس وكان من بنود هذه المعاهدة انه ليس للمسلمين شأن بتقدير الضرائب ، بل عليهم ان يتسلموا مقدارها من الدهاقين • الذين تركت ادارة خراسان بيدهم • انظر فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ١٣٦ •

يرسلونها الى الخليفة ، ليكتسبوا مكانة في البلاط • بينما يصر شيوخ القبائل المقاتلة على الاحتفاظ بأربعة اخماس الغنيمة وهي حقهم الشرعي •

★ ★ ★

وهكذا تضافرت عوامل متعددة ، أدت الى سقوط الخلافة الاموية وقيام العباسية ، وأصبح مروان بن محمد غير قادر على الصمود أمام جميع القوى التي تضافرت ضده ، ولا سيما الدعوة العباسية التي استغلت اضطراب الاوضاع في أرجاء مناطق الخلافة غاية الاستغلال • وخرجت من السريه طارحة شعاراتها التي رأت أنها ستكون الدواء لمعظم أدواء المجتمع • وعاش الناس هذه الفترة المضطربة من تاريخ الخلافة الامويه عيشة يسودها التشاؤم • وانبرى بعض الشعراء يصفون الوضع العام ، فهذا أحدهم يقول :

أبيت أرعى النجوم مرتفقا	اذا استقلت تجرى أوائلها
من فتنة أصبحت مجللة	قد عم أهل الصلاة شاملها
من بخراسان والعراق ومن	بالشام كل شجاه شاغلها (٥٣)

وقال نصر بن سيار مخاطبا مروان بن محمد ، واصفا الحالة المتردية في البلاد والعواقب التي ستنجم عنها فقال :

انا وما نستكتم من أمرنا	كالثور اذ قرب للناخع
أو كالتي يحسبها أهلها	عذراء بكرا وهي في التاسع
كنا نرفيها فقد مزقت	واتسع الخرق على الراقع
كالثوب اذا أنهج فيه البلى	أعيا على ذى الحيلة الصانع (٥٤)

(٥٣) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٨٦ .

(٥٤) ـ المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٥٨ .

الدعــوة العباســية

واجه خلفاء بني أمية ، كما مر معنا عددا من حركات المعارضة ، وعلى رأسها حركات الشيعة ، التي تدعو فيما تدعو اليه ، لبني هاشم (اهل البيت) بصفة عامة ولعلي وأبنائه من بعده بصفة خاصة • وقد قام اتباع تلك الحركة الاخيرة ، بثورات عديدة في العصر الاموي باءت جميعها بالفشل • بينما لم يرفع أبناء وأحفاد العباس سلاحا في وجه الامويين • وكل ما قاموا به هو اظهار تأييدهم لبني عمومتهم وتعاطفهم مع حركاتهم • ويفاجأ المرء بعد هذه الظواهر بنجاح العباسيين في تأسيس خلافتهم اثر سقوط خلافة الامويين ، فكيف تم هذا الامر ؟ أو بصيغة اخرى كيف انتقلت الدعوة من الهاشميين الى العباسيين ؟ • يبدو أن طموح العباسيين للوصول لمنصب الخلافة ظهر متأخرا وبعد انقسام شيعة علي اثر الضربات العديدة التي تلقوها • وان كان الغموض يكتنف بداية ظهور هذا الطموح والظروف التي بدأ فيها أول مطالب بالخلافة لآل العباس ، وهو محمد بن علي بن عبد الله بن العباس (1) •

ولتوضيح ذلك لا بد من ذكر الروايات المتعددة في هذا المجال ، والتعليق عليها •

تذكر بعض المصادر أن محمد بن علي بويع بالامامة من قبل أبي هاشم عبد الله ابن محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب ، وكان الاخير قد ذهب الى دمشق بناء على دعوة من الخليفة الاموي سليمان بن عبد الملك • وعلم سليمان اثناء هذه المقابلة بأن لابي هاشم دعوة سرية وأن له انصارا يطيعونه • فأحب ان يتخلص منه ، فأوعز

---

(1) ـ المعروف بان محمد بن علي بن عبد الله بن العباس كان يقيم في بلدة الحميمة جنوب البحر الميت ، وكانت قد اقطعت لابيه علي بن عبد الله •

بدس السم له عقب مغادرته لدمشق [٢] • وحين شعر أبو هاشم بتردي حالته بعد أخذه للطعام المسموم ، وهو في منطقة قريبة من الحميمة ، أدرك بأنه لا مجال للتردد ، وأن عليه أن يدخل الحميمة ، وفيها قام بمبايعة محمد بن علي قائلا له : انا كنا نظن أن الامامة والامر فينا ، فقد زالت الشبهة ، وصرح اليقين ، فانك الامام ، وان الخلافة في ولدك فعليك بالكوفة ، فان فيها شيعتك وأهل مودتك ، واجتنب الشام فليس محتملا دعاتك ، ولا يصلح لهم • وعليك بخراسان ، فوجه الى خراسان رجلا ، وأمره ان يدعو الى الرضا من آل محمد ولا يسمي أحدا • كما سلمه وصية أبيه [٣] ، التي فيها ان الامر صائر اليه ، والى ولده ، وأعلمه الوقت الذي يكون فيه والعلامات وكل ماينبغي أن يعمل به • كما أعلمه ماروي عن أبيه علي بن أبي طالب ، بأن الامر لعبد الله بن الحارثية ثم عبد الله اخوه [٤] • واضافة الى ذلك فقد أعلمه ان له دعاة وكشف له عنهم • وأعطاه العلامات وسلم له خاتما كان في اصبعه يختم به الكتب الى الدعاة ، [٥] وكتب يعلم شيعته من أهل خراسان والعراق أن الامر صائر الى ولد محمد بن علي ، وأمرهم بقصده من بعده ، فرضوا به وسلموا الامر الى بني العباس[٦] • ويثير موضوع هذا التنازل شكوكا وتساؤلات يصعب القطع بها • فمن المعروف ان آل العباس لم يظهروا في أي فترة سابقة ادعاء أو طموحا في موضوع الخلافة ، لأن جدهم العباس أسلم متأخرا ، وان كان يظهر عطفه على ابن أخيه [٧] • وكان موقف أبناء العباس في الصراع بين العلويين والامويين ، ولاسيما بعد مقتل علي أشبه بموقف العباس ، يؤيدون أبناء عمومتهم دون أن يقفوا موقفا عدائيا صريحا من الامويين . ما عدا ماذكر عن العذاب

---

(٢) ــ عن تفاصيل هذه الرواية ، انظر العيون والحدائق : لمؤلف مجهول ص ١٨١ .

(٣) ــ قد تكون هي الصحيفة الصفراء التي يذكرها المؤلف المجهول في مخطوطة اخبار العباس وولده .

(٤) ــ المقريزي : مخطوطة المقفى في تاريخ مصر والواردين اليها . نسخة مصوره عن مجلدة باريس في مكتبة الدكتور سهيل زكار ، ورقة ٧٦ وجه وظهر .

(٥) ــ العيون والحدائق : ص ١٧١ ــ وانظر المعارف لابن قتيبة ، تحقيق ثروت عكاشة الطبعة الثانية . دار المعارف بمصر ١٩٦٩ ، ص ٢١٧ فهو يذكر هذه الرواية باختصار .

(٦) ــ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٦٤ وجه وظهر ــ العيون والحدائق ، ص ١٧١ .

(٧) ــ انظر فيما سبق .

الذي ناله عبد الله بن علي العباسي على يد الامويين من ضربه بالشمس ، وصب الزيت فوق رأسه ونفيه الى جزيرة دهلك [٨] . كما أنه من المعروف أن آل علي وشيعتهم يتمسكون بحقهم في الخلافة تمسكا وصل بالكثيرين الى حد الغلو والتطرف . ومن هؤلاء الكيسانية ، وأبو هاشم زعيمهم ، واذا قرأنا الرواية نفسها كما أوردها ابن طباطبا ، [٩] لوجدنا ان هناك خلافا بين الروايتين ، فابن طباطبا يرى أن أبا هاشم لم يتنازل عن الامامة لمحمد بن علي ، بل يذكر بالحرف الواحد : (... فأعلمه أنه ميت وأوصى اليه ، وكان بصحبته جماعة من الشيعة فسلمهم اليه وأوصاه فيهم . ثم مات رضي الله عنه ، فتهوس محمد بن علي بن عبد الله بالخلافة منذ يومئذ) . وقد يأخذ المرء كلمة أوصى اليه ، بأن أبا هاشم أوصى اليه بالخلافة، ولكن تتمة الرواية توضح المقصود .

والى جانب هذه الرواية ، فان هناك روايات اخرى جاءت في متن كتب التاريخ مغايرة لهذه الرواية ، منها ماذكره صاحب كتاب العيون والحدائق ايضا والمقريزي [١٠] ، عن بيعة محمد بن علي فقال (لما اراد الخراسانيون القيام في أمر الدعوة لواحد من آل رسول الله (ص) ، قالوا لا يصلح هذا الامر الا لرجل من هؤلاء القوم ، ولا يصلح الا لرجل يجمع الناس على أن فيه ثلاث خصال يكون أعظمهم شرفا وأفضلهم في نفسه دينا وأسخاهم كفا ، فيكون قوم يتبعونه لشرفه وموضعه ، وقوم يتبعونه لبراعته وفضله ، وقوم يتبعونه لشجاعته وكرمه . فقدموا المدينة .. فدلوهم على محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فمضوا اليه ..) وتدل هذه الرواية دلالة صريحة على ان الفضل في البيعة لمحمد بن علي يعود للخراسانيين. وأن هؤلاء كانوا يريدون رجلا من أهل البيت سواء أكان علويا أم عباسيا أم جعفريا .

---

(٨) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٦٤ ظهر وقد وردت برواية اخرى في ورقة ٦٥ ظهر عن محمد بن علي واضاف الى ذلك انه اخذ منه ماله .

(٩) ـ ابن طباطبا : الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية، دار بيروت ١٩٦٦ ، ص ١٤٣.

(١٠) ـ العيون والحدائق ، ص ١٧٩ ـ المقريزي المصدر السابق ، ٦٥ وجه .

وورد في الكتاب نفسه رواية اخرى فحواها أن رسول الله (ص) أعلم عمه العباس أن الخلافة تؤول الى ولده • ويقول هذا الحديث المنسوب للرسول انه عليه السلام قال لعمه العباس رضي الله عنه : انها ستكون في ولده • وأنه حين أتاه بابنه عبدالله أذن في أذنه ، وتفل في فيه ، وقال : اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل ثم دفعه الى أبيه وقال له : خذ اليك ابا الاملاك [11] •

ويرى ابن خلدون بأن الدولة العباسية من دول الشيعة ، وأن العباسيين من فرقة الكيسانية وهؤلاء ـ كما هو معروف ـ يقولون بامامة محمد بن علي بن الحنفية بعد علي بن أبي طالب ، ثم من بعده الى ابنه أبي هاشم عبد الله ثم الى محمد ابن علي بن عبد الله بن عباس[12] •

ويذكر ابن خلدون أيضا رأي الراوندية من أهل خراسان في خلافة العباسيين• ويرى ان هؤلاء يزعمون بأن العباس أحق الناس بالامامة بعد النبي (ص) لانه وارثه وعاصبه لقوله تعالى في كتابه الكريم (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، وان الناس منعوه من ذلك وظلموه الى أن رده الى ولده • ويذهبون الى البراءة من الشيخين وعثمان ، ويجيزون بيعة علي لأن العباس قال له : يا ابن اخي هلم ابايعك فلا يختلف عليك اثنان [13] • ومهما اختلفت الروايات ، فيمكن القول بأن الدعوة العباسية كانت دعوة سياسية ، اخذت عن الشيعة دعوتهم الى حق آل البيت في الخلافة دون حصرها في آل علي وفيما عدا ذلك فان العباسيين ظلوا من اهل السنة كالأمويين •

بدأ محمد بن علي بتنظيم امور الدعوة منذ سنة ١٠٠ ـ ١٠١ هـ / ٧١٩ ـ ٧٢٠ م مستفيدا من التسامح الذي طبع به عهد عمر بن عبد العزيز ، ومستفيدا من

---

(١١) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٢٠١ وجه وظهر • كما اورد روايات اخرى كثيرة موضوعة على النسق نفسه لتقوية مركز العباسيين وبيان احقيتهم بالخلافة ، الى جانب روايات أخرى تدل على مركز عبد الله بن عباس العلمي الكبير • انظر ورقه ٢٠٢ وجه وظهر •

(١٢) ـ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جزء ٣ ، ص ١٧٣ •

(١٣) ـ ابن خلدون : المصدر الساق ، جزء ٣ ، ص١٧٣ •

النسق العام الذي وضعه ابو هاشم قبله • وقد يكون هذا النسق العام للدعـــوة العباسية ، مبنيا على ماجاء في الصحيفة الصفراء [١٤] • والتي تذكر ان أبا هاشم ورثها عن أبيه محمد بن الحنفيـــة ، وبدوره ورثها عن أبيه علي بن أبي طالب • وتتضمن هذه الصحيفة أخبار رايات خراسان السود متى تكون ؟ وكيف تكون ؟ ومتى تقوم ؟ ومتى زمانها ؟ وعلاماتها وآياتها ، وأي أحيـــاء العرب أنصارها ، وأسماء رجال يقومون بذلك وصفتهم • واذا صح ماجاء في هذه الصحيفة ، وصح اعتماد أصحاب الدعوة عليها • فان التنسيق يكون أسبق من أبي هاشم ، وأن محمد ابن علي حين أخذ الدعوة سار على هديه وأخذ الخمس والهدايا من أتباعه ، كما كان يفعل أبو هاشم •

ـ ركز محمد بن علي على نقاط كان لها دور كبير في نجاح الدعوة العباسية ، فعلى حين اتخذ الحميمة مركزا له ، فانه بث دعاته في العراق وخراسان ، حيــث اتخذوا من الكوفه ومرو مركزين لنشاطهم كما عمل :

ـ على نشر الدعوة برفق وتستر ، وأخذ يحث رجاله على تطبيق ذلك ويقول لهم (فانطلقوا أيها النفر ، فادعوا الناس في رفق وتستر ، فاني أرجو الله أن يتم أمركم ويظهر دعوتكم ولا قوة الا بالله) •

ـ بث الثقة في نفوس أتباعه • وروج بينهم وعن طريقهم احاديث نسبت الى الرسول الكريم (ص) ، تؤكد نجاح الدعوة التي يدعون اليها [١٥] • وقد كــان أبوه عبد الله بن علي فعل ذلك قبله • فقد تنبأ لابنائه بالنجاح بالمشرق ، ولابنــاء عمومته بالمغرب [١٦] • كما أشعر انصاره بأنه قد آن أوان ظهور الحق • ومــن أقواله في ذلك :

---

(١٤) ـ وهي صحيفة ترد في مخطوطة اخبار العباس وولده لمؤلف مجهــول انظر فاروق عمر : (طبيعة الدعوة العباسية) ص ١١٣ •

(١٥) ـ انظر فيما سبق •

(١٦) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٦٥ وجه •

(هذا أوان ما نأمل ونرجو من ذلك ، لانقضاء مائة من التاريخ • فانه لم تنقض مائة سنة على أمة قط الا أظهر الله حق المحقين ، وأبطل بطل المبطلين لقول الله جل اسمه « أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ، فأماته الله مائة عام ثم بعثه ») •

ـ تخفى الدعاة بزي التجار ، محافظة على الدعوة وصاحبها ، وزيادة في سريتها ، فقد كان الدعاة يتعاطون مع أهالي البلاد التي يدخلونها على أساس أنهم تجار ، فيبيعون ويشترون ، وكلما وثقوا بأحد دعوه الى دعوتهم • وليس معنى ذلك أنهم امتنعوا بذلك عن المخاطر ، فقد كانوا يقعون في أيدي أصحاب السلطة ، ولذكائهم وبراعتهم كانوا يتمكنون من الخروج بضمان أو سواه ، ويتنقلون في الاقطار بحرية بعد خروجهم • وربما كان ولاة العراق وخراسان يخرجونهم من السجن ، لأنهم لم يدركوا خطر الحركة التي يدعون اليها على أسيادهم خلفاء دمشق • ومن الامثلة على ذلك أنه سنة ١٠٢ هـ / ٧٢١ م أرسل ميسرة النبال بعض رسله من العراق الى محمد بن علي ، فسعى بهؤلاء بعضهم الى والي العراق الذي قبض عليهم ، الا انهم احتجوا بأنهم من النجار ، وخرجوا من السجن بضمانة بعض رجال من ربيعة واليمن (١٧) •

ـ ولم تكن النجاة دائما نصيب هؤلاء الدعاة الذين يقعون في قبضة ولاة الامويين ، فقد تعرض بعضهم للجلد وأحيانا للموت • وخاصة بعد ان أدرك الامويون كنه هذه الدعوة الجديدة ، ففي سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٨ م أرسل محمد بن علي أبا محمد زياد مولى همذان الى خراسان ، فسعى به بعضهم الى والي المنطقة أسد بن عبد الله ، فاعتذر اليه بالتجارة ، وتمكن من النجاة في المرة الاولى ، الا انه بعد ان عاد الى امره ، احضره والي خراسان وقتله في عشرة من أهل الكوفة (١٨) •

---

(١٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٦١٦ ـ ٦١٧ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٠١

(١٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٩ ـ ٥٠ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٠١

وكذلك فان أسد بن عبد الله تمكن في ولايته الثانية سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م من القبض على سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وموسى بن كعب ، ولاهز بن قريظ فعاقبهم بالضرب ثم أطلقهم بعد أن شهد بعض رجال الازد ببراءتهم [١٩] .

ـ حدد محمد بن علي لأصحابه أسماء القبائل والمدن التي يمكن الاعتماد عليها . فقد نسب اليه أنه قال (أما الكوفة وسوادها فشيعة علي ، واما البصرة فعثمانية تدين بالكف [٢٠] ، وأما الجزيرة فحرورية وأعراب كأعلاج ، ومسلمون في أخلاق النصارى ، وأما أهل الشام فلا يعرفون غير معاوية وطاعة بني أمية عداوة راسخة وجهل متراكم . واما مكة والمدينة فقد غلب عليهم أبو بكر وعمر . ولكن عليكم بخراسان فان هناك العدد الكثير والجلد الظاهر ، وهناك صدور سليمة وقلوب فارغة لم تتقسمها الاهواء ، ولم تتوزعها النحل ، ولم يقدح فيها فساد ، وهم جند لهم أبدان وأجسام ومناكب وكواهل وهامات ولحى وشوارب وأصوات هائلة ولغات فخمة تخرج من أجسام منكرة . وبعد فاني أتفاءل الى المشرق والى مطلع سراج الدنيا ومصباح الخلق)[٢١] . وقد عمل كثير من المؤرخين على تحليل هذا الكتاب ، فأجاد بعضهم تحليل سبب اختيار خراسان ، ومن هؤلاء ابن طباطبا [٢٢] فأوضح بأن أهالي الحجاز قليلون ، وأما أهل الكوفة والبصرة ، فقد سبق أن فشل أهل البيت حين اعتمدوا عليهم ايام علي بن أبي طالب والحسن والحسين . وأما أهل الشام ومصر فهواهم مع بني أمية ، ولذلك فان محمد بن علي قد ركن الى أهل خراسان .

---

(١٩) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٠١ .

(٢٠) ـ الكفية ، صفة لفئة من الناس كانوا يكتفون من الرزق بكف من الحنطة ، وانهم لا ياخذون مالا ، ويقدمون مالهم يبتغون به الخير مقابل الجنة . ويفهم من ذلك انهم جماعة لا تهمهم امور الدنيا ، انظر المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٨٠ وجه ـ وانظر شاكر مصطفى : في الدعوة العباسية ، ص ٨٤ .

(٢١) ـ الهمداني : مختصر تاريخ البلدان ص ٣١٥ ـ المقدسي : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، جزء ٣ ، ص ٢٩٣ ـ وقد اورد المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٦٥ ظهر رواية مشابهة في معناها لهذه الرواية .

(٢٢) ـ المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

ولابد لنا ونحن في خضم بحث الدعوة العباسية ، من متابعة تحليل سبب اختيار محمد بن علي لخراسان كمركز للدعوة ، بعد أن استعرضنا تحليل ابن طباطبا لها . وسنعتمد في عملنا هذا على كتاب محمد بن علي السالف الذكر ، وعلى ما عرفناه عن أوضاع وتاريخ تلك المنطقة في فترة بدء الدعوة العباسية ومن خلال ذلك يتضح لنا ما يلي :

* استعرض محمد بن علي مناطق الخلافة الاسلامية ، لاختيار مركز لدعوته فوجد أن الكوفة وسوادها شيعة علي بن أبي طالب ، وأهالي مكة والمدينة رأوا أن الخلافة شورى بين المسلمين ، وأهالي الجزيرة من الخوارج يرون أن الخلافة حق لكل مسلم ، وأهالي الشام غارقون في حب بني أمية وطاعتهم ، وأهالي البصرة لا يهمهم الخوض في المنازعات السياسية دون طائل . أما خراسان فأصلح المناطق لنشر الدعوة ، لميزاتها المتعددة التي يمكن تلخيصها بما يلي :

أ ــ ان أهالي خراسان كثر في أعدادهم ، أقوياء في أجسادهم ، صابرون على المكاره (فهم جند لهم أبدان وأجسام ، ومناكب ، وكواهل ، وهامات ، ولحى ، وشوارب ، وأصوات هائلة ولغات فخمة) .

ب ــ نفوسهم وصدورهم سليمة ، لم تتوزعهم النحل ، ولم يقدح فيهم الفساد .

ج ــ وفوق هذا وذاك فهم ينكرون على الامويين كثيرا من الامور ، وبشكل خاص التفرقة بين فئات المجتمع .

د ــ تفاؤله بالمشرق حيث مطلع النور الذي يضيء الدنيا .

هـ ــ كان العباسيون يرون بل يعتقدون ان صح التعبير ، ان الرايات السود المؤازرة لاهل البيت تخرج من خراسان [٢٣] .

---

(٢٣) ــ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٤٤

* ويمكن أن نضيف الى هذه الميزات مايلي :

آ ــ بعد خراسان عن مركز الخلافة الاموية •

ب ــ انتشار التشيع بين الفرس ، وتأييدهم لأهل البيت في الخلافة ، وانتشار فكرة المهدي المنقذ بينهم • وميــل هؤلاء الى اعادة الحــق الآلهي الى أصحابه ، لاعتقادهم بهذه النظرية •

جـ ــ شعور أهالي خراسان بالحيف الاجتماعي الواقع عليهم • ورغبتهــم بالمطالبة بتحسين أوضاعهم ، وتحقيق مبدأ المساواة الــذي دخلوا في الاســلام مطمئنين الى تحقيقه ، وبالتالي فانهم مستعدون لتأييد أي حركة تهدف الى القضاء على الحكم الاموي •

استغل دعاة العباسيين العصبية القبلية اســتغلالا مكنهم من النجاة مــن الاخطار والمآزق حين ينكشف أمرهم • ففي ســنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م قبض أسد ابن عبد الله على جماعــة من دعاة بني العباس بخراسان ، فقتــل بعضهم ومثل بآخرين ، وسجن فريقا منهم • وكان من هؤلاء سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم وآخرون ، فخاطبهم أسد بقوله (يافسقة ألم يقل الله • عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم منه ، والله عزيز ذو انتقام) •

فقال سليمان نحن والله كما قال الشاعر :

لو بغير المــاء حلقي شرق   كنت كالغصان بالماء اعتصاري

تدرى ما قصتنا ؟؟ صدت والله العقارب بيــدك ايها الامير • انا أناس من [illegible] ملك ، وان هؤلاء المضرية انما رفعوا اليك هذا لانا كنا أشد الناس على قتيبة بن [illegible] وانما طالبوا بثأرهم . وقد نجح هؤلاء اليمنية والربعية بهذه الحيلة[٢٤] •

[illegible]رى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٠٧ ــ ١٠٨ ــ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه [illegible] ظهر •

ـ وفوق هذا وذاك فقد كان اخفاء اسم الامام المدعو اليه من أكبر عوامل نجاح الدعوة . فلم يكن يعرف اسم الامام الا المقربون جدا . ولم يكن يسمح لسواهم بذلك . ويدل على ذلك ما ورد على لسان محمد بن علي الى كبير دعاته فقال : (وليكن اسمي مستورا من كل أحد الا عن رجل عدلك في نفسك وتوثقت منه ، وأخذت بيعته) (٢٥) .

ـ نظم محمد بن علي الدعوة تنظيما جيدا ، فاختار اثني عشر نقيبا من سبعين داعيا ، وجعل على رأسهم نقيب النقباء بالاضافة الى نظراء النقباء ودعاة الدعاة (٢٦) . وأما النقباء فهم : سليمان بن كثير ، ومالك بن الهيثم ، وزياد بن صالح ، وطلحة بن رزيق ، وعمر بن أعين من خزاعة ، وقحطبة واسمه زياد بن شبيب ابن خالد بن معدان من طيء ، وموسى بن كعب ولاهز بن قريظ ، والقاسم بن مجاشع ، وأسلم بن سلام من تميم ، وابو داود خالد بن ابراهيم من بكر بن وائل من بني عمر بن شيبان أخي سدوس وأبو علي الهروى(٢٧) . وكان هؤلاء النقباء يأخذون البيعة من الناس على كتاب الله عز وجل ، وسنة نبيه (ص) ، والطاعة للرضا من أهل بيت رسول الله (ص) .

جعل اجتماعه بالنقباء في موسم الحج ، حيث يأتون اليه بالمال ، ويأخذون منه الاوامر ويتشاورون معه بشؤون الدعوة ، وما استجد من أمور . ومن أمثلة اجتماعهم به الاجتماع الذي تم سنة ١٢٥هـ/٧٣٤ م ، اذ قدم سليمان بن كثير،ومالك ابن الهيثم ، ولاهز بن قريظ ، وقحطبة بن شبيب ، وهم أعيان الدعاة في خراسان الى مكة ، حيث اجتمعوا بمحمد بن علي ، وقد تحدثوا في هذا اللقاء عن أبي مسلم

---

(٢٥) ـ فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ١٥٥ نقلا عن مخطوطة اخبار العباس وولده .

(٢٦) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٦٥ وجه ـ فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ٢٣ عن اخبار العباس .

(٢٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥٦٢ وجزء ٧ ، ص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٦٤ ظهر بخلاف بسيط

الخراساني [٢٨] • وما رأوا من جرأته وحسن كلامه • فطلب منهم أن يجندوه للدعوة ، كما أعلمهم محمد بن علي ، بأن خلفه بعد وفاته ابنه ابراهيم لثقته به • وقد أحضر هؤلاء الدعاة معهم الى محمد بن علي مائتي ألف درهم وكسى بثلاثين الف درهم • وهذه المبالغ قد اختلف المؤرخون في قيمتها ، ولا ضير في ذلك • فما يهمنا من الامر هو معرفة أن انصار العباسيين كانوا يؤدون اليهم مبالغ مالية سنوية [٢٩] ، تزيد بازدياد هؤلاء الانصار ومقدرتهم •

جعل محمد بن علي للدعوة شعارات مختلفة تتناسب مع المنطقة التي يدعي فيها ، وكانت شعارات الدعوة العامة الدعوة للرضا من آل محمد دون تعيين اسم الامام • [٣٠] والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والقضاء على أهل الجور ، والثأر لأهل البيت • وعلى الرغم من ذلك فقد اتخذت الدعوة العباسية واجهة متطرفة أخفيت عن العرب بالذات ، بينما طرحت هذه الواجهة على العناصر الحديثة الاسلام من الاعاجم ، ملونة ببعض المعتقدات السائدة بينهم كالمزدكية • وهذا يفسر ماقام به عمار بن يزيد (خداش) رئيس الدعوة في خراسان سنة ١١٨ هـ/٧٣٦م من نشر مبادىء لاتمت الى الاسلام بصلة ، من دعوة الى الاشتراكية بالمال

---

(٢٨) — لا يعرف الكثير عن اصل أبي مسلم . وقد أرجعه كل مؤرخ الى مكان وعنصر . فاعتبره بعضهم من اصل عربي مردود الى بني عجل أو الى بني العباس انفسهم ، ويهجوه ابو دلامة فيصفه بانه كردي الاصل ومهما يكن الامر فانه عرف بانه كان مولى مرافقا للعجليين المؤيدين للدعوة ، وانه تعرف وهو معهم على بعض الدعاة العباسيين الذين توسموا فيه النجابة فحملوه الى محمد الامام ليستفيد منه . فاعطاه اسم عبد الرحمن بن مسلم وكناه بابي مسلم . والكنى حكر على العرب فبهل الدعوة العباسية واستخدمه وسيطا بينه وبين كبار العاملين في الدعوة وبذلك تعرف على مناطق الدعوة واعضائها وأجوائها قبل أن يكلف بالجهر بها واعلان الثورة . انظر المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٥٤ — وانظر المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٦٤ — ٦٥ — ٦٦ وجه وظهر — ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٤٠ .

(٢٩) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٢٩ — العيون والحدائق ، ١٢٨ — ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٠٢

[illegible] الدينوري في كتابه الامامة والسياسة ، طبعة القاهرة ١٣٢٢ هـ ، جزء ٢ ، صفحة ١٢٣ — [illegible] يذكر أن هؤلاء اجتمعوا بمحمد بن علي بمكة المشرفة ومعهم عشرون الف دينار ومائتي الف [illegible] مسك ومتاع المقريزي ، ورقه ٦٦ وجه .

(٣٠) — المصدر السابق ، ورقه ٦٥ وجه .

والنساء [٣١] • وحين افتضح أمره قبض عليه والي خراسان الامــوي وصلبه • ويرى المقريزي ان خداش تصرف هذا التصرف بنفسه ، فغير بذلك سنن الامام ، وبدل ماكان من سيرة قبله [٣٢] • مما اضطر الامام الى أن يتبرأ منه برسالة عامة وجهها الى الدعاة أكد فيها على ضرورة الالتزام بكتاب الله وسنة نبيه • وبدأبالتالي الابتعاد عن مبادىء الغلو التي ورثتها الدعوة العباسية عن الكيسانية ، واقتصارها على ماجاء في الكتاب والسنة [٣٣] •

وتوفي محمد بن علي الامام بعد ذلك بفترة بســيطة ، وصار الامر لولــده ابراهيم الذي سمي باسم ابراهيم الامام [٣٤] • ووجه الاخير بكير بن ماهان الى خراسان ، وبعث معه بالوصية • فقدم مرو حيث جمع النقباء والدعاة ، فنعى اليهم محمد بن علي بن عبد الله ، ودعاهم الى ابراهيم ، فقبلوا ودفعوا اليه ما اجتمــع عندهم من النفقات [٣٥] • واخذ الدعاة ورئيسهم يترددون الى الامــام الجديد ، ويعلمونه كل مايتعلق بشؤون الدعوة [٣٦] •

عمل ابراهيم الامام على دفع الدعوة قدما ، وساعده على ذلك عدد من رجاله من آمثال أبي سلمة الخلال [٣٧] الذي تسلم رئاسة الدعوة في الكوفة بعد وفاة بكير ابن ماهان • ثم ما لبث أن ارتفع شــأن أبي مسلم الخراساني منذ سنة ١٢٨ هـ/ ٧٤٦ م • حتى أن ابراهيم الامام أمره في السنة المذكورة على خراسان ، وما غلب عليه ، وجعله ممثلا له في المنطقة حين طلب منه ارسال من ينوب عنه لاعلان الثورة •

---

(٣١) ـ انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ١٠٩ .

(٣٢) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٦٦ وجه .

(٣٣) ـ انظر مخطوطة اخبار العباس ، ص ١٠٠ ب و ١٠١ آ تصدير فاروق عمر .

(٣٤) ـ السيوطي : تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين ، طبعة مصر ١٣٠٥ ، جزء ١ ، ص ١٠٠

(٣٥) ـ السيوطي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠٠ ـ العيون والحدائق : ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ـ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، طبعة بيروت ١٨٩٠ ، جزء ١ ص ١٨٣ ـ ١٨٤ .

(٣٦) ـ العيون والحدائق : ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ـ ابن العميد : تاريخ المسلميــن ، ص ٩١

(٣٧) ـ هو مولى بني الحارث بن كعب تعود صلته بالعباسيين الى كونه صهرا لباكير بن ماهان ، فلما ادركت باكير الوفاة أخذ موافقة الامام على أن يقوم ابو سلمة بأمر الدعوة . انظر العيــون والحدائــق ، ص ١٨١ .

وكتب الى أصحابه أن يسمعوا منه ويقبلوا قوله • ويبدو أن الامام أعطى أبا مسلم رئاسة الدعوة بعد ان عرضها على سليمان بن كثير الخزاعي فرفضها • كما عرضها على ابراهيم بن سلمة فأبى ، وحين رفض هؤلاء تسلم رئاسة الدعوة في احـرج أوقاتها ، كانوا يطمحون في أن يتسلمها أحد أهل البيت • الا أن الامام لم يفعل ذلك خشية انكشاف أمر صاحب الدعوة ، فأعطاها لابي مسلم • وحين آلت الى الاخير رفض العرب ذلك واضطربوا • ولم تهدأ ثائرتهم حتى اجتمعوا مع الامام وأبدوا له امتعاضهم ، فأمرهم بالسمع والطاعة له [٣٨] ، وأوصى ابا مسلم وصية جاءت في بعض بنودها مشابهة للوصـايا التي نسبت الى أبيه محمـد بن علي • فقد امره بالاعتماد على العرب اليمنية ، والتفاهم مع ربيعة ، وحذره من الاعتماد على مضر ، وقتل كل من يشك في أمره ، كماأمره بمشورة واعتماد رأي سليمان بن كثير • فقال له : (ياعبد الرحمن ، انك رجل منا أهل البيت ، فاحفظ وصيتي ، وانظر هـذا الحي من اليمن فأكرمهم وحل بين أظهرهم ، فان الله لا يتم هـذا الامر الا بهم ، وانظر هذا الحي من ربيعة فاتهمهم في أمرهم ، وانظر هذا الحي من مضر ، فانهم العدو القريب الدار ، فاقتل من شككت في أمره ومن كان في أمره شبهة ، ومـن وقع في نفسك منه شيء ، وان استطعت ألا تدع بخراسان لسانا عربيا فافعـل ، فأيما غلام بلغ خمسة اشبار تتهمه فاقتله ، ولا تخالف هذا الشيخ ــ يعني سليمان ابن كثير ــ ولا تعصه واذا أشكل عليك أمر فاكتف به عني) [٣٩] •

ومهما يكن من أمر ، فان هذه الوصية غير موثـوق بها ، وبها بعض فقرات متناقضة ، فكيف يجمع بين سياسة التقرب من العرب وقتلهم ؟؟ ويمكن القول بأن عبارة قتل العرب التي وردت فيها من صيغ المبالغـة التي لا يقصد بها حرفيـة مضمونها • أما ما ورد في بداية هذه الوصية من قول الامام انك رجل منا اهـل البيت، فهو تشبه بما كان من الرسول حين خاطب سلمان الفارسي بقوله : سلمان

(٣٨) ــ انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٤٤ . وانظر المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٦٦ وجه .

(٣٩) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، صفحة ٣٤٤ ــ ابن العميد : تاريخ المسلمين ، صفحة ٩٢ ــ المقريزي : المصدر السابق ، ٦٧ وجه

منا أهل البيت • ومهما بلغ الشك في هذه الوصية ، فانها تصور تصرفات أبي مسلم عند ذهابه الى خراسان وتصرفاته بعد دخوله مرو ، ثم انتصاره على نصر بن سيار ، ومن الجائز أنها وضعت كرد على موقف التململ الذي اتخذه العرب من الحركة العباسية بعد تكليف أبي مسلم بالأمرة ، لتقوية موقفه ازائهم [40] • ويمكن أن تكون قد وضعت لتلخص موقف أبي مسلم من العرب بعد انتصاره على الامويين • ويتلخص هذا الموقف بمحالفة العرب اليمنية ، والتفاهم مع ربيعة وكلتاهما ساخطة على سياسة مروان بن محمد ، وعلى واليه نصر بن سيار [41] ، الذي اعتمد على المضرية وحدهم •

وحقيقة الوضع أن الامور لم تكن على ما يرام بين أبي مسلم وسليمان بن كثير ، وأن عرب مضر كانوا على العموم مع والي خراسان نصر بن سيار • ووقف هؤلاء موقفا عدائيا من عرب اليمن ومن الازد منهم خاصة ، ودخلت ربيعة في هذا الصراع الى جانب الازد • ومهما يكن الامر ، فان أبا مسلم لذكائه وحذقه ، تمكن من أن يستغل ظروف الامويين بشكل عام وخراسان بشكل خاص [42] ، فقد استغل اضطراب حبل الامن في خراسان ، فأخذ يتوسع في نشر الدعوة • كما انه استغل العداء بين القبائل العربية لمصلحته ، وتمكن في فترة من الفترات من أن يهدم التحالف الذي حدث بين القبائل للتخلص منه • اذ انه أخذ يرسل كتبا مثيرة الى الطرفين ، ويتعمد اطلاع الاطراف المتنازعة عما يكتبه في خصومها • حتى صار هوى الفريقين معه • وأخذ يكتب الى نصر بن سيار والى الكرماني يعلمهم بأن الامام أوصاه بهم ، وأنه لن يعدو رأيه فيهم [43] •

---

(٤٠) ـ انظر فيما سبق

(٤١) ـ تولى نصر بن سيار بن ابي رافع خراسان من قبل الخليفة بن عبد الملك بعد وفاة اميرها أسد بن عبد الله اخو خالد بن عبد الله ، وهو من بني جندع بن ليث بن كنانة ، وكان نصر يكنى ابا الليث . انظر ابن قتيبة : المعارف ، ص ٤٠٩ ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا وابراهيم الابياري والشلبي ، مطبعة البابي القاهرة ، ١٣٥٧ هـ ، ص ٦٦ .

(٤٢) ـ عن هذه الظرف انظر فيما سبق .

(٤٣) ـ ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٢٥ ـ وانظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٦٧ ـ ٣٦٩ .

ويبدو أن ابراهيم الامام شعر بأن الدعوة وصلت الى مرحلة متقدمة ، وانه بالامكان اعلانها . كما أن الاحوال في كل من مركز الخلافة الاموية ، وفي مناطق الخلافة الشرقية يساعد على ذلك . وان الناس قد اصيبوا بما يشبه الذهول لتتابع الثورات . فأرسل في سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م كتابا الى ابي مسلم مع رايتين ، أحدهما سمي اللواء والآخر الطل أو الظل في روايات اخرى (٤٤) . وأمره أن يظهر الدعوة ، وان يوجه اليه قحطبة بن شبيب بمن معه في الموسم ، كما اتخذ العاملون في الدعوة اللون الاسود كشعار لهم (٤٥) . بناء على توجيهات الامام . وبدأ أبو مسلم بتنفيذ ماكلف به فبث دعاته في الناس وأمرهم ان يظهروا الدعوة ، وان يدافعوا عن انفسهم بقوة السلاح اذا تعرضوا للخطر . فقال : ان عارضكم معارض فقد حل لكم الان ان تدافعوا عن انفسكم ، وأن تظهروا السيوف وتجردوها من اغمادها وتجاهدوا اعداء الله (٤٦) . وتذكر الروايات بداية الدعوة فتذكر ان ابا

---

(٤٤) ـ الظل يرمز الى ان الدعوة العباسية تبقى بقاء الظل في الارض والسحاب يرمز الى عالمية الدعوة التي ستطبق على الارض كالسحاب : الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٥٦ وانظر العيون والحدائق ص ١٨٦ ـ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٦ ـ ماجد : التاريخ السياسي ، ص ٢٢٢ اما الطل فقد اوردها المقريزي المصدر السابق ، ص ٦٨ ظهر ، ويعتقد ان الارض لا تخلو من خليفة عباسي الى آخر الدهر .

وقد وردت كلمة الطل في سورة البقرة آية / ٢٦٥ / بالمعنى نفسه . قال تعالى « ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من انفسهم كمثل جنة بربوة اصابها وابل فآتت اكلها ضعفين ، فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير » . اما كلمةالسحاب فقد وردت بالمعنى نفسه في سوره الاعراف آية / ٥٧/ وفاطر اية / ٩ / قال الله تعالى « وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت ، فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون » وقال ايضا (والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت فاحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور) .

(٤٥) ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص ٢٥٩ ويوضح سبب اتخاذهم للسواد بقوله بان سواد راياتهم كان حزنا على شهدائهم من بني هاشم ونعيا على بني امية في قتلهم . وهناك اراء اخرى في سبب اتخاذهم للسواد منها ما اورده شاكر مصطفى : المرجع السابق ، ص ٥٥ ـ ٥٦ وهو بان ذلك كان تشبها براية الرسول عند فتح مكة . وانظر عن ذلك فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي ، دار القلم للطباعة بيروت ، ص ٢٤٣ ـ ٢٤٧ .

(٤٦) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، من ص ٣٥٣ ـ ٣٦٣ ـ العيون والحدائق ، ص ١٨٧ .

مسلم خندق في ٢٥ رمضان سنة ١٢٩ هـ / ٧٤٧ م في سـفيذنج ، واعلن الجهر بالدعوة باشعاله النار لاصحابه للتجمع والمناداة يا محمد يامنصور ، ولبس السواد ، ورفع الراية ، وحين تجمع اليه اصحابه ممن أجاب الدعوة ، تلا عليهم (اذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير) . وتجمع شيعته حوله حتى زاد تعدادهم عن عشرة الاف بين راجل وفارس [٤٧] ، وكذلك فانه كتب الى نصر بن سيار يوضح له ان الامر صائر الى من يدعو وأنه لن يجد لسنة الله تبديلا [٤٨] .

ولما ادرك نصر بأنه وأعوانه أقل من أن يقف في وجه أصحاب الدعوة ، أرسل الى الخليفة الاموي مروان بن محمد يعلمه بما يجري حوله وينذره بالخطـر . ويوضح له حال أبي مسلم وكثرة من معه ، وأن أمره قد ظهر ، وأنه يدعو الـى ابراهيم بن محمد [٤٩] وصور له الوضع في رسالة شعرية ناطقة جاء فيها :

أرى خلل الرماد وميـض جمـر	ويوشـك أن يكون لـه ضـرام
فان النـار بالعوديـن تزكـي	وان الحـرب أولهـا كـلام
فان يـك قومنـا أمسوا رقودا	فقل هبوا فقـد حـان القيام[٥٠]
أقـول من التعجب : ليت شـعري	أأيقـاظ أميـة أم نيـام[٥١]

---

(٤٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٥٥ وما بعدها ـ العيون والحدائق ، ص ١٨٧ .

(٤٨) ـ ابو الفداء : تاريخه ، جزء ١ ، صفحة ٢٢ ـ ابن الوردي : تاريخه ، جزء ١ ، ص ١٨٨ ـ العيون والحدائق ، ص ١٨٨ .

(٤٩) ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء٣ ، ص ٧٩ ـ ابن قتيبة : عيون الاخبار ، ص ١٢٨ ـ ابو الفداء : تاريخه ، جزء١ ، ص ٢٢٠ ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٦٩ ـ المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٥٥

(٥٠) ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء٣ ، ص ٢٥٥ ـ ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٢٥ ـ المقدسي : البدء والتاريخ ، جزء ٦ ، ص ، ص٦٣-٦٤ ـ ابن العسكري : آثار الاول في ترتيب الدول ، وهو بهامش تاريخ السيوطي ، طبعة مصر ١٣٠٥ ، ص ١٠٠ ـ اما ابن العميد: فيذكر ص ٩٢ ان نصر بن سيار كتب هذه الابيات الى الوليد بن يزيد وقبل قدوم ابـي مسلـم الـى مـرو .

(٥١) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٦٩ ـ ٣٨٠ .

كانت الامور في غاية التعقيد في مركز الخلافة نفسها ، وكان موقف الخليفة حرجا • ولذلك فانه أرسل الى نصر بن سيار يطلب منه أن يستعين بقوات يزيد بن عمر بن هبيرة في العراق •

حاول نصر أن يجمع شمل العرب المنقسمين تحت قيادته لمقاومة هذه الحركة ، ووصف الدعوة الجديدة بأنها لقوم لا دين لهم ، وأن غاية الحركة قتل العرب ، الا أن خطة نصر هذه لم تنجح ، وفشل في جمع العرب تحت لوائه • وازداد مركز نصر ضعفا في حين كانت قوات ابي مسلم تتزايد ، وخاصة بعد أن انضم اليه علي الكرماني • وتوجه ابو مسلم بمن تجمع له الى نصر بن سيار ، فأخرجه من دار الامارة في مرو ، ودخلها في ٩ جمادى الثانية ١٣٠ هـ/١٤ شباط فبراير ٧٤٨م ، وفر نصر بن سيار منها [٥٢] •

علم مروان بن محمد ، بطريق أو بآخر ، بأن ابراهيم الامام هو صاحب الدعوة ، فأرسل الى عامله على البلقاء يطلب منه سرعة القبض عليه ، فأرسله الى حيث أودعه السجن[٥٣] • ولما علم ابراهيم بما سيؤول اليه مصيره نعى نفسه لاهل بيته ، وأوصى الى أخيه أبي العباس بالامامة ، وأمر أهله بالرحيل من الحميمة

---

(٥٢) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٧٨. على حين يورد المقريزي : المصدر السابق ، ص ٦٩ ظهر ، انه دخلها في ربيع الاول سنة ثلاثين ومائة •

(٥٣) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٦٧ ـ وجه ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٧٠ ـ ٣٧٧ وهناك رواية اخرى للطبري تذكر بان كتابا لابراهيم بن محمد موجها الى ابي مسلم الخرساني وقع في يد مروان بن محمد ، فكتب مروان الى عامله بدمشق يامره بالكتابة الى صاحبه بالبلقاء ان يسير الى الحميمية ، ويأخذ ابراهيم بن محمد ويوجه به اليه بينما سار بقية اهله وشيعته الى الكوفة ، انظر الطبري جزء ٧، ص٤٢٢ اما المسعودي: المصدر السابق ، جزء ٣ ص ٢٥٨ فيذكر وقوع الكتاب الصادر من ابي مسلم الى ابراهيم بيده •

الى الكوفة[٥٤] • وأن يكونوا في طاعة أبي العباس[٥٥] • وانتهت بعد ذلك حياة ابراهيم وهو في سجن بني أمية بحران سنة ١٣٠ هـ/٧٤٧ م • واختلف في سبب موتـــه[٥٦] •

كان قتل مروان بن محمد لابراهيم الامام سببا في اسراع العباسيين بالقضاء على الخلافة الاموية ، واعلان العباسية • فقد أوصى ابراهيم الامام عندما قبـــض عليه في جملة ما أوصى ، بالاسراع باعلان تأسيس الدولة ، وبالجد والحركـــة • وبدأت حروب الدعوه التي يمكن تقسيمها الى أربع مراحل • المرحلة الاولى هي مرحلة فتح خراسان ، والثانية فتح العراق والثالثة معركة الزاب ، والرابعة فتح الشام وسقوط الخلافة الاموية .

---

(٥٤) ـ ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، جزء٢ ، ص ١٣٩ ـ المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٧ ـ ابو الفداء : تاريخه ، جزء١ ، ص ٢٢١ .
ـ المقدسي : البدء والتاريخ ، جزء ٦ ص ٦٥ ـ ٦٦ اما ابن الساعي البغدادي : في كتابـــه مختصر اخبار الخلفاء ، المطبعـــة الاميرية ببولاق سنـــة ١٣٠٩ ، ص ٤ فيذكر انه اخبرهـــم بالمسير الى خراســان .
Gibbon : The History of the Decline and Fall of the Roman empire, vol II. P 17.

(٥٥) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ص ٦٨ ـ وجه كرد علي : خطط الشام ، دمشق١٩٢٥ جزء ١، ص ١٧١ ـ ١٧٢ .
Gibbon op . cit. , P 17.

(٥٦) ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٢٦٧ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ص ٦٧ ـ ظهر ابن الوردي : تاريخه ، جزء ١ ، ص ١٨٨ ـ احمد فريد الرفاعي : عصر المأمون ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٦ ، مجلد ١ ، ص ٨٦ بينما يذكر ابن العبرى : في كتابه مختصر الدول ، ص ٢٠٦ ان موته سنة ١٣١هـ .

حـــروب الدعوة

مراحـــل حروب الدعـــوة :

آ ـ فتح خراسان :

بدأت الجولات العسكرية بين دعاة العباسيين وولاة الامويين منذ ان بدأت الدعوة العانية ، فقد وضع جيش كبير تحت نصرف قحطبة بن شـــبيب الطائي • وكلف بضم بلاد خراسان كافة •

تمكن انصار العباسيين من دخول مدينة مرو مركز الامارة ، ففر نصربن سيار منها والتجأ الى بيسابور ، فتابعته القوات العباسية اليها ، واستولت في طريقهـــا على مدينة طوس وسوذقان • وعلم نصر بما حل بقواته ، ومدى استعداد القـــوة الجديدة فارتحل فارا الى جرجان حيث وصلته امدادات العراق [٥٧] ، بقيادة نباتةبن حنظلة • وتوجه قحطبه الى جرجان حيث التقى بقوات الامويين في معركة شديدة اضطرته الى دب الحماس في نفوس جنوده بتذكيرهم باعمال الامويين التخريبيـــة ضد الاسلام • فقال : (يا قوم استنصروا فانكم تقاتلون قوما حرقوا بيت الله)[٥٨]• كما حرض رجاله من خراسان بقوله : (يا أهل خراسان ان هذه البلاد كانـــت لآبائكم الاولين ، وكانوا ينصرون على اعدائهم بعدلهم وحسن سيرتهم • فلما بدلوا وظلموا سخط الله عليهم فانتزع سلطانهم •• ثم غيروا وجاروا في الحكم واخافوا أهل الدين من عترة الرسول فسلطكم عليهم)[٥٩] • وبتلك العبارات الحماسيـــة ابتدأ القتال فانتصر جيش العباسيين وقتل نباتة بن حنظلة ، وفر نصر ، وما لبـــث

---

(٥٧) ـ انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٣٨١ وما بعدها •

(٥٨) ـ حتى : لبنان في التاريخ ، بيروت ١٩٥٩ ، ص ٣٢٤ •

(٥٩) ـ العيون والحدائق : ص ١٩٢ ـ ١٩٣ ـ المقدسي : البدء والتاريخ ، جزء ٦ ، ص ٦٣ ـ٦٤ •

أن توفي [٦٠] . واخذت مدن خراسان تترى بالتساقط في ايدي العباسيين فسقطت قومس وهمذان واصبهان ونهاوند وشهرزور،وبمعركة جابلق قرب اصفهان التي جرت في رجب سنة ١٣١ هـ/٧٤٨ م سيطر العباسيون على كل الجناح الشرقي للخلافة الاسلامية ، وانساح الجيش العباسي الى العراق . واخذ قائد العباسيين العسكري قحطبة بن شبيب يتقدم بسرعة في اراضيها[٦١] .

ب ـ مرحلة فتح العراق :

كان والي الامويين على العراق يزيد بن عمر بن هبيرة يستعد لقتال جيوش العباسيين ، وقد وصلته امدادات الخلافة الاموية وتقدر بخمسة عشر الفا ، بينما تجمع الجيش العباسي بقيادة قحطبة بن شبيب ، وانضم اليه ابنه الحسن ، والتقى الجيشان قرب الفلوجه على الفرات ، فانهزم الجيش الاموي باتجاه واسط حيث عسكر فيها[٦٢] . وتحصن الى مابعد مقتل مروان بن محمد ، وبذلك سنحت الفرصة للعباسيين بدخول الكوفة في ١١ محرم سنة ١٣٢ هـ/٣١ اغسطس اب ٧٤٩م واحصيت الغنائم وكل ماوجد في معسكر ابن هبيرة حيث حفظت بالكوفة باشراف ابي سلمه الخلال ، بينما لحق قحطبة بابن هبيرة ، وعبر بجيوشه الفرات سحرا في ايام المد فغرق[٦٣] . فتولى ابنه الحسن قيادة الجيش الذي زحف الى واسط لحصار ابن هبيرة حيث استمر الحصار ستة اشهر . ولم تفتح ابوابها الا في شوال سنة ١٣٢ هـ/مايو مايس ٧٥٠ م . وكانت الخلافة العباسية قد اعلنت اثناء ذلك[٦٤] .

---

(٦٠) ـ انظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٠٣ ـ ٤٠٤ .

(٦١) ـ الطبري : المصسر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٠٤ وما بعدها .

(٦٢) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤١٢ ـ ٤١٣ ، ابن قتيبة : المصدر السابق ، ص ٣٧١ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٧١ ظهر .

(٦٣) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤١٤ .

(٦٤) ـ ابن العميد : تاريخ المسلمين ، ص ٩٣ . ابن قتيبة : المصدر السابق ، ص ٣٧٢ ولكنه يجعل مدة الحصار تسعة اشهر وبذلك يكون سقوط واسط بعد مقتل مروان بن محمد ـ اما المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٧٣ ظهر ، و ٨٤ ظهر ، فيجعل مدة الحصار احد عشر شهرا .

وفي صفر ١٣٢ هـ / سبتمبر ايلول ٧٤٠ م ، قدم ابو العباس ومن معه من أهل بيته الى الكوفة فانزلهم ابو سلمه بقصر ابن مقاتل على مرحلتين منها • وكتم امرهم عن جميع القواد والشيعة نحوا من اربعين ليلة ، ولا نستطيع تحديد السبب الذي دعا ابا سلمه لهذا الفعل بدقة ، وقد ذكر ابو سلمه بانهم خاطروا بانفسهم بهـذا المجيء المبكر ، وانه انما ابقاهم خارج الكوفة خشية على حياتهم ، ويرى اخرون بانه كتم امرهم لانه كان يود مبايعة ابناء علي بن ابي طالب (٦٥) • ومهما يكن من أمر فان أبا العباس بويع خليفة في ربيع الاول سنة ١٣٢ هـ / اكتوبر تشرين الاول٧٤٩م• ولايعني ذلك سقوط الخلافة الاموية ، اذ ان مروان بن محمد كان لايزال خليفة ويعمل على تجميع قواه في شمال العراق •

جـ ـ المرحلة الثالثة معركة الزاب

تألم الخليفة الاموي مروان بن محمد من مسيرة الاحداث ، واعلان الخلافة العباسية ، فقرر أن يخوض بنفسه قتالا ضد العباسيين ، وان يصمد حتى النهاية ، فجهز جيشا كبيرا تحت قيادته سار به من حران متجها الى الشـرق ، حيث نزل على نهر الزاب الاعلى ، والتقى بجيوش العباسيين المناوئة(٦٦) •

قام مروان بن محمد بتنظيم جيوشه . والقيـام بالاسـتعدادات للقتـال والمجابهة(٦٧) • وحفر خندقا ليحتمي به وجنوده(٦٨) • ثم ان الخليفة ابا العباس رأى ان يقوي مركز جيشه بان يجعل قيادته لأحد أفراد الأسرة العباسية باعتبار ان الجيوش الاموية يقودها مروان بن محمد بنفسه • فتطوع عبد الله بن علي عم الخليفة للقيام بهذا الامر ، وتحمل هذه المسؤولية الجسيمة • فنظم جيوشه ، واخذ

---

(٦٥) ـ اليعقوبي : تاريخه ، طبعة النجف ، جزء ٣ ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ٨٥ ـ ٨٦

(٦٦) ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء٣ ، ص ٢٦٨ ـ ٢٦٩ ـ العيون والحدائق ، ص ١٩٨ .
ـ فيليب حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، مطبعة دار الثقافة بيروت ١٩٥٩ م جزء ٢ ص١٥٤

(٦٧) ـ المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جزء ٣ ، ص ٢٦٠ .

(٦٨) ـ ابن الوردي : تاريخه ، المطبعة الوهبية ١٢٨٥ هـ ، ص ١٩٠

مواقع في مواجهة خصمه • وتذكر المصادر العربية أن جيش العباسيين كان يتألــف من عشرين الف مقاتل ، على حين ان تعداد الجيش الاموي كان يبلغ مائة وعشرين ألفا (٦٦) • وقد يكون تعداد الجيش الاموي مبالغا فيه ، لابراز قيمة نصر العباسيين على الأمويين ، لأن كل المصادر التي نأخذ عنها مكتوبة في العصر العباسي أو بعده ، أو نقلت عن مصادر عباسية•

اشتد القتال بين الطرفين وانتهى بهزيمة ساحقة للامويين بعد قتال دام تسعة ايام • كتب الله النصر للعباسيين في يوم السبت ١١ جمادى الثانية سنة ١٣٢ هـ / ٢٦ يناير كانون الثاني ٧٥٠ م (٧٠) • وكتب عبد الله بن علي الى الخليفة أبي العباس يبشره بالفتح والنصر •

كانت هزيمة الامويين في الزاب قاسية حتى ان مروان بن محمد فكر ــ بعد ان رأى ادبار آمره ــ في ان يحمل امواله ويرتحل الى البيزنطيين مع مواليه وعياله • ليجمع شمله هناك ، ثم يعود لقتال العباسيين • وكاد ينفذ ذلك لولا نصيحة احد اصحابه الذي وضح له سوء هذه الفكرة • فالتجاؤه الى البيزنطيين يعني تحكيــم اهل الشرك في بناته وحرمه • وفي هذا ما فيه من مخاطر عليهم في المستقبل عنــد البيزنطيين الذين لاوفاء لهم ، ونصحه بان يقطع الفرات ويسير حتى يصل الى مصر• فيجمع الجيوش ويقاتل بها اعداءه (٧١) •

كانت لهزيمة الامويين في هذه المعركة الحاسمة اسباب عميقة الى جانب اخطاء حربية ، ومن الاخطاء التي تسببت بالهزيمة ، ان مروان بن محمــد كان يلمس عدم الحماس للقتال من قبل جنوده ، فاراد ان يدفعهم اليه ويحمسهم ، فظن ان الذهب يكفي لتحقيق ذلك ، فوضع اكياسا منه امامهم واعلمهم ان كل هذا لهــم

---

(٦٩) ـ الازدي : تاريخ الموصل ، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ١٩٦٧ ، ص ١٣٣

(٧٠) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ٤٣٤ ـ ابن دحيه الكلبي : النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، مطبعة المعارف بغداد سنة ١٣٦٥ هـ ، ص ٢١

(٧١) ـ ابن قتيبة الدينوري : الامامة والسياسه ، جزء٢ ، ص ١٤٠ ـ المسعودي : المصدر السابق جزء ٣ ص ٢٦٤

مقابل استماتتهم في قتال عدوهم وتحقيق النصر ، ولكن جنوده ومحاربيه تركوا القتال ومالوا الى الاموال .

واتخذ مروان خطوة اخرى مرتبطة بسابقتها ، وكان يظن بانها ستساعده على دفع الجنود الى القتال . فأمر ابنه ان يتخذ مكانه خلف الجيش ، ومن وجد معه شيئا من الذهب قتله.ولما توجه للتنفيذ وكان يحمل الراية ظن الجنود ان جيشهم في حالة تراجع فتنادوا بالهزيمة ، وعبر الجنود دجلة بشكل فوضوي فكان من غرق اكثر ممن قتل(٧٢) .

الى جانب ذلك فان بعض قادة مروان لم يكونوا ليثقوا به وبتصرفاته ولم يعودوا يحترمونه الاحترام الكافي الذي يدعو الى الطاعة وتنفيذ الاوامر ، وهي أمور ضرورية لحسن سير النظام ، وخاصة في المعارك العسكرية . فقد اصدر مروان أوامره الى رئيس شرطته بالنزول والاشتراك في القتال مع جنوده،الا ان الاخير كان يخشى ان يعرض نفسه للتهلكة . ولما هدده مروان كان جوابه بأنه يتمنى ان يستطيع مروان تنفيذ تهديداته(٧٣) .

هذه هي اسباب هزيمة مروان في معركة الزاب ، وخلف هذه الاسباب تكمن أسباب اقوى ، لم يكن مروان صانعها بنفسه ، بل كانت جذورها تضرب الى عهد اسلافه من الخلفاء الامويين (٧٤) .

د ـ فتح بلاد الشام

كانت معركة الزاب حاسمة تشتت بها جيش الامويين وفر مروان باتجاه بلاد الشام

---

(٧٢) ـ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر ، جزء٣ ، ص ١٣٠ - ١٣١ .

(٧٢) ـ من آجل تفاصيل معركة الزاب انظر الازدي : تاريخ الموصل ، من ص ١٢٥ - ١٣٠

ـ الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٣٢ ـ ٤٣٥ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٣٠ .

(٧٤) ـ انظر فيما سبق اسباب سقوط الخلافة الاموية .

رغبة في تجهيز جيش جديد يستطيع بواسطته الوقوف امام اعدائه في جولة اخرى اذا سنحت له الظروف . بينما كانت معركة الزاب بالنسبة للعباسيين دعامة قوية في تثبيت خلافتهم وفتحا مبينا ، فامر ابو العباس ان يعطى كل من شهد المعركة خمسمائة درهم . واصدر اوامره بمتابعة مروان بن محمد وفتح بلاد الشام .

سار مروان بن محمد الى الموصل حيث كانت بيوت امواله وخزائنه . ولكنه لم يستطع دخولها لان أهاليها بقيادة واليهم لم يفتحوا له بابها ، بل انهم قطعوا الجسر ومنعوه من العبور ، فقد استبشروا بنجاح العباسيين ورجوا الخير في خلافتهم [٧٥] ، بعد ان سئموا كثرة الاضطرابات في البلاد وضعف الامويين عن السيطرة عليها . بالاضافة الى انقسام الامويين على انفسهم واقتتالهم من اجل الوصول الى العرش .

اضطر مروان الى عبور دجلة باتجاه حران . فاقام بها مايزيد عن عشرين يوما الا انه اضطر الى تركها تحت وطأة الجيوش العباسية الزاحفة وانهزم باهله وخيله الى حمص [٧٦] . وعلى الرغم من أنه كان يأمل في مساعدة أهل الشام ودعمهم له ، والتغاضي عن الاخطاء التي ارتكبها في حقهم الا انه وجد نفسه غريبا بينهم ، بعيدا عن قلوبهم . فلم يمر بمنطقة من مناطقها الا وتعرضت مؤخرته للنهب والقتل . فقد ناهضه العرب بنزعيهم اليمني والقيسي . فاما العرب اليمنية لانه كان قد أساء اليهم ، وأبعدهم ، وقتل أشهر رجالهم [٧٧] . فانضم هؤلاء الى الدعوة العباسية وانتقموا منه حين سنحت لهم الفرصة بتراجعه امام العباسيين . واخذوا يعتدون على مؤخرته كلما مر من مناطقهم ، فقد أوقعت طيء وتنوخ في قنسرين بساقته ،

---

(٧٥) ــ الازدي : المصدر السابق ، ص ١٣٣ ــ ١٣٤ .

(٧٦) ــ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٢٦١ ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٣٨
ــ ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، المطبعة المنيرية ، جزء ٤ ، ص ٣٣٠ ــ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٣١ .

(٧٧) ــ ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٤٠ .

واقتطعوا مؤخرة عسكره ونهبوه انتقاما لقتله جماعة منهم[٧٨] • وكذلك وثب عليه يمنيو حمص ، وفي الاردن وثب به المذحجيون جميعا • وفي فلسطين وثب عليه الحكم بن ضبعان بن روح بن زنباع [٧٩] • واما العرب القيسية فان تأخرهم عن مساعدته كان بسبب كثرة الحروب التي خاضوها معه طوال فترة حكمه والتي ذهب ضحيتها عدد كبير منهم • ومما يدعم ذلك ويؤكده ان مروان بن محمد اراد حين خرج من فلسطين وبرفقته ثعلبه بن سلامة العامري ان يستعين بقوم الاخير • فسأله عنهم فأجابه بما لايدع مجالا للشك أن اكثر هؤلاء قتلوا في فرض طاعة مروان على مناهضيه[٨٠] •

ومما هو جدير بالذكر انالمصادر العربية ذكرت انه لم يتبع مروان بن محمد من العرب اليمنية احد لانه كان قد اساء اليهم ، ولم يتبعه من العرب القيسية حين خرج من الجزيرة الاابن حيدره السليمي ، وهو اخوه في الرضاعة ، والكوثر بن الاسود الفنوي صاحب شرطته [٨١] • ثم تذكر المصادر ان جيش مروان بن محمد كان يتألف في مجموعه من مائة وعشرين الفا من عشائر معروفة وفرسان العرب قاطبة[٨٢] . وبضوء هذين القولين فانه يمكننا ان نقول انه لم يكن مع مروان من رؤساء العرب القيسية المعروفين الا اثنان ، وان جيشه كان يضم عشائر عربية متنوعة غير مشهورة • وقد ندم مروان بن محمد لما فعله من الاعتماد على القيسية لعدم وفائهم في وقت الشدة حين لاينفع الندم [٨٣] • كما انهم وثبوا عليه

---

(٧٨) ـ الازدى : المصدر السابق ، ص ١٢٦ ـ بيتشوف الجرماني : تحف الانباء فيتاريخحلبالشهباء، بيروت١٨٨٠ ، ص ١٥ .

(٧٩) ـ المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٥ .

(٨٠) ـ الازدى : المصدر السابق ، ص ١٣٧ .

(٨١) ـ الازدى : المصدر السابق ، ص ١٣٦ ـ المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ،ص٢٦٤ولكنه لم يورد الاسم كما ورد في المتن بل اورده ابن حمزه السلمي .

(٨٢) ـ الازدى : المصدر السابق ، ص ١٣٢ .

(٨٣) ـ [illegible] ندم مروان لاعتماده على القيسية من قوله : (انفرجت عني قيس انفراج الرأس ، ما [illegible] منهم احد وذلك انا وضعنا الامر في غير موضعه واخرجناه من قوم ايدنا الله بهم ، [illegible]سنا به اقوما والله ما رأينا لهم وفاء ولا شكرا) . انظر ابن قتيبة : المصدر السابق ، [illegible] ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ ـ ١٢٩ .

في دمشق [٨٤] ، فاضطر الى تركها بعد ان جعل الوليد بن معاوية على امارتها واوصاه بقتال جيوش العباسيين كي تسنح له الفرصة لتجميع قوات من أهل الشام • ومضى متجها نحو فلسطين حث نزل نهر ابي فطرس[٨٥] •

وبدأ العباسيون يفتحون مدن الشام واحدة تلو الاخرى دون مقاومة تذكر • ولم تنفرد بمدافعتهم الا مدينة دمشق • وقد فتحت لهم الموصل ابوابها بمجـرد وصول طلائعهم اليها • واستقبلهم اهاليها بالرايات السوداء ، ودخلها عبد الله بن علي فاستولى على خرائن مروان ، وفيها بيت من دنانير ، وبيت من دراهم وغير ذلك من الاموال والامتعة والخزائن[٨٦] .

وبعد ان نظم عبد الله بن علي اموره في الموصل توجه نحو حران • فاضطر مروان بن محمد الى الفرار منها • ودخلها عبد الله بن علي بعد ان رفع اهاليهـا الرايات السوداء ؛ وبايعوه فأمنهم ، كما انه اصدر الامان لكل من بحران والجزيرة وهدم الدار التي حبس فيها أخوه ابراهيم الامام ، كما هدم قصر مروان بن محمد بها[٨٧] • واستولى على اغلب أموال الدولة الاموية تقريبا • ثم سار الى منبـج فبايعه اهلها ورفعوا الاعلام السوداء • وارسل اهالي قنسرين اليه في منبج يعلنون البيعة والطاعة[٨٨] • وقد وصل اليه مدد من الخليفة ابي العباس بقيادة عمه عبـد الصمد بن علي في أربعة الاف رجل • وسار برفقته الى حلب ، وهناك بايعه ابـو

---

(٨٤) ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء٣ ، ص ٨٣ •

(٨٥) ـ ابن قتيبه الدينوري : المعارف ، ص ١٦٣ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء٥ ، ص ٣٣٠ ـ ابو الفداء : تاريخه ، جزء ١ ، ص ٢٢٣ •

(٨٦) ـ الازدي : المصدر السابق ، ص ١٣٣ •

(٨٧) ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٢٦٠ ـ ٢٦١ ـ الطبري : المصدر السابق جزء ٧، ص ٤٣٨ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣٠ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٣١ •

(٨٨) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣٠ •

الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي ، وهو من اصحاب مروان ؛ ثم سار عبد الله الى حمص واقام بها حتى بايعه اهلها(٨٩)

بعد ان اتم عبد الله بن علي فتح شمال بلاد الشام دون عقبة تذكر • توجه نحو اواسطها • فسار نحو بعلبك ، ثم نزل مزة دمشق حيث جاءه مدد اخر من الخليفة ابي العباس بقيادة صالح بن علي ، فنزل مرج عذراء في ثمانية الاف(٩٠) •

عمل عبد الله بن علي جادا لاجل فتح عاصمة الامويين • فوزع اصحابه على ابوابها • وفي أثناء الحصار حدث خلاف داخل مدينة دمشق بين العرب القيسية واليمنية ، واقتتل الفريقان(٩١) فاستغل عبد الله بن علي الفرصة ، وقرب اليه عرب اليمن • فضعف المحاصرون وقرروا طلب الامان ، وأرسلوا مندوبهم يحيي بن بحر • وفي أثناء المفاوضات وقبل كتابة شروط الامان دخلت الجيوش العباسية فرفض عبد الله منح الامان ، الا انه قدر موقف يحيى بن بحر ومودته لاهل البيت ، فاعلن ان من دخل دار يحيى فهو آمن(٩٢) •

كان دخول العباسيين مدينة دمشق يوم الاربعاء ٥ رمضان سنة ١٣٢ هـ/١٨ ابريل نيسان ٧٥٠ م (٩٣) • وما ان دخلها عبد الله حتى اباحها لجنوده ثلاث ساعات• وقيل انهبها ثلاثة ايام (٩٤) • وتبع ذلك اعلان اهالي الاردن الطاعة للعباسيين • فتفرغ عبد الله لمواجهة مروان بن محمد على نهر ابي فطرس • الا انه لم يصطدم

---

(٨٩) ـ العيون والحدائق ، ص ٢٠٣ ـ بيتشوف : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٥

(٩٠) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣٠ •

(٩١) ـ كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٧٤ •

(٩٢) ـ اليعقوبي : المصدر السابق ،جزء ٣ ، ص ٩٢ ـ ٩٣ـ كرد علي : خطط الشام،جزء١ ،ص١٧٤تشبها بالرسول الكريم حين فتح مكه ، حيث اعلن ان من دخل دار أبي سفيان فهو آمن •

(٩٣) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ ـ ابن الوردي ((تاريخه)) جزء١،ص١٩١•

(٩٤) ـ كرد علي : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٧٣ •

معه في معركة حقيقية • اذ فر مروان باتجاه مصر ، فبقي عبد الله في فلسطين ووجه اخاه صالحا في طلبه (٩٥) •

على هذا الشكل كان مروان يفر من وجه الجيوش العباسية الزاحفة في اثره • وينتقل من بلد الى آخر ، وكان كلما وصل الى مكان لقيه اهله شر لقاء • وهكذا تتبعه العباسيون وهو يفر امامهم من بلد الى آخر حتى وصل الى مصر (٩٦) • فتبعه صالح اليها حتى الجأه الى قرية بوصير من كورة اشمون من الصعيد • فقتل فيها في ٢٧ ذى الحجة سنة ١٣٢ هـ / ٧ اب ٧٥٠ م (٩٧) •

ارسل صالح بن علي الى أبي العباس مبشرا اياه بالنصر • كما ارسل له شارات الخلافة وهي قضيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخصفته • وكان مروان قد دفنها في الرمل لئلا تصل الى ايدي العباسيين فدلهم على موضعها احد غلمان مروان بعد أن أمنوه على حياته (٩٨) •

وقبل ان نختتم حديثنا عن نجاح الدعوة العباسية لابد لنا ان نناقش دور العناصر التي قامت في الدعوة وتفسيرات المؤرخين لكنه هذه الدعوة •

لقد رأى كثير من المؤرخين المسلمين ، بأن الحركة العباسية لم تكن سوى حركة قامت لتطيح باسرة حاكمة وتقيم أسرة حاكمة اخرى من اهل بيت الرسول اصحاب الحق في الخلافة • بينما رأى بعضهم من امثال المسعودي والجاحظ وغيرهم ، بأن الحركة العباسية حركة قومية ، قام بها الفرس ضد السيادة العربية في الدولة الاسلامية • فقد قال الجاحظ في المقارنة بين الدولة الاموية والعباسية دولة

---

(٩٥) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء٤ ، ص ٣٣١ — العيون والحدائق ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ •
— بينسوف : المرجع السابق ، ص ١٥ •
(٩٦) — الكندي : الولاة والقضاة ، مطبعة الاباء اليسوعيين بيروت ١٩٠٨ ، ص ٩٥ •
(٩٧) — اليعقوبي : تاريخه ، جزء٣ ، ص ٨٣ — العيون والحدائق ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥ •
(٩٨) — المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ١٦٣ — ١٦٤ — الكندي : الولاة والقضاء ، ص ٩٧ •
— المقدسي : البدء والتاريخ ، جزء ٦ ، ص ٧٣ — حتي : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، جزء٢ ، ص ١٥٤ •

بني مروان عربية أعرابية ، ودولة بني العباس اعجمية فارسية • وقد تبنى هـذا التفسير القومي عدد كبير من المستشرقين في القرن التاسع عشر • من أمثال فـان فلوتن وفلهاوزن ، وغيرهم من المؤرخين العرب المعاصرين الذين نسجوا عـلى منوالهم •

الا اننا لن نتوقف لترجيح رأي على آخر دون دلائل تاريخية ثابتة ، ولكننا سنورد نصوصا تتوصل عن طريقها الى اثبات دور العرب في الدعوة العباسـية • ولن ننكر دور الفرس في مساعدتهم للحصول على حقوقهم في الاسلام ، لا لاسقاط دولة العرب ، واقامة دولة أعجمية مكانها •

نادت الحركة العباسية بالدعوة للرضا من آل محمد ، ولم تناد بتمليـك الفرس ، كما لعب العرب فيها دورا بارزا • وقد اكد ابراهيم الامام على دور العرب اليمنية في الدعوة العباسية ، حين اوصى ابا مسلم الخراساني بالاعتماد عليهم قائلا له (انظر هذا الحي من اليمن فاكرمهم ، واسكن بين اظهرهم فان الله لايتم هذا الامر الا بهم) (٩٩) •

وبدا اعتماد العباسيين واضحا على العرب اليمنية خاصة حيت فتح عبد الله ابن علي مدينة دمشق ، فقد خاطبهم بقوله (انتم منا ولكم قوام امرنا فانصرفـوا وخلوا بيننا وبين مضر) •

وكان لهذه السياسة ثمارها • فقد ترك العرب اليمنية الذين كانوا في دمشق قتاله ، مما اضطر فرع العرب الاخر الى الرحيل عنها ، وفتحت دمشق ابوابهـا للعباسيين • وقد اعترف الخليفة المنصور بالدور الكبير الذي لعبه العرب اليمنية في نجاح الدعوة العباسية ، فقد صرح بان الدعوة قامت على اكتافهم • وان النقباء

---

(٩٩) ـ انظر فيما سبق ، وانظر المقريزي : النزاع والتخاصم فيما بين بني أمية وبني هاشم المطبعة الابراهيمية ١٩٣٧ ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ـ محمد جواد مغنية : الشيعة والحاكمون ، منشورات المكتبة الاهلية بيروت ، ص ١٣١ •

كلهم منهم • واضاف قائلا بان على العباسيين (ان يعترفوا لهؤلاء بحق نصرهم وقيامهم بالدعوة ، ونهوضهم بالدولة) (١٠٠) •

كما ان الخليفة المنصور خاطب العرب اليمنية اثناء حصار واسط قائلا لهم : (السلطان سلطانكم والدولة دولتكم) • كما يتضح دور العرب والجيش العباسي اثناء قتال الامويين حين نطلع على ماكتبه صاحب كتاب الامامة والسياسة عن هذا الموضوع • حين يفرق بين أهل خراسان من العرب وبين الفرس منهم • فيذكر ان تعداد الجيش كان اثني عشر الفا من اهل خراسان سوى الاعاجم (١٠١) •

وقد ترك لنا الجاحظ نصا اوضح فيه دور العرب البارز في الدعوة العباسية بشكل لايدع مجالا للشك فقال (وهل أكثر النقباء الا من صميم العرب ومن صلبية هذا النسب ، كأبي عبد الحميد قحطبة بن شبيب الطائي ، وابي معد سليمان ابن كثير الخزاعي ، وابي نصر مالك بن الهيثم الخزاعي ، وابي داود خالد بن ابراهيم الذهلي وكأبي عمرو لاهز بن قريظ المزني ، ومن كان يجرى مجرى النقباء ولم يدخل فيهم مالك بن الطواف المزني • وبعد فمن هذا الذي باشر قتل مروان ، ومن هزم ابن هبيره ومن قتل ابن ضباره ومن قبل نباته بن حنظله ، الا عرب الدعوة والصميم من أهل الدولة) (١٠٢) •

واخيرا يمكن القول بأن الثورة العباسية كانت ثورة مركبة في بنيتها البشرية والفكرية والسياسية قامت بها عناصر ناقمة على الحكم الأموي من عرب وموالي بقيادة آل محمد الذين تبنوا السير بالمجتمع في الطريق القويم • وتأسيس دولة بكل مافي هذه الكلمة من معنى •

---

(١٠٠) ــ فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ٣٥٠ •

(١٠١) ــ فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ١٩٥ وص ١٢٤ •

(١٠٢) ــ الجاحظ : فضائل الاتراك وما اختصوا به من الشجاعة وعلو الهمة وحسن البلاء في خدمة الاسلام ، المطبعه العمومية بمصر ١٨٩٨ ، ص ١٥ ــ ١٦ •

٣ ــ اعلان الخلافة العباسية ومميزاتها :

على اثر وصول الاسرة العباسية برئاسة ابي العباس الى الكوفة ، وعلى الرغم من كتم ابي سلمة لامر وصولهم اليها عن جميع القواد والشيعة فان هذا الامر قد عرف . وقام القواد والشيعة بمعرفة المكان الذي كان فيه أبو العباس وبايعوه بالخلافة ، فبايع ابو سلمه له .

خرج ابو العباس في يوم الجمعة ١٣ ربيع الاول سنة ١٣٢ هـ / اكتوبر تشرين الاول ٧٤٩ م وصعد المنبر وهو يرتدي دراعة سوداء وكساء اسود . وخطب الناس خطبة اظهر فيها مكانة آل الرسول وما خصهم به القرآن من آيات ، ثم ذكر جور بني أمية وظلمهم ، ووعد الناس خيرا وزادهم في اعطياتهم مائة درهم ،وخصص أهل الكوفة بالجزء الاخير من خطبته قائلا لهم : (يا اهل الكوفة انتم محل محبتنا، ومنزل مودتنا ، انتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ، ولم يثنكم عن ذلك تحامل اهل الجور عليكم ، حتى أدركتم زماننا ، واتاكم الله بدولتنا ، فانتم اسعد الناس بنا ، واكرمهم علينا . وقد زدتكم في اعطياتكم مائة درهم فاستعدوا ، فانا السفاح المبيح والثائر المبير) [١٠٣] . وعلى هذا فان ابا العباس اشاد في خطبته باهل الكوفة ، وبأن حالهم ستكون حسنة في خلافة العباسيين . ثم طلب منهم ان يستعدوا للعمل معه ، وذكر زيادة اعطياتهم ثم قال لهم استعدوا فانا السفاح المبيح والثائر المبير . وتذكر المصادر التاريخية [١٠٤] ان ابا العباس سمي بالسفاح منذ ئذ ، واختلف في شرح هذه العبارة فرأى بعضهم ان هذا اللقب اطلق عليه لكرمه ، وطول باعه ، وترى اخرى بانه اتخذه لكثرة سفكه للدماء . وتجعل بعض المصادر هذا اللقب لعبد الله

---

(١٠٣) ــ انظر الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٢٦ ــ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٧٢ وجه وظهر

(١٠٤) ــ الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٢٥ ــ ٤٢٦ ــ ابن الساعي البغدادي : مختصر اخبار الخلفاء ، ص ٦ ــ وانظر فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي ، ص ٢٠١ فقد جمع اقوال المؤرخين حول هذا اللقب .

اما ابن قتيبه : في كتابه الامامه والسياسة ، جزء ٢ ص ١٣٢ وبعض المؤرخين الذين اخذوا عنه فيذكرون أن السفاح هو عبد الله بن علي لكثرة ماقتل من الامويين .

ابن علي . ومهما تعددت التفسيرات فان مابدا ظاهرا للعيان بعد ذلك ان الاسرة العباسية التي تسلمت الحكم ، قد وطدت العزم على استخدام القوة لتثبيت مركزها مهما كلفها ذلك •

وبهذا الشكل فقد حكم الخلافة الاسلامية بعد ١٣ ربيع الاول سنة ١٣٢ هـ وحتى مقتل مروان بن محمد في نهاية السنة ، خليفتان في آن واحد عباسي واموي• وكان لابد لاحدهما من ان ينتصر على الاخر نصرا حاسما ، ويقضي عليه ، لتصفو له امور الخلافة • وهذا ماجرى اثر معركة الزاب وفتح الشام • وملاحقة مروان ابن محمد في مصر وقتله في بوصير (١٠٥) وبهذا سقطت الخلافة الاموية وحلت مكانها العباسية •

حكم خلفاء العباسيين في العراق زهاء خمسة قرون من سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م حتى ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م وهي السنة التي سقطت فيها عاصمة العباسيين بيد التتار ، هذا وقد اتسمت الخلافة العباسية بسمات ميزتها عن سابقتها الاموية ومن ابرز هذه السمات :

ـ تركزها على التخوم الشرقية بالنسبة للاراضي الاسلامية التي حكمتها • فالدعوة العباسية تركزت في شرقي الخلافة ، وحين اعلنت الخلافة العباسية انتقلت العاصمة من دمشق الى المشرق • فكانت الهاشمية فبغداد فسامراء فبغداد • وفوق كل ذلك نجد ان نشاط واهتمام العباسيين قد وجه الى القسم الشرقي من العالم الاسلامي ، مما ادى الى اتسام الخلافة بسمات لازمتها • تحتاج منا الى وقفة قصيرة لشرحها وتوضيحها ، يمكن اجمالها بما يلي :

١ ـ ضعف قبضة العباسيين على المغرب العربي ، مما ادى الى انفصال هذا الجزء تدريجيا عنهم • فقد تمكن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك من

---

(١٠٥) ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٨٣ ـ العيون والحدائق ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥ .
Le Strange : Bagdad during the Abbasside caliphate; P4

دخول الأندلس والاستقلال بشؤونها واعلان الامارة الاموية ثم الخلافة الأموية •
حدث هذا بعد فترة وجيزة من قيام الخلافة العباسية ، وفي سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م •
ولم يكن هذا فحسب بل ان اجزاء كثيرة من الشمال الافريقي انفصل تدريجيا
عنها • وتأسست دويلات مختلفة منها الدولة الرستمية،والمدراريه الخارجيتان ودولة
الادارسة الشيعية ودولة الاغالبة ، وتلا ذلك نشوء الخلافة الفاطمية ودويلات
اخرى مختلفة •

٢ ـ تأثر الخلافة العباسية بالحضارات الشرقية السابقة ، وقد بدا ذلك في
النظم السياسية والادارية التي اقتبسها العباسيون عن الفرس بشكل خاص • فقد
احتجب الخليفة عن رعيته • واتخذ الوزير والسياف • وعاش عيشة الاكاسرة ،
تحوطه الابهة والعظمة • كما احاط شخصه بالقداسة ، فأخذ الداخل اليه ينحني
امامه ويقبل الارض بين يديه واذا قرب منه قبل رداءه ، وقبل الأرض بين يديه •
ولم يكن ينال شرف الدخول والاقتراب من الخلفاء وتقبيل ارديتهم الا رجال الدولة
البارزين [١٠٦] • وقد امتد التأثر بالفرس الى الحياة الاجتماعية • ففي باب
الملابس ، انتشر لبس القلانس الطويلة [١٠٧] في ارجاء الخلافة وهي من لباس
الفرس • وذلك منذ ان امر ابو جعفر المنصور في سنة ١٥٣ هـ / ٧٧٠ م
بلبسها [١٠٨] • وقد اتخذ الخلفاء انفسهم قلانس ، وكذلك كبار رجال الدولة •

---

(١٠٦) ـ انظر ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٤١ ـ حسن ابراهيم حسن : الرجع السابق ج ٢ ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ •

(١٠٧) ـ جاء قرار المنصور بلبس القلانس الطوال التي تدعم بعيدان من داخلها . ولم يكن هارون الرشيد راضيا عن هذه القلانس الطويلة . الا ان المعتصم اعاد لبسها تشبها بملوك الاعاجم فلبسها الناس اقتداء به وسميت بالمعتصميات . انظر آدم ميتز : المرجع السابق ، ج ٢ ، حاشية رقم ١ ، ص ٢٢٠ •

ـ حورية عبده سلام : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط منذ الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية ، رسالة ماجستير ، ص ١٨٩ .

(١٠٨) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٢٠ ـ حورية عبده سلام : المرجع السابق ، ص ١٨٩ . ويبدو ان لبس القلنسوة التي عمت في العصر العباسي كانت معروفة ويلبسها الناس هي والثياب الفارسية منذ العصر الاموي : انظر شاكر مصطفى في التاريخ العباسي ، ص ٧٤ .

وكان الخلفاء يتخذون على قلانسهم العمائم • واذا كانت مكشوفة فانهم يزيدون في طولها وحدة رؤوسها حتى تكون فوق قلانس جميع الامة (١٠٩) •

٣ ـ ابتعاد مركز الخلافة عن خط الحدود مع البيزنطيين ، مما ادى الى ضرورة تنظيم منطقة الثغور تنظيما جديدا ، واقامة مناطق دفاعية قوية لتعويض هذا الابتعاد (١١٠) • فجعلت منطقة العواصم والثغور منطقة ادارية قائمة بذاتها • ونهض العباسيون بقتال البيزنطيين في الدور الاول بشكل خاص بالشدة والقوة نفسها التي وقفها الامويون (١١١) • الا ان حملات العباسيين ضد البيزنطيين كانت برية وتناقصت الحملات البحرية نتيجة تناقص اهتمام العباسيين بشؤون الاسطول في المتوسط عامة (١١٢) • ولقد عوض هذا النقص في القوة البحرية ، الدول الاسلامية التي انفصلت عن الخلافة العباسية كالدولة الاموية في الاندلس ، والفاطمية في شمال افريقيا ، ثم في مصر وجنوب الشام ، ودولة الاغالبة • وقد نتج عن كون الخلافة العباسية خلافة برية اهتمام العباسيين بطرق التجارة البرية مع شرقي اسيا • فنشط طريق الحرير والتوابل البري القديم •

ـ لم يعد العالم الاسلامي ـ كما كان في عصر الراشدين والامويين ـ موحدا تحت سلطة خلافة اسلامية واحدة • بل تعدد منصب الخلافة وظهرت الى الوجود خلافة فاطمية في شمالي افريقية منذ نهاية القرن الثالث الهجري ، ثم في مصر وجنوبي الشام • وخلافة ثالثة في القرن الرابع الهجري ، تلك هي الخلافة الاموية في الاندلس •

ـ ساست الخلافة العباسية العالم الاسلامي سياسة ممزوجة بالدين والملك •

---

(١٠٩) ـ اتخذ اصحاب المراكز الكبيرة العمائم الا انها كانت تختلف من شخص لاخر بحسب مركزه الاجتماعي • انظر الجاحظ : البيان والتبيين : جزء ١ ، ص ٦٠ ـ ٦١ •

(١١٠) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٦٣ ـ رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، المقدمة م •

(١١١) ـ حول تنظيم الثغور : انظر بيطار : الحياة السياسية فى بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية حتى الفتح الفاطمي ، ص ٣٢٨ وما بعدها •

(١١٢) ـ ارشيبالد : المرجع السابق ، ص ١٦٨ •

وقد عبر ابن طباطبا (١١٣) عن ذلك تعبيرا جيدا فقال : اعلم ــ علمت الخير ــ ان هذه دولة من كبار الدول ٠ ساســـت العالم سياسة ممزوجــة بالدين والملك ٠ فقد كان اخيار الناس وصلحاؤهم يطيعونها تدينا ، والباقون يطيعونها رهبة او رغبة٠ فقد اعتبر العباسيون انفسهم وارثي بيت الرسول ٠ وان سلطتهم مستمدة من الله لامن الشعب ٠ فالخليفة هو خليفة الله في الارض لا خليفة رسول الله فحسب ٠ ومثالنا على ذلك ماقاله الخليفة المنصور في خطبتـــه (انما انا سلطـان الله في أرضه) (١١٤) ٠ واستمرت سلطة خلفاء العباسيين الدينية طوال فترة حكمهم ، بل يمكن القول انها كانت تزداد قوة كلما ضعف شأن العباسيين الدنيوي ٠ وبهذا نرى ان الخليفة العباسي خالف الخلفاء الراشدين الذين كانوا يرون انهم يستـمدون سلطتهم من الشعب ٠ ويؤكد ذلك ماقاله الخليفة ابو بكر بعد توليته الخلافة فان احسنت فاعينوني ، وان أسأت فقوموني ٠ كما خالفوا بذلك خلفاء الامويين الذين كانوا اشبه برؤساء قبائل يستمد الخليفة سلطته الفعلية من زعماء القبائل المتحالفين معه ، ويستشيرهم في الامور الخطيرة ٠ ويتضح هذا الامر بشكل جلي من قول عمر بن عبد العزيز مخاطبا شعبه : لست بخير من احدكم ولكني اثقلكم حملا (١١٥)٠

وقد برزت سلطة العباسيين الدينية بالمظاهر التي احاطوا انفسهم بها ٠ فقـد اتخذوا القابا ذات طابع ديني مثل المنصور ، المهدى ، الهادي ، الرشيد ، الامين ، المأمون (١١٦) ، المتوكل على الله ، المستعصم بالله ، الواثق بالله ، الناصر لدين الله ، ومما لاشك فيه ان الالقاب الرسمية الخاصة باوائل خلفاء العباسيين اختارهـــا العباسيون عن قصد وهدف ٠ ذلك ان القابهم كانت تمس اكثر الامور حساسية في مشاعر الجماهير ، وخاصة اولئك الذين كانوا يأملون في وضع افضل ٠ وكان المهدي او المنقذ المنتظر امل الجماهير الذي سينقذهم من الظلم والشقاء ، الى العدالـــة

(١١٣) ــ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٠٤ ٠

(١١٤) ــ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٠٨ وجه

ــ الطبري : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٨٩ حيث تجد نص الخطبة كاملة ٠

(١١٥) ــ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٥٣ ٠

(١١٦) ــ انظر فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي ، بحث القاب الخلفاء العباسيين ودلالتها الدينية والسياسية ، ص ١٩٨ ومابعدها ٠

والرفاهية (١١٧) . كما تلقب الخليفة العباسي بلقب امام توكيدا للمعنى الديني في الخلافة . وفي الاصل اطلق هذا اللقب على من يؤم الناس في الصلاة ، ويعني اتخاذ هذا اللقب ان خلفاء العباسيين اصبحوا ائمة للناس . وقد استعمل الشيعة هذا اللقب واطلقوه على افراد البيت العلوي ، الذين كانوا يعتقدون انهم احق الناس بالخلافة (١١٨) . وقد حرصوا كل الحرص على هذا المظهر فقربوا اليهم العلماء ورجال الدين (١١٩) . كما عملوا على ان لايخرجوا في المناسبات الرسمية الا وهم يحملون شارات الخلافة المتوارثة من النبي .

وكانت مظاهر الخلفاء العباسيين الخاصة التي تدل على سيادتهم الروحية تتجلى في مواكبهم التي تميزت بروعتها . فيتقدم موكبهم ايام الجمع والاعياد رجال الحرس على اختلاف طبقاتهم يحملون الاعلام ، ويليهم امراء البيت العباسي ، راكبين الخيول المطهمة ، ثم الخليفة ممتطيا جوادا ناصع البياض ، وبين يديه كبار رجال الدولة . وكان الخليفة في تلك المواكب يلبس القباء الاسود ويتمنطق بمنطقة مرصعة بالجواهر . ويتشح بعباءة سوداء ، ويلبس قلنسوة مدببة مزينة بجوهرة ، ويتقلد سيف رسول الله (ص) وفي يده اليمنى الخاتم(١٢٠) .

كما عمل خلفاء العباسيين على الوقوف بحزم في وجه الحركات اللادينية كافة التي برزت في عصرهم كالراوندية والمقنعية والزندقة (١٢١) . وقد اشيع بين العامة الكثير عن قدسية الخليفة وعن مايجري في الكون اذا قتل من احتجاب الشمس وامتناع المطر . وقد صور ابن طباطبا(١٢٢) الوضع اصدق تصوير حيث قال : (ولم تقو دولة على ازالة ملكهم ومحواثرهم ، بل كان من هؤلاء المذكورين (ويقصد

---

(١١٧) — فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ .

(١١٨) — حول هذا اللقب انظر فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

(١١٩) — حسن ابراهيم : النظم الاسلامية ، ص ٥٠ — ٥١ .

(١٢٠) — محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ، ص ١٩٢ .

(١٢١) — انظر فيما بعد ، وانظر فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ١٦٨ وما بعدها .

(١٢٢) — المصدر السابق ، ص ١٤١ ومابعدها .

الدول المنفصلة عن الخلافة) من يجمع ويحشد ويجر العساكر حتى يصل الى بغداد فاذا وصل التمس الحضور بين يدي الخليفة • فاذا حضر قبل الارض بين يديه ، وكان قصارى مايتمناه ان يوليه الخليفة ويعقد له لواء ويخلع عليه • فاذا فعل الخليفة ذلك ، قبل الملك الارض بين يديه ، ومشى في ركابه راجلا ، والغاشية تحت ابطه ••• وكانت لهم في نفوس الناس منزلة لاتدانيها منزلة أحد آخر من العالم حتى ان السلطان هولاكو لما فتح بغداد واراد قتل الخليفة ابي احمد عبد الله المستعصم ، القوا الى سمعه أنه متى قتل الخليفة اختل نظام العالم ، واحتجبت الشمس وامتنع المطر والنبات) . وكان لهذه السلطة الدينية التي كانت لخلفاء العباسيين اهمية كبيرة في العصور العباسية المتأخرة حين فقد الخليفة العباسي سلطته الزمنية ولم يبق له سوى هذه السلطة الدينية ، فقد حرص جميع من تولوا امرة الدويلات الاسلامية التي انفصلت عن الخلافة العباسية ، على الحصول على موافقة الخليفة العباسي على امارتهم ، لان سلطة الامير لا تصبح شرعية الا بحصوله على هذه الموافقة •

وليس معنى هذه السلطة الدينية التي تمتع بها خلفاء العباسيين انهم كانوا أكثر تدينا من الامويين ، بل يمكن القول انه كان فيهم الصالح والطالح • والمتمسك بأهداب الدين ، والغارق في لذاته • ومن الامثلة على ذلك الخليفة المهدي الذي حكم في الدور العباسي الاول وعاش حياته الخاصة كما يحب ويشتهي ، وسلم امور الدولة لوزرائه ، وقد عبر الشاعر بشار بن برد عن ذلك افضل تعبير فقال :

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا   خليفة الله بين الناي والعود

واذا كانت الخلافة العباسية حوت الصالح والطالح من الخلفاء فلم تعدم الخلافة الاموية وجود خلفاء صالحين امثال الوليد بن عبد الملك • وعمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك وغيرهم • وقد ذكر ابن خلدون[١٢٣] في جملة ماذكره

(١٢٣) ـ مقدمة ، ص ٢٠٦

عن خلفاء العباسيين انهم كانوا ـ من العدالة بمكان ، وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه فاستطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح ثم أفضى الامر الى بنيهم فأعطوا الملك والترف حقه وانغمسوا في الدنيا ، فتأذن الله بحربهم . ويبدو أن ابن خلدون بالغ في جعل كل خلفاء الرشيد من الطالحين . لانه ظهر منهم خلفاء صالحون . ويمكن القول اخيرا بأن خلفاء العباسيين تفاوتوا في تمسكهم بالدين والتقشف ، أو انصرافهم الى متع الدنيا . ولكنهم عملوا جاهدين حتى في احلك الظروف على التمسك بسلطتهم الدينية . وبقاء هذه السلطة واضحة في اعين الجماهير لتبقى الجماهير مرتبطة بالخلافة الاسلامية العباسية .

ـ اعطت الخلافة العباسية للعناصر الاسلامية المختلفة دورا جيدا ، وتمتعت هذه العناصر بميزات واضحة في العصر العباسي ، استغلته للسيطرة على الخلافة فيما بعد . وبالتالي فان العناصر الاسلامية غير العربية وصلت الى مناصب قيادية كمنصب الوزارة وقيادة الجيوش وحكم الولايات ، بينما لم تحصل العناصر الاسلامية على مثل ذلك في العصر الاموي ، مما جعل المؤرخين يرون في قيام الخلافة العباسية نهاية للحكم العربي ، وبداية لحكم الاعاجم . وهذا قول مبالغ فيه لان سلطان العرب بقي واضحا . فالخلافة مازالت في ايديهم واللغة العربية لغة الدولة الرسمية ، وفرق الجيش العربية عملت مع الفرق الاخرى ، وكان خلفاء العباسيين في الفترة الاولى على درجة من القوة استطاعوا أن يكبحوا جماح هذه العناصر اذا اشتطت في استخدام سلطانها . واكبر دليل على ذلك نكبة البرامكة ، تلك الاسرة التي تمتعت بنفوذ كبير منذ عهد المنصور وبلغ ذروته في عهد الرشيد .

ـ نشوء ارستقراطية جديدة مؤلفة من العناصر المتنفذة من الشعوب الاسلامية المختلفة من عرب وفرس وترك . حلت محل الارستقراطية العربية التي كانت صاحبة النفوذ في العصر الأموي . ويضاف الى هؤلاء الاقطاعية العسكرية التي كانت تضم قادة الجيوش من الفرس والاتراك .

ـ نضوج الحضارة العربية في هذا العصر وتألقها في المجالات كافة ، ونشوء مراكز حضارية متعددة في بغداد وحلب والقطائع والقاهرة وفاس والقيروان وقرطبة وبخارى وغيرها[١٢٤] .

ـ كان الحكم العباسي حكما ملكيا وراثيا • فولاية العهد استمرت من الناحية العملية لحصر الخلافة في البيت العباسي • كما سار العباسيون على نظام تولية العهد لاكثر من واحد • وكان الخليفة يحاول عزل ولي عهده وتولية ابنه مكانه ، وكثيرا ماحدثت خلافات بين افراد الاسرة الحاكمة من أجل ذلك ، وتطورت في أحيان كثيرة الى امتشاق السيف[١٢٥] •

ـ كانت الدولة العباسية دولة ذات خدع ودهاء وغدر • وكان قسم التحيل والمخادعة فيها اوفر من قسم القوة والشدة ، خصوصا في أواخرها • فان المتأخرين منهم بطلوا قوة الشدة والنجدة وركنوا الى الحيل والخدع • وفي مثل ذلك يقول الشاعر كشاجم مشيرا الى موادعة اصحاب السيوف وعداوة اصحاب الاقلام ، ومقاتلة بعضهم مع بعض •

هنيئا لاصحاب السيوف بطالة	تقضي بها اوقاتهم في التنعم
فكم فيهم من وادع العيش لم يهج	لحرب ولم ينهد لقرن مصمم
يروح ويغدو في نجاده	حساما سليم الحد لم يتلثم
ولكن ذوو الاقلام في كل ساعة	سيوفهم ليست تجف من الدم[١٢٦]

وحقيقة الامر ان خلفاء العباسيين ، وعملا على توطيد اركان دولتهم ، كانوا في بعض الاحيان ، يلجؤون الى عدم الوفاء بأمانهم • كما يلجؤون الى سفك

---

(١٢٤) ـ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٧٣ وما بعدها •

(١٢٥) ـ انظر فيما بعد الخلاف بين افراد الاسرة العباسية •

(١٢٦) ـ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٤٩ • ان هذا يصح القول به عن الدولة العباسية في دورها الثاني • ولايمكن أن يكون صفة عامة في الدور العباسي الاول •

الدماء • فقد اعطوا يزيد بن عمر بن هبيرة الامان ولكنهم تخلصوا منه في الوقت المناسب • وكذلك الامر مع عبد الله بن علي ، ويحيى بن عبد الله وغيرهم • ولكن ذلك لايجعل صفة الغدر عندهم صفة عامة ودائمة • وكذلك فان خلفاء العباسيين لم يتورعوا عن استخدام العنف لاستئصال البيت الاموي كما كانوا متشددين مع أبناء عمومتهم ، ومع الخارجين عليهم مهما كانت هويتهم •

وقد ادى ذلك الى شعور الكثيرين بخيبة أمل . فقد كانوا يأملون ان تكون الخلافة العباسية اكثر عدلا من الاموية وأقل منها سفكا للدماء • فانشد شعراؤهم معبرين تعبيرا واضحا عن هذا الشعور المرير ، فقال ابو العطاء السندي :

ياليت جور بني مروان عاد لنا   وليت عدل بني العباس في النار [١٢٧]

كما عبر شريك الثائر على أبي العباس في خراسان بقوله : ما على هذا اتبعنا آل محمد ، على ان نسفك الدماء ، ونعمل بغير الحق •

واخيرا يمكننا ان نجمل القول مع ابن طباطبا [١٢٨] ، ان الخلافة العباسية كانت دولة كثيرة المحاسن ، جمة المكارم • اسواق العلوم فيها قائمة ، وبضائع الآداب فيها نافقة ، وشعائر الدين فيها معظمة ، والخيرات فيها دارة ، والدنيا عامرة ، والحرمات مرعية ، والثغور محصنة • ومازالت على ذلك حتى كانت اواخرها فانتشر الجبر ، واضطرب الامر •

وبناء على ماجاء في القول السابق يمكننا تقسيم الفترة الزمنية التي حكمت فيها الخلافة العباسية الى دورين كبيرين مضافا اليهما فترة استعادة الخلفاء العباسيين لسلطتهم •

١ ـ الدور العباسي الاول : وهو العصر الذهبي للخلافة العباسية والعالم

---

(١٢٧) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٧٩ وجه

(١٢٨) ـ المصدر السابق ، ص ١٥٠

الاسلامي • فقد كان دور قوة سياسية وتمازج ثقافي واجتماعي • تناوب على الحكم فيه تسع خلفاء ويمتد من سنة ١٣٢ ــ ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ ــ ٨٤٧ م •

٢ ــ الدور العباسي الثاني : وهــو الدور الذي سيطرت فيه العناصــــر الاسلامية على الحكم ويمتد من سنة ٢٣٢ ــ ٥٩٠ هـ / ٨٤٧ ــ ١١٩٥ م ويشتمل على عصور ثلاثة :

آ ــ عصر النفوذ التركي من ســـنة ٢٣٢ ــ ٣٣٤ هـ / ٨٤٧ ــ ٩٤٦ م • وهو عصر سيطر فيه القادة الاتراك على شؤون الخلافة •

ب ــ عصر النفوذ البويهي من سنة ٣٣٤ ــ ٤٤٧ هـ / ٩٤٦ ــ ١٠٥٥ م وهو عصر سيطر فيه ملوك بني بويه على الحكم •

جـ ــ عصر النفوذ السلجوقي من سنة ٤٤٧ ــ ٥٩٠ هـ / ١٠٥٥ ــ ١١٩٥ م وهو عصر سيطر فيه سلاطين السلاجقة على الحكم •

ويمكن ان ندمج العصر الثاني والثالث في الدور العباسي الثاني ونجعله عصر سيطرة الملوك والسلاطين من المسلمين على الخلافة العباسية ، ولابد لنا في هــذه الحالة ايضا من ان نوزع هذا الدور الى قسمين بحسب جنسية العنصر الــذي سيطر على الخلافة العباسية ، وبالتالي فاننا نعود الى التقسيم الاول •

٣ ــ فترة استعادة خلفاء العباسيين لسلطتهم وتمتد من سنة ٥٩٠ ــ ٦٥٦ هـ / ١١٩٥ ــ ١٢٨٠ م ، وهي فترة غفل عنهــا كثير من المؤرخين ودمجوها مــع فترة سيطرة السلاجقة • علما بأن السلاجقة سقطت دولتهم منذ سنة ٥٩٠ هـ /١١٩٥م•

وعلى هذا الشكل يتضح بأن التقسيم الذي اتبعناه وهو التقسيم التقليدي قد [illegible] على العنصر الاسلامي الذي سيطر على الخلافة العباسية • وهنــــاك [illegible] بنوا تقســـيمات اخرى مبنية بشكل رئيسي على المد الاســـــلامي في المجاورة •



الباب الثاني

الـدور العباسـي الاول

١٣٢ ــ ٢٣٢ هـ / ٧٥٠ ــ ٨٤٧ م

تربع أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس على عرش الخلافة العباسية ، فخطب على المنبر قائما ، وكان بنو أمية يخطبـون قعودا • فاستحسن الناس منه ذلك ، اذ رأوا فيه احياء للسنة [١] ، وتكلم في هذه الخطبة عن حماية أسرته للاسلام ، والذب عنه ومناصرته • كما تحدث عن مكانتهم وقرابتهم من الرسول ، وما أوجب الله على الناس من حقهم ومودتهم • كما أثبت حقهم فـي الخلافة • وأبرز مكانة أهل الكوفة الخاصة ، فزادهم في اعطياتهم مائة درهم [٢]• ولما كان ابو العباس مريضا ، فانه نزل عن المنبر وصعد عمه داود بن علي ، فأوضح في جملة ما أوضح أنه لم يصعد منبرهم خليفة بعد علي بن أبي طالب الا أمـير المؤمنين أبا العباس [٣] •

كانت مهمة أبي العباس شاقة وعسيرة • فكان عليه ان يثبت أقدام العباسيين في الخلافة ، ويوطد أركان دولتهم • وقد نجح في ذلك وقضى على منافسه مروان ابن محمد ، ولاحق فلول الامويين وقضى عليهم • ولم يتمكن من النجاة منهم الا

---

(١) [illegible] ..عودي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٦ •

(٢) [illegible] فيما سبق خصائص الخلافة العباسية •

(٣) [illegible] مروج الذهب للمسعودي ، جزء ٣ ، ص ٢٧٠ ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ص ٤٢٦

عبد الرحمن الداخل . ثم بدأ بالقضاء على منافسيه السياسيين ممن كانوا ساعده الايمن في الدعوة العباسية ، فقتل أبا سلمة الخلال ، وكاد يفتك بأبي مسلم لولا أن عاجلته المنية . وبذلك اجتازت الدولة الناشئة هذه المرحلة الدقيقة من تاريخها ، لتصبح اشد مناعة وقوة في عهد أخيه أبي جعفر المنصور [٤] وقد وصف ابن طباطبا أبا العباس وصفا دقيقا فقال فيه : كان كريما حليما وقورا عاقلا كاملا كثير الحياء ، حسن الاخلاق [٥] .

كان أبو جعفر المنصور عبد الله بن محمد[٦] المؤسس الحقيقي للخلافة العباسية وباني مجدها وعاصمتها بغداد . تولى الخلافة سنة ١٣٦ هـ/٧٥٤ م ، واستمر في الحكم حتى سنة ١٥٨ هـ / ٧٧٥ م . تربى بين كبار الرجال من جلة بني هاشم وصحب أباه وجده ، فنشأ أديبا فصيحا ، ملما بسير الملوك والامراء . كان ساعد أخيه أبي العباس الايمن . عمل جاهدا على ان يستتب له الامن ، فاعتبر بحق مؤسس الخلافة العباسية . فقد تحرج موقف الخلافة في عهده وتأزمت الاوضاع ، ولكنه تمكن من الخروج من هذه المواقف وسار بالخلافة قدما الى الامام . بدا ذلك بشكل واضح حين ثار عليه عمه عبد الله بن علي ، وطالب بأحقيته بالخلافة ، فقابله بحزم وجد ، واستطاع ان يقضي على ثورته . ولما رأى ازدياد نفوذ ابي مسلم ، وخشي منه على الخلافة قتله وتخلص منه . كذلك فانه كبح جماح العلويين بقضائه على محمد النفس الزكية في الحجاز ، وعلى اخيه ابراهيم في العراق[٧] .

اشتهر المنصور في بلاطه بتمسكه بالدين وبجديته [٨] فلم يعرف عنه ميل الى اللهو والعبث ، بل كان ميالا الى النظام والتنسيق في أعماله . كان ينظر في صدر النهار في أمور الدولة وما يعود على الرعية من خير ، فاذا صلى العصر جلس مع

---

(٤) ـ عن خلافة أبي العباس انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٢١ ـ ٤٣١ .

(٥) ـ المصدر السابق ، ص ١٥١ .

(٦) ـ عن المنصور وصفاته انظر المقريزي : المصدر السابق ، من ورقه ٩٦ ظهر حتى ١١٠ ظهر .

(٧) ـ انظر فيما بعد .

(٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٥ ـ ٩١ .

أهل بيته ، فاذاصلىالعشاء نظر فيما يرد عليه من كتب الولايات والثغور ، وشاور سماره في ذلك ، فاذا مضى ثلث الليل قام الى فراشه وانصرف سماره • فاذا امضى الثلث الثاني قام من فراشه فأسبغ وضوءه ، وصف في محرابه حتى يطلع الفجر ، ثم يخرج فيصلي بالناس ثم يدخل فيجلس في ايوانه[٩] •

اهتم المنصور بأمور دولته[١٠] وراقب عماله مراقبة شديدة ، واهتم باختيار رجال البريد وكان ولاة البريد في الآفاق كلها يكتبون الى المنصور ايام خلافته في كل يوم بسعر القمح والحبوب والادم وبسعر كل مأكول ، وبكل ما يقضي بـه القاضي في نواحيهم ، وبما يعمل به الوالي ، وبما يرد بيت المال من المال[١١]• ومن جملة ما يذكر عن اهتمامه بأمور الولاية ، ما حدث بينه وبين والي حضرموت ، حين أعلمه صاحب البريد أنه يكثر الخروج في طلب الصيد ببزاة وكلاب قد أعدها ، فعزله وكتب اليه : (ثكلتك أمك ، وعدمتك عشيرتك ، ما هذه العدة التي اعددتها للنكاية في الوحش انا انمااستكفيناك أمور المسلمين ، ولم نستكفك أمور الوحش• سلم ما كنت تلي من عملنا الى فلان بن فلان ، والحق بأهلك ملوما مدحورا)[١٢] •

ومن الحق والواجب علينا كمؤرخين أن ننصف هذا الخليفة الذي كان من عظماء الملوك وحزمائهم وعقلائهم مما وصم به من البخل ، كان المنصور يعطـي بسخاء اذا وجد أن ذلك حق ، ويمنع اليسير اذا وجد أن في ذلك تضييعا وتبذيرا للمال • وهذا بحق عين الصواب • بل انه بامكاننا أن نلمس عكس ذلك لو عدنا الى مصادر التاريخ الاسلامي • وربما وجدنا أمثلةكثيرة تدل علىكرمه[١٣] ، واخرى

---

(٩) ـ الطبري : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٧٠

(١٠) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٧ حين يذكر حاجته الى اربعة نفر لا يكون على بابه أعف منهم •

(١١) ـ الطبري : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٧٠

(١٢) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٨

(١٣) ـ انظر ابن طباطبا : المصدرلسابق ، ص ١٦٠ ، فيقول انه كان كريما ، وانه لما حج افضل على اهل الحجاز فكانوا يسمون عامه عام الخصب • وانظر المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٠٦وجه

تدل على وضعه الاموال في موضعها لا على النسح والبخل • ولعمري فان هذا من صفات الرجل الذي يثق بنفسه ومقدرته وقوته ورجاله ، ولا يحتاج الى تبذيـر الاموال لشراء نفوس بعض ضعفاء النفوس(١٤) •

ويمكن هنا أن نلخص أخلاق وصفات المنصور ، بما ننقله عن ابن طباطبا(١٥) • فقد ذكر أن المنصور كان من ذوي الآراء الصائبه ، والتدبيرات الشديده ، وقورا شديد الوقار ، حسن الخلق في الخلوة ، من أشد الناس احتمالا لما يكون مـن عبث أو مزاح ، فاذا لبس ثيابه وخرج الى المجلس العام ، تغير لونه واحمرت عيناه، وانقلبت جميع اوصافه•كما قال عنهأيضا بأنه هو الذي أصل الدولة وضبط المملكة، ورتب القواعد وأقام الناموس ، واخترع أشياء (١٦) • ومما يحمد له أن مدحه جاء ممن كانوا أعداء له في يوم من الايام • فقد قال يزيد بن عمر بن هبيرة عنه : ما رأيت رجلا في حرب أو سلم أمكر ولا أنكر ولا أشد تيقظا من المنصور • لقد حاصرني تسعة شهور ومعي فرسان العرب ، فجهدنا كل الجهد حتى ننال من عسكره شيئا فما قدرنا لشدة ضبطه لعسكره ، وكثرة تيقظه • ولقد حصرني وما في رأسي شعرة بيضاء ، ثم انقضى ذلك وما في رأسي شعرة سوداء(١٧) •

تسلم الحكم بعد المنصور عدد من الخلفاء كانوا في معظمهم على قدر كبير من الذكاء وسداد الرأي والشجاعة في تحمل المسؤولية ، ومواجهة المشاكل الخطيرة في الداخل والخارج • فهذا المهدي ابن المنصور وخليفته أبو عبد الله محمد ، حكم من سنة ١٥٨ ــ ١٦٩ هـ / ٧٧٥ــ٧٨٦ م ، كان شهما فطنا كريما شديدا على أهل الالحاد والزندقه • افتتح عهده بالنظر الى المظالم ، والكف عن القتل ، واعطاء الامـن للخائف • وكان اذا جلس للمظالم قال : ادخلوا علي القضاة ، فلو لم يكن ردي

(١٤) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٧٢ ــ ٧٣ ــ ٧٤ ــ ٧٥ .

(١٥) ــ المصدر السابق ، ص ١٥٩ .

(١٦) ــ المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

(١٧) ــ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

للمظالم الا حباء منهم لكفى[١٨] وبسط يده في العطاء ، ورد الاموال التي صادرها أبوه الى أهلها ، وأحسن الى العلويين ، ثم بويع الهادي سنة ١٦٩ – ١٧٠ هـ / ٧٨٦ – ٧٨٧ م • وكان متيقظا غيورا كريما شهما ، جريء القلب ذا اقدام وعزم وحزم [١٩] • كما كان شديد الغيرة ، ولا يرغب في التدخل في شؤونه حتى من أقرب أقربائه [٢٠] • وقد تكون شدته في مثل هذه الامور من أكبر الاسباب التي أدت الى وفاته في فترة مبكرة [٢١] •

برز بعد الهادي اسم أخيه هارون الرشيد ، حكم من سنة ١٧٠ – ١٩٣ هـ / ٧٨٧ – ٨٠٩ م • واحتل اسمه في الكتب التاريخبة شهرة اسطورية ، لما نسج حولها من قصص وأساطير في الشرق والغرب على السواء • فقد ذكر عنه أنه كثير الصلاة كثير الحج دائم الجهاد • وهو مع كل هذا يعيش دنياه ، يحضر مجالس اللهو ، تلك التي خلدها عنه ألف ليلة وليلة • ويقال بأنه اجتمع له مالم يجتمع لاحد من جد وهزل[٢٢] • قال فيه ابن طباطبا انه كان من أفاضل الخلفاء وفصحائهم وعلمائهم وكرمائهم • كان يحج سنة ويغزو سنة وكان يصلي في كل يوم مائة ركعة • وكان يحب الشعر و شعراء ويميل الى أهل الادب والفقه[٢٣] •

وتبخس كتب التاريخ الامين حقه (١٩٣ – ١٩٨ هـ/٨٠٩ – ٨١٤م) ، وتصفه بالخليفة الخليع المستهتر • والحق يقال انه لم يكن كذلك ، وان ما كتب عنه كان بسبب النهاية التي انتهى بها حكمه ، بل كان من رجال الدولة وعيبه انه وثق بوزيره ثقة عمياء ، وكان هذا الوزير يخشى المأمون ، فحرضه عليه وكان ماكان[٢٤]

(١٨) – ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٧٩ •
(١٩) – ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٨٩ •
(٢٠) – حول قصة الهادي مع أمه انظر ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٩١ •
(٢١) – الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٨٧ حتى ٢٠٤ – وانظر ايضا ابن طباطبا : المصدر السابق ص ١٩١ •
(٢٢) – الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ١٤ ، ص ١١ •
(٢٣) – ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٩٣ •
(٢٤) – انظر فيما بعد ، وانظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، من ص ٥٠٨ – ٥٢٦ •

أما المأمون (١٩٨ ـــ ٢١٨ هـ/٨١٤ ـــ ٨٣٤ م) فكان من أفاضل الخلفاء والعلماء والحكماء والحلماء ، ومن عقلاء الرجال ، فطنا شديدا كريما[٢٥] ، وكان له الفضل في وضع أسس تطوير النهضة الفكرية • فقد حمى العلماء ورعى الادباء والفنانين ، ورأى رأي المعتزلة[٢٦] ، وقد ورد في كتاب المقريزي[٢٧] على لسان يحيى بن اكثم وصفا معبرا له ، فقال له (يا أمير المؤمنين ان خضنا في الطب كنت جالينوس في معرفته ، أو في النجوم كنت هرمس في حسابه ، أو في الفقه كنت علي بن ابي طالب في علمه ، أو صدق الحديث ، فانت ابو ذر في لهجته ، أو الكرم فانت كعب بن امامة في فعاله••) •

حكم المعتصم من سنة (٢١٨ ـــ ٢٢٧ هـ/٨٣٤ ـــ ٨٤٢ م) ، فكان سديد الرأي موصوفا بالشجاعة والقوة[٢٨] • قضى على عدد من الثورات الداخلية • ودفع باسم الدولة الاسلامية قدما بانتصاره في عمورية • وبقي اسمه خالدا يذكر كلما ذكر الاعتماد على الترك في الجيش[٢٩] • وكلما تحدث المؤرخون عن اسقاط اسم العرب من ديوان العطاء[٣٠] • وكان الخليفة الواثق آخر خلفاء هذه الفترة ، حكم من سنة ٢٢٧ ـــ ٢٣٢ هـ / ٨٤٢ ـــ ٨٤٧ م • اعتمد على الاتراك كأبيه ، فرسخت اقدامهم وتطاولوا على الخلفاء ، توفي في شهر ذي الحجة سنة ٢٣٢ هـ/٧٤٨م ، وبموته ينتهي العصر الذهبي للدولة العباسية •

ومما لاشك فيه أن خلفاء هذه الفترة توفرت لهم المقدرة على حفظ التوازن

---

(٢٥) ـ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢١٦ •

(٢٦) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٥١ ـ ٦٦٦ ـ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص٢١٦

(٢٧) ـ المقفى ، ورقة ١٢٨ وجه ـ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٢٩

(٢٨) ـ انظر فيما بعد •

(٢٩) ـ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢٤ •

(٣٠) ـ انظر عن خلفاء الدور الاول اضافة لما ذكر في الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، من ص ـ ٤٢١ فما بعد •

السياسي وجعل الخلافة السلطة العليا ، والمنصب الاول في الدولة [٣١] • وكما امتازت الخلافة العباسية بميزات عامة ، فان الدور العباسي الاول امتاز بميزات انفرد بها ، ويمكن تلخيصها بما يلي :

١ ــ كافح خلفاء هذا الدور لاجل توطيد وتثبيت حكم بني العباس ، لئلا ينازعهم منازع ، أو ينافسهم منافس • وقد أسفرت عمليات التثبيت عن صدام العباسيين بقوى داخلية متعددة • وكانت اسباب هذا الصدام سياسية بحتة في بعض الاحيان ، وقومية دينية في أحيان اخرى • ويمكن اجمال ما جرى من صراع بمايلي:

ــ صراع بين بني العباس والامويين وأنصارهم •

ــ صراع بين بني العباس أنفسهم •

ــ صراع بين بني العباس والعلويين •

ــ صراع بين بني العباس والخوارج •

ــ صراع بين العرب الحاكمين والموالي أو بين العرب وسكان البلاد المفتوحة

٢ ــ عمل خلفاء الدور العباسي الاول على المحافظة على حدود الدولة العربية الاسلامية تجاه القوى المعادية كافة. وبشكل خاص أمام البيزنطيين [٣٢] وقد أثبتوا في ذلك مقدرة فائقة ، وأصبحت أسماء غالبية خلفاء هذا الدور رمزا للبطولة والمقدرة• فهارون الرشيد ووصوله للبوسفور ، والمأمون وغزواته المتعددة المشهورة والمعتصم وعمورية • ومع هذا النشاط على الحدود الشمالية،فان العباسيين فشلوا في المحافظة

---

(٣١) ــ الازدي : تاريخ الموصل ، ص ١٦١ ــ ١٦٤ ــ العيون والحدائق ، ص ٢١٥ ــ ٢٦٩ ــ ابن الاثير: المصدر السابق ، جزء ٦ ص ٢٥ فما بعد ــ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٢٥٣ ــ ٢٥٧ •

(٣٢) ــ انظر فيما بعد •

على وحدة الخلافة الاسلامية وبدأت حركات انفصالية جزئية في هذا الدور حيث تزايدت وتسارعت في الدور الثاني •

٣ ـ تفاعل عناصر المجتمع العربي مع بعضها ضمن اطار الخلافة الاسلامية ، ولقاء بين الحضارة العربية الاسلامية والحضارات السابقة القائمة علــى الارض المفتوحة • وقد اثمر هذا اللقاء عن حركة ترجمة واسعة لتراث الحضارات الى اللغة العربية ، كانت ثمرته حضارة عربية اسلامية مزدهرة ، واذا أضفنا الى ذلك الصراع العقائدي بين العقيدة الاسلامية والديانات الاخرى كالمسيحية واليهودية ،والديانات الفارسية ، وانتشار الفلسفة اليونانية والهندية ، وما أسفر عن ذلك من نشوء مذاهب وفرق دينية لادركنا أهمية ذلك التفاعل الحضاري •

الفصل الأول

توطيد وتثبيت أركان الحكم العباسي

اصطدم العباسيون في سبيل توطيد حكمهم بعقبات صلدة ، وكان لابد لهم من اجتيازها اذا أرادوا لدولتهم البقاء ، وعلى رأس تلك العقبات :

١ ـ الموقف العدائي المتبادل بين العباسيين وبني امية وانصارهم

لم يشعر العباسيون بالارتياح للامويين ، وأشياعهم ، وقد بادلهم الفريق الآخر المشاعر نفسها • فقد شعر الامويون ، وأهالي الشام بقيمة ما ضاع منهم • ورأى الاخيرون أن انتقال مركز الخلافة من أرضهم سيضر بهم سياسيا واقتصاديا • وقد أدرك العباسيون المصالح المشتركة بين الطرفين ، وما ولده من حب أهالي الشام للامويين ، واخلاصهم لهم • ومن أجل ذلك رسم محمد بن علي الطريق لانصاره بعدم الاعتماد على أهالي الشام ، معبرا عن ذلك بعبارة صريحة اذ قال : اما أهل الشام فليس يعرفون الا آل ابي سفيان وطاعة بني مروان عداوة لنا راسخة وجهلا متراكمـــا [١] •

وتتضح نظرة العباسيين الى أهل الشام منذ اليوم الاول لاعلان الخلافــة

(١) ـ ابن قتيبة الدينوري : عيون الاخبار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣ ، جزء ١ ، ص ٢٠٤ •
ـ الربعي : فضائل الشام ودمشق ، تحقيق المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٠ ، ص ١١ •

العباسية ، كما اتضحت قبل الاعلان • فقد خصص الخليفة ابو العباس فقرة خاصة من خطابه ذكر بها أهل الشام ومواقفهم من العباسيين ، وانهم ينظرون الى الاخيرين نظرة خاطئة حين يرون أن غيرهم أحق بالرياسة والخلافة منهم ، بينما حقيقة الامر أن العباسيين أحق بها ، حيث ان الله بهم هدى الناس بعد ضلالتهم ، وبصرهم بعد جهالتهم ، وأنقذهم بعد هلكتهم[٢] • وبناء على ذلك اعتبر أهالي الشام حلفاء مخلصين للامويين • واتخذ القرار بتحطيم انفتهم ، وضرب القبائل القيسية حليفة مروان بن محمد ، والاستناد الى مساعدة القبائل اليمنية • حسب الظروف والاحوال[٣] •

سياسة العباسيين تجاه الامويين :

وخوفا من الامويين وأخذا بالثأر ، استخدم عبد الله بن علي أعنف الوسائل ، فقد انتقم لكل من قتل على يد الامويين • فأخذ الثأر من احيائهم بالقتل ، ومن أمواتهم بنبش القبور وصلب الجثث واحراقها ، وتعقب آثارهم ، بل قتل حتى الذين استأمنوا اليه • ووقع القصاص من أهل الشام باعتبارهم أنصار بني أمية[٤] • وقد حدث هذا على الرغم من أن ابا العباس حين حضر الى الشام بعد مقتل مروان بن محمد خطب في أهلها مطمئنا لهم موصحا بأنه عفا عنهم ، واغتفر لهم زلتهم[٥] •

وعندما قدم عبد الله بن علي الى فلسطين • بعث الى بني أمية وأظهر لهم أن أمير المؤمنين أوصاه بهم خيرا • وأمره أن يلحقهم في ديوانه وأن يرد عليهم أموالهم• فقدم عليه من أكابر بني أمية وخيارهم ثلاثة وثمانون رجلا ، وأخذوا يسلمون عليه

---

(٢) ــ ابن الساعي البغدادي : مختصر اخبار الخلفاء ، الطبعة الاولى ، المطبعة الاميرية ببولاق ١٣٠٩ ، ص ٦ •

(٣) ــ الازدي : المصدر السابق ، ص ١٣٥ ــ صلاح الدين المنجد : مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين ، طبعة دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٦٧ ، الطبعة الاولى ، ص ١٩ •

(٤) ــ المقريزي : النزاع والتخاصم ، ص ٧٠ ــ كرد علي : الادارة الاسلامية في عز العرب ،مطبعة مصر ١٩٣٤ ، ص ١٢٢ •

(٥) ــ انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، مطبعة الوقائع المصرية ، طبعة سنة ١٢٩٣ هـ ، الجزء ٢ ، ص ١٧٦ اذ يذكر خطبة ابي العباس كاملة •

معتذرين[٦] ولم يتخلف منهم الا عبد الرحمن بن معاوية[٧] • وأعد لهم عبد الله مجلسا فيه اضعافهم من الرجال ومعهم السيوف والعمد • ولما أخذوا مجالسهم ، نهض عبد الله فذكر لهم فضل الحسين عليه السلام وأهل بيته ، ثم أمر جنوده بضرب الامويين بالعمد والسيوف حتى أتوا عليهم[٨] . وقد أراد عبد الله ان يكون عمله هذا عبرة للجميع ، حيث أوضح بخطبة القاها بعد تنكيله ببني أمية ،أن القتل هو العلاج الوحيد للمعصية[٩] •

وبعد أن قضى عبد الله بن علي على أغلب الامويين ، ومن يشك في أمره من أهل الشام رأى أن يستولي على اموالهم، مهما كانت الوسيلة التي يستخدمها لتحقيق ذلك • حتى أصبحت، معظم أموال الامويين وممتلكاتهم تحت أمرته • فقد احتوى عبد الله على معسكر مروان بما فيه من سلاح كثير وأموال • وكذلك استولت جيوش العباسيين على الاموال التي وضعها مروان في معركة الزاب ليحمس بها جنوده على القتال [١٠] واستعفى عبد الله ، عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك من المجزرة التي قام بها في الشام • لانه كان يطمح فيما عنده من أموال[١١] وحين طلبها منه أباها عليه • واختفى منه ، ولكنه تمكن من معرفة مكانه بعد ان لجأ الى تهديد عدد من أقاربه •ولما قبض عليه أمر بقتله • ثم استصفى ماله ، وحين بلغ الخبر للخليفة أبي العباس وكان يعرف عبد الواحد قبل ذلك ، ويرى أنه أفضل قرشي في زمانه عبادة وفضلا ، غضب وكتب الى عمه ألا يقتل أحدا من بني أمية حتى يعلم به • وكان ذلك بداية نقمة ابي العباس على عمه[١٢] .

---

(٦) — ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٤٦ — المقريزي : النزاع والتخاصم ، ص ٧٠

(٧) — ابن قتيبة : المعارف ، ص ١٦٣

(٨) — الازدي : المصدر السابق ، ص ١٣٩ — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣٣ — ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٣٢ •

(٩) — انظر ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ١٧٦ — ١٧٧ •

(١٠) — محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ ، دار المعارف بمصر ، ص ٤٠٢ •

(١١) — ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٣٣ •

(١٢) — ابن قتيبة : الامامة والسياسة ، جزء ٢ ، ص ١٣٣ •

ومن أهم غنائم الحرب التي أستولى عليها العباسيون ضياع آل مروان . فمن ذلك استيلاؤهم على بالس وقراها التي كانت لورثة مسلمة بن عبد الملك ، واقطعت الى سليمان بن علي[13] . وكذلك استولوا على رصافة هشام ، الى جانب ضياع اخرى واسعة ، وسميت هذه الضياع ضياع الخلافة[14] . واستولى العباسيون فيما استولوا عليه على دار الصباغين في الرملة وسلمت الى صالح بن علي ، والى ورثته من بعده[15] .

وقد حاول عبد الله ان يتزوج من عبده بنت عبيد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان زوجة هشام بن عبد الملك . ليضم أموالها الى أمواله [16] ولكنها أبت ذلك فكانت نهايتها القتل .

ولم يقف العباسيون عند القضاء على الامويين ومن حالفهم ، ومن عمل معهم بل بلغ بهم الامر الى محو اسماء الامويين المنقوشة على المباني ، ومن أمثلة ذلك ما حصل في المسجد الاقصى .فقد أصاب البناء شيء من الخراب في عهد الخليفة العباسي المأمون . ولما زار الخليفة بيت المقدس سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م [17] أمر بترميمه . ولما انتهى العمال من الترميم استبدلوا اسم الخليفة الاموي عبد الملك بن مروان باسم المأمون . ولكنهم غفلوا عن تغيير السنة التي حدثت فيها العمارة . اذ يوجد فوق الاعمدة التي يقوم عليها سقف المسجد حول الصخرة من الناحية

---

(١٣) ـ البلاذري : فتوح البلدان ، طبعة بريل ، ص ١٥١ .

(١٤) ـ محمد ضياء الدين الريس : المرجع السابق ، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ .

(١٥) ـ المجلة التاريخية للجمعية العراقية للتاريخ والاثار ، العدد ٣ ، ١٩٧٤ ، مقال عن تراث العرب العمراني في فلسطين في ظل الحكم الاسلامي للدكتور عواد مجيد الاعظمي ، ص ٢٣٨ .

(١٦) ـ كان عندها الكثير من الجواهر النادرة مثل الدرة اليتيمة وقرطان ثمينان ، وبدنة لم ير في الاسلام مثلها ومثل الحب الذي كان فيها : انظر مجلة المجمع العربي بدمشق الجزء ١/٢ ، ص ٥٥٦ مقال صلاح الدين المنجد عن جواهر الخلفاء العباسيين ، وكذلك بين الخلفاء والخلعاء للمنجد ، طبعة دار الحياة سنة ١٩٥٧ ، ص ٥٢ ـ المقريزي : النزاع والتخاصم ، ص ٧٠ .

(١٧) ـ تذكر المصادر العربية قيام المأمون بعدة زيارات الى بلاد الشام منها الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٢٤ .

الجنوبية خط ضيق مصنوع من البلاط الأزرق • نقشت عليه بالاحرف الكوفيــة المذهبة الكلمات الاتية .

(بنى هذه القبة عبد الله الامام المأمون أمير المؤمنين في سنة اثنين وسبعين ، تقبل الله منه ورضى عنه آمين)[١٨] • ويظهر من التاريخ المذكور أن الذي قام ببناء القبة هو عبد الللك بن مروان ، ولم يفطن الصانع الذي غير الاسم الى تغيير التاريخ ، ثم انه وجد المكان ضيقا بحيث لا يتسع لاسم الخليفة المأمون وألقابه ، فاضطر الى كتابة ذلك بطريقة تخالف تلك التي كتبت بها الكلمات الأخرى • أي أن الحروف التي كتب بها اسم المأمون جاءت مزدحمة متراصة يختلف شكلها عن الحروف التي سبقتها . ثم ان لون الفسيفساء الذي جرى به التحريــف أشد ســمرة من لون الفسيفساء القديمة[١٩] • ويقال انه سبق أن حدثت زلازل عديدة قبل ذلك اثرت في بناء المسجد الاقصى ، وخاصة أيام الخليفة أبي جعفر المنصور ، فأمر بقلع الصفائح الذهبية والفضية التي كانت على أبواب المسجد الاقصى ، وضربت دنانير ودراهم أنفقــت في بنائه[٢٠] •

سياسة العباسيين تجاه القبائل العربية والمدن الشامية :

نقم أهل الشام على العباسيين بسبب حرمانهم من المكاسب التي كانت لهم في عهد الخلافة الاموية ، ولنا في ما قاله ابن جعونه[٢١] للخليفة المنصور دليل على ذلك

---

(١٨) ـ عارف العارف : الحرم المقدسي ، مطبعة دار الايتام الاسلامية الصناعية بالقدس ١٩٤٧ ، ص ١٦
زكي محمد حسن : فنون الاسلام الطبعة الاولى ١٩٤٨ ، ص ٣٩

(١٩) ـ عارف العارف : المرجع السبق ، ص ١٦
زكي محمد حسن : المرجع السابق ، ص ٣٩

(٢٠) ـ عارف العارف : المرجع السابق ، ص ٤٣ ـ ٤٤

(٢١) ـ هو منصور بن جعونة بن الحارث العامري القيسي . كان تولى بناء الحصن الذي سمي باسمه . وكان مقيما به ايام مروان بن محمد ليرد العدو ، ومعه جند كثيف من اهل الشام والجزيـرة وارمينيه . وحين امتنع اهالي الرها على العباسيين في بداية خلافتهم كان ابن جعونه على رأسهم فحصرهم ابو جعفر المنصور وهو عامل لأخيه السفاح على الجزيرة وارمينية ، فلما فتحها هرب ابن جعونة ، ولكن المنصور تمكن من القبض عليه ، وقتل بالرقة سنة ١٤١ هـ .
انظر اليعقوبي : تاريخه ، ج ٣ ص ١٠٦ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، طبعة لايبزغ ١٨٦٧ ، ج ٣ ، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

اذ خاطبه قائلا له : (ان الله أعدل من ان يجمعك علينا والطاعون في وقت واحد) [٢]•

وقد استمر أهالي الشام في كرههم للعباسيين والعلويين ، وحبهم للامويين مدة طويلة ، وعبروا عن مشاعرهم وتقديرهم للامويين باساليب كثيرة[٢٣]• وقد اضطر العباسيون نتيجة لذلك الى معاملة اهالي الشام بقسوة ، فأدى ذلك الى نشوب ثورات عمت مناطق الشام في دمشق وحمص وقنسرين وفلسطين ، وهناك أسباب قوية متعددة لوقوف أهالي الشام هذا الموقف الصلب من العباسيين • ومنها :

ـ ابتعاد مركز الخلافة عن دمشق ، وبالتالي فقد أهالي الشام المكاسب التي جنوها في أثناء حكم الامويين حين كانت دمشق عاصمة الخلافة •

ـ خوف العباسيين من أهالي الشام لادراكهم أنهم أنصار الأمويين • وما نتج عن ذلك من مراقبتهم والتضييق عليهم •

ـ كثرة تبديل الولاة وما نتج عنه من اضطراب سياسي وتأخر حضاري .

ـ اثارة العباسيين للعصبية القبلية عن طريق تقريبهم لليمنية دون القيسية في بداية الامر ، وتبع ذلك فيما بعد اهمال لشأن العرب تدريجيا• فمنذ عهد المأمون بدأ اعتماد العباسيين على الفرس واهمال العرب وجاء عصر المعتصم فاسقط العرب من ديوان العطاء •

لم تكن سياسة الانحياز الى فرع قبلي واحد في صالح العباسيين ، خاصة وأنهم رأوا نتائج ذلك في الخلافة التي سبقتهم • ولكن مابدا ظاهرا للجميع ان ولاة العباسيين على بلاد الشام لم يقدروا هذا الامر حق قدره • بل انهم في كثير من الاحيان عملوا على اشعال

---

(٢٢) ـ عبد القادر بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، طبعة دمشق ١٣٣١ ، مجلد ٣ ، ص ٣٩٢.

(٢٣) ـ انظر كمثال على ذلك ماذكره كل من أحمد امين : ظهر الاسلام ، طبعة مصر ١٩٤٥ ، ج ١ ، ص ٧٧ ـ آدم ميتز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، الطبعة الثالثة ١٩٥٧ ، جزء ١ ، ص ١٠٣ .

نار العصبية القبلية بسوء سياستهم • واخذ ولاة الشام في عصر خلفاء العباسيين الاول يناصرون القبائل اليمنية في الشام ، كلما نشب نزاع بين الفرعين القبليين ، دون تمحيص في الامر او اهتمام باحقاق الحق ، وانصاف المظلوم ، وتهدئة النزاع • اللهم باستثناء الوالي ابراهيم بن محمد المهدي [٢٤] المعروف بابن شكلة الهاشمي أخي الرشيد • فقد عمل جاهدا على مساعدة الطرفين واحضارهما اليه ومعاملتهما حسب قانون ارضاهم • فقد امر ابراهيم بن المهدي حاجبه باحضار رؤساء الفرعين القبليين وامر بتسمية اشرافهم • وان يقدم من كل حي الافضل فالافضل ، فامر ان يكون أول الناس من الجانب الايمن مضريا وعن شماله يمنيا ومن دون اليمني مضرى ومن دون المضرى يمني • واوضح لهم بانه لكي يتم العدل بين الطرفين ، ينبغي ان يتناوب الطرفان امكنتهم يوميا . فيكون مجلس رئيس المضرية في اليوم التالي في الجانب الايسر ورئيس اليمنية في الجانب الايمن [٢٥] • وهكذا استطاع ارضاء الفرعين القبليين • ولم يستطع أغلبية ولاة الشام العباسيين من اتباع سياسة المساواة والتوفيق بين القبائل على الرغم من أن بعضهم حاول أن يعمل على الحد من الخلافات • فقد أوضح أحد ولاة العباسيين لرؤساء الفرعين القبليين على أنه لن يقدم فريقا على آخر الا على الطاعة لله عز وجل وللخلفاء ، وفيما عدا ذلك فالكل اخوه [٢٦] • ولم تكن هذه التصرفات الشخصية من قبل بعض الولاة لتحول دون وقوع منازعات بين القبائل كانت متكررة •

كانت الثورات القبلية بالفترة الاولى من حكم العباسيين في أغلبها قيسية • ويبدو أنه منذ مطلع القرن الثالث الهجري بدأت ثورات القيسية في الانحسار وبدأت تظهر للعيان ثورات كان يقوم بها العرب اليمنية من أهالي حمص على عمالهم • وقد يكون لكل ثورة من هذه الثورات اسباب قريبة أدت اليها ، الا انه لابد من وجود

([illegible]) [illegible] الشام سنة ١٨٧ هـ انظر الصفدي ، امراء دمشق في الاسلام تحقيق المنجد طبعة دمشق [illegible] - ملحق ٢ ، ص ٢٠٣ .

(٢٥) [illegible] : الادارة الاسلامية ص ١٣٩ ، وخطط الشام ، جزء ٢ ، ص ١٨٩ - ١٩٠ وقد وردت [illegible] عن معاوية بن أبي سفيان .

(٢٦) [illegible] : الادارة الاسلامية ، ص ١٤٠ .

سبب عام شامل قد جمعها كلها • وهو انحياز ولاة العباسيين على مايبدو الى القيسية وسوء معاملة القبائل اليمنية على عكس ماكان الحال أوائل قيام الخلافة العباسية • وهكذا فان خلفاء بني العباس على الرغم من أنهم كانوا يدركون بأن النزاعات القبلية كان لها دور كبير في نهاية الخلافة الاموية فانهم لم يأخذوا عبرة من ذلك . ويبدو ان ذلك كان خطة أراد العباسيون تطبيقها ، لضرب القبائل الشامية واضعافها • فيضعف بذلك أهل الشام الذين كانوا اعداء تقليديين للعباسيين •

كانت هذه سياسة العباسيين مع القبائل الشامية بشكل عام • يضاف اليها سياسة كانت اكثر قوة ، وأعمق تأثيرا وهي العمل على اهمال شأن العرب بصورة عامة من قيسيين ويمنيين تدريجيا ، واخراجهم من الدواوين • وقد كان يبدو للعيان استياء العرب بصورة عامة من هذه السياسة • فأخذوا يتساءلون أمام الخلفاء عن سبب هذا الاهمال كلما سنحت لهم الفرصة • وقد سأل أحد رجال الشام الخليفة المأمون عن سبب ذلك فأجابه قائلا : اكثرت علي يا أخا أهل الشام • والله ما أنزلت قيسا من ظهور الخيل الاوانا أرى انه لم يبق في بيت مالي درهم واحد • وأما اليمن فوالله ما أحببتها وما أحبتني قط • وأما قضاعة فسادتها تنتظر السفياني وخروجه فتكون من أشياعه وأما ربيعة فساخطه على الله منذ أن بعث نبيه من مضر ولم يخرج اثنان الا وخرج احدهما شاريا • اغرب فعل الله بك(٢٧) •

وقد توج غضب العرب على سياسة العباسيين هذه بثورة نصر بن شبث العقيلي(٢٨) الذي صرح موضحا سبب ثورته بأنه ليس له هوى في غير العباسيين ، وانه انما قاتلهم محاماة عن العرب لانهم يقدمون عليهم العجم (٢٩) •

---

(٢٧) ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٢٢٧ ــ ٢٢٨ ــ كرد علي : خطط الشام ج ١ ، ص ١٨٩ ــ امينة بيطار : موقف القبائل العربية في الشام من الدولة الفاطمية ٥ ص ١١٨ ــ ١١٩ .

(٢٨) ــ انظر بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، مخطوطة مصورة بجامعة القاهرة رقم ٥٤٠٢٦ ، ٥٤٠٢٧ ، ج ٦ ، ورقة ٢٧٣ .

ــ العيني : عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨ ، تاريخ و ٥٥٩ معارف عامة ، ج ١٩ ، مجلد ٣ ، ورقة ٤٦٥ .

(٢٩) ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٧٦ ــ محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٧ ، ص ١٩ ــ خاشع المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل من سنة ٣٨٠ ـ ٤٨٩ هـ مطبعة شفيق بغداد سنة ١٩٦٨ ، ص ٤١ .

ثورة نصر بن شبث العقيلي :

نشبت ثورة نصر بن شبث العقيلي في سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م (٣٠)•وقد عبر نصر تعبيرا صادقا عن أسباب ثورته التي أعلنها لنفر من الشـــيعة حينما ســألوه ان يدعم مركزه بالبيعة لخليفة فاجابهم بقوله انه لايكره بني العباس ولم يكن قتاله لهم الا لانحرافهم عن العرب ولاعتمادهم على الاعاجم(٣١) •

ونتج عن شعور نصر باهمال العباسيين للعرب وتفضيلهم للموالي • حبــه للخليفة الأمين (٣٢) وكرهه للمأمون ، لان أم الامين عربية فتطوع في الجيش الشامي الذي شكله عبد الملك بن صالح لنجدة الامين • واشتد غضب نصر لمقتل الامين فاخذ بمناهضة المأمون ، فاستولى على الجزيرة(٣٣) وعلى ماجاوره من البلاد •

استغل نصر الظروف التي تمر بها بلاد الشام اثر القتال بين الامين والمأمون •فقد تمزقت وحدة بلاد الشام في تلك الفترة ، وسيطر كل رجل في نفسه القدرة على منطقة من المناطق ، أو مدينة من المدن ، فقد سيطر احمد بن عمر بن الخطاب الربعي على نصيبين وما والاها • وموسى بن المبارك اليشكري على ميافارقين • وعبد الملك بن الجحاف السلمي ومحمد بن عتاب على ارمينية ، وحبيب بن الجهم على رأس عين وكفر توثا (٣٤) ، وعثمان بن تمامه العبسي على قورس (٣٥) وما والاها من كـــور قنسرين • وكان كل من منيع التنوخي ويعقوب بن صالح الهاشمي يقتتلان للسيطرة

(٣٠) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٧١ ـ كرد علي : خطط الشام ج ١ ، ص ١٨٦ـ١٨٧

(٣١) ـ خاشع المعاضيدي : المرجع السابق ، ص ٤١ •

(٣٢) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٢٢ وجه

(٣٣) ـ العيون والحدائق ، ص ٣٦٢ ـ ٣٦٣

(٣٤) ـ انظر ابن خرد اذبه : المسالك والممالك ، طبعة ليدن ١٨٨٩ ، ص ٩٥ •

ـ الإصطخرى : صور الاقاليم ، طبعة ليدن ١٩٦٧ ، ص ٧٤ •

(٣٥) ـ انظر ابن رسته : الاعلاق النفسية ، ليدن ، مجلد ٧ ، ص ١٠٧ ـ ابن حوقل : صورة الارض ، ليدن ، ص ١٨٧ •

على حاضر حلب • وكان الحوارى التنوخي بمعرة النعمان وتل منس[٣٦] ومالاها ، وحران البهراني بحماه وما والاها وبنو بسطام بشيزر وما والاها ، وبنو السمط بمدينة حمص ، وثابت بن نصر الخزاعي بالمصيصة واذنه وما والاها من الثغور الشامية واقام بدمشق والاردن وفلسطين جماعة من سائر القبائل • وكان أصعب هؤلاء شوكة واشدهم امتناعا نصر بن شبث ، وكان يسيطر على كيسوم [٣٧] وما والاها من ديار مضر [٣٨] •

انضم الى نصر في ثورته عدد كبير من القبائل في مناطق الشام الشمالية ، كما انضم اليه قائد من قواد الجند يقال له عمر [٣٩] • وقد تمكن من اثارة الذعر على ضفتي الفرات لمدة ثلاثة عشر عاما • وقد اقضت هذه الثورة مضاجع الخليفة المأمون ، فعين في سنة ١٩٨ هـ / ٨١٣ م طاهر بن الحسين على بلاد الشام وكلفه بقتال نصر • حاصر طاهر نصرا بكيسوم ، ففشل في اجباره على الرضوخ • ثم قاتله نصر بجرأة نادرة ، وأثخن في أصحابه ، كما هزمه في الرقة ، وبقي القتال بينهما حتى ورد المأمون الى بغداد واستدعى طاهرا اليه [٤٠] •

---

(٣٦) ــ تل منس حصن قرب معرة النعمان بالشام . وهو من اعمال جند حمص انظر البغدادي : مراصد الاطلاع ، ص ٢٧٣ ــ اليعقوبي : البلدان ، مع كتاب الاعلاق النفسية لابن رسته طبعة ليدن ١٨٩١ ، ص ٣٢٣ ــ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مجلد ١ ، ص ٨٧١ .

(٣٧) ــ كيسوم : حصن على الطريق من الرقة الى الثغور الجزرية ، انظر ابن خرداذبه : المسالك والممالك ، ص ٩٧ .

(٣٨) ــ اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٧٣ ــ ١٧٤ . وانظر كذلك المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٢٢ وجه

ــ فازيليف : العرب والروم ، ترجمة شعيره ، طبعة دار الفكر العربي ص ٨٧ لم استطع التعرف على الاسم الكامل لعمر هذا اذ لم تذكره المصادر العربية التي راجعتها . وقد تكون سميط هذه التي تحصن بها هي سميساط .

(٤٠) ــ ابن قتيبة الدينوري : المعارف ، ص ١٦٩ ــ ١٧١ .

ــ الطبري : المصدر السابق ، ج ٨ ، ص ٥٨١ .

ابن طيفور . تاريخ بغداد ، جزء ٦ ، ص ٣٤ ــ ٣٥ ــ ابن الساعي البغدادي : المصدر السابق ، ص ٣٨

تولى ولاة المنطقة قتال نصر ففشلوا ،وانهزموا أمام قوته وجرأته فنهض المأمون لاختيار قائد كفء ، فوقع اختياره على عبد الله بن طاهر • فاعطاه ولاية المنطقة الممتدة من الرقة الى مصر منذ سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م ، وكلفه بقتال نصر بن شبث • وقد اوصى طاهر بن الحسين ابنه عبد الله بهذه المناسبة وصية مشهورة أوضح فيها الطريق الذي يجب عليه أن يسير فيه • وحسن معاملة الناس وقدم له خبرته في الحروب ، وباختصار فان هذه الوصية جمعت محاسن الاداب والسياسة ومكارم الاخلاق • اذ لم يترك طاهر شيئا من أمر الدين والدنيا ، والتدبير والرأي والسياسة واصلاح الملك والرعية ، وحفظ البيعة وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد احكمه وأوصى به [٤١] •

اقام عبد الله على محاربة نصر خمس سنوات جرت خلالها معارك كثيرة ، ولم يستطع خلالها ان يحقق نصرا حاسما على العقيلي ، وقد جرى في هذه المدة مفاوضات لطلب الصلح فشلت بسبب كبر في رأس نصر لم يقبل به الخليفة • فقد اشترط نصر ان لايطأ بساط المأمون ، فرفض المأمون ذلك وكانت حجته انه اذا كان نصر خجلا مما كان منه ، فانه لم يكن أكبر جرما ممن سبقه في عداء المأمون من أمثال الفضل بن الربيع وعيسى بن أبي خالد ، ومع ذلك فانهم وطأوا بساطه [٤٧] •

قضى تشدد كل من الطرفين في مطالبه على كل فرصة للصلح • ويعود تشدد نصر في موقفه الى أنه كان يرى نفسه أقوى من المأمون لان ثورته ثورة عربية • وأن دعم العرب له يجعله في موقف قوة ، ويحتقر جيوش المأمون لانها لم تستطع ان تقضي على ثورة الزط ، يتضح ذلك مما صرح به بلهجة عامية بعد رفضه لشروط

---

(٤١) ـ هذه الوصية موجودة بنصها الكامل في الطبري : المصدر السابق ، ج ٨ ، من ص ٥٨٢ ـ ٥٩١ ابن طيفور : المصدر السابق ، جزء٦ من ص ٣٦ ـ ٥٣ ـ الرفاعي : المرجع السابق ، مجلد ١ ، من ص ١٧ ـ ٢٥

(٤٢) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٩٨ ـ ٥٩٩ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٠٧ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، ج ٣ ، ص ٢٥٢ ـ ابن طيفور : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ •

المأمون قائلا « ويلي عليه » ـ يقصد المأمون ـ وهو لم يقو على اربعمائة ضفدع تحت جناحه • يقوى علي بجلبة العرب • ثم صاح بالخيل معلنا العودة الى القتال (٤٣) •

ضيق عبد الله بن طاهر على نصر • وحاصره في كيسوم حتى اضطره الى طلب الامان • وتبع نصر في ذلك سائر المتغلبين على النواحي من أهالي الجزيرة والشام • فجنحوا للسلم وطلبوا كتب الامان (٤٤) • وخرج نصر بن شبث الى عبد الله بن طاهر في الرقة حيث سيره الى بغداد ، فوصلها في صفر سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥ م ، ووكل به المأمون من يحفظه (٤٥) • وقام عبد الله بتخريب حصن كيسوم ، وهدم سور معرة النعمان ، كما هدم معظم الحصون الصغار مثل حصن الكفر وحصن حناك (٤٦) • وتمكن عبد الله بن طاهر من اعادة بلاد الشام الى حوزة الخلافة العباسية • وعلى هذا الشكل انتهت هذه الثورة العربية التي نهض بها عرب الشام للوقوف في وجه الخلافة العباسية بسبب ابعاد العنصر العربي عن مسرح السياسة والقيادة العسكرية •

يتضح من كل ماسبق دراسته أن العباسيين عملوا منذ عهد المأمون على اهمال شأن العرب تدريجيا ، وعلى الرغم من هذا الاهمال فانهم في تعاملهم مع العرب في الشام اخذوا في الفترة الاولى ينحازون الى قبائل اليمن حتى كان عهد المأمون الدي اعلن انه لم يحب العرب اليمنية ولم يحبه هؤلاء (٤٧) •

---

(٤٣) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٥ ، ص ٢٠٧ ـ ابن طيفور : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٤٢

(٤٤) ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٨٣ ـ ١٨٤ ـ نسخه كتاب الامان موجودة في ابن طيفور : تاريخ بغداد ، ج ٦ ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ •

(٤٥) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٩٩ ـ ابن طيفور : المصدر السابق ، ج ٦ ، ص ١٤٢
ـ حسن محمود واحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، الطبعة ١ ، دار الفكر العربي ١٩٦٦ ، ص ٢٣٢ •

(٤٦) ـ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٦٦ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٣٤٩ ـ بينشوف الجرماني : المرجع السابق ، ص ١٩ •

(٤٧) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٢٢٧ ـ ٢٢٨ •

وبدا واضحا منذ بداية القرن الثالث انحياز ولاة العباسيين الى العرب القيسية ، وقام هؤلاء الولاة في الشام بدور كبير في تحريض فرعي العرب بعضهم ضد البعض • مما نتج عنه اذكاء نار العصبية القبلية • وقد حاول خلفاء العباسيين تعديل هذه الاوضاع في بلاد الشام ، فقاموا بزيارتها مستغلين فرصة قيامهم بأداء فريضة الحج او بحملات ضد البيزنطيين • كما عمل المأمون على دراسة الاوضاع الاقتصادية ، فوضع كشفا لاراضيها على أمل زيادة الدخل الوارد منها [٤٨] •

وقد عمل بعض أهالي الشام على التقرب من العباسيين ، واعلان طاعتهم وولائهم لهم تخلصا من الفتنة ، ورغبة في العيش بطمأنينة • فقد وفد منهم الى الخليفة المنصور جماعة،فخاطبه رئيسهم قائلا:يا أمير المؤمنين : لسناوفد مباهاةولكن وفد توبة • ابتلينا بفتنة استفزت شريفنا ، واستخفت حليمنا ، فنحن بما قدمنا معترفون ، ومما فرط منا معتذرون ، فان تعاقبنا فبجرمنا ، وان تعف عنا فبفضلك علينا • فاصفح يا أمير المؤمنين اذ ملكت ، وامنن اذ قدرت ، وأحسن فطالما أحسنت • فقال المنصور : أنت خطيبهم ، وأمر برد قطائعه بالغوطة [٤٩] •

ب ـ ثورات اجناد الشام وموقف العباسيين منها :

ظن العباسيون ان الجو سيصفو لهم باتباع سياسة الشدة مع الامويين وأنصارهم ، ولكن ذلك قد أدى الى ردة فعل عكسية ، فقد نشبت الثورات في كل مكان من بلاد الشام في حوران والبثنية وفي قنسرين ودمشق وحمص وفلسطين ولبنان •

ثورة حوران والبثنية ، ثورة حبيب بن مرة المري :

كانت الثورة التي التهبت في حوران والبثنية ردا على سياسة الانحياز التي قام بها العباسيون عقب فتح الشام مباشرة ، فقد نهضت القبائل القيسية في المنطقة

---

(٤٨) ـ حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، جزء ٢ ، ص ١٦٥ ـ ١٦٦ •

(٤٩) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٩١ وجه

وثارت بزعامة حبيب بن مره المري الذي كان قائدا من قواد الخليفة الاموي مروان ابن محمد ، فخلعوا طاعة العباسيين ، وبايعوا رجلا من بني امية(٥٠) .

ولما بلغ عبد الله بن علي ذلك سار لقتالهم . وجرت بينهما معارك كثيرة لم تسفر عن نتائج حاسمة . واصطر عبد الله بن علي الى عقد صلح معهم لنشوب ثورة كبيرة في قنسرين . فدعا حبيب بن مرة وأمنه ، ومن معه ، وخرج متوجها الى قنسرين(٥١) .

ويبدو ان عبد الله بن علي لم يكن مرتاحا للصلح الذي عقده مع أهالي حوران والبثنية لانه عقده مضطرا . وخشي ان يعود هؤلاء للثورة بعد التجاء القبائل القيسية في دمشق اليهم ، اذ تذكر بعض المصادر أن عبد الله بن علي بعد أن نجح في مهمته الجديدة سار ثانية الى حوران والبثنية ، وقاتل حبيب بن مرة حتى هزمه(٥٢) .

ثورة قنسرين وحلب ابو الورد الكلابي(٥٣) والسفياني(٥٤)

كان ابو الورد ومن معه من جنود بني امية قد بايعوا العباسيين بعد ان تمكن

---

(٥٠) — اليعقوبي : تاريخه ، ج ٣ ، ص ٩٣ .

(٥١) — الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٣ — ٤٤٤ — ٤٤٦ — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣٤ .
— كرد علي : خطط الشام ، ج ١ ، ص ١٧٦ — ١٧٧ بينما يذكر اليعقوبي : تاريخه ، ج ٣ ، ص ٩٣ من ان عبد الله بن علي زحف اليه وقتله وفرق جمعه .

(٥٢) — الازدي : المصدر السابق ، ص ١٤٤ .

(٥٣) — هو ابو الورد مجزأة بن زفر بن الحارث الكلابي . وهو من قواد مروان واصحابه . انظر المقريزي: المصدر السابق ، ورقه ٨٠ ظهر
— ابن العديم : زبده الحلب ، جزء ١ ، ص ٥٤ — ٥٥ ابن الاثير : المصدر السابق ج ٤ ، ص ٣٣٤.
— الطباخ : اعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ، ٧ اجزاء ، طبعة حلب ١٩٢٥ ، الطبعة الاولى ، جزء ١ ، ص ١٣٣ .

(٥٤) — هو ابو محمد زياد بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن ابي سفيان .
انظر المقدسي : البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٧٣ — ابن العديم : بغية الطلب ، ج ٧ ، ورقة ٤٢، اما بيتشوف : المرجع السابق ، ص ١٥ فيذكر اسمه ابو محمد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية ابن ابي سفيان .

عبد الله بن علي من دحر مروان بن محمد ، ودخول قنسرين • ثم مالبث ان أعلن الثورة ونكس بيعة العباسيين ودعا اهالي قنسرين وحلب الى اتباعه[٥٥] • ويعزى ذلك الى ان اولاد مسلمة بن عبد الملك الذي كانوا مجاورين له في بالس والناعورة قد اضطروا الى ترك اراضيهم بضغط من العباسيين • وان احد قواد عبد الله بن علي يرافقه مائة وخمسون فارسا تقدموا الى الناعورة واستولوا على املاكهم • وقد التجأ هؤلاء الى ابي الورد وشكوا له حالهم فقرر انصافهم ، واحقاق الحق • يضاف الى ذلك أن ابا الورد لم يكن راضيا عن الاساليب الوحشية التي كان العباسيون يستخدمونها للحصول على الاموال والاراضي من اصحابها • فقرر ان ينتقم منهم[٥٦] • لم يكن أمام ابي الورد الا ان يزيد في عدد انصاره • وان يضفي على ثورته صفة الشرعية بالبيعة الى رجل يرضى عنه معظم اهالي الشام • ولذلك فانه بايع لرجل أموي تلقب بالسفياني [٥٧] • كان له معسكر في سلمية يضم اربعين الف رجل •

دعا أبو الورد اهالي حمص وتدمر الى الثورة ، فقدم اليه الوف جعل على قيادتهم السفياني • وقام ابو الورد بتنظيم جيشه • فجعل السفياني على المقدمة وترك لنفسه تدبير الجيش • كان عبد الله بن علي في تلك الفترة مشغولا بقتال حبيب بن مرة المري • ولذلك وجه اخاه عبد الصمد في زهاء عشرة الاف فارس

---

(٥٥) ـ الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٣ ـ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٤ـ ٥٥ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٣٤ .

(٥٦) ـ الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٣ ـ ابن العديم : بغية الطلب ، ج ٧ ، ورقة ٤٣ .

(٥٧) ـ وضع الامويون بعد سقوط دولتهم ملحمة زعموا انهم يعرفون ما يحدث في المستقبل من ظهور امرهم ورجوع دولتهم ، وظهور السفياني في الوادي اليابس من ارض الشام في غسان وقضاعة ولخم وجذام ودخلت على هذه النغمة السفيانية افكار اخرى كمسير الامويين من بلاد الاندلس الى الشام وانهم اصحاب الخيل الشهب والرايات الصفر . وغرضهم من ذلك ان لا ينقطع الامل من رجوع دولتهم ، وكان ذلك سببا في فتك العباسيين بكل من توهموا فيه الرائحة السفيانية . ولم تنقطع هذه النغمة في الشام الا في نهاية القرن الثالث .
ـ انظر كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٧٧ .

فانهزموا في اللقاء الاول مع أبي الورد • عند ذلك لم يجد عبد الله بدا من السير بنفسه ، فصالح حبيب بن مرة وخرج متوجها الى قنسرين[٥٨] •

كان على عبد الله بن علي ان يقضي على هذه الثورة التي قامت في وجهه قبل ان تشتد ، كما كان عليه ـ قبل اندلاع ثورات اخرى في بلاد الشام كافة على غرار هذه الثورة ـ ان يثبت حكمه وان يقوي حامياته في المناطق التي يسير فيها في طريقه لقتال أبي الورد •

عسكر السفياني في جماعته بمرج الاخرم • حيث لاقوا قوات عبدالله بن علي ، وما لبث السفياني أن انهزم • وفر بمن كان معه متوجهين الى تدمر • بينما ثبت ابو الورد في نحو خمسمائة من أهل بيته حتى قتلوا جميعا وجرح ابو الورد ، حيث مات متأثرا بجراحه[٥٩] •

وبهذه الهزيمة تراجع اهالي حمص عن بيعة السفياني ، واقاموا في منطقتهم[٦٠] واكتفى عبد الله بن علي بذلك ، وانصرف عائدا الى دمشق ليؤدب الثائرين فيها بعد ان منح الامان لاهالي المناطق الثائرة في شمال الشام[٦١] • ومالبث السفياني ان عاد الى الثورة في حلب ، فارسل العباسيون جيشين لقتاله ، أحدهما ارسله أبو جعفر المنصور الذي كان يومئذ بالجزيرة وارمينية وأذربيجان [٦٢] بقيادة القائد مقاتل ابن حكيم العكي ، والآخر بقيادة عبد الله بن علي •

---

(٥٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٣ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٤ ص ٣٣٤ ـ ابو الفداء : تاريخه ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

(٥٩) ـ الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٤ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٣٥ ـ ابن العديم : زبدة الحلب ، ج ١ ، ص ٥٥

(٦٠) ـ الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٥ .

(٦١) ـ الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ، ص ٤٤٤ ـ ابن العديم : المصدر السابق ، ج ١ ، ص ٥٥ ـ بينشوف : المرجع السابق ، ص ١٥ .

(٦٢) ـ انظر اليعقوبي : تاريخه ، ج ٣ ، ص ٩٥ ـ ابو الفداء : تاريخه ، ج ١ ، ص ٢٢٥ .

سار الجيش الاول من الرقة ونزل منبج • واصطدم مع السفياني في معركة كبيرة تمكن على اثرها من هزيمته ، فاستباح عسكره ، وافتتح حلب عنوة ، ثم جمع الغنائم وسار بها الى ابي جعفر في حران • وحين وصل عبد الله بن علي وجد ان الامور قد استقرت ، فارتحل الى دابق حيث قضى الشتاء ، ثم نزل سميساط لحصار اسحق بن مسلم العقيلي(٦٣) •

ثورة الجزيرة ، اسحق بن مسلم العقيلي :

استغل اهالي الجزيرة فرصة خروج ابي الورد • وانتقاض اهالي قنسرين على العباسيين ، فاعلنوا عصيانهم وخلعوا الخليفة ابي العباس ، وسار الثائرون برئاسة اسحق بن مسلم الى حران لحصار موسى بن كعب والي العباسيين • وقد دام هذا الحصار نحوا من شهرين •

ارسل الخليفة ابو العباس جيشا بقيادة اخيه أبي جعفر لقتال هذا الثائر • وانضم الى هذا الجيش عناصر ممن كانوا يحاصرون ابن هبيرة في واسط • ولكن هذا الجيش اضطر ان يقاتل بالرها مرات عديدة قبل ان يسير الى حران (٦٤) ، وكتب ابو العباس ايضا الى عبد الله بن علي بالسير بجنوده للغرض نفسه •

ولما علم اسحق بن مسلم بمسير الجيوش اليه • ارتد الى سميساط فالقى الحصار عليها سبعة اشهر ، ولم يكن اسحق بن مسلم ليوافق على انهاء الثورة والاستسلام وطلب الامان الا اذا تيقن من أن مروان بن محمد قد قتل • لانه كان

---

(٦٣) ـ بيتشوف : المرجع السابق ، ص ١٥ ـ ١٦ بينما يذكر المقدسي : المصدر السابق ، ج ٦ ص ٧٣ ـ ٧٤ ـ ان جيش عبد الله بن علي حاربه مع جيش المنصور وهزماه ، وفرقا جموعه كل ممزق وقتلا منهم ما لا يحصى •

(٦٤) ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٠٦ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٣ ، ص ٢٧٨ ـ ٢٧٩ •

يرى أن في عنقه بيعة للاخير [٦٥] ، ولما تحقق من الامر طلب الامان من أبي جعفر ، فاجيب الى ذلك[٦٦] .

ومالبثت الثورة ان عادت الى الاشتعال ثانية في المنطقة نفسها بقيادة ابان بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الذي شكل جيشا مؤلفا من نخبة من كانوا مع اسحق ابن مسلم . فسير اليه عبد الله بن علي جيشا بقيادة حميد بن قحطبه فهزمه والجأه الى سميساط . ثم تبعه عبد الله بن علي ونازل المدينة حتى فتحها عنوة ودخلها . الا ان الخليفة ابا العباس مالبث ان دعاه الى ترك القتال ، ورفع السيف عن الناس وذلك في ١٠ رمضان سنة ١٣٣ هـ / ١٧ نيسان ٧٥١ م [٦٧] .

ثورات دمشق :

عاد عبد الله مسرعا الى دمشق ليؤدب الثائرين فيها . اذ كانوا قد استغلوا مشاغله في القضاء على ثورات حبيب بن مرة ، وابي الورد . واسحق بن مسلم وثاروا في وجه واليه ابي غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي ، ونكسوا بالبيعة للعباسيين[٦٨] .

هاجم ثوار دمشق في سنة ١٣٣ هـ/٧٥٠ م[٦٩] الوالي العباسي ابا غانم ، ومن معه فهزموه وقتلوا من اصحابه مقتلة عظيمة ، وعادوا ليأخذوا الاموال والمتاع التي كان عبد الله بن علي قد استولى عليها ، دون ان يتعرضوا لاهله باذى .

---

(٦٥) ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٩١ ـ الطبري : المصدر السابق ، ج ٧ ص ٤٤٦ ـ ٤٤٧
المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٧٧ وجه ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣٥.

(٦٦) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٤٧ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، ج ٤ ، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .

(٦٧) ـ ابن العديم : زبدة الحلب ، جزء ١ ، ص ٥٦ ـ ٥٧ ـ بيتشوف : المرجع السابق ، ص ٦ .

(٦٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٤٤ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .

اقترب عبد الله بن علي من دمشق فخرج اهاليها لقتاله في جيش يتألف من ثمانين الفا ، واراد عبد الله ان يغير من سياسة الشدة التي استعملها مع أهالي الشام منذ قيامه بفتحها • وأن يعمل بنصيحة الخليفة بعد ان اثبتت سياسة الشدة فشلها ، وارتأى ان يستفيد من العصبية القبلية لتفريق الجنود الذين خرجوا لقتاله• فخاطب رؤساء القبائل اليمنية وذكرهم بالدور الفعال الذي قاموا به في نشر الدعوة العباسية وبالمساعدات التي قدموها اليه اثناء دخوله مدينة دمشق . والتي كانت سببا في سهولة فتح المدينة ، وأدت هذه السياسة ثمارها • فقد ترك العرب اليمنية القتال،كما لحقت بهم ربيعة،وما أن رأى عرب مضر ذلك حتى خافوا على انفسهم ، فتركوا القتال ورحلوا عن دمشق بذراريهم واموالهم ، وانضموا الى حبيب بن مرة ، وانفسح بذلك المجال امام عبد الله فدخل دمشق ، واقام بها خمسة عشر يوما ، ثم توجه للفصاء على حبيب بن مرة ومن انضم اليه[٧٠] •

ويمكن ان نعزي أسباب الثورات التي نشبت في دمشق الى سوء الاحوال الاقتصادية والعمرانية الى جانب سياسة القسوة والشدة التي كان يستعملها الولاة مع الاهالي ، فمن المعروف ان مدينة دمشق لم تحظ باية رعاية أو اهتمام من جانب العباسيين ، وكانت تسير عمرانيا واقتصاديا الى الاسوأ ، حتى ان دمشق اصبحت جرداء مقفرة ، ويبدو ذلك واضحا حين نعلم ان الخليفة هارون الرشيد عزل واليه الحسين بن عمار عنها حين تنبه الى ذلك وخاطبه مؤدبا له موضحا اسباب عزله فقال:

« وليتك دمشق وهي جنة تحيط بها غدر تتكفأ امواجها على رياض كالدراري [٧١] ، فما برح بك التعدي لارفاقهم ان جعلتها اجرد من الصخر واوحش من القفر ، قال والله يا أمير المؤمنين ما قصدت غير التوفيق من جهته • ولكني رأيت

---

(٦٩) ـ الازدي : المصدر السابق ، ص ١٣٥ و ص ١٤٤ .

(٧٠) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٤٥

(٧١) ـ ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن ١٩٦٧ ص ١٠٤ ـ ويذكر كرد علي : في كتابه الادارة الاسلامية ، ص ١٤٤ ذلك ولكن مع بعض التغيير ومنها قوله (.. تتكفأ امواجها على رياض كالزرابي واردة منها كفايا المؤن الى بيوت اموالي ..) .

أقواما تقل الحق على اعناقهم ، فتفرقوا في ميادين التعدي ورأوا المراغمـــة بترك العمارة اوفع باضرار السلطان ، وارادوا بذلك المشقة على الولاة ، وان سخط أمير المؤمنين قد اخذ بالحظ الاوفر من مساءتي » [٧٢] •

ويبدو ان الضعف الذي عم مدينة دمشق قد جعل سكانها يركنون الى الهدوء فترة من الزمن ، الا ماكان من اشتراك بعضهم في الثورا تالتي كانت تنشب بين القبائل ، حتى كانت سنة ١٩٥ هـ/ ٨١٠ م حيث نشبت ثورة سفيانية كبيرة وهي الثورة التي سميت بثورة ابي العميطر[٧٣] • وكانت هذه الثورة اوسع انتشارا من كل الثورات السفيانية التي سبقتها • فعلى الرغم من انها قد اندلعت في دمشق الا أن آثارها امتدت الى مناطق القيسية في حوران • ومناطق بني نمير في شمال الشام • وادت الى انتشار الفوضى في طول البلاد وعرضها . حتى فكر العباسيون في نقل الأموال من مصر الى بغداد عن طريق الحجاز ، بعد ان كانت تنقل عـــن طريق الشام[٧٤] •

دعا هذا الثائر بالخلافة لنفسه وبايعه عدد كبير من الناس • وتغلب علـــى سليمان بن منصور عامل العباسيين وتمكن احد انصاره من الاستيلاء على صيدا وضمها له • وبذلك اصبحت المنطقة التي تحت امرته تشمل اواسط بلاد الشام[٧٥]

لقد نجحت ثورة السفياني في الفترة الاولى من عهدها بضم عدد كبير اليها

---

(٧٢) ـ ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ١٠٤ •

(٧٣) ـ يسمى علي بن عبدالله بن يزيد ابن معاوية وكانت امه تنتسب الى علي بن ابي طالب وتسمى نفيسة بنت عبيد الله بن العباس بن علي بن ابي طالب . وكان يستغل انتسابه عـن طريق ابيه الى معاوية بن ابي سفيان وعن طريق امه الى علي بن ابي طالب فيقول أنا ابـن شيخي صفين . انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٢٣٤ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ج ٣ ، ص ٢٣٤ •

(٧٤) ـ الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٤٦ ـ ١٤٧ •

(٧٥) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ •

لان السفياني كان يعرف بين الناس بانه من العلماء المشهورين ، وبحسن السيرة ومالبث الناس ان انفضوا من حوله حين رأوا فيه عكس ذلك[٧٦] .

اراد السفياني ان يدعم جيشه بانضمام القبائل القيسية اليه ، الى جانب اليمنية التي كان يتألف منها معظم جيشه ، فلم يستطع . عند ذلك لم يكن امام السفياني الا ان يسفر عن عدائه للقيسية فهاجمهم في المناطق التابعة له ، فاستنجدت القيسية بزعيمها ابن بيهس الذي لم يجد بدا من نصرة قومه .

رأى السفياني ان يرسل الى ابن بيهس قواتا تهاجمه قبل ان يصل الى دمشق. فارسل اليه اثني عشر الفا بقيادة يزيد بن هشام حسب رأي بعض المصادر الموثوقة ـ وقد يكون هذا الرقم مبالغا به ـ وعلى الرغم من ان هذه القوات كانت تفوق الاعداد التي كانت مع ابن بيهس ، الا ان هذا تمكن من هزيمتهم . وقتل منهم اعدادا كبيرة تزيد على الفي رجل ، واسر منهم ثلاثة الاف . وتحقيرا لهم فانه حلق لهم رؤوسهم ولحاهم ثم اطلقهم فاصطر من بقي مع السفياني الى الارتداد نحو دمشق[٧٧] .

وتقدم ابن بيهس لمحاصرة دمشق . فشكل السفياني جيشا جديدا جعل على رئاسته ابنه القاسم .الا ان هذا الجيش انهزم منذ اللقاء الاول وقتل القاسم . فارسل ابن بيهس رأسه الى الخليفة الامين تقربا[٧٨] .

ادت انتصارات ابن بيهس الى ضعف امر السفياني ، فاستغل ابن بيهس الفرصة وحرض رؤساء بني نمير على مبايعة احد احفاد مسلمة بن عبد الملك بالخلافة، وكان

---

(٧٦) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ .

(٧٧) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

(٧٨) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٣٥ .

يقصد بذلك ضرب الثورتين ببعضهما • ثم عاد هو الى حوران[٧٩] • وتمكن حفيد مسلمة بن عبد الملك من القبض على السفياني ، واخذ البيعة لنفسه معتمدا على نصرة العرب القيسية[٨٠] • وسنحت الفرصة لابن بيهس واصحابه بالتغلب على دمشق • وبقي الوضع كذلك الى ان قدم عبد الله بن طاهر الى دمشق حيث اخذ ابن بيهس معه الى العراق فمات بها[٨١] • وبذلك تمكن العباسيون من القضاء على هذه الثورات التي دامت فترة طويلة •

ولم تكن مدينة دمشق لتهدأ نهائيا للعباسيين • فقد اشتعلت فيها نيران ثورات متعددة • كان اشهرها الثورة التي اشتعلت في سنة ٢٤٠ هـ / ٨٥٤ — ٨٥٥ م في عهد الخليفة المتوكل على الله • وكان سبب اشتعال هذه الثورة قسوة وظلم والي دمشق سالم بن حامد • فقد عسف باهالي دمشق وقتل جماعة من اشرافهم ، فثاروا في وجهه وتمكنوا من قتله على باب قصر الخضراء ، كما قتلوا عددا من رجاله • وقاموا بنهب ما وصل الى ايديهم من الأموال[٨٢] • غضب الخليفة لمقتل عامله بيد اهالي دمشق واراد ان يثأر له منهم بقسوة ، وان يضربهم برجل قوي ، فجمع قواده وقال لهم : (من لدمشق وليكن في صولة الحجاج) فاشير عليه بافريدون التركي فامره على جيش قوامه عشرة الاف جندي منهم سبعة الاف فارس وثلاثة الاف رجل من المشاة • واحل له القتل والنهب مدة ثلاثة ايام ، فنزل بيت لهيا ليبيت ليلته • ثم يستقبل الصباح بالتوجه الى دمشق ، بعد ان هدد اهاليها بالقتل والتخريب • ولكن شاءت الاقدار ان تنجو مدينة دمشق منه قبل ان يطرق ابوابها[٨٣] • ويبدو

---

(٧٩) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ .

(٨٠) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ — جورج يني : المرجع السابق ، ص ٢٢٥ .

(٨١) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٤٧ — ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٣٥ .

(٨٢) — كان سالم سيء السيرة وكان يقل بعض اهالي دمشق لانه كان بينه وبينهم طائلة ودماء انظر كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٩٣ .

(٨٣) — كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٩٣ .

انه على الرغم من موت القائد فان جنوده دخلوا دمشق وانتهبوها واعملوا السيف في سكانها(٨٤) •

ثورات لبنان وحمص (اهل الذمة) :

بدأت الثورات في لبنان منذ الفترة الاولى لدخول العباسيين الى بلاد الشام وفي عهد الخليفةأبي العباس نفسه•ففي سنة ١٣٥هـ/٧٥٢م قام الجراجمة(٨٥)بثورة قادها رجل اسمه الياس • فنهب البقاع وقراه وسكانه فارسل اليه عبد الله بن علي رسلا للتفاهم وعقد الصلح ولكن هذه الوساطة لم تسفر عن شيء ، مما اضطر الوالي الى مهاجمته في قرية المرج حيث تمكن من قتله(٨٦) •

وعلى الرغم من قتل قائد الثوار نفسه ، فان الثورة لم تهدأ بل استمرت وعين قائد جديد على الجيش يسمى سمعان ، وهو ابن اخت الياس • فسار تاليهجيوش الشام ، ودارت بين الفريقين حرب في قرية الشوير ، تمكن سمعان خلالها من هزيمة جند الشام(٨٧) • وكان جراجمة لبنان يحصلون على مساعدات من البيزنطيين عن طريق البحر • فقوي امرهم واخذوا يمنعون الناس من المرور في المناطق المجاورة لمناطقهم • وهددوا المناطق المحيطة بهم بالغزو حتى حمص وحماة • ولم يتمكن المسلمون من السيطرة عليهم لتحصنهم في الجبال المرتفعة (٨٨) •

هذا وقد نشبت ثورة في لبنان سنة ١٤٢ ــ ١٤٣ هـ/٧٥٩ ــ ٧٦٠ م في المنيطرة

---

(٨٤) ــ كرد علي : المرجع السابق ، ج ١ ، ص ١٩٣ •

(٨٥) ــ عن الجراجمة واصلهم انظر حتي : لبنان في التاريخ منذ اقدم العصور وحتى ايامنا ، ترجمة انيس فريحه ، نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر بنيويورك ــ بيروت ، ١٩٥٩ ، ص ٢٩٨ ــ ٣٠٠ •

ــ وانظر ايضا العدوى : الامويون والبيزنطيون ، الدار القومية للطباعة والنشر ، طبعة ٢ ، [illegible] ، ص ١١٦ ، ومابعدها •

(٨٦) [illegible] علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٧٩ •

(٨٧) [illegible] علي : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٨٠ •

(٨٨) [illegible] بوبهض : ابو جعفر المنصور ، مطابع دار الصحافة ببيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٢ ،ص ٤٠

القريبة من افقا ، بسبب تعسف عامل العباسيين وجوره في فرض الضرائب على الاهالي • وخشي هؤلاء ان تنزل عليهم مصادرات جديدة فحملوا السلاح منتهزين فرصة وجود اسطول بيزنطي في مياه طرابلس • وانقضوا من قاعدتهم في المنيطرة ــ في اعالي لبنان ــ وانتهبوا عددا من قرى البقاع [٨٩] •

وقد قاد هذه الثورة شاب جبلي شديد لقب نفسه بالملك ، ولبس التاج ، فاجتمع حوله عدد كبير حتى استفحل امره [٩٠] • وسبى هؤلاء بعض قرى البقاع وقتلوا المسلمين فيها وتقدموا نحو بعلبك التي كانت مقرا لعامل العباسيين [٩١] ، ونصبوا كمينا لجيش العباسيين ، وقتلوا عددا كبيرا من افراده [٩٢] •

كانت ردة الفعل عنيفة عند العباسيين • فقد عمل صالح بن علي على الانتقام منهم شر انتقام • فقد هاجم القرى الثائرة في منطقة المنيطرة ، وامر باخراج من بقي في الجبال وتفريقهم في بلاد الشام وكورها • ولكنه لم يتعرض لدياناتهم بسوء • وقد كان لهذا العمل وهذا التدبير الاداري اثر سيىء في نفس الامام الاوزاعي [٩٣] الذي رفع احتجاجا الى الوالي جاء فيه (••• وقد كان من اجلاء اهل الذمة من جبل لبنان ممن لم يكن ممالئا لمن خرج على خروجه ، ممن قتلت بعضهم ورددت باقيهم الى قراهم ماقد علمت ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة ، حتى يخرجوا من ديارهم واموالهم وحكم الله تعالى (ان لاتزر وازرة وزر اخرى) • وهو أحق ما وقف عنده واقتدي به • وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله (ص) • فانه قال من ظلم معاهدا ، أو كلفه فوق طاقته فانا حجيجه) [٩٤] •

---

(٨٩) ــ حتى : تاريخ سورية ، ج ٢ ، ص ١٦٧ •

(٩٠) ــ كرد علي : الادارة الاسلامية ، ص ١٢٦ ــ خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٨٠ ــ ١٨١ •

(٩١) ــ كانت بعلبك تابعة لولاة دمشق حتى استولى عليها احمد بن طولون ، انظر ميخائيل موسى الوف البعلبكي ، تاريخ بعلبك ، بيروت ١٩٢٦ ، ص ٧٦ •

(٩٢) ــ البلاذري : فتوح البلدان ، ص ٦٢ ــ حتى : لبنان في التاريخ ، ص ٣٢٧ ــ كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٨٠ •

(٩٣) ــ عن الاوزاعي انظر حسن محمود واحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامي ، ص ٢٥٢

(٩٤) ــ البلاذري فتوح البلدان ، ص ١٦٢ ــ حتى : تاريخ سورية ، جزء ٢ ، ص ١٦٧ ـ كرد علي : الادارة الاسلامية ، ص ١٢٦ •

وقام الخليفة أبو جعفر المنصور في الفترة نفسها بزيارة الى الشام وأرتأى ان يتخذ خطوات ايجابية للحد من قوة الجراجمة في لبنان • فاخذ يعمل على نقل قبائل عربية بحالها الى هذه المنطقة لتستقر بها ، وتمكن من ادخال عناصر عربية مسلمة واوكل الى هؤلاء مهمة الدفاع عن المنطقة أمام هجمات الجراجمة والبيزنطين •ولذلك فانه اصدر اوامره الى قبيلة لخم بالسكن في هذه المناطق • فلبوه مخلصين وانعم عليهم باقطاعات اخرى في لبنان[٩٥] •

وهدأت الثورات في لبنان نسبيا بعد الاجراء الذي اتخذه المنصور بنقل التنوخيين اليها • حتى كان عهد الخليفة العباسي المتوكل على الله • حيث اشتدت نقمة النصارى بسبب التدابير الصارمة التي فرضت عليهم • وكان الخليفة هارون الرشيد قبله قد اتخذ بعض الاجراءات ضد النصارى واليهود • ولكنه لم يضعها حيز التنفيذ ، اذ امر في سنة ١٩١ هـ/٨٠٦ ــ ٨٠٧ م بهدم الكنائس الموجودة في الثغور ، كما اوجب على جميع الذميين ان يرتدوا زيا معينا[٩٦] •

اما الخليفة المتوكل فانه اتخذ في سنة ٢٣٦ و ٢٤٠ هـ / ٨٥٠ و ٨٥٤ م تدابير جديدة ، واذا كان ذلك صحيحا فانها تكون اشد ما فرض في حق الاقليات على الاطلاق • فقد اجبر النصارى واليهود ان يجعلوا على بيوتهم تماثيل خشبية للشياطين • وان لا يرفعوا سطوح قبورهم عن مستوى سطح الارض • وان يرتدوا معطفا عسلي اللون له رقعتان على كل كم • وان لايركبوا الا البغال والحمير وذلك على سرج من خشب له على قربوسيه كرتان خشبيتان كانهما رمانتان ، فصار الذمي يسمى بسبب هذه الملابس الخاصة بالارقط[٩٧] •

(٩٥) ــ عجاج نويهض : المرجع السابق ، ص ٤٠ نقلا عن كتاب تاريخ الاعيان ، لطنوس الشدياق •

(٩٦) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٠٦ ــ حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، جزء ٢ ، ص ١٦٨ اذ يذكر ذلك في سنة ١٩٠ هـ ولم يحدد الهدم في الثغور بل ذكر عن هدم جميع الكنائس التي بنيت منذ الفتح الاسلامي . وهذا يختلف طبعا عما جاء في الطبري •

(٩٧) ــ حسن حبشي : اهل الذمة في الاسلام ، مترجم عن ترتون ، نشر دار الفكر العربي ١٩٤٩ ، ص ١٢٥ ــ ١٢٦ ــ حتى : المرجع السابق ، الجزء ٢ ، ص ١٦٨ •

أدت هذه الاجراءات الى نشوب فتنة عنيفة في حمص سنة ٢٤١ هـ / ٨٥٥ م اشترك فيها النصارى والمسلمون • ولكنها اخفقت بعد مقاومة شديدة • فضربت اعناق زعمائها ، ثم هدمت جميع الكنائس الا تلك التي ضمت الى المسجد الكبير • وابعد جميع النصارى من المدينة الثائرة [٩٨] فهدأت بذلك الثورات •

ثورة فلسطين والاردن (المبرقع اليماني) :

كانت فلسطين مسرحا لفتنة كبيرة سنة ٢٢٦ هـ/ ٨٤٠ م [٩٩]، عمد رجل من عرب اليمن مجهول النسب من اهالي غور فلسطين والاردن الى اعلان العصيان وخلع طاعة العباسيين ، ورفع العلم الابيض • ولبس برقعا على وجهه فسمي بالمبرقع ، واحد يدعو لنفسه فتبعه خلق كثير من الزراع وغيرهم • وقد اعتقد اتباعه بانه السفياني المنتظر ، وانه يملك الشام • وقد استفحلت هذه الثورة وخاصة بعد ان بلغ تعداد اصحاب المبرقع مائة الف رجل[١٠٠] • وكان اتباع المبرقع هؤلاء على الاغلب من ابناء المناطق الريفية ومن طبقة المزارعين [١٠١] ، مما يشير ان سبب الثورة اقتصادي •

وهناك سبب اخر يعود الى سوء معاملة جنود العباسيين وخاصة الاتراك منهم للاهالي وعدم احترامهم لحرمة المنازل • ويضاف الى هذين السببين سبب مباشر ادى الى نشوب الثورة ، وهو ان احد الجنود الاتراك اعتدى على حرمة منزل المبرقع • واراد دخوله في غياب صاحبه • وقد منعته السيدة الموجودة في المنزل[١٠٢] فضربها بسوط كان معه • فاتقته بذراعها فاصابها وأثر فيها • وما ان عاد المبرقع الى منزله حتى اشتكت له عما حدث ، فثارت عنده النخوة العربية ، وقرر ان يثأر

(٩٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١٩٩ ـ حتي : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٦٩.

(٩٩) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ص ١١٨ ـ بينما يذكر ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٧٠ ان الثورة كانت سنة ٢٢٧ هـ .

(١٠٠) ـ كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٩٢ .

(١٠١) ـ فيليب حتي : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٦٦ .

(١٠٢) ـ يذكر انها اخته او زوجته انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١١٦ ـ العيون والحدائق ، ص ٤٠٨ .

ويثور على الخلافة العباسية (١٠٣) فقتل الجندي ثم وضع على وجهه برقعا كي لا يعرف ، وصار الى جبل من جبال الاردن (١٠٤) .

أخذ المبرقع يظهر من محبئه في النهار ، ويجلس على الجبل الذي آوى اليه ببرقعه يراه الرائي فيأتيه فيحرضه على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر . ويذكر الخليفة فيعدد عيوبه . واستمر على ذلك حتى استجاب له عدد كبير من فلاحي تلك المنطقة واهل القرى المجاورة (١٠٥) . ولما كثر اتباعه من هذه الطبقة ، دعا اهل البيوتات من تلك الناحية ، فاستجاب له منهم جماعة من رؤساء القبائل اليمنية حتى بلغ ما معه زهاء مائة الف (١٠٦) .

وقد اراد المبرقع ان يكسب ثورته صفة الشرعية فادعى انه أمـوي ، وانه السفياني المنتظر . فبلغ امره الى الخليفة العباسي المعتصم قبل وفاته ، فارسل اليه قائده رجاء بن أيوب الحضاري في زهاء الف من الجند .

وصل القائد العباسي رجاء الى المبرقع ولما تأكد من كثرة اتباع خصمه ، كره منازلته ، وعسكر قريبا منه متريثا حتى تسنح له الفرصة ، ولما دنا وقت حراثه الارض انصرف معظم انصار المبرقع للقيام باعمالهم الزراعية السنوية ، وبقي هو في عدد قليل من رجاله . عند ذلك وجد رجاء الفرصة سانحة لقتال المبرقع ، فهاجمه وتمكن من اسره وحمله الى سامراء عاصمة العباسيين وقتذاك .

وهكذا فانه يبدو ان العباسيين استعملوا الشدة مع اهالي الشام بقصد

---

(١٠٣) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٧٠ .

(١٠٤) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١١٦ ـ العيون والحدائق ، ص ٤٠٨ .

(١٠٥) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١١٦ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٧٠ .

(١٠٦) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١١٧ ـ ٨١١ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٧٠ .

اخضاع هذه البلاد لسلطتهم • ولكن اهالي الشام قابلوا ذلك بثورات متعددة ، بدأت منذ الفترة الاولى لحكم العباسيين ، وكانت هذه الثورات متلاحقة ، حتى اعجزت ولاة العباسيين ، كما انها اعجزت الخلفاء انفسهم فقاموا بتغيير مستمر للولاة كلما رأوا في ولاتهم عجزا عن اخضاع البلاد ، كما قام الخلفاء بزيارة الشام بانفسهم للاطلاع على مايجري فيها •

ولم يكن كل هذا كافيا لتهدئة الثورات لان أسبابها كانت كامنة في البلاد • ولم يعمل العباسيون على استئصالها ، بل كثيرا ما تسبب ولاتهم في ايقاد نارهـا بتحيزهم لفرع قبلي دون اخر • ونشبت ثورات المدن والمناطق الشامية كرد على تأخر احوالها ، وخاصة الاحوال الاقتصادية والعمرانية ولكن هذه الثورات كانت تزيد في هذا التأخر •

٢ ـ الصراع بين افراد الاسرة العباسية

لم يضع العباسيون ـ كسابقيهم من بني امية ـ نظاما محددا لوراثة العرش فقبل وفاة محمد بن علي الامام الاول للدعوة العباسية جعل ابنه ابراهيم على الامامة، وحين شعر ابراهيم بملاحقة الامويين له سلم الامامه الى اخيه أبي العباس عبد الله ابن محمد • وبالتالي يمكن القول ان الامامة اولا ثم الخلافة بعد ذلك لم تكن تنحصر في الابن الاكبر • وبامكان الامام او الخليفة أن يختار لها من يجده مناسبا من أفراد اسرته • مفضلا أبناءه في الغالب، وان كانوا اقل من المرشحين كفاءة ومقدرة •

وفوق هذا وذاك • فان الخليفة كان ـ في كثير من الاحيان ـ يعين اكثر من ولي للعهد بعده وحين يعتلي اول المرشحين عرش الخلافة يعمل على ابعـاد ولاة العهد بعده ويحصر الخلافة في ابنائه • وقد تسبب ذلك في حدوث كثير من الخلافات بين افراد الاسرة العباسية ، وصلت في كثير من الاحيان الى امتشاق السيف • وتفرق أبناء الامة بينهم ، مما أدى الى استنفاذ الكثير من الطاقات دون جدوى •

ولابد من القول قبل ان اتطرق الى تفاصيل هذه الخلافات ، من انه كان للتكتلات السياسية ومؤامرات رجال البلاط دور في اذكاء الصـــراع ، بتحريض الخلفاء على خلع ولاة عهودهم لمصالح لهم في مرشح دون اخر • وقد كان هــذا الصراع خفيا احيانا وعلنيا في احيان اخرى • وقد تجلى هذا الصراع في الاسرة بين:

ـــ عبد الله بن علي والخليفة المنصور :

يذكر بعض المؤرخين ان الخليفة أبا العباس ـــ على اثر قيادة مروان بن محمد الخليفه الاموي للجيش الدي عسكر به قرب نهر الزاب الاعلى ـــ رأى ان يقوي مركز جيشه باعطاء القيادة لاحد افراد الاسرة العباسية [١٠٧] • وحين اجتمع بهم أعلن لهم أن من يقود المعركة ضد مروان ستكون له الخلافة ، تطوع عبد الله بن علي عم الخليفة بهذا الامر ، وتحمل هذه المسؤولية[١٠٨] الجسيمة • ولكن ابا العباس لم يف بهذا الوعد بل عهد لاخيه ابي جعفر بها ، ومن بعده لابن اخيه عيسى بن موســى[١٠٩] •

حين توفي ابو العباس كان عبد الله بن علي يقود طائفة من أهل خراسان والشام والجزيرة والموصل[١١٠] •فعلم بخبر وفاة ابي العباس ، وبيعة عبد الله بن محمد المنصور وهو في دلوك ، فاعلن الثورة معتمدا على الجيش الكثير العدد الذي يرافقه، والذي أعد في الاصل لقتال البيزنطيين[١١١] • ودعا الناس لبيعته واعتبر بيعـــة المنصور باطلة[١١٢] •

ارتحل عبد الله من دلوك فاستولى على حران ، وتحصن بها ، وأيده عـــدد

---

(١٠٧) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٢٣٩ وجه

(١٠٨) ـ انظر فيما سبق معركة الزاب ـ وانظر المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٢٣٩ ظهر •

(١٠٩) ـ انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٢

(١١٠) ـ الازدي : المصدر السابق ، ص ١٥٩ ـ الطبري : المصدر السابق، جزء ٧ ، ص ٤٧٢ ـ ٤٧٤
ـ الطباخ : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ ـ المقريزي : المصدر السابق ،
ـ ورقة ٢٣٩ ظهر

(١١١) ـ حتي : تاريخ سورية ، جزء ٢ ، ص ١٦٠ •

(١١٢) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٢٤٠ وجه و ٢٤٠ ظهر

كبير من رجال الجيش الذي كان يقوده [١١٣] ، مما اضعف موقف الخليفة الجديد . وكان عليه ان يحزم الامر ويقضي على ثورة عمه . وبما ان معظم قوات عبدالله من الخراسانيين . فان المنصور رأى ان يختار ابا مسلم الخراساني لقتاله . وكان غرضه من ذلك ان يضعف قواته بانضمام الخراسانيين في جيش عبد الله الى ابي مسلم بمجرد ان يبدأ اللقاء الاول [١١٤] . كما انعم على الجند الذين ارسلهم معه بالعطاء الكبير الذي بلغ اثنى عشر ألف درهم برأي بعض المؤرخين وثمانية عشر الف الف برأي اخرين ، ورفع ارزاقهم من ستين الى ثمانين [١١٥] .

وأدرك عبد الله بن علي ذلك ، وخشي خيانة جنوده الخراسانيين ، فرأى أن يتخلص منهم ومن القائد العربي حميد بن قحطبة ، الا ان حميدا اكتشف المؤامرة وفر مع انصاره [١١٦] .

وعلى هذا الشكل فانه يمكن القول بأن عناصر الجيش الذي بقي برفقة عبد الله بن علي اصبحت بمعظمها من آهالي الشام .

ونزل عبد الله بن علي مع رجاله ، فحفر خندقا من جبل نصيبين الى نهرها خندق خلفه وجعل فيه كل مايحتاج اليه من العدة والاله . ونصب المجانيق والعرادات وبث الحسك ، وسد الطريق على من يقصده من العراق وجعل بذلك كل القرى والمناطق المزروعة خلفه وامدادا له [١١٧] .

واقبل ابو مسلم متجها نحو الشام . فرأى عبد الله بن علي يعسكر في منطقة حصينة . وقدر صعوبة القضاء عليه في هذه المنطقة . فقرر ان يستعمل الحنكة

(١١٣) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٤ ـ ٤٧٥ ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٠١

(١١٤) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٥ ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٠١

(١١٥) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٢٤١ ظهر .

(١١٦) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٥ ـ ٤٧٦ ـ بنشوف : المرجع السابق ، ص ١٦

(١١٧) ـ المقدسي : البدء والتاريخ ، جزء ٦ ، ص ٧٧ .

والدهاء ليفرق بين عبد الله واصحابه من أهل الشام . فكتب اليه بانه لم يؤمر بقتاله . ولم يوجه لذلك بل ان الخليفة ولاه الشام وانه ذاهب اليها[118] .

وقد تحقق لابي مسلم ماأراد . لان اهل الشام ما أن رأوا ابا مسلم يتوجه الى بلادهم حتى اخذوا يطالبون عبد الله بالعودة اليها ، للدفاع عن حرمهم واموالهم . وجهد عبد الله ليوضح لمن معه من أهالي الشام بأن ذلك حيلة من ابي مسلم وانه لايريد الشام ، بل يريد اخراجهم من مناطقهم الحصينة ولكن نفوسهم لم تطب ، وأبوا الا المسير الى الشام[119] .

عند ذلك لم يكن امام عبد الله الا ان يرتحل ملبيا رغبة جنوده ، فاستغل ابو مسلم الفرصة وخندق مكان خصمه ، واستولى على جميع ما في الخندق[120] . ثم افسد المياه التي حوله ، وكان من الممكن ان يستفيد منها عبد الله وجنوده من اهل الشام فيما لو عادوا للقتال[121] .

وبلغ عبدالله خبر نزول ابي مسلم بمعسكره ، فعاتب اهل الشام على ماكان منهم وحاول العودة الى معسكره فلم يستطع[122] . فعسكر قريبا منه[123] ، وبدأ القتال بين الطرفين فكان سجالا ، وامتد ما يقارب ستة اشهر ، انتهى اخيرا لصالح ابي مسلم ، وهزم عبد الله هزيمة ساحقة وتبعه ابو مسلم حتى الرقة ، حيث استولى على الخزائن والاموال ، وما كان عبد الله قد استولى عليه من اموال بني أمية وكنوز

---

(118) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٦ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٢٤١ ظهر ـ العيون والحدائق ، ص ٢١٨ .

(119) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٦ ـ ٤٧٧ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٢٤١ ظهر ـ العيون والحدائق ، ص ٢١٨ .

(120) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٢٤١ظهر ـ المقدسي : المصدر السابق ، جزء ٦،ص٧٨ .

(121) ـ الطباخ : اعلام النبلاء،جزء ١ ، ص١٤٠ .

(122) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٤٧

(123) ـ المقدسي : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٧٨ ـ العيون والحدائق ، ص ٢١٨ .

الشام • ثم تبع عبد الله الى رصافة هشام ففر ملتجئا الى البصرة[١٢٤]• الا انه قبض عليه وسجن ثم قتل سنة ١٤٩ هـ / ٧٦٦ م •

وكتب ابو مسلم الى الخليفة المنصور يبشره بالفتح بعد أن اطلق من أسره ، ووهب لكل أسير أربعة دراهم[١٢٥] • فسر الخليفة من ذلك ، وكتب الى ابي مسلم بأنْ يحتفظ بما في يديه من الاموال ، لانه كان على علم بان جميع ذخائر بني أمية من الاموال والجواهر ، كانت مع عمه عبد الله[١٢٦] واصبحت الآن في يد ابي مسلم، وأدى ذلك الى حدوث خلاف بين الخليفة وابي مسلم كانت نتيجته قتل ابي مسلم ، وهكذا فان ثغرة فتحت في وحدة الصف العباسي في فترة مبكرة • بسبب عدم وجود نظام ثابت لولاية العهد ، تسربت عبرها رياح الازمات الخطرة •

لم يقتصر الصراع بين افراد الاسرة العباسية في عهد الخليفة المنصور على ما جرى من صراع مسلح بينه وبين عمه عبد الله بن علي • بل جرى صراع غير مسلح بين الخليفة ووليعهدهعيسى بن موسى بن محمد بن علي العباسي ، الذي كان ابو العباس قد عهد اليه بولاية العهد بعد ابي جعفر[١٢٧] وكتب له عهدا بذلك[١٢٨] • وتمكن المنصور بما استخدمه من وسائل واساليب طفحت بذكرها كتب التاريخ أن يجبر ابن آخيه على الموافقة على ان تكون الخلافة للمهدي اولا ثم لعيسى بن موسى بعده[١٢٩] ، على الرغم مما عرف عن عيسى بن موسى من مقدرة عسكرية • وقد ذهبت المصادر التاريخية الى أبعد من هذا ، فذكرت ان المنصور لم يستطع

---

(١٢٤) ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٣٠٢ ـ ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٨ •
ـ ابن العميد : المصدر السابق ، ص ١٠٠ ـ بيتشوف : المرجع السابق ، ص ١٦

(١٢٥) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٢٤٢ وجه

(١٢٦) ـ الازدي : المصدر السابق ، ص ١٦٤ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٢٤٢ وجه

(١٢٧) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٧ •

(١٢٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٧٠ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٦١

(١٢٩) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٠٤ ظهر و ١٠٥ وجه

اجبار عيسى بن موسى على خلع نفسه لتمسكه بحقه ، فبايع ابنه مع رجال حاشيته الذين شهدوا زورا وبهتانا ان عيسى خلع نفسه[١٣٠] .

وتربع المهدي على عرش الخلافة . فطمع في ان يجعلها في ابنـــائه الهادي والرشيد من بعده واستخدم مع ولي عهده الاساليب نفسها التي استخدمها والده من قبل ، وضيق عليه ليضطره للتنازل . فحرك الهاشميين وشيعتهم من اهـــل خراسان وحرضهم على خلع عيسى . ورضخ عيسى في نهاية الامر لضغوط المهدي، فخلع نفسه مكرها من ولاية العهد[١٣١] وقد يكون هذا الصراع عاملا من العوامل التي ادت الى نهاية الهادي السريعة[١٣٢] .

ـ الصراع بين الاخوين الهادي والرشيد :

ازدادت مشكلة الصراع لاجل ولاية العهد تعقيدا في عهد الخليفة الهادي ، الذي عزم على ان يجعل الخلافة من بعده لابنه جعفر . وان يعمل لتحقيق ذلك على خلع اخيه هارون الرشيد .وقد شجعه على ذلك بعض رجال بلاطه . بيد ان يحيى ابن خالد بن برمك نصح له بأن يعدل عن هذا الامر لصغر سن ابنه جعفر .واحتراما للعهد الذي اخذه على نفسه حين ولاه ابوه عهده ، ودرءا لما عسى ان يقوم به اهل بيته من انتزاع الخلافة من ابنه اذا آلت اليه قبل بلوغه سن الرشد . وأشار اليه بان يتريث في هذا الامر ، حتى يكبر ابنه ويطلب من اخيه هارون النزول له عن الولاية. ويبدو أنه كان لهذا الكلام وقع في نفس الهادي فعدل عن رأيه مدة ، ثم ما لبـث أن غلب عليه حبه لابنه ، واثر فيه تحريض المغرضين ، فعاد الى ما كان من مطالبـة الرشيد بالتنازل عن ولاية العهد ، وفي سبيل ذلك احضر يحيى بن خالد البرمكي ، وفاوضه ثانية في خلع اخيه[١٣٣] ، فقدم يحيى النصح ثانية .

---

(١٣٠) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٧٧ ـ ٥٧٨ ـ ٥٨٠ .
(١٣١) ـ العيون والحدائق ، ص ٢٦١ .
(١٣٢) ـ شاكر مصطفى : في التاريخ العباسي ، ص ١٨٢ .
(١٣٣) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٩ وص ١٠٦ .
ـ محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية ، ص ٢١١ .

ولم يحفل الهادي بهذا النصح ، وزج يحيى في السجن ، وهم أن يقتله لانحيازه لاخيه الرشيد • وتأزم الموقف بين الاخوين ، واختلفت المصادر في ذكر ماجرى بينهما فذكرت بعضها بان الصراع كاد يتحول الى حرب اهلية ، بينما ترى اخرى بان الرشيد مال الى اجابة اخيه ، بعد ان ضيق عليه واضطهده ، وحرض رجال بلاطه على الحط من شأنه • وان يحيى البرمكي شجعه على الابتعاد عن اخيه باستئذانه للسفر طلبا للصيد ، وانه ذهب وطال غيابه في الصيد حتى اتاه نعي اخيه والبيعة له• وقد رأى بعض المؤرخين ان الهادي ذهب ضحية محاولته خلع اخيه من ولاية العهد• اذ ان ذلك دفع بأمه الخيزران الى السعي في موته ، وترى اخرى بانها فعلت ما فعلت لانه اراد الحد من سلطنها وتدخلها في شؤون الحكم(١٣٤) •

ـ الصراع بين الاخوين الامين والمأمون ، ونتائج هذا الصراع

اتخذت ولاية العهد بعد وفاة هارون الرشيد ابعادا سياسية ، اسفرت عن صراع دموي دام من (١٩٤ ـ ١٩٨ هـ/٨٠٩ ـ ٨١٣ م) فعلى الرغم مما عرف عن الرشيد من ذكاء وبعد في النظر فقد وقع فيما وقع فيه أسلافه ، اذ جعل ولاية العهد من بعده لابنائه الثلاثة • فجعل ابنه محمد الامين في سنة ١٧٥ هـ / ٧٨١ م(٢٣٥) وليا لعهده وجعل له ولاية العراق والشام حتى أقصى المغرب • ثم مالبث ان بايع لابنه عبدالله المأمون في سنة ١٨٢هـ/٧٨٨م بعد اخيه الامين •على أن تكون له ولاية خراسان وما يتصل بها من الولايات الشرقية (٢٣٦) • ثم استأنف وبايع في سنة ١٨٦هـ/٧٩٢م لابنه القاسم بعد اخيه المأمون ودعاه المؤتمن • وجعل له ولاية الجزيرة والثغور •

---

(١٣٤) ـ انظر الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥ وانظر المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٣ ، ص ٣٤٤

(١٣٥) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ . وابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢٢ وقد بايع للامين بن زبيدة لمكانتها ، واسرتها ، وعربيتها . ولم يبايع للمامون الذي كان أكبر سنا واكثر كفاءة .

(١٣٦) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٦١ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١١١ وجه

وكتب الرشيد بذلك صحيفة اشهد فيها القضاة والفقهاء واكابر بني هاشم وعلقت في الكعبة • كما انه (١٣٧) تأكيدا لتنفيذ وصيته في ولاية العهد ، دعا الامين لكتابة كتاب يشهد فيه على نفسه بالوفاء للمأمون • كما دعا المأمون الى كتابة آخر بالوفاء للامين ووضع هذين الكتابين الى جانب الثالث واشهد الجميع على ذلك •

وضع الرشيد بتصرفه هذا وباختياره لثلاثةمن ابنائه لولاية العهدبذرةالتفكك السياسي(١٣٨) ، واوقع الدولة في خضم حرب اهلية كبيرة كانت لها نتائجها الخطرة على مستقبل الخلافة ، ولعب فيها الوزيران الفضل بن الربيع والفضلبن سهل الدور الاكبر واليد الطولى في اندلاع نار العداوة والحرب بين الاخوين ، فقد بدأ الفضل ابن الربيع ـ الذي كان يدرك انه لن يكون له يد مع المأمون ـ الى الانحياز الى جانب الامين بعدوفاةالرشيد ـ وعاد اليه بالجيش والمال والمتاع والرقيق والخيل التي أوصى الرشيد ان تعطى للمأمون اذا ادركته الوفاة(١٣٩) ، وكان الامين قد ارسل اليه حينعلم بمرض ابيه يأمره بالعودة بالعسكر اليه(١٤٠) • وحين فعل ادركه الخوف على حياته من وصول المأمون الى الخلافة فينتقم منه • فبدأ بتحريض الامين على خلعه وساعده على ذلك تكتل العرب الى جانب الامين(١٤١) •

---

(١٣٧) ـ انظر تفاصيل ذلك في المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١١١ ظهر و ١١٢ وجه ، حيث يذكر نسخة الشرط كاملة وانظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٧٥ ـ ٢٨٦ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٢٢ •

(١٣٨) ـ انظر عن ذلك : مقال الدكتور فاروق عمر في مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٥ ، ص ١٠٠ وما بعدها •

(١٣٩) ـ وقد كان الرشيد في سنة ١٨٩ هـ حين شخص الى الري قد اشهد من عنده من القضاة والفقهاء ان جميع مافي عسكره من الاموال والخزائن والسلاح والكراع وغير ذلك للمامون ـ انظر المقريزي : ورقه ١١٤ ظهر •

ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٢٨ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٠٣ •

(١٤٠) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١١٥ وجه •

(١٤١) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص٢٢٨ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٣٢

وبدأ الامين بالدعاء لابنه موسى على المنابر بعد الخليفة[١٤٢] في سنة ١٩٤هـ ، وقدمه على اخيه المأمون والمؤتمن ، وعزل الاخير عن الجزيرة وقام باستدعاء اخيه المأمون للحضور الى بغداد ليقر بتقديم موسى على نفسه[١٤٣] . ولكن المأمـون اعتذر عن الحضور ورد على اخيه بقطع بريد خراسان عنه وقطع الخطبة لاخيه وتسمى بالامامة[١٤٤] ، وقد شجعه على ذلك وزيره الفضل بن سهل ، وادراكه لصلابة موقفه من الفرس الذين يؤيدونه [١٤٥] .

بدأ الصراع بين الاخوين بتجهيز الامين للجيش الذي ارسله الى خراسان بقيادة علي بن عيسى بن ماهان سنة ١٩٥ هـ/٨٠١ م . وكان نصيب هذا الجيش الهزيمة امام جيش المأمون الذي قاده طاهر بن الحسين، وقتل قائد الامين بظاهر الري[١٤٦] . وتتابعت جيوش الامين الى قتال المأمون ، وفشلت في تحقيق نصر في خراسان[١٤٧] . وزحفت جيوش المأمون باتجاه العراق ، حتى وصل الى عاصمتها بغداد ، فانقى طاهر بن الحسين الحصار عليها سنة ١٩٧ هـ/٨٠٣ م ، واستخـدم كل أدوات الحصار المعروفة في عصره من مجانيق وعرادات [١٤٨] ، ليجعل الحصار شديدا ، وليجبر المحاصرين على الاستسلام .

وفوق هذا ، فان طاهر بن الحسين عمل على ان يحارب انصار الامين حربا

---

(١٤٢) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٨٩

(١٤٣) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١١٦ وجه

(١٤٤) ـ الطبري : المصدر السابق جزء ٨ ، ص ٣٩٠

(١٤٥) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٣٢ .

(١٤٦) ـ عن تفاصيل هذه المعركة التي جرت في خراسان انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٩٠ وابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٣٤ ـ وابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤ .

(١٤٧) ـ انظر عن تفاصيل ارسال الجيوش والمعارك التي جرت بين الطرفين المقريزي : المصـدر السابق ، ورقه ١١٩ و ١٢٠ وجه ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٣٤ .

(١٤٨) ـ انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٤٥ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧١

اقتصادية ، فعمل على الاستيلاء على ضياع من لم يسلم اليه من بني هاشم وقواد الامين وغيرهم . كما استولى على كل ما استطاع الاستيلاء عليه من الاموال ، حتى ضاق الناس بهذا الحصار ، فأخذوا ينهبون بعضهم . ولما اشتد الامر عليهم استسلم عدد من بني هاشم ومن القواد الى طاهر ومن هؤلاء صاحب شرطة الامين(١٤٩) .

فقد الامين بهذا قدرته على الاستمرار ، واصبح جيشه وأنصاره أضعف من أن يقفوا موقف الند للند ، فاضطر الى بيع كل مايملك لينفق على الباقين من الجند ليحمسهم على البقاء الى جانبه . الا ان الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية كانت قد وصلت الى الحضيض ، فاستشرى الفساد ، وسادت الفوضى . وبرز على السطح فئة من العامة عملت في هذه الاونة على الدفاع عن بغداد(١٥٠) ، وغايتها جمع المال(١٥١) عرفت هذه الفئة باسم العيارين ، وباسم العراة .

وعلى الرغم من كل الجهود المبذولة ، فان جند طاهر بن الحسين تمكنوا من تخريب المنازل والمتاجر في بغداد فدب الرعب والخوف في قلوب العامة ، وخشوا آلات الحصار ، فأنشد شعراؤهم الشعر معبرين عن ذلك فقال أحدهم :

لا تقرب المنجنيق والحجرا   فقد رأيت القتيل اذ قبرا(١٥٢)

كما بكى بعضهم بغداد وخرابها ، وصور صعوبة العيش في المدينة في تلك الفترة ، فقال :

بكيت دما على بغداد لما   فقدت غضارة العيش الانيق
تبدلنا هموما من سرور   ومن سعة تبدلنا بضيق

(١٤٩) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧٢ — ٢٧٣ — المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٢١ وجه

(١٥٠) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧٤ — ٢٧٥ — المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٢١ ظهر

(١٥١) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧٧ .

(١٥٢) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٤٥ .

أصابتها من الحساد عين فأفنت أهلها بالمنجنيق
فقوم أهرقوا بالنار قسرا ونائحة تنوح على غريق(١٥٣)

أدرك الامين أن لا فائدة من الاستمرار في القتال ، وخاصة حين نفذ الطعام من بغداد ، فقرر الاستسلام وأرسل يطلب الامان لنفسه . الا ان قراره هذا تقبله بعض قادة المأمون بصدر رحب ، ورفضه آخرون(١٥٤) وبالتالي كان نصيب الامين القتل ، وحمل رأسه الى المأمون(١٥٥) .

كانت النهاية التي آلت اليها حياة الامين على يد قواد اخيه المأمون سببا في سلبه كل ميزات شخصيته ، وان ينسب اليه كل صفات السوء من لهو وتبذير ومشاركة النساء والاماء له في الرأي(١٥٦) ، في حين ينسب للمأمون عكس ذلك فهو ذو عقل راجح ، وذكاء وقاد ، وحزم لانظير له(١٥٧) ، وان اختلاف صفات الاخوين قد ادى الى نصر المأمون على الامين ، في الوقت نفسه الذي يرى فيه بعض المؤرخين ان سبب نصر المأمون يعود الى القوة العسكرية التي أحسن المأمون اختيار قيادتها وتوجيهها ، والى الدعاية المنظمة التي بثها المأمون عن اخلاق اخيه الامين ، وكذلك الى قوة أنصاره من الفرس الذين بذلوا غاية وسعهم لتحقيق

---

(١٥٣) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٥٧ .
(١٥٤) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ .
(١٥٥) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٨٧ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٢١ ظهر و ١٢٢ وجه
(١٥٦) ـ وقد سجل لنا بعض شعراء العصر تشاغله عن أمور الدولة ، وهذا نموذج منها .

أضاع الخلافة غش الوزير وفسق الامام وجهل المشير .
ففضل وزير وبكر مشير يريدان ما فيه حتف الامير .
لواط الخليفة اعجوبة وأعجب منه خلاق الوزير .

ـ انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٩٦ .
(١٥٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٥٠ وما بعدها ـ وانظر الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٢٩٢ .

النصر الذي سيكون فيه سيادتهم . وأخيرا يمكن القول ان سوء سياسة الامين وتمسكه باخلاق القتال العربية التي تبرز من خلال وصيته لقائده علي بن عيسى بن ماهان كان له الدور الاكبر في هزيمة الامين[١٥٨] .

ومما لاشك فيه ان استهانة الامين وقادته بقوة المأمون وقادته،كان له اكبر الاثر في الهزيمة ايضا . فقد كان علي بن عيسى يستهين بطاهر بن الحسين . ويرى انه لا يعدو شوكة من اعضائه . او شرارة من ناره [١٥٩] . وقال عنه (ومامثل طاهر يتولى على الجيوش ، ويلقى الحروب) . وقال ايضا لاصحابه : (والله مابينكم وبين ان ينقصف الشجر من الريح العاصف . الا أن يبلغه عبورنا عقبة همذان ، فان السخال لاتقوى على النطاح ، والثعالب لاصبر لها على لقاء الاسد)[١٦٠] . وفوق ذلك فان ابن ماهان كان مكروها من أهل خراسان ، لانه اساء السيرة في أهلها ، وظلمهم حين وليها للرشيد[١٦١] .

ومهما يكن من أمر تفسير هذه الحركة وهزيمة الامين ، فان هذا الصراع بين الاخوين انتهى بانتصار القوة الفارسية بزعامة المأمون . وأصبح لهامنذ ذلك الوقت دور بارز في المجتمع وكان بروز هذه القوة على حساب ضعف القوة العربية .فاختل التوازن بين القوتين وتحرك العرب للمطالبة بحقوقهم ، فأسقطهم المعتصم من العطاء واعتمد على عنصر جديد هو عنصر الاتراك[١٦٢] .

وقد برز في هذه الحركة دور فئة من فئات المجتمع الادنى الى السطح ، تلك

---

(١٥٨) ـ فقد أوصى قائده بقوله : امنع جندك من العبث بالرعيه والغارة على أهل القرى ، وقطع السجر ، وانتهاك النساء ... انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٠٦ . وانظر عن ثقة الامين وامه زبيده بالنصر ، وصيةزبيدة لابن ماهان قبل رحيله ، بالاحسان الى المامون بقبض عليه . المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١١٨ وجه .

: المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص٤٠٧ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١١٨وجه

: المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٠٧ ـ المقريزي المصدر السابق ، ورقه ١١٨ ظهر

[illegible] عصر سيطرة الاتراك

. المصدر السابق ، ورقه ١١٧ ظهر

الفئة هي الفتوة اللاهية الباغية التي تدين بالشطارة والعيارة [١٦٣] . وقد لعبت هذه الفئة دورا بارزا وهاما في الفتنة ، ودافعت عن مدينة بغداد ، حين بدأت القوة المطمة بتركها ، والانضمام الى القوات المحاصرة . وقد اوضح شعراء ذلك العصر بروز هذه الفئة اثر هذه الحرب فقال أحدهم :

خرجت هذه الحروب رجالا لا لقحطانها ولا لنزار
واحد منهم يشد على الا سفين عريان ماله من ازار
ويقول الفتى اذا طعن الطع نة خذها من الفتى العيار[١٦٤]

لم ينته وجود هذه الفرقة اثر دخول جيوش المأمون الى بغداد ، بل استمرت في وجودها وازدادت قوتها بمرور الايام . وقد ظهر عمل هذه الفئة واضحا اثناء اضطراب بغداد على الحسن بن سهل والي المأمون فيها ، وقبل عودة المأمون الى بغداد . فأظهروا الفسق ، وقطعوا الطرق ، وأخذوا ما شاؤوا من الاموال والابناء والنساء وهاجسوا القرى فأخذوا المتاع والمال . وبرز المطوعة لحربهم ودعوا الناس الى الامر بالمعروف والنهي عن المنكر[١٦٥] .

وعلى الرغم من النهب والسلب الذي كان يقوم به هؤلاء ، فانهم اتصفوا بصفات ايجابية وعلى رأسها البطولة . ويصور لنا الطبري والمقريزي مقدار بطولة هؤلاء فيما كتبه عن احداث سنة ١٩٧ هـ/٨٠٣ م حين يذكر ، ان قائدا من قواد اهل خراسان ممن كان مع طاهر ، خرج يوما الى القتال . فنظر الى قوم عراة ،

---

(١٦٣) ـ من الثائرين على المجتمع والدولة ومن الرعاع والنهابة (انظر ابن المكارم : كتاب الفتوة ، المقدمة . عرفوا باسماء متعددة ، العيارون والشطار ، العراة ، ثم الفتيان . وقد جاء في كتاب تاريخ العرب والشعوب الاسلامية لكلود كاهن ص ٢٠٧ ان اسم الفتيان اطلق في الجاهلية وفجر الاسلام على الشباب الذين يتحلون ببعض السمات المميزة ، او الذين ينبغي لهم ان يتحلوا بهذه المزايا حسب العقلية السائدة وهي الشجاعة والكرم بوصفهما صفات خاصة ، دون اي اعتبار للتنظيم الاجتماعي او للمفاهيم الدينية .

(١٦٤) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٥٨ .

(١٦٥) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٥١ .

لا سلاح معهم . ورأى انهم الفئة التي تقف في طريقهم وتمنعهم من دخول بغداد ، فاستهان بامرهم . وعير اصحابه وهم في السلاح الظاهر ، والعدة والقوة والشجاعة والنجدة ، يوقفهم هؤلاء عن تحقيق اهدافهم . واراد ان يريهم مايفعله فيهم فأوتر قوسه وتقدم . وابصره بعضهم (من العيارين) فقصد نحوه وفي يده باريه قصيرة ، وتحت ابطه مخلاة فيها حجارة ، فجعل الخراساني كلما رمى بسهم استتر منه العيار فوقع في باريته ، او قريبا منه . فيأخذه فيجعله في موضع من باريته قد هيأه لذلك ، وجعله شبيها بالجعبة ، وجعل كلما وقع سهم أخذه .. ولم يزل تلك حال الخراساني وحال العيار حتى انفذ الخراساني سهامه . ثم حمل على العيار ليضربه بسيفه ، فاخرج العيار من مخلاته حجرا فجعله في مقلاع ورماه فما أخطأ به عينه ثم ثناه بآخر فكاد يصرعه عن فرسه لولا تحاميه ..) (١٦٦) .

وقد ازدادت هذه الفئة عددا مع مر السنين . ولعبت دورا هاما في الفتن كلها التي عصفت ببغداد . فقد اصبح هؤلاء فئة مرتزقة تقاتل مع من يدفع لها مالا اكثر . وكان هم هذه الفئة الحصول على الغنائم الكثيرة عن طريق استخدام السيف . وقد شبه بعضهم هذه الفئة بطبقة الصعاليك في الجاهلية(١٦٧) .

وقد اتخذ اللصوص وقطاع الطرق العيارة سبيلا للتلصص والسلب والنهب . وقد ذكر بعض المؤرخين أن ابا نصر الفارابي الفيلسوف الشهير من اهل القرن الرابع للهجرة ، قتل ومن كان معه على يد بعض اللصوص الفتيان(١٦٨) وقد ذكر كل من التنوخي في نشوار المحاضرة ، وابن الجوزى في كتابه الفرج بعد الشدة ، وكتاب الاذكياء قصصا عجيبة عن هؤلاء(١٦٩) ، وقد وصل هؤلاء الفتيان في بعض حركاتهم في سنة ٣٦١ هـ/٩٧١ م الى اقتسام السلطة في بغداد(١٧٠) .

---

(١٦٦) - انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٥٧ - ٤٥٨ - المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٢١ ظهر

(١٦٧) [illegible] المكارم : كتاب الفتوة ، ص ٢٧

(١٦٨) [illegible] المكارم : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(١٦٩) [illegible] المكارم : المصدر السابق ، ص ٢٩ .

(١٧٠) [illegible] المكارم : المصدر السابق ، ص ٣١

وقد مال العيارون في اواسط القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي الى الحاق عيارتهم وشطارتهم بالفتوة المسندة الى اصل ديني، فأخذ الفتيان يتحزبون ويتعصبون ويغتصبون وينتكون وينهبون باسم طريقة من الطرائق المعزوة الى الدين . فأصبحت الفتوة بذلك خطرا على الدولة العباسية وعلى سلاطين البويهيين . وكان على الفريقين الكفاح ضد هذه الفرقة ودعواها الدينية (١٧١) .

ويمكن القول ان الفتيان عاشوا عيشة يسر ، في جو من التعاون والتضحية المتبادلة والالفه بعيدا عن كل رابطة عائلية أو مهنية أو قبلية ، وتتجاوز رابطتهم حدود المدينة الواحدة(١٧٢) . وكان هؤلاء يخرجون بفترات ضعف السلطة ، ليشروا ما يشبه الذعر في الاحياء المترفة ، وليقوموا بأعمال السلب والنهب لصالح الجماعة(١٧٣) . وفي غالب الاحيان كانت حركة الفتيان قوية في المدن التي لاترابط فيها قوة عسكرية . وكان هؤلاء الفتيان يمارسون ما يشبه الضغط المستمر عن طريق مؤسسات الامن . وسعوا الى الانخراط في سلك الشرطة كسبا للعيش،ولكي يضمنوا الشرطة الى جانبهم(١٧٤) .

هذا وقبل ان اختتم الحديث عن الفتوة ، اود ان اذكر ان فئة الاحداث التي برزت في الشام منذ القرن الرابع الهجري كانت أشبه بالفتوة في العراق وخراسان . وقد تحمل هؤلاء أمر الدفاع عن دمشق امام الفاطميين(١٧٥) وقد اشتهر أيضا احداث مدينة حلب . وتدخلوا في السياسة طلبا للرئاسة . وزاولوا الحروب والفتن فنصروا أميرا ، وخذلوا آخر (١٧٦) .

---

(١٧١) ـ ابن المكارم : المصدر السابق ، ص ٣١ ، وص ٣٤ ـ ٣٥ .

(١٧٢) ـ كلود كاهين : العرب والشعوب الاسلامية ، ص ٢٠٧ .

(١٧٣) ـ كلود كاهين : المرجع السابق ، ص ٢٠٨

(١٧٤) ـ كلود كاهين : المرجع السابق ، ص ٢٠٩ .

(١٧٥) ـ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، ص ١٢٤ .

(١٧٦) ـ ابن المكارم : الفتوة ، ص ٣٧ .

ـ الصراع بين المأمون وابراهيم المهـــدي :

حين سلم المأمون الخلافة رأى ان يجعل الكفاءة والمقدرة المعيار في اختيـــار ولاة العهود فاختار لولاية عهده رجلا رأى فيه المقدرة على تحمل أعباء ومسؤوليات الحكم هو علي الرضا وهو من آئمة الشيعة الاثني عشرية . وأمر بطرح السواد ولبس الخضرة ، لكن بغداد ثارت على هذا العمل وانتقض العباسيونعلى المأمون، وبايعوا لابراهيم بن المهدي سنة ٢٠٢ هـ [١٧٧] ولقبوه بالمبارك . ولم تطل خلافة المبارك تلك اذ ما لبث المأمون ان ادرك الوضع العام في بغداد ، وحلل اسبابه ، فقرر أن يعود الى بغداد . وقضى بسهولة على هذه الحركة العباسية التي قامت ضده ، وانتهى الامر بمبايعة المأمون لاخيه أبي اسحق المعتصم بالخلافة من دون ابنـــه العباس[١٧٨] .

ـ الصراع بين المعتصم وابن أخيه العباس :

حين آخذ المعتصم بتقريب الاتراك والاعتماد عليهم ، غضب العرب والفرس لذلك ونهض بعض القادة بتحريض العباس بن المأمون واطماعه بالوصول الى العرش ، والعمل معا على التخلص من المعتصم وقائديه التركيين . ولم يتح لهذه المؤامرة النجاح . وقضى المعتصم على العباس وعجيف بن عنبسة فازداد نفـــوذ الاتراك اثر ذلك[١٧٩] .

ويبدو من هذا السرد لاحداث الصراع بين أفراد الاسرة العباسية للوصول الى العرش ان سوء تنظيم ولاية العهد ، وطمع أفراد الاسرة في الوصول الى عرش الخلافة ، ادى الى اثارة البغضاء والعـــداوة بين أفراد البيت المالك ، فانه لـــم

---

(١٧٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، ورقه ١٢٢ ظهر ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٥٧

(١٧٨) ـ انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٦٧ .

(١٧٩) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٤٨٩ ـ ٤٩٣ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

يكد الامر يتم لاحد المتنافسين حتى يعمل على التنكيل بمن ساعد خصمه على اقصائه من ولاية العهد • وقد شكل ذلك خطرا على كيان الدولة العباسية •

حركات الخوارج :

حمل الخوارج منذ ان انشقوا عن علي بن ابي طالب لواء مناهضة السلطات الحاكمة وحملوا السيف في وجوههم ،واعتبروهم مغتصبين لامر الخلافة التي هي حق لكل مسلم • ولم تهدأ ثورات الخوارج طوال العهد الاموي ، وحين نجح العباسيون بالقضاء على الخلافة الاموية ، رفع الخوارج السيف في وجوههم • فهم بنظرهم مغتصبون للحكم كالامويين . وكان الخوارج في مطلع العصر العباسي منتشرين في اماكن متعددة من العالم الاسلامي ، كالجزيرة وارمينيا وخراسان وعمان وشمالي افريقيا • وقد تمكن الخوارج في الدور العباسي الاول من الاستفادة من ضعف سيطرة العباسيين على الجناح الغربي للخلافة العباسية ، فاسسوا دولا لهم في شمال افريقيا كالدولة الرستمية والدولة المدرارية • وبالتالي فان هذا يدل على ان الخوارج غيروا طريقتهم ، ولم تعد غايتهم قتال من خالفهم وانما اصبحت لهم اهداف ايجابية تجلت في انشاء دول خارجية ، وفوق هذا فان ثورات الخوارج في هذه الفترة ،كانت الى حد ما اقل عنفا منها في العصر الاموي • كما كانت اقل منها تواترا •والى جانب ذلك يمكن القول ان حركات الخوارج في المشرق الاسلامي توقفت تقريبا في الدور العباسي الثاني • وسيتضح ذلك حين نستعرض حركات الخوارج التي نشبت في الدور العباسي الاول •

ـ كانت أولى الثورات الخارجية في العهد العباسي هي ثورة شيبان بن عبد العزيز اليشكري ، زعيم الخوارج الصفرية منذ مقتل الخيبري ، وقد بدأت هذه الثورة في أواخر العصر الاموي ، في عهد الخليفة مروان بن محمد في منطقة الجزيرة والموصل ونشبت بينه وبين جنود الامويين معارك كثيرة •

وتتيجة لقتالهم تركوا المناطق التي بدأ قتالهم فيها ، وتوجهوا الى المناطق

الشرقية للخلافة الاسلامية ، ولجدية الامويين في متابعتهم والتضييق عليهم . فروا الى جزيرة ابن كاوان(١٨٠) ، واعتصموا بها(١٨١) .

أثار الخوارج الصفرية الشغب والخلاف بجزيرة ابن كاوان في مطلع حكم الخليفة العباسي الاول ، فقرر قتالهم حتى القضاء على حركتهم . وعين على رئاسة الجيش الذى ارسله اليهم قائده المشهور خازم بن خزيمة ، فلم يجد هؤلاء بدا من ترك الجزيرة والالتجاء الى سواحل عمان .

كان الخوارج الاباضية قد استقروا في منطقة عمان منذ ان انشقوا عن الازارقة وكان على رأس هذه الفئة في عهد الخليفة ابي العباس رجل منهم اسمه الجلندي . وحين قدم الخوارج الصفرية الى عمان برئاسة شيبان اثر تضييق العباسيين عليهم، نشب خلاف بين هاتين الفرقتين الخارجيتين ، ثم تحول الخلاف الى صدام مسلح، اسفر عن مقتل شيبان وعدد كبير ممن معه(١٨٢) . فقوي الجلندي وثار ضد العباسيين . فسار اليه خازم بن خزيمة عن طريق البحر ، ونزل في ساحل عمان . وهنالك نشبت معارك متعددة بين الطرفين، كان بعضها للعباسيين وبعضها للخوارج . ولما رأى خازم كثرة القتلى اراد ان ينهي القتال بأن يشعل النيران في بيوت هذه الفئة الخارجة ، مما يجعل هؤلاء مضطرين الى ترك القتال وانقاذ بيوتهم . وقام رجال خازم فوضعوا المشاقة(١٨٣) على اطراف استنتهم ورووها بالنفط . وأشعلوا فيها النيران واضرموا بها بيوت اصحاب الجلندي . فانشغل جنود الجلندي بمن في البيوت من الاولاد والاهالي ،وبذلك تمكن جنود خازم من هزيمة الجلندي وقتله، واعادوا الهدوء الى المنطقة . ويقال بان عدد قتلى الخوارج بلغ عشرة الاف ارسلت

---

(١٨٠) ـ جزيرة في الخليج العربي .

(١٨١) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٣٥٣ ـ ٣٥٤ .

(١٨٢) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٥١

(١٨٣) ـ وهي من الكتان او القطن او الشعر الخالص ، تجعل على رؤوس الاسنة ، تروى بالنفط ثم تشعل فيها النيران وتلقى على الاعداء . انظرالطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٤ .
ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٧٧ .

رؤوسهم الى البصرة . ومما لاشك فيه ان هذا الرقم مبالغ فيه كثيرا(184) . ولكنه ذكر على هذا الشكل لبيان اهمية النصر .

ولم يهدأ أصحاب الجلندي بل عادوا للثورة في عهد الرشيد سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م ، واعلنوا تعيين محمد بن عفان اماما لهم ، وأصبح الخوارج مستقلين عن الخلافة العباسية ، ونناوب ائمتهم الحكم مايزيد على قرن من الزمن ، حتى كان عهد المعتضد الذي ارسل جيشا لقتالهم في سنة ٢٨٠ هـ/٨٩٣ م اعاد عمان الى طاعة العباسيين .

لم يكد العباسيون ينعمون بهدوء نسبي حتى عاد الخوارج الصفرية الى الثورة ثانية في منطقة الجزيرة مستغلين وضع المنطقة بشريا(185) .

وقد قاد ثورتهم في سنة ١٣٧ هـ/٧٥٤ م ملبد بن حرملة الشيباني(186) . تمكن هذا من هزيمة ستة جيوش قادها المرابطون في الجزيرة وقتل رؤساء تلك الجيوش . وكان آخر تلك الجيوش ذلك الجيش الذي قاده حميدبن قحطبه ، والذي انهى القتال مقابل مائة ألف درهم دفعها لملبد ، وهذا شيء جديد لم يكن يقوم به الخوارج ، ولم نعهدهم يتركون القتال الا بعد النصر أو الموت . ولم يكونوا يقبلون بانهاء القتال مقابل مبلغ من المال كما حدث في هذه المعركة(187) .

ولم يضع خوارج الجزيرة السيف نهائيا ، ففي سنة ١٦٢ هـ / ٧٨٤ م خرج عبد السلام اليشكري في قنسرين في عهد الخليفة المهدي . وقد اهتم الخليفة بامره وعمل على القضاء على هذه الثورة في مهدها . وعلى الرغم من النجاح الجزئي

(١٨٤) – ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٥١ – ٤٥٢ .
(١٨٥) – كانت المنطقة تحوي خليطا من السكان فيها اكراد وارمن وعرب ، وبعض الفرس .
(١٨٦) – المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٠٤ ظهر
(١٨٧) – ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٨٢ .

الذي حصل عليه عبد السلام اليشكري ، بانتصاره على عدد من قواد الخليفة المهدي ، الا أن نهايته كانت القتل على ايدي جنود العباسيين[١٨٨] .

وتلا ذلك ثورة خارجية اخرى في سنة ١٦٨ هـ/٧٨٤ م كان مسرحها أرض الموصل . وتمكن قائد الحركة من التغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة ، فارسل اليه المهدي خيرة قواده ، حيث تمكنوا من الوقوف في وجهه ، وقتل مع اكثر من كان معه[١٨٩] . كما نشبت ثورة خارجية اخرى في منطقة الجزيرة سنة ١٦٩ هـ/ ٧٨٥ م قادها حمزة بن مالك الخزاعي . وتمكن هذا من ان يستولي على خراج المنطقة . فاشتد ساعده وقوي امره . وهزم الجيوش المحلية التي سارت لقتاله ، ولكنه ما لبث ان قتل غيلة[١٩٠] .

ولم تنته هذه الثورات الخارجية بل كانت متتابعة ، ففي سنة ١٧١ هـ /٧٨٧م قاد الخوارج في ثورة ضد الخليفة هارون الرشيد رجل خارجي اسمه صحصح ، تغلب على ديار ربيعة . وعلى الرغم من تمكن جيوش الخليفة هارون الرشيد من قتل قائد الخوارج في هذه الثورة والانتصار على هؤلاء الثوار ، ودحرهم ، فانه تألم لتواتر الثورات في هذه المنطقة ، وشعر بعجز والي المنطقة عن تصريف امورها وضبطها فعزله عنها[١٩١] .

وكانت اهم تلك الثورات الخارجية التي نشبت في هذه المنطقة الحركة التي قادها الوليد بن طريف الشاري الشيباني ، الذي خرج على هارون الرشيد ورماه بالجور والظلم ، وتمكن من الانتصار في اكثر من جولة على جيوش الخليفة ، كما انه تمكن من قتل احدرجال العباسيين وابن خيرة قواد الرشيدوهو ابراهيم بن خازم

---

(١٨٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٤٢ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥٧

(١٨٩) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٧٨ .

(١٩٠) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٥ .

(١٩١) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ .

ابن خزيمة • وقد قويت شوكته بذلك فمضى الى ارمينيا واخذ من اهالي خلاط مبلغا كبيرا من المال ، افتدوا به انفسهم كما انه سيطر على اذربيجان ومناطق اخرى، وجبى المال من مدنها ، وقد دفع الجميع مافرض عليهم فداء لانفسهم • ادرك الرشيد خطورة هذه الحركة فاختار لقيادتها خيرة قواده يزيد بن مزيد الشيباني ابن اخي معن ابن زائده • وعلى الرغم من البطولة النادرة التي اظهرها يزيد في القتال ، الا انه لم يستطع ان يحرز نصرا سريعا على الوليد • حتى ان الخليفة هارون الرشيد شـك في مقدرة قائده • فكاتبه مهددا بعزله ان لم يناجز الوليد بسرعة وينتصر عليه ، ورماه بالتعصب لبني قومه ـ وكان كل من الوليد بن طريف، ويزيد بن مزيد من وائل ـ ثم ما لبثت الهزيمة ان حلت بجند الوليد وقتل • فقامت اخته ليلى بقيادة الجيش مكانه فاسرها يزيد ثم أطلقها[١٩٢] • ويمكن القول ان الثورات الخارجية في الجزيرة لم تهدأ طوال القرن الثاني الهجري • ولم يتمكن الخوارج خلال نشاطهم الثوري في هذه المنطقة من ان يؤسسوا امارة مستقلة ، وقد يعود ذلك الى اهتمام خلفاء العباسيين بهذه المنطقة الثغرية ، وقوة سيطرتهم عليها لقربها •

لقد نشبت ثورات خارجية في خراسان ، كما هو الحال في مناطق اخرى ، ففي سنة ١٧٥ هـ / ٧٩١ م • استعرت ثورة خارجية في خراسان بقيادة رجل يسـمى الحصين وهو من موالي قيس بن ثعلبه • وتمكن من هزيمة جيش للخليفة • وقد استمرت ثورته سنتين ، الا ان نهايتها كانت كنهاية غيرها من الثورات الخارجية التي سبقتها [١٩٣] •

واندلعت حركة خارجية في خراسان سنة ١٨٠ هـ / ٨٩٦ م قادها حمزة بـن أترك • وتمكن هذا من هزيمة صاحب هراة وقتله • وقاتلته جيوش محلية عديدة بقيادة ابناء والي خراسان علي بن عيسى بن ماهان ادت الى هزيمة هذا الخارجي ،

---

(١٩٢) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص٢٦١ وما بعدها ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٤١ ـ ١٤٣ •

(١٩٣) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢٤ •

فاختفى . الا انه حين ادرك ان اصحابه في خطر ، لم شعثه وخرج ثانية لمواجهة جيوش العباسيين . وكان في اثناء ذلك يقتل ويسبي وينهب . فقاتله طاهر بن الحسين بالطريقة نفسها التي اتبعها ، ولذلك فانه ركن الى الهدوء وكف عن القتال [194] .

وهكذا فان ثورات خارجية متعددة نشبت في وجه العباسيين في الدور العباسي الاول ، في المناطق الشرقية للخلافة العباسية ، ولكنها في غالبيتها ثورات قليلة الاهمية ، لم تستطع الصمود امام جيوش العباسيين . وهي بذلك لم تبلغ مبلغ الثورات الخارجية التي نشبت في الفترة الاموية وخاصة تلك التي قامت في عهد مروان بن محمد ، وقد يكون للجهود الضخمة التي بذلها مروان بن محمد شأن كبير في ذلك .

ولم تقتصر الثورات الخارجية في الدور العباسي الاول على مشرق الخلافة العباسية ، بل امتدت الى مغربه ، واستطاع الخوارج هناك من تأسيس دول لهم . مستغلين ضعف، قوة قبضة العباسيين في هذه المناطق وعقلية سكان المنطقة التي تناسبها الافكار الديمقراطية اكثر من الافكار الاخرى . فقد ثارت قبيلة وربجومه التي دانت بمبادىء الخوارج الصفرية في سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٨ م على العباسيين . وسيطر هؤلاء على مدينة القيروان[195] .الا انهم وقعوا في عداء مع الخوارج الاباضية بجبال نفوسة في طرابلس الغرب بقيادة أبي الخطاب . وتمكن الاخير من الانتصار على الخوارج الصفرية ، الذين سيطروا على القيروان[196] . وامتد نفوذه بذلك من طرابلس الغرب الى اقصى تونس ، فجعل على المنطقة الجديدة التي تبعت له عبد الرحمن بن رستم[197] .

---

(١٩٤) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٥٠ ـ ١٥١ .

(١٩٥) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ص ١١٢ ويذكر انهم سيطروا على القيروان وسائر افريقيا .

(١٩٦) ـ من اصل فارسي نبيل ومما يذكر عنه انه ابن القائد الفارسي رستم الذي قاد جيوش الفرس في وجه المسلمين اثناء فتح العراق ، وقتل في معركة القادسية . انظر ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ .

(١٩٧) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ .

وعلى الرغم من محاولة العباسيين اعادة شمال افريقيا لسيطرتهم والقضاء على حركة ابي الخطاب الخارجية في سنة ١٤٣ هـ / ٧٦١ م ، والنجاح الجزئي الـذي احرزه قائدهم محمد بن الاشعث ، فان الخوارج توزعوا في شـمالي افريقيـا ، واستطاعوا تأسيس دول صغيرة منها الدولة الرستمية • فقد فر عبد الرحمن بن رستم من وجه الجيش العباسي المنتصر باتجاه الغرب الى المغرب الاوسط ، وتمكن هناك بمساعدة أصحابه من بناء مدينة تاهرت سنة ١٤٤ هـ/٧٦٢م ، حيث اتخذها مركزا له وأسس مملكة خارجية اباضية عاشت قرنا ونصف القرن ، وقد استطاعت هذه الدولة ان تجمع حولها عددا من قبائل شمال افريقيا مثل لواته ورجالةونفزاوه (١٩٨)• واستمرت هذه الدولة مسيطرة على المغرب الاوسط حتى قضى عليها الفاطميون •

وكذلك فان بني يفرن من زناتة برئاسة زعيمهم أبي قره ، اسسوا لانفسهم دولة في تلمسان وبايعوا ابا قرة بالخلافة سنة ١٤٨ هـ / ٧٦٦ م • وبعد تشـديد العباسيين ضرباتهم ضد هذه الدول الخارجيـة ، اتفقوا مـع الرسـتميين وغيرهم من القبائل التي انضمت اليهم (١٩٩) وحاصروا والي العباسيين عمر بـن حفص في تونس • وعلى الرغم من النجاح الجزئي الذي احرزه عمر على الرستميين فانه لم يستطع ابعاد بقية الخوارج عن تونس • وراح عمر ضحية هذه الحركة اذ قتل سنة ١٥٤ هـ / ٧٧٢ م ، وحركة الخوارج في الاوج (٢٠٠) • ولم تهدأ غاراتهم التي بلغت ٣٥٠ غارة الا بعد وصول يزيد بن حاتم قائد المنصور سنة ١٥٦ هـ / ٧٧٤ م (٢٠١) •

اما في اقصى المغرب فقد انتشرت المبادىء الخارجية الصفرية • وتمكن هؤلاء

---

(١٩٨) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ .

(١٩٩) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .

(٢٠٠) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ ـ ١١٣ .

(٢٠١) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٣ .

من تآسيس الدولة المدرارية (١٤٠ ــ ٣٤٧ هـ/٧٥٧ ــ ٩٥٨ م) وكـان مـن فضائل هذه الدولة الخارجية بناء مدينة سجلماسة في منطقة التافيللت [٢٠٢] .

وهكذا يتضح لنا انه في حين فشلت ثورات الخوارج شـرقي الخلافـة الاسلامية بتأسيس دويلات لها ماعدا عمان ، فان خوارج شمالي افريقيا حققـوا اهدافهم ، وقد يكون ذلك تعبيرا من اهالي البـلاد عن رفض حكم العباسـيين وشعورهم بالحاجة الى حكم انفسهم عن طريق هذه الدول المنفصلة .

٤ ــ ((حركات الشيعة في الدور العباسي الاول)) :

على الرغم من كل الخطوب الجليلة التي مني بها الشيعة خلال تاريخهم منـذ مقتل علي بن ابي طالب فانهم لم ينسوا حقهم في المطالبة بالخلافة ، وعلى الرغم من الهدوء الظاهري الذي نعم به العباسيون في عهد ابي العباس ومطلع عهد المنصور ، فقد كان الشيعة كالنار تحت الرماد بحاجة الى من يحركهم .

وقد كان لدى الشيعة من الاسباب مايدفعهم لاثبات حقهم ، والوقوف بقوة وحزم في وجه العباسيين ، والمهم في الامر ان الصراع بين الفريقين لم يعد منحصرا بالخلافة ، وانما اصبح خلافا وصراعا بين العقائد التي يحملها كل فريق ويـدافع عنها . وقد تجلت اسباب الصراع بين الفريقين في الدور العباسي الاول بالامـور التاليـة :

ــ انهم كانوا يرون انفسهم احق من ابناء العباس بهذا الامر وان العباسيين مغتصبون للخلافة ، ولا يختلف شأنهم في ذلك عن الامويين .

ــ استغل العباسيون الدعوة للرضا من آل محمد ، وغرروا بانصار الشيعة من العامة ، فالحقوهم بدعوتهم ظنا من الاخيرين ان الخلافة ستؤول الى اولاد علي ابن ابي طالب .

---

(٢٠٢) ــ للحصول على مزيد من التفاصيل عن هذه الدولة ، راجع ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٦ ، من ص ١٢٩ حتى ص ١٣٣ .

ـ استفاد العباسيون من الحركات العلوية التي قامت في وجه الامويين ، ومن تجنح حركات العلويين ، وكذلك فانهم استفادوا من الموقف الثوري للعلويين، وحملهم لراية الكفاح منذ موقعة كربلاء • ومراقبة الامويين لهم ، والقضاء عليهم • فاخذوا جناح الهاشمية من الدعوة الشيعية ، وجعلوه لانفسهم ، وفي هذا مافيه من التلاعب على حقوق الشيعة وخدعتهم •

ـ مخالفة العباسيين لما كان قد قرره الهاشميون من علويين وعباسيين في اجتماع الأبواء في سنة ١٢٧ هـ / ٧٤٥ م حين قرر المجتمعون اختيار محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية ليكون خليفة بعد نجاح الثورة •

ومن المعتقد ان هذا الخبر تعوزه الدقة ، لان العباسيين لم يكونوا ليتنازلوا بسهولة عن حقهم ، وخاصة وأن الامام في ذلك الوقت كان من العباسيين وهو ابراهيم بن محمد • وان الدعوة للرضا من آل محمد (العباسية) كانت على ابواب النجاح • واذا صح ذلك فان أئمة العباسيين فعلوا ذلك لئلا يصيبهم الاذى ، فيما لو انكشف الامر • وكان ذلك من باب التكتم الذي مهر به العباسيون وبنوادعوتهم على اساسه • وانهم ارادوا ان تكون الجبهة الهاشمية متماسكة في هذه الفترة الحرجة من فترات الدعوة[٢٠٣] • وبالتالي فقد كانت ثورة محمد بن عبد الله النفس الزكية على رأس قائمة ثورات العلويين في الدور العباسي الاول •

ثورة محمد بن عبد الله النفس الزكية ، واخيه ابراهيم (١٤٥ هـ / ٧٦٢ م) :

امتازت علاقات الخليفة العباسي ابي العباس مع العلويين بالمهادنة [٢٠٤] ، حتى اذا جاء عهد المنصور ــ الذي كان يعمل على توطيد اركان دولته بالوسائل الممكنة كافة ، بالاضافة الى شدة الحذر الذي تميز به ــ بدأ التوتر يسود العلاقات بين الطرفين • فقد اهتم المنصور منذ ولي الخلافة بأمر محمد وابراهيم ابني عبدالله

---

(٢٠٣) ـ انظر ابن طباطبا : الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ـ ويذكر الطبري : المصدر السابق جزء ٧ ، ص ٥١٧ه البيعة لمحمد دون ذكر المكان والسنة •

(٢٠٤) ـ انظر عن ذلك المقريزي : المصدر السابق ، ص ٧٩ وجه و ٧٩ ظهر •

ابن الحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب . وخاصة وانه لمس منهما عدم الموافقة على تحويل الخلافة للعباسيين منذ ان حج في خلافة اخيه سنة ١٣٦هـ / ٧٥٣م[٢٠٥]. وان محمدا[٢٠٦] واخاه رفضا البيعة لابي العباس ومن بعده للمنصور . ويقال بان المنصور في حجه ذاك سأل عنهما فلم يفلح بالاجتماع بهما . ولذلك فانه كلف والي الحجاز زياد بن عبيد الله الحارثي بارسالهما اليه[٢٠٧] . وحين تولى امر الخلافة ، كان يرى القبض عليهما مهما كلفه ذلك . فاتصل ببني هاشم وسألهم عنهما ، فلم يحظ باجابة مريحة ، واعلمه هيؤلاء بأن محمدا يخافك على نفسه ، لانه يعلم أنك تعرف أنه يطلب هذا الامر لنفسه ، ولذلك فانه اختفى عن الانظار [٢٠٨] .

كان الخوف متبادلا بين الطرفين ، فكما خاف محمد على نفسه غدر المنصور، كان الاخير يخشى على عرشه من طمع محمد . ولذلك كان لابد لاحدهما من القضاء على الاخر . وبدأ المنصور بالتخطيط للظفر به بطرق متنوعة فمن التجسس الى تبديل الولاة المتكرر ليظفر بوال كفء يعمل بجد على الفوز به . ففي باب التجسس قام بشراء الارقاء من العرب ومنحهم الابل وفرقهم بطلبه في ظاهر المدينة متظاهرين بانهم ضلوا ،عسى أن يصلوا عنهذا الطريق الى معرفة مكان محمد[٢٠٩]. وفي الباب الاخر ، قام بعزل واليه زياد بن عبيد الله الحارثي ، وصادر امواله ، وكبله بالحديد وسجنه وعين مكانه محمد بن خالد القسري [٢١٠] لانه ادرك اهماله في الجد في طلب محمد وابراهيم ، وخاصة حين علم بان محمدا استطاع ان يخرج

---

(٢٠٥) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥١٧ — ٥١٨ .

(٢٠٦) — هو صاحب البيعة في الابواء وهو الامام الموصى له من قبل الامام يحيى بن زيد علي زين العابدين بالامامة قبل مقتله .

(٢٠٧) — الطبري : المصدر السابق جزء ٧ ، ص ٥١٨ — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥١٣ — ٥١٤ .

(٢٠٨) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥١٨ — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥١٤ .

(٢٠٩) — عن تفاصيل ذلك انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥١٩ — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥١٤ ، ص ٥١٥ .

(٢١٠) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥١٩ .

من المدينة ويتنقل في الكوفة والسند وعدن (٢١١) • وان يقوم بالدعوة لنفسه هناك • كما ان دعاته وصلوا مصر ودعوا له فيها (٢١٢) •

وما لبث المنصور ان عزل محمد بن خالد واتهمه بالتباطؤ والتهاون في تنفيذ مهمته وعين ثالثا عرف بالشدة والقسوة ، وقد اتضح ذلك من خطبته التي بدأ بها الناس والتي لاتختلف في معناها ومبناها عن خطبة الحجاج بن يوسف الثقفي في مسجد الكوفة ، الا ان اهالي المدينة الذين كانوا يتدفقون حماسة لآل علي ، جابهوا الوالي بكلمات كان لها من قوة التأثير مايفوق خطبة الوالي • وعلى الرغم من تهديد المنصور لاهالي المدينة بسبب موقفهم من الوالي فانهم حصبوه • فالتجأ الى المقصورة محتميا بها • وباذن من المنصور بدأ بالتنكيل بالعلويين ، فزج اغلبهم بالسجن بعد أن قيدهم بالسلاسل (٢١٣) •

كانت خطة المنصور ان يسرع محمد وابراهيم بالخروج بعد التنكيل باسرتهما، وقد نجح في ذلك • ففي جمادي الاخرى في سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م خرج محمد على المنصور مع عدد من انصاره ، وقصد السجن فكسر بابه واخرج من فيه ، وانضم اليه اغلب من في المدينة • وبعد ازدياد قوته تجرأ على الدخول الى دار الامارة واسر الوالي وأخاه ، ثم خطب الناس خطبة اوضح فيها اسباب ثورته ، وبين حقه الصريح في الخلافة واغتصاب المنصور لهذا الحق (٢١٤) • ويبدو انه مما شجع محمد على الخروج كثرة الرسائل التي وصلته من الامصار ، والتي توضح تشيعها له ، فقال في خطبته : (والله ماجئت هذه ، وفي الارض مصر يعبد الله فيه ، الا وقد اخذ لي فيه البيعة) (٢١٥) • ولم يكن يعلم بان اكثر هذه الرسائل كان يزورها قادة المنصور لمحمد بامر من الخليفة لخداعه • ومما زاد في حماس محمد وقوة انصاره في البداية،

---

(٢١١) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥١٧ •
(٢١٢) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٢٤ •
(٢١٣) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٢٤ ـ ٥٢٧ •
(٢١٤) ـ ابن الاثير : المصدر السابق جزء ٥ ، ص ٥٣١ •
(٢١٥) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٣١ •

اتخاذ الامام مالك الامام صاحب المذهب المالكي ، وامام اهل السنة دون منازع جانبه ، فأفتى بنقض بيعة المنصور ، اذ صرح للناس بانهم بايعوه مكرهين وليس على مكره يمين (٢١٦) .

لقد كانت صفات محمد بن عبد الله تؤهله لتولي منصب الخلافة ، فهو من سادات بني هاشم ، ومن مقدميهم في الفضل والشرف والعلم . متحليا بالصفات الحميدة والخصال الكريمة . وكان زاهدا وناسكا ، ولذلك سمي بالنفس الزكية وبالمهدى . وفوق كل هذا فانه لم يكن ميالا لسفك الدماء وظلم الناس ، بل اشتهر بالعفو والعفه . وقد أهلته هذه الصفات ان يحتل مركزا عظيما بين الناس (٢١٧) .

وقد اراد محمد بن عبد الله . ان يوسع دائرة الثورة لادراكه بان اهل المدينة لم يكونوا في ذلك الوقت اهل حرب . فارسل اخاه ابراهيم الى البصرة لينشر الدعوة فيها (٢١٨) . وقد تمكن ابراهيم من دخولها بالحيلة والدهاء مرافقا لقافلة البريد .فاستولى على دار الامارة في البصرة ، وهزم قوات الخليفة المنصور ، كما استطاع ان يجعل فقهاء البصرة ، وكبار رجالها الى جانبه . وفوق ذلك فانه استطاع ان يدخل اهالي واسط والاهواز وفارس في دعوته (٢١٩) . وفي هذه الظروف الحرجة التي واجهها المنصور لم يدع بابا الا طرقه . فقد كتب الى محمد بن عبدالله يطلب منه فيه العودة الى الطاعة ، وله ولمن معه الامان على دمائهم واموالهم . فرفض محمد ذلك واصر على موقفه معلنا بان ذلك حقا من حقوقه . وقد جرت مراسلات بين الطرفين تعتبر من اهم الوثائق العباسية وأشهرها . فهي تصور الجدل الفكري الذي قام بين العباسيين والشيعة ، والتي يذكر كل طرف فيها الحجج التي تفضله غيره ، وتجعل له الحق في الخلافة . ويؤكد أبو جعفر المنصور في رسائله ان

---

(٢١٦) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٢٩ .
(٢١٧) ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٤٧ .
(٢١٨) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٣٦ .
(٢١٩) حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٣٠ .

ميراث النبي للعباس لا لفاطمه ، وانه لاشرف ولافضل في جاهلية ولا اسلام في دنيا ولا آخرة الا والعباس وارثه ومورثه (٢٢٠) .

رفض محمد بن عبد الله الموادعه وأخذ يستعد لمواجهة الموقف بحفر خندق حول المدينة ، في حين ارسل المنصور جيشا كثيفا جعل على قيادته ابن اخيه وولي عهده عيسى بن موسى ، وارفده بجيش آخر . ولذلك دارت بين الطرفين معركة غير متكافئة ، هزم على اثرها محمد بن عبد الله وانصاره . ولقي مصرعه بعد ان ضرب مثلا في الشجاعة وهو ابن خمس واربعين سنة (٢٢١) .

كان على المنصور بعد ان تم له القضاء على محمد ان ينهي خطر هذه الثورة بالقضاء على اخيه ابراهيم ، بعد ان اشتد خطره بتغلبه على مناطق متعددة (٢٢٢) . وتفاقم عدد جنده حتى بلغ على رأي البعض مائة ألف مقاتل ، وكان ابراهيم قد توقف عن القتال بانتظار اخبار المدينة . وحين قتل أخوه في ٢٧ رمضان سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م اخذ البيعة لنفسه بالامارة ، وقاتل جيوش العباسيين التي هاجمته ، فانتصروا عليه في معركة باخمرى بين الكوفة وواسط . وقتل ابراهيم بعد فترة بسيطة من مقتل اخيه . وادى ذلك الى ضعف مركز بقية افراد الاسرة . فقتل بعضهم وفر آخرون شرقا وغربا . وقد انتهت هذه الهزيمة بالحزن العميق من قبل أشياعهم ، فرثاهم الشعراء اجمل رثاء .

ومما لاشك فيه ان هزيمة محمد بن عبد الله ونصر المنصور في هذه الثورة كانت لها اسباب متعددة قد ادت اليها منها :

---

(٢٢٠) ـ انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، من ص ٥٦٧ حتى ٥٧١ وابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٣٦ ـ ٥٤٢ .

(٢٢١) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٥٠ .

ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٣١ ـ زكار : المرجع السابق ، ص ٢٦٤ .

(٢٢٢) ـ انظر فيما سبق .

ـ سخر المنصور كل قوته وهمته للقضاء على الحركة ، فتذكر بعض المصادر والمراجع ان المنصور استمر في النوم على مصلاه خمسين يوما ينام فيه وعليه جبة ملونة قد اتسخ جيبها لايغيرها ، ولم يهجر المصلى . الا انه اذا ظهر للناس لبس السواد ، فاذا فارقهم رجع الى هيئته . واهديت اليه امرأتان من المدينة فلم ينظر اليهما ، وكان جوابه أنه ليست هذه أيام نساء ولا سبيل اليهما حتى انظر رأس ابراهيم لي أو رأسي له[٢٢٣] . كما انه طلب ان تقطع الميره من مصر عن أهل الحرمين[٢٢٤] .

ـ استشارة المنصور خيرة رجاله ، واهل الرأي والتجربة في أنجع السبل للقضاء على تلك الحركة . فكل اشار عليه برأي ، ومن تلك الآراء رأي اسحاق بن مسلم العقيلي الذي قال له : (اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرجال) . فقال له المنصور : انصرف حتى أرسل اليك ، فلما صار ابراهيم الى البصرة ارسل اليه ، فقال : وكيف خفت البصرة ؟ قال : لان محمدا ظهر بالمدينة وليسوا اهل حرب ، بحسبهم ان يقيموا شأن انفسهم وأهل الكوفة تحت قدمك ، وأهل الشام أعداء آل ابي طالب ، فلم يبق الا البصرة[٢٢٥] .وآراء اخرى ببذل الاموال للجند ، وتجنيد اهالي النجدة والقوة من أهل الشام .

ـ استخدام المنصور الحيلة والدهاء في القتال فأفشل الحركة ، على الرغم من أن أكبر فقهاء ذلك العصر وعلى رأسهم الامامان مالك وأبو حنيفة عطفا على هذه الدعوة . فقد حاول اغراء المناصرين للعلويين بالمال لتثبيط همتهم ، كما أشعر الناس بهزيمة النفس الزكية . فقد كلف امرأة بالمناداة من رأس المأذنة بهزيمة محمد النفس الزكية قبل ان تحدث فعلا ، مما ادى الى تصدع جيشه وهرب الموالين له خشية على أنفسهم . كما أنه أرسل الى اهالي خراسان الذين كانوا متعاطفين مع هذه

---

(٢٢٣) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٩١ و ٩٢ وجه .
ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٦٦ .

(٢٢٤) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٠٨ ظهر .

(٢٢٥) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٣٦ ـ Muir: The Caliphate., P.458.

الدعوة ، رأس قريب النفس الزكية الذي قتل ، واوهمهم بأنه رأس محمد بن عبد الله فحال بذلك دون قيام الفتن والاضطرابات في خراسان . كما امر قواده الذين في الجيش ان يكتبوا الى محمد ، فيعلموه أنهم اذا صاروا الى المدينة فواقعوه، انقلبوا اليه ، فأقام محمد طمعا في ذلك ، فلما لقوه كانت اياها[٢٢٦] .

ـ ضعف قوات محمد وأخيه اذا قيست بقوة الخلافة العباسية،فعلى الرغم من كثرة الرسائل التي وردته فان عدد انصاره لم يكونوا كذلك . كما انهم لم يكونوا مدربين تدريبا كافيا على القتال . فلم ينظم جنده ويرتبهم ترتيبا يناسب زمنه . ويمكنهم الوقوف في وجه جند الخليفة الذي اختار له نخبة من مشهوري قادته . ونظم جنده وامده بالسلاح والمؤن . ثم انه كان يرسل كردوسا من جنوده ليقاتل فاذا انهزم اردف كردوسا اخر . وكان يفعل ذلك خشية ان ينهزم الصف بكامله فيتداعى سائره[٢٢٧] .

ـ عدم التوافق الزمني بين ثورتي محمد وابراهيم مكن ابو جعفر من القضاء عليهما بالتتابع . ولو استغل ابراهيم فترة فراغ الكوفة من الجيوش التي ذهبت لقتال اخيه لتغير وجه هذه الحركة ، ولحصلت على جزء من النجاح او على نصر كامل . لانه بعمله هذا كان سيجعل العباسيين مضطرين لسحب جزء من قواتهم لقتاله ، فيخف الضغط على أخيه محمد ، ولكنه انتظر فجاءته الجيوش التي قاتلت أخاه منتصرة مظفرة ، وجابهته بعد ان تحطم قلبه وضعف أمله .

ـ اخطأ محمد في اختيار مركزه الحربي ، لان المدينة كما وصفها الرحالة المسعودي [٢٢٨] ، ليس فيها زرع ولا ضرع ولا تجارة واسعة . وبقاؤه في بلد ليس فيه اكتفاء ذاتي يؤدي الى قطع الميره عنه ، وهذا مافعله المنصور الذي قطع ميرة الشام ومصر الواردة الى المدينة[٢٢٩] .

---

(٢٢٦) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٩٨ ظهر .

(٢٢٧) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٦٨ .

(٢٢٨) ـ مروج الذهب : جزء ٣ ، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ .

(٢٢٩) ـ انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٥١ .

ـ هذا وقبيل أن انهي حديثي عن هذه الحركـة اود ان اوضح ان محمـد ابن عبد الله كان زعيم الشيعة الزيدية في زمنه[٢٣٠] . تلـك الفرقـة التي تعتبر بمعتقداتها اقرب الفرق الشيعية الى السنة . وهي التي تنسب الى زيد بن علي ، صاحب الثورة على الخليفة هشام بن عبد الملك في الكوفة سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م.

ـ ثورة الحسين بن علي بن الحسن :

مما لاشك فيه ان هذه الضربة القاسية التي أصابت العلويين بمقتل محمد واخيه ابراهيم ، ووضع كبار رجال العلويين تحت المراقبة ببغداد ، جعلتهم يستكينون لمدة عشرين عاما تقريبا . فمضى بقية عهد المنصور والمهدي دون حدوث حركة علوية . ولكن هذا السكون مالبث ان شق لاسباب متعددة منها :

ـ عدم نسيان العلويين حقوقهم في الخلافة .

ـ قسوة ولاة العباسيين في معاملتهم للعلويين وقيام عامل المدينة بالتنكيـل ببعضهم وبشكل خاص سوء معاملته للحسن بن محمد بن عبد الله ، واتهامه بشرب النبيذ ، وقبضه عليه وعلى صحبه ، والتشهير بهم بين أهل المدينة[٢٣١] .

دعا الحسين لنفسه في المدينة في ذي القعدة سـنة ١٦٩ هـ / ٧٨٦ م بعد ان اعترض على التشهير باهل بيته والحط من كرامتهم ، فاجتمع اليه عدد كبير مـن الناس ، ثم لجـأ الى السجن فاخرج من فيه وبايع الجميع للحسين بن عـلي بالخلافـة [٢٣٢] .

أقام الحسين بعد خروجه من المدينة احد عشر يوما ، ثم قصد مكة حيـث

---

(٢٣٠) ـ انظر فيما بعد .

(٢٣١) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٩٢ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٠ .

(٢٣٢) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩١ .

استقطب اهلها حوله وعمل على منح الحرية للعبيد [٢٣٣] . وعلم الخليفة الهادي بما حدث فجهز جيشا جعل على قيادته محمد بن سليمان بن علي . والتقى الحسين بهذا الجيش في مكان يقال له فخ[٢٣٤] وجرى بين الطرفين قتال عنيف ، اسفر عن قتل الحسين بن علي بعد ان ابلى بلاء حسنا . وقتل معه ايضا بعض اهل بيته [٢٣٥] . وكانت هذه الموقعة من الشدة بحيث قيل لم تكن مصيبة بعد كربلاء اشد وافجع من فخ . وكثر رثاء الشيعة لقتلاهم فيها[٢٣٦] . ومنها ما انشده عيسى بن عبد الله حيث قال :

لابكين على الحسين بعولة وعلى الحسن
وعلى ابن عاتكة الذي واروه ليس بذي كفن

وانشد موسى بن داود فيهم :

ياعين بكي بدمع منك منهمر فقد رأيت الذي لاقى بنو حسن
صرعى بفخ تجر الريح فوقهم أذيالها وغواد دلح المزن [٢٣٧]

لم تكن اهمية هذه الثورة تكمن في احداثها فقط . بل كانت نتائجها اكثر اهمية منها ، فقد كانت سببا في ميلاد حركات شيعية اخرى ستكون لها نتائج هامة، وسيكون تأثيرها واضحا في ظهور دويلات منفصلة عن الخلافة العباسية .

ـ ثورة ادريس بن عبد الله واخيه يحيى :

بعد هزيمة فخ تمكن ادريس بن عبد الله ، واخوه يحيى من الافلات من

---

(٢٣٣) ـ انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٢ .

(٢٣٤) ـ هو واد في طريق مكة على بعد ثلاثة او ستة اميال منها . انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٣٧ ـ وانظر ابن خلدون : المصدر السابق جزء ٦ ، ص ١٤٧ ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٣٩ .

(٢٣٥) ـ ابن الاثير : المرجع السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٣ .

(٢٣٦) ـ انظر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(٢٣٧) ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٣٨ .

قبضة العباسيين ، فاتى ادريس مصر مستغلا تشيع صاحب البريد فيها ، الذي حمله الى اراضي المغرب حيث نزل بأراضي طنجة بمدينة وليلا[238] فاخذ يدعو من حوله من البربر • فاستجاب له عـدد كبير منهـم[239] • ولما رأى الرشيد ان القضاء على حركته يكلفه كثيرا ، لبعد المكان الذي اختاره وشدة مراس البربر وصعوبـة قتالهم • اراد ان يعمل على القضاء عليه بالمكيدة والخداع • فارسل اليه رجلا عرف بدهائه • فتظاهر امامه بانه خارج على العباسيين • وتمكن من ان يظهر بمظهـر الصادق امام ادريس • فوثق به ادريس كل الثقة ، وقربه منه • فساعده ذلك على دس السم لادريس ، في سنة ١٧٧ هـ / ٧٩٣ م • فبايع انصاره ابنه ادريس بعـد ولادته ، واليه تنتسب دولة الادارسة في بلاد المغرب[240] • وكان من نتيجة ذلك أن:

ـ غير الرشيد سياسته تجاه العلويين فاخذ يعمل على استئصالهم بعد ان بدأ عهده باستمالتهم واعطائهم حرية التحرك •

ـ اقطع ابراهيم بن الاغلب ولاية افريقية تونس الحالية ، ليقف في وجـه الادارسـة •

أما يحيى فقد نجح في الذهاب شرقا حيث استقر به المقام في بلاد الديلم ، جنـوب بحر الخزر • واخذ هناك في الدعاء لنفسـه ، فقوي أمـره وبايعتـه جموع كثيرة من المناطق المجاورة لاعتقادهم بأحقيته بالامامة ، وغدا أمره من الخطر بحيث هدد سلامة الدولة العباسية[241] •

قلق الرشيد لهذه الحركة واراد القضاء عليها بكل الوسائل • فندب الرشيد

---

(٢٣٨) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٣ ووليلا مدينة بالمغرب قرب طنجه ، انظـر ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٣٨٤ ، وردت هكذا في ياقوت اما ابن الاثير : جزء ٩ ، ص ٩٣ فقد رسمها وليله •

(٢٣٩) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٣ •

(٢٤٠) ـ حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ، جزء ٢ ، ص ١٤٢ •

(٢٤١) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٤٢ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢٥ •

ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢١٨ •

وزيره الفضل بن يحيى لقتاله في ١٧٦ هـ / ٧٩٢ م وجعل تحت امرته خمسين ألف مقاتل . ولتقوية مركره جعل له ولاية جرجان وطبرستان وغيرها[٢٤٢] .

بدأ الفضل عمله بالمفاوضات السلمية . على أمل ان يحقق بها هدفه فكاتب يحيى بن عبد الله محذرا اياه ، موضحا عاقبة الخروج على الخلفاء ،كما أغرى حاكم الديلم بسليون درهم ، ان هو اخرج يحيى من بلاده[٢٤٣] . ويبدو ان يحيى كان قد اخذ عبرة من نتائج الثورات العلوية التي سبقته ، فآثر المسالمة وركن الى الهدوء . وقبل بالصلح والتسليم مشترطا ان يكتب له الرشيد امانا بخطه يشهد فيه القضاة والفقهاء وجلة بني هاشم ومشايخهم . فاجابه الرشيد الى ذلك ، وسير كتاب الامان مع الهدايا والتحف . فقدم يحيى مع الفضل الى بغداد فلقيه الرشيد بكل ما أحب وأمر له بمال كثير . واسفر ذلك عن ارتفاع مكانة الفضل عند الخليفة [٢٤٤] .

ويبدو ان امورا قد حدثت فيما بعد الجأت الرشيد الى سجن يحيى وقد يكون الرشيد توهم عدم اخلاص يحيى وخشي منه اما لمركزه عند الناس او لان يحيى قام فعلا بما يخشاه الرشيد وتآمر ضد الخليفة[٢٤٥] . والمهم في الامر ان يحيى اودع السجن ، وتختلف الروايات في نهاية يحيى هذا بعد سجنه ، وترى بعضها بأنه قتل في السجن ، ومن المعروف ان نهاية يحيى هذه كانت من عوامل نكبة البرامكة فيما بعد[٢٤٦] .

ـ نهاية موسى الكاظم بن جعفر الصادق :

دب الخلاف في صفوف العلويين في عهد الرشيد ، واخذ بعضهم يوشي بالبعض . وقد علم هارون الرشيد من بعض حساد موسى الكاظم من اقاربه ، بأن

---

(٢٤٢) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢١٨ .
(٢٤٣) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢٥ .
(٢٤٤) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢٥ .
(٢٤٥) ـ انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٤٥ ومابعدها .
(٢٤٦) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

لموسى الكاظم دعوة وان الناس يحملون اليه خمس أموالهم ، ويعتقدون امامته . وانه يتهيأ للخروج على الخليفة ، واكثروا في القول ضده ، مما اقلق بال الرشيد ، ودفعه الى العمل على التخلص منه . فلما قدم الخليفة الى المدينة المنورة في سنة ١٧٩ هـ/٧٩٥ م قبض عليه وحمله الى بغداد ، حيث حبسه عند السندي بن شاهك، ثم دس اليه من قتله خفية سنة ١٨٣ هـ / ٧٩٩ م ، وادخل شهودا شهدوا انه مات حتف انفه [٢٤٧] .

ولم يحدث في عهد الامين ثورات علوية ، ويبدو انه لم يحدث في عهده مايثيرهم ، ولم يعملوا على استغلال فترة الخلاف بين الامين والمأمون . وقد وصف الأصفهاني موقف الامين من العلويين بقوله : « كانت سيرة محمد الامين في آل أبي طالب خلاف من تقدم ، لتشاغله بما كان فيه من اللهو والادمان ، ثم الحرب التي كانت بينه وبين المأمون حتى قتل . فلم يحدث على أحد منهم في ايامه حدث بوجه ولا بسبب »[٢٤٨] .

ـ العلويون في عهد المأمون :

لم يهدأ الصدام بين آل علي والعباس في عهد المأمون ، على الرغم مما يذكر عن المأمون من حسن معاملة العلويين . فقد بثوا دعاتهم في البلاد ، وخرج على المأمون منذ مطلع خلافته ، محمد بن ابراهيم العلوي المعروف بابن طباطبا بالكوفة في جمادي الثانية سنة ١٩٩ هـ / ٨١٤ م ، وصار يدعو الى الرضا من آل محمد[٢٤٩] ، والعمل بالكتاب والسنة ، وعاونه في نشر دعوته قائد جنده أبو السرايا السري بن منصور الشيباني الذي استولى على الكوفة من يد واليها العباسي [٢٥٠] . ولما توفي ابن طباطبا قام قائده ابو السرايا بتولية محمد بن محمد

---

(٢٤٧) ـ انظر محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، ص ٢٠٤ .

(٢٤٨) ـ محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ، ص ٢٠٤ نقلا عن الاصفهاني .

(٢٤٩) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٢٢ وجه

(٢٥٠) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ .
المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٢٢ وجه .

ابن زيد العلوي واستبد بالامر دونه[٢٥١] وضرب الدراهم بالكوفة ، كما ارسل ولاة من العلويين الى مكة والمدينة والبصرة وغيرها من الامصار الاسلامية [٢٥٢]. وقد تمكن أبو السرايا من تحقيق هذا النجاح لبعد المأمون عن بغداد واقامته في مرو . ولكن الحسن بن سهل (والي المأمون على العراق) عمل على القضاء على هذه الثورة . وتعاون مع هرثمة بن أعين لاخمادها . وتمكنا من اخراجه من الكوفه ، فاخذ يتنقل من بلد الى آخر ، حتى قبض عليه في جلولاء [٢٥٣] .

ويبدو ان المأمون على الرغم من قضائه على هذه الثورة ، فانه لم يكن يكره العلويين . والدليل على ذلك انه حين فكر فيمن سيخلفه ، لم ير أصلح من علي ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، فبعث في طلبه من المدينة المنورة ، ثم بايعه بولاية العهد ، ونقش اسمه على الدنانير والدراهم ، وكتب بذلك كتابا بخطه ولقبه الرضا من آل محمد ، فعرف بعلي الرضا . ثم انه امر بخلع السواد شعار العباسيين[٢٥٤] ، وامر بلبس الخضره ، وكان ذلك في خراسان سنة ٢٠١ هـ/ ٨١٦ م . ولم يكتف المأمون بذلك بل زوجه ابنته ، وزوج محمد الجواد بن علي الرضا ابنته الاخرى . ووصل خبر مافعله الى العباسيين في بغداد فانكروا ذلك ، وخلعوا المامون وبايعوا عمه ابراهيم بن المهدي بلقب المبارك في محرم سنة ٢٠٢ هـ/٨١٨ م[٢٥٥] .

واختلف المؤرخون في تفسير هذا المنعطف السياسي في سياسة الخليفة العباسي المأمون ، فرأى بعضهم أن سبب هذه البيعة يعود الى نزعة المأمون الفارسية ، فقد نشأ منذ نعومة أظفاره في بيئةفارسية، فأمهمراجل فارسية الاصل .

---

(٢٥١) ــ المقريزي : المصدر السابق ، ص ١٢٢ ظهر

(٢٥٢) ــ سرور : المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

(٢٥٣) ــ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٢٢ ظهر .

ــ ابن الاثير . المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٣٠٩ .

(٢٥٤) ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٣٢٦ ــ ٣٢٧ .

(٢٥٥) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٥٤ ــ ٥٥٥ .

واشرف جعفر البرمكي الفارسي على تربيته • كما يرى الاخرون ان هذا الامر كان بتأثير وزيره الفضل بن سهل الفارسي الاصل الشيعي المذهب ، والذي كان يميل الى ان يكون خليفة المسلمين علويا • ويعزو بعضهم ذلك الى ان المأمون كان يؤمن بحق آل علي في الخلافة [٢٥٦] ، ويعطف عليهم • ويتضح ذلك من الوصية التي اوصى بها أخاه المعتصم قبل وفاته •

(وهؤلاء بنو عمك من ولد امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه فاحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم واقبل من محسنهم ، وصلاتهم فلا تغفلها في كل سنة عند محلها ، فان حقوقهم تجب من وجوه شتى) [٢٥٧] • ثم ان المأمون استعرض الفتن التي قامت في الدولة الاسلامية منذ خلافة علي بن ابي طالب الى عهده ، فلمس فيها فرقة لكلمة المسلمين وقطعا لاوصال الدولة الاسلامية وشغلا للخلفاء عن القيام باصلاح حال المسلمين ، فرأى انه من الخير له ان يفتح الطريق امام الاسرتين معا لاختيار افضلهم ، وليتعاون الجميع لمصلحة المسلمين •

ويرى بعض المؤرخين ان المأمون قام بخطوته تلك حتى يخرج الائمة الشيعة الذين يدعون لقضيتهم سرا من مكامنهم • فالعامة تسمع عنهم كل حسن ولا تراهم فظنوا بهم مايظن بالانبياء • واذا ماخرجوا وتعرف عليهم العامة وجدوهم كغيرهم فيتضاءل تقديسها لهم [٢٥٨] •

واخيرا يمكن ان نصل الى نتيجة قد تحوي الحقيقة او جزءا منها • وهي ان فكر المأمون الواسع والناضج الذي حمل خلاصة علوم وفلسفات شتى ، وانسانيته التي كونها هذا الفكر ، ادت الى حصول قناعة عنده بان العلويين قد ظلموا وحان وقت انصافهم •

---

(٢٥٦) ـ انظر عن ذلك القريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٣٩ ظهر و ١٤٠ وجه •

(٢٥٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٤٩ ـ ٦٥٠ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٢٦ وجه •

(٢٥٨) ـ القفطي : اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ص ٢٢١ ـ ٢٢٣ •

ـ نهاية محمد بن القاسم :

سار المعتصم في سياسته مع العلويين على نسق من سبقه من اسلافه • كما تابع العلويون ثوراتهم في عهده • فقد نهض محمد بن القاسم العلوي بثورة ضد المعتصم في سنة ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م بدأها في مدينة الكوفة ، ثم الطالقان ، واخذ يدعو الى الرضا من آل محمد ، فاجتمع اليه عدد كبير من اهلها فازداد نفوذه بذلك •

كلف المعتصم عبد الله بن طاهر لقتاله وجرت بين الفريقين وقائع متعددة ، فر على اثرها محمد بن القاسم ، فاتبعه عبد الله حتى قبض عليه ، وارسله الى المعتصم فحبس في مدينة سامراء سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٦ م • وقد اختلف الناس في نهايته ، فمن قائل أنه قتل بالسم ، ومنهم من يقول ان بعض اتباعه اخرجوه من مكانه وذهبوا به الى موضع مجهول ، ولم يعرف له خبر (٢٥٩) • ويقال ان عددا كبيرا من الزيدية انقاد اليه ، ويزعم فريق منهم بنواحي الكوفة وجبال طبرستان والديلم وخراسان انه لم يمت وانه حي يرزق ، وانه سيخرج فيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، وظل هذا الاعتقاد سائدا حتى سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٤ م •

وبعد استعراضنا لموقف العلويين من ابناء عمومتهم العباسيين في الدور العباسي الاول يمكننا استنتاج مايلي :

ـ تمثل النزاع المسلح في هذا الدور بين العباسيين والعلويين بثورات الفرقة الزيدية من الحزب الشيعي بالاضافة الى ماحدث بين الفريقين من جدل كلامي ، كالجدل الذي حدث بين النفس الزكية والمنصور والمساجلات الشعرية التي قامت بين شعراء الفريقين (٢٦٠) • ولابد من ان نذكر ان معتقدات الفرقة الزيدية

---

(٢٥٩) ـ عن نهاية محمد بن القاسم ، راجع الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٧ ـ ٨ •

(٢٦٠) ـ عن المساجلات الشعرية : انظر حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٤٥ حتى ١٥٣ •

هذه تطورات مع الزمن ، مما أدى الى نشوء فرق متعددة لكل منها تعاليمها التي تختلف عن المذهب الزيدي الرئيسي (٢٦١) •

ـ ان الشدة التي واجه بها العباسيون ثورات الشيعة الزيدية ، أدت الى تخفي أئمة بعض فرق الشيعة ، وأخذ زعماؤها يعملون بصمت وكتمان على انضـــاج معتقدات فرقهم •

ـ حدوث صراع بين أئمة الشيعة زاد من انقسامهم الى فرق اخرى • وبدأ التمايز واضحا بين هذه الفرق ، فظهرت الاسماعيلية ، والامامية الاثنى عشرية ، ولكن الصراع بين هذه الفرق الجديدة ، والخلافة العباسية لم يظهر الا في الدور العباسي الثاني •

هذا ولابد من القول أخيرا انه اذا فشل الشيعة في تحقيق حلمهم كاملا في هذا الدور ، فانهم استطاعوا ان يحققوا جزءا منه حين تمكنوا من تأسيس دولـــة الادارسة في المغرب • كما نجحوا في تأسيس دولة زيدية في طبرستان ، ثم استطاعوا فيما بعد ان يقيموا خلافة فاطمية في شمال افريقية •

٥ ـ الصراع بين العرب والموالي :

لم ينل الموالي في العصر الاموي ، حقوقهم كاملة ، وكان العنصر العربي مميزا عليهم لانه مادة الاسلام ، وحامل رايته ، ورافعها عاليا • ولذلك فقد عمل الموالي جاهدين على اثبات وجودهم ومركزهم بالانخراط في سلك المتفقهين في الديــن الاسلامي • وشعر هؤلاء الذين تفقهوا في الدين بعدالة الاسلام وبحقوقهم التي لم يحصلوا عليها في ظل الحكم الاموي ، ولكنهم لم يجرأوا على المطالبة العلنية بذلك، بل قاوموا الامويين ، بانخراطهم في الثورات المختلفة التي ناهضتهم • وللعدالة يجب أن نذكر أن هذه النظرة الى الموالي لم تكن عامة لدى العرب كافة ، بل هي النظرة السائدة بين العامة من العرب والحكام ، وبالمقابل فقد سادت الاوساط العلميـــة

---

(٢٦١) ـ انظر فيما بعد •

والدينية نظرة المساواة ، وكان تعصبها للدين والعلم • وبالتالي فان هذا مايفسر لنا مايروى في كتب التاريخ والسير من قصص مختلفة تدل على احتقار الموالي حينا ، واحترامهم حينا آخر (٢٦٢) •

وحين قامت الخلافة العباسية ، وشعروا بدورهم في نجاحها • بالاضافة الى مانالوه من حقوق في ظل الخلافة الجديدة ــ اذ أصبحوا وزراء ، وحاشية للخلفاء ، وقادة للجيوش في بعض الحملات ــ • وما بقي في اذهانهم عن ماضيهم بما فيه من حضارة وما في نفوسهم من بقايا دياناتهم السابقة • مع بقاء لغتهم حية على السنتهم ، قاموا بالتعبير عما كان يجيش في صدورهم ، وبالعمل على تحقيق سيادتهم فنهضوا لتشويه سمعة العرب ، وابراز مكانتهم السابقة ، ودورهم في الحضارة العالمية ، كما قام فريق منهم بتشويه تعاليم الاسلام • وادخالهم شيئا من دياناتهم السابقة ضمن تعاليمه ، ومن ثم عملوا على تحقيق استقلالهم والوقوف في وجه الخلافة الاسلامية • فقد كان يسؤوهم ان الخلفاء العباسيين على الرغم من اعتمادهم عليهم ومناداتهم بالمساواة في ظل الاسلام ، فانهم كانوا لايزالون يحتضنون في اعماقهم المضمون العربي القديم لقيمة الموالي • وقد اسفر ذلك عن حركات متعددة لها غايات دينية وقومية ، امتشق الموالي في بعضها الحسام لتحقيق اهدافهم ، وناضلوا نضالا سلميا في بعضها الآخر •

فمن الحركات السلمية التي قام بها الموالي في ذلك الدور لابراز قيمتهم ومكانتهم •

ــ محاولة من تولى منصبا كبيرا وشعر بقيمته في نجاح الدعوة العباسية ، الى تحقيق السيادة الفارسية ، والاستقلال في المناطق الشرقية • ومن الامثلة على ذلك موقف ابي مسلم الخراساني في عهد المنصور •

---

(٢٦٢) ــ انظر احمد أمين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٧ ــ ٢٨ .

ـ محاولة من توصل منهم الى منصب الوزارة منافسة الخلفاء في الحكم ، فاسفر ذلك عن صراع بين الخلفاء والوزراء .

ـ محاولة بعضهم سلب العرب كل ماكان لهم من صفات متميزة في الجاهلية ، وبالتالي سلبهم مكانتهم الاولى في الاسلام مع ابراز ميزات الفرس قبل الاسلام ، وفضلهم على الخلافة الاسلامية فنشأت الشعوبية .

ـ عمل آخرون على تشويه الاسلام ، وادخال تعاليم ديانات فارسية ضمنه فنشأت الزندقة ، أما ما قام به هؤلاء من كفاح مسلح فتجلى بحركات متعددة :

أ ـ الثورة الراوندية .

ب ـ ثورة المقنعيـة .

ج ـ الحركة الخرمية .

د ـ حركات متنوعة اخرى .

ـ الصراع السلمي بين العباسيين والموالي :

أ ـ الصراع بين أبي مسلم الخراساني وأبي جعفر المنصور :

امتلأت الفترة القصيرة التي اعتلى فيها أبو العباس عرش الخلافة العباسية بالحركات الناهضة ولكنه تمكن بفضل مساعديه من القضاء عليها .وعلى الرغم من ان ابا مسلم لم يقم بأعمال عدوانية ضد الخلافة العباسية ، وكان من دعاتها النشيطين وخدامها الماهرين ، الا ان المنصور كان يخشى من قوته وشدة وكثرة انصاره . ويبدو ان بوادر الحذر منه قد بدأت من قبل المنصور قبل اعتلائه عرش الخلافة . ومنذ ان ذهب اليه لاخذ البيعة لاخيه من أهالي خراسان ، أبدى أبو مسلم استخفافا بالمنصور ، فلما عاد الى اخيه اخبره بما كان ، وحذره من أبي مسلم [٢٦٣]

---

(٢٦٣) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٨٧ وجه وظهر .

قائلا : يا أمير المؤمنين (أطعني واقتل ابا مسلم فوالله ان في رأسه لغدرة ،) فقال أبو العباس مجيبا اخاه : (يا أخي قد عرفت بلاءه وما كان منه .) فقال ابو جعفر: (يا امير المؤمنين انما كان بدولتنا والله لو بعثت سنورا لقام مقامه ، وبلغ مابلغ في هذه الدولة)[٢٦٤] . وبدأ ابو العباس بعد ذلك سلسلة من الاعمال تشير الى انه قد قرر عدم تمكين أبي مسلم من زيادة سيطرته . كان أبو مسلم يسير في حاشية كبيرة من أعوانه ، وحين استأذن ابا العباس في القدوم اليه ، حذره الخليفة من أن يقدم باعداد كبيرة كعادته ، وطلب منه ان يجعل الحد الاقصى خمسمائة من الجند ، ولما اعترض أبو مسلم على ذلك واوضح بانه قد وتر الناس ولا يأمن على نفسه ، رضي أبو العباس منه الحضور بألف من أصحابه ، وطمأنه الى انه في سلطان أهله ودولته[٢٦٥] . كما انه عمل على عدم اعطائه امارة الحاج في سنة ١٣٦ هـ/ ٧٥٥ م بعد ان طلبها من ابى العباس ، واعلمه بأن ابا جعفر سيحج في هذا العام وسيكون اميرا للقافلة ، فأجابه أبو مسلم : أما وجد أبو جعفر عاما يحج فيه غير هذا العام ؟ وسار أبو مسلم في تلك القافلة كفرد في طاعة أبي جعفر . الا ان تصرفاته أشعرت أبا جعفر بازدياد نفوذه ووجوب القضاء عليه ، وكان أبو مسلم بعد أن خرجا الى مكه يصلح العقاب [٢٦٦] ويكسو الاعراب في كل منزل [٢٦٧] ، ويصل من سسأله ، ويحفر الآبار ، ويسهل الطرق ، وكأنه رئيس الحاج . ثم انه لما صدر الناس عن الموسم ، نفر ابو مسلم قبل ابي جعفر . وظهر طمعه في جمع الناس حوله من الحديث الذي دار بينه وبين مرافقه حين نظر الى اهل اليمامة في الحج فقال : يا نيرك أي جند هؤلاء لو لقيهم رجل ظريف اللسان سريع الدمعة[٢٦٨] .

---

(٢٦٤) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٦٨ .

(٢٦٥) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٨٧ وجه وقد عزا المقريزي له قولا في هذا المجال يشير الى طمعه في التغلب على الامر ، فقد اورد انه قال (اني لارجو ان يموت ابو العباس واكون مع اقوى من ياتي بعده ثم اغلب على الامر ، ويكون لي شان من الشان ، فلا تبقى بلد الا وطئته برجلي هاتين .

(٢٦٦) ـ مسيل الماء الى الحوض ، انظر لسان العرب لابن منظور ، جزء ٢ ، ص ١٠٣ .

(٢٦٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٨٠ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ٨٧ ظ

(٢٦٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٨٠ .

ولما اتاه الكتاب بموت أبي العباس واستخلاف ابي جعفر كتب الى ابي جعفر يعزيه بأمير المؤمنين ولم يهنئه بالخلافة ، فحقد عليه ابو جعفر[٢٦٩] ولكنه لم يشأ أن يعاقبه في تلك الاونة ، بناء على نصيحة أحد رجاله المخلصين الذي أوضح له بأن الناس جنده وهم أطوع له وأهيب •

كانت أخبار استهتار ابي مسلم بالمنصور تصله بالاضافة الى ما رآه رأي العين • فقد علم المنصور بان أبا مسلم كان حين يأتيه كتاب من أمير المؤمنين المنصور يقرؤه ثم يلوي شدقه ويرمي بالكتاب الىصاحبه فيقرؤه ويضحكان استهزاء[٢٧٠]•

الى جانب هذه المآخذ التي اخذت على ابي مسلم اضاف اليها اخرى • كالبدء بنفسه في الكتابة اضافة الى خطبته عمة المنصور لنفسه .وادعائه انه من السلالة الحاكمة وانه ينتسب الى سليط بن عبد الله بن عباس • واهم من كل ذلك تصرفه في ولايته تصرف الحاكمالمستقل عن الخليفة وتعاظم نفوذه في خراسان ، مما يشعر بنواياه السيئة في الاستقلال ، ومما زاد مخاوف الخليفة منه قيامه بقتل بعض رؤساء الدعوة من العرب دون علم الخليفة كقتله سليمان بن كثير الخزاعي •

بدأ المنصور يخطط للتخلص من أبي مسلم دون حدوث نتائج يخشى عواقبها تؤدي الى انفصام وحدة الصف • فبدأ بابعاده عن مركز قوته خراسان ، وجعله على قيادة الجيش الذاهب لقتال عبد الله بن علي ، واراد ان يضربهما ببعضهما • ثم اراد أن يكرس هذا الابعاد فارسل له كتابا بولايته على مصر والشام ليكون قريبا منه • فما كان من ابي مسلم الا ان اسفر عن نواياه بتصريحه قائلا : هو يوليني الشام ومصر وخراسان لي[٢٧١] • أدرك ابو جعفر بأن أبا مسلم أجمع على الخلاف

---

(٢٦٩) ـ انظر كتاب ابي مسلم الى المنصور ورد المنصور عليه في المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٨٧ ظهر و ٨٨ وجه

(٢٧٠) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٨٢ •

(٢٦٩) ـ انظر كتاب ابي مسلم الى المنصور ورد المنصور عليه في المقريزي : لمصدر السابق ، ورقة

فخرج من عاصمته الهاشمية الى المدائن . وكتب الى ابي مسلم في المسير اليه[٢٧٢] .
وجرت المراسلات بين الطرفين،لمس الخليفة فيها تخوف ابي مسلم من لقائه .وخاصة
حين ذكر مايروى عن ملوك آل ساسان بأن أخوف مايكون الوزراء اذا سكنت الدهماء.
فطمأنه ابو جعفر وافهمه بانه ليس من هذه الفئة التي تتمنى اضطراب حبل الامن
في الدولة لكثرة جرائمهم . الا أن أبا مسلم كان قد صمم على الخروج عن الطاعة
وعدم المثول بين يدي الخليفة ثم شعر بانه لابد من هذا اللقاء حين جاءه كتاب من
خليفته على خراسان قائلا له (انا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه صلى
الله عليه وسلم ، فلا تخالفن امامك ولا ترجعن الا باذنه) .

لم يكن هناك بد من أن يلتقي أبو مسلم ابا جعفر وفي نفسه مافيها . ويبدو
أن المنصور عاتب أبا مسلم في هذا اللقاء . وسأله عما فعله وسبب كل مافعله ، فكان
أبو مسلم يرد عليه ردا ضعيفا . فما كان من المنصور الا أن أمر بقتله . وقد رويت
روايات متعددة عن مقتل ابي مسلم[٢٧٣] .

وقد بدأ المنصور في منتهى الجرأة في تنفيذ مخططه الذي رسمه لقتل أبي
مسلم ، وفي استمالته لرجاله عن طريق توزيع المناصب والاموال .

وكنتيجة لمقتل ابي مسلم الخراساني شبت ثورتان فارسيتان ادعتا المطالبة
بثأره ، الا ان لهاتين الثورتين اهدافا أبعد من ذلك ، وهي اعادة مجد الدولة
الفارسية . كانت اولى هاتين الثورتين :

الثورة التي قادها سنباذ[٢٧٤] وهو مجوسي من أهالي قرية من قرى نيسابور ،

---

(٢٧٢) – انظر نص الرسالة التي أرسلها له مع ابي حميد المروروذي في المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٩٣ ظهر

(٢٧٣) – عن هذه الروايات راجع الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٨٨ – ٤٩٢ – المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٩٤ وجه وظهر حيث بذكر كل ماحقده المنصور على ابي مسلم الخراساني .

(٢٧٤) انظر تفاصيل هذه الحركة في المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٠٤ وجه وهو يورد اسمه سنفاذ .

انضمت اليه في ثورته اعداد كبيرة من أهالي المنطقة، وتبع هذه الثورة ثورة اخرى هي:

ثورة جهور بن مرار الانصاري الذي استولى على الاموال في خزائن ابي مسلم ، بعد أن هزم سنباذ ، ولم يوجهها للمنصور ، ثم ضم اليه عددا كبيرا من نخبة فرسان العجم . ونادى بخلع المنصور في سنة ١٣٨ هـ/٧٥٦ م ، فوجه المنصور اليه محمد بن الاشعث الخزاعي في جيش كبير ، فدارت الدائرة على جهور وقتل من أصحابه عدد كبير ، فهرب ولحق باذربيجان ، ومالبث أن قتل هناك(٢٧٥) .

ب ـ الصراع بين الخلفاء والوزراء(٢٧٦)

استهدف خلفاء العباسيين الاوائل الى احلال التفاهم، وخلق جو من التعاون بين العرب والموالي وبخاصة الفرس بدافع ايمانهم بأن الاستقرار لا يمكن ان يحصل الا بتعاون العناصر المختلفة التي تتألف منها الأمة الاسلامية(٢٧٧) . ولذلك فانهم اشركوا الفرس معهم في الحكم ؛ واتخذوا منهم الوزراء . واذا نظرنا الى قائمة وزراء خلفاء الدور العباسي الاول ، لوجدنا انهم في غالبيتهم من الفرس . وعلى الرغم من الدور الكبير الذي كان للوزير ، فان الخليفة العباسي يعتبر المرجع الاول والاخير في أمور الدولة وكانت الصلاحيات التي يمنحها الخليفة للوزير تمنح بارادته . وما أن يرى وزيره اشتط في استخدام هذه الصلاحيات حتى يوقفه عند حده ، وقد ينتهي ذلك بالقتل . وقد نفذت هذه العقوبة في عدد من وزراء هذا الدور . وعلى الرغم مما كان يتبع ذلك من ثورات جانبية ، فانها لم تكن لتؤثر على سير أمور الخلافة . وتمكن خلفاء هذا الدور من القضاء عليها .

---

(٢٧٥) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٩٧ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٠٤ ظهر

(٢٧٦) كلمة وزارة ماخوذة اما من كلمة المؤازرة والمعاونة ، او من الوزر وهو الثقل ، لما يكلف به الوزير من مهام . انظر : ابن خلدون ، مقدمة ص ٢١١ .

(٢٧٧) حسام قوام السامرائي : المؤسسات الادارية في الدولة العباسية ، ص ٨ .

لم يكن منصب الوزارة معروفا عند الراشدين والامويين• وان أطلق هــذا الاسم على ابي بكر من قبل بعض العرب الذين عرفوا نظم الحكم عند الفرس والبيزنطيين• وذلك لان الرسول كان يشاور اصحابه في أمور المسلمين العامة والخاصة ، ويخص أبا بكر بخصوصيات اخرى • ويستشيره في معضلات الامور[٢٧٨] ، وقد كان لكل خليفة قبل قيام الخلافة العباسية اتباع وحاشية يستشيرهم في مهام الامور ، دون ان يتخذوا اللقب الرسمي • وقد ظهرت الوزارة للمرة الاولى في العصر العباسي ، وكانت مرتبة الوزير تأتي بعد مرتبة الخليفة مباشرة • وأول من دعي له بهذا الاسم أبو سلمة الخلال[٢٧٩] . ولكن سلطات الوزير لم تتحدد بصورة واضحة في عهده وقد اتخذت شكلها النهائي في أواخر العصر العباسي الاول •

كان الوزير ساعد الخليفة الايمن ، ينوب عنه في حكم البلاد ، وينصب العمال، ويشرف على الضرائب ، ويجمع في يده السلطتين المدنية والعسكرية ، الى جانب واجباته العادية ، التي كانت تتمثل في مساعدة الخليفة في أعماله[٢٨٠] ، وبالتالي فان منصب الوزير في ذلك الوقت يعادل منصب رئيس الوزراء حاليا •

ويطيل ابن خلدون في مهمات الوزير وقوة مركزه ايام الخلافة العباسية ، فيرى انه (صارت اليه النيابة في انفاذ الحل والعقد •• وعنت له الوجوه وخضعت له الرقاب ، وجعل له النظر في ديوان الحسبان ، لما تحتاج اليه خطته من قســم الاعطيات في الجند ، فاحتاج الى النظر في جمعه وتفريقه ••• ثم جعل له النظر في القلم والترسيل لصون أسرار السلطان ، ولحفظ البلاغة ، لما كان اللسان قد فســد عند الجمهور • وجعل الخاتم لسجلات السلطان ، ولحفظ الذياع والشياع ، ودفع اليه ، فصار اسم الوزير جامعا لخطتي السيف والقلم، وسائر معاني الوزارة والمعاونة،

(٢٧٨) ـ ابن خلدون ـ المقدمة ، ص ٢١١ .

(٢٧٩) ـ انظر التعريف عنه فيما سبق

(٢٨٠) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٢١١ .

حتى لقد دعي جعفر بن يحيى بالسلطان ايام الرشيد ، اشارة الى عموم نظره وقيامه بالدولة . ولم يخرج عنه من الرتب السلطانية كلها الا الحجابة)[٢٨١] .

ولم ينل الوزراء كافة تفويضا في الحكم ، كما ذكر ابن خلدون . بل ان سلطة بعضهم اقتصرت على بعض الاعمال[٢٨٢] . وبالتالي فان الوزارة انقسمت الى قسمين « وزارة تفويض ، ووزارة تنفيذ . وقد حدد الماوردي فروقا عديدة بين الوزارتين نلخصها بما يلي » :

١ ــ يجوز لوزير التفويض ان يولي المعزول ، ويعزل من ولاه ، ولا يعزل من ولاه الخليفة ، ولايجوزذلك لوزير التنفيذ .

٢ ــ يجوز لوزير التفويض ان يوقع عن نفسه الى عماله وعمال الخليفة ، ويلزمهم قبول توقيعاته ، ولا يجوز ذلك لوزير التنفيذ .

٣ ــ يجوز لوزير التفويض ان يستخلف نائبا عنه ولا يجوز ذلك لوزير التنفيذ[٢٨٣] .

٤ ــ يجوز لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش وتدبير الحروب وليس ذلك لوزير التنفيذ .

٥ ــ يجوز لوزير التفويض أن يتصرف في اموال بيت المال بقبض ما يستحق له ، ودفع مايجب فيه ،وليس ذلك لوزير التنفيذ[٢٨٤] .

ابتدأت الوزارة في العصر العباسي باتخاذ ابي العباس لابي سلمه وزيرا له

---

(٢٨١) ابن خلدون : المصدر السابق ، ٢١٢ ــ ٢١٣ وانظر ماكتبه المسعودي : التنبيه والاشراف عن الوزارة وتطورها قبل الاسلام وبعده ، ص ٢٩٣ ــ ٢٩٤ .

(٢٨٢) ــ انظر الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٢٨ .

(٢٨٣) ــ الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٢٨ ــ ٢٩ .

(٢٨٤) ــ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٦٠ .

فعرف بوزير آل محمد ، وهو فارسي الاصل وقد انتهت حياة ابي سلمة بالقتل . وأسباب تغير أبي العباس عليه معروفه ومشهورة . وقد نفذ أبو مسلم عملية القتل هذه بأمر أبي العباس ، واتهم الخوارج بدمه [٢٨٥] . وقد لحقت العقوبة عمال أبي سلمة بفارس[٢٨٦] .

اتخذ أبو العباس خالد بن برمك وزيرا له بعد تخلصه من أبي سلمة[٢٨٧] . وقد استمر في هذا المنصب طوال خلافة أبي العباس ، ومطلع خلافة المنصور[٢٨٨] . الا ان ثقة المنصور به كانت ضعيفة . فقد اتهمه باختلاس اموال الدولة[٢٨٩] وألزمه برد ثلاثة ملايين درهم ، وأعطاه مهلة ثلاثة ايام والا قتله . وقام خالد بجمع المال من أصحابه ، ودفعه للمنصور فداء لنفسه من القتل . وان دل هذا على شيء فانما يدل على أن شكوك المنصور لم تكن في محلها . ويبدو ان خالدا كان على درجة عالية من المقدرة السياسية والعسكرية والادارية جعلت المنصور على الرغم من انه لم يسند اليه منصب الوزارة ـ يستخدمه في تهدئة الاوضاع في الموصل والجزيرة بعد انتقاضها ، وأوكل اليه ولايتها . كما عقد لابنه يحيى على ادربيجان . وقد أثبت خالد مقدرة فائقة في ضبط الموصل . حتى ذكر أن أهاليها كانوا يقولون : (ماهبنا أميرا قط هيبتنا خالدا من غير ان يشتد علينا ، ولكن هيبة كانت له في صدورنا) [٢٩٠] .

اتخذ المنصور أبا أيوب المورياني وزيرا له[٢٩١] وكان المنصور قد اشتراه صبيا قبل أن يلي الخلافة فثقفه وعلمه . فنبغ وأصبح من الفصحاء الى جانب ما اتصف به من سمو الاخلاق . وأعجب به أبو العباس حين رآه ، فأعتقه ، وجعله

---

(٢٨٥) ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٩٠ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٣٦ ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ٧٦ وجه و ٧٦ ظهر .

(٢٨٦) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٤٤٣ .

(٢٨٧) ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٩٤ .

(٢٨٨) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٥٧ .

(٢٨٩) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٥ .

(٢٩٠) الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٤ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٥ ـ ١٦ .

(٢٩١) ـ هو فارسي من موريان قرية من نواحي خوزستان . انظر معجم البلدان ، جزء ٥ ، ص ٢٢١ .

من المقربين اليه ، وأدر عليه صلاته ، وظل على ذلك حتى ولي المنصور الخلافه ، فقلده الوزارة • وكان نصيبه نصيب من سبقه من الوزراء[٢٩٢] • وتعددت الروايات التي تتحدث عن أسباب قتل الموريابي ، فتذكر احداها ان القتل كان بسبب سعاية من الكاتب ابان بن صدقة ، وتذكر ثانية أن قتله كان انتقاما لما قام به المورياني من قتل ابن للمنصور ، كان الخليفة (ابوه) يعتمد عليه في الكتابة • وكما يبدو لي أن أسباب القتل أعمق بكثير مما ذكر ، وقد تعود الى ازدياد نفوذ المورياني وتصرفه المستقل • لان المنصور لم يكتف بالقضاء عليه ، بل تتبع أقاربه فانتقم منهم شر انتقام[٢٩٣] • وقد استوزر بعده المنصور وزيرا من أصل عربي هو الربيع بن يونس وكان نبيلا وحازما خبيرا بالامور الحسابية ، ملما بشؤون الدولة ، عارفا بآداب الملوك • ولم يزل الربيع حائزا على ثقة المنصور حتى توفي •

اتضح اعتماد الخلفاء على الوزراء بشكل كبير في عهد المهدي • وكان ذلك من جهة لصفات المهدي وانشغاله جزئيا بأموره الخاصة ، ثم من جهة ثانية لشعوره بكفاية ودراية وزرائه الذين اعتمد عليهم من جهة اخرى • وكان أول الوزراء أبو عبيد الله معاوية بن يسار الاشعري ، وهو عربي من أهالي فلسطين[٢٩٤] • تقلد الكتابة للمهدي قبل أن يلي الخلافة ، وقد وثق به المنصور ، وابقاه لابنه • وحين ولي المهدي الخلافة فوض اليه الامور وسلمه الدواوين ، واستوزره • وعلى الرغم مما اتصف به من صفات حسنة أهلته لاحتلال هذا المركز ، فانه كان متكبرا مما اغضب بعض المتنفذين من أمثال الربيع بن يونس وزير المنصور السابق • ولم يجد هذا في معاوية بن يسار منفذا شخصيا يستطيع أن يوغر به صدر المهدي ، الا في أخلاق ابنه الذي رمي بالزندقة في فترة كان المهدي بها يحارب الزندقةوالزنادقة• وقد كانت نهاية الابن القتل • ونال معاوية جزاءه خشية من أن ينتقم لابنه •

---

(٢٩٢) ـ حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص ١١٧ ـ وتاريخ الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٢٥٧

(٢٩٣) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٦٠٩ ـ ٦١٠ ـ ٦١٢ •

(٢٩٤) ـ العيون والحدائق ، ص ٢٨١ •

فحجب اولا عن الوزارة ،وأزيل سلطانه واعتزل بداره حتى مات(٢٩٥) .

ثم اتخذ المهدي يعقوب بن داوود وزيرا له ، وهو من الموالي ، وفوض اليه أمور الدولة كلها ،وقدمه على جميع الناس ، وسماه اخا في الله ووزيرا(٢٩٦) وقال الشاعر سلم الخاسر في ذلك :

قل للامام الذي جاءت خلافته تهدى اليه بحق غير مردود
نعم المعين على التقوى أعنت به أخوك في الله يعقوب بن داود(٢٩٧)

علا شأن يعقوب في الدولة ، وأظهر انحيازه الى الزيدية من الشيعة ، فقربهم اليه وولاهم بعض أمور الخلافة في المشرق والمغرب (٢٩٨) ، والخليفة منشغل عن الامور العامة بحياته الخاصة . وقد عبر بشار بن برد عن وضع الخلافة بشعره فأنشد قائلا :

بني أمية هبوا طال نومكم ان الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فاطلبوا خليفة الله بين الزق والعود(٢٩٩)

وكان من أثر ازدياد نفوذ يعقوب بن داود ، واستئثاره بشؤون الدولة ، ان كثر حساده ، وسعوا به لدى الخليفة وقالوا له : ان المشرق والمغرب أصبح في يد يعقوب واصحابه وأنه يستطيع ان يكتب الى الزيدية فيثورون في يوم واحد . فامتلأ قلب الخليفة حقدا عليه وخاصة حين علم أنه اطلق سراح احد العلويين على غير رأي الخليفة(٣٠٠) . فأمر بسجنه في المطبق ببغداد وقد بقي في السجن طوال عهد المهدي

---

(٢٩٥) ـ الجهشاري : الوزراء والكتاب ، ص ١٥٤ ـ ١٥٦ .
ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٢٨٤ ـ ابن طباطبا : الفخري في الاداب السلطانية ، ص ١٣٤ ١٣٥ .
ـ العيون والحدائق ، ص ٢٧٣ ـ ٢٧٤ ـ حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ، جزء ٢ ، ص ٢٥٨ .
(٢٩٦) ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٥٥ .
(٢٩٧) ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٥٥ .
(٢٩٨) ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٥٨ .
(٢٩٩) ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٥٩ .
(٣٠٠) ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٦٠ ـ ١٦١ .

والهادي ، وردحا من ايام هارون الرشيد الذي اخرجه فاقد البصر . ولما سأله حاجته اجابه بأنه يريد المقام في مكة ، فأرسله اليها وهو أعمى ، فأقام بها مــــدة يسيرة ومات بها[٣٠١] .

واستوزر المهدي بعده الفيض بن صالح [٣٠٢] ، وكان من نصارى نيسابور . أسلم بعد قيام الخلافة العباسية ، اشتهر بالسخاء والجود ، كما اخذ من الادب وعلو الهمة والبراعة بأوفى نصيب . وشهد له يحيى بن خالد بن برمك بالجود فكان يقول لمن يعجب لجوده « لو رأيتم الفيض لصغر عندكم أمري » [٣٠٣] الا انه كان تياها متكبرا . تولى الوزارة طوال الفترة الباقية من حياة المهدي .

ولما تولى الهادي منصب الخلافة ، اتخذ من الربيع بن يونس ، وزير جـده المنصور ، وزيرا له الا انهمالبث أن عدل عنه [٣٠٤] واستوزر ابراهيم بن ذكـوان الحراني ، فلم يزل في الوزارة حتى توفي الهادي [٣٠٥] .

وبدأ الصراع واضحا بين الخلافة والوزارة في عصر هارون الرشيد ، حين اسند أمور دولته الى البرامكة . وينتسب هؤلاء الى برمك الذي كان يقوم بشؤون معبد المجوس يعرف باسم معبد النوبهار في بلدة بلخ بخراسان . وقد عاصر برمك الخليفة هشام بن عبد الملك ، ويروى أنه اعتنق الاسلام في أواخر أيامه . نشأ خالد ابن برمك مسلما ، وأسهم في نشر الدعوة العباسية حتى أصبح من أكبر دعاتها في خراسان[٣٠٦] . وكان لخالد ابن اسمه يحيى ، اختاره المنصور لولاية اذربيجـان

---

(٣٠١) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٣٨٢ ــ ٣٨٣ ــ العيون والحدائق ، ص ٢٧٦ ــ ٢٧٧
ــ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٦٠ ــ ١٦٣ ــ محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية في الدولة العربية ، ص ٢٠٩ .

(٣٠٢) ــ حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ، جزء ٢ ، ص ٢٥٩ .

(٣٠٣) ــ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٦٤ .

(٣٠٤) ــ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٣٠٥) ــ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٦٧ .

(٣٠٦) ــ انظر فيما سبق : الدعوة العباسية .

ثم وقع اختيار المهدي عليه ليكون مربيا لابنه هارون سنة ١٦٢ هـ/٧٧٨ م • وهكذا أتيح ليحيى أن يلقن هارون الآداب الفارسية القديمة ، فنشأ متأثرا بها •

أسند المهدي الى يحيى بن خالد الاشراف على ادارة دواوين الاقاليم الغربية من الانبار الى افريقية وهي الاقاليم التي كانت لهارون في حياة أبيه منذ سنة ١٦٣ هـ / ٧٧٩ م • وظل هذا المنصب للرشيد وينوب عنه فيه يحيى البرمكي ، حتى قيامه بشؤون الخلافة •

عمل يحيى في هذه الفترة على المحافظة على أمر ولاية العهد للرشيد بعد الهادي • ووقف في وجه الخليفة الهادي حين فكر بخلع الرشيد من ولاية العهد ، وتولية ابنه جعفر مكانه وحذره من عاقبة هذا العمل وقال له : (يا أمير المؤمنين ان فعلت ، حملت الناس على نكث الايمان ولو تركت أخاك هارون على ولاية العهد ، ثم بايعت لجعفر بعده ، كان ذلك أوكد في بيعته) • فاقتنع الهادي وترك الامر • الا أن اصحاب المصالح ، حرضوه ثانية على أخذ البيعة لابنه وعزل الرشيد • فاستدعى يحيى وفاوضه في ذلك ، فقال له يحيى : (يا أمير المؤمنين لوحدث بك حادث الموت وقد خلعت أخاك وبايعت لابنك جعفر وهو صغير دون البلوغ ، افترى كانت خلافته تصح ؟ وكان مشايخ بني هاشم يرضون ذلك ويسلمون الخلافة اليه ؟ قال لا ، قال يحيى : (فدع هذا الامر حتى يأتيه عفوا ، ولو لم يكن المهدي بايع لهارون لوجب ان تعقد له ليكون في بني أبيك • فشكر له هذا القول وأطلقه [٣٠٧] • وعاد الهادي ثالثة الى القضية نفسها ، فبعث في طلب يحيى وتحدث معه في مسألة نقل ولاية العهد الى ابنه جعفر ، فأخذ يحيى يهدىء من ثائرة غضبه ، ويحاول جهده أن يثنيه عن عزمه • على أن انحياز يحيى الى هارون جعل الهادي

(٣٠٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ص ٩٦ ـ ٩٧ •

ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٧٠ ـ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٧٤ ـ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢١١ •

يحقد عليه ، واتهمه بافساد أخيه عليه ، وأمر بحبسه . ولكن الهادي مالبث أن توفي ، وخرج يحيى من السجن (٣٠٨) .

عظم مركز يحيى بعد أن اعتلى هارون عرش الخلافة . وذلك بسبب الجهود التي بذلها . وكان لها أثر في تثبيت خلافة هارون ، فدعاه على اثر تقلده الخلافة وقال له « يا أبت انت أجلستني هذا المجلس ببركة رأيك وحسن تدبيرك . وقد قلدتك أمر الرعية ، وأخرجته من عنقي اليك ، فاحكم بما ترى واستعمل من شئت ، واعزل من رأيت ، واعرض من رأيت ، واسقط من رأيت ، فانني غير ناظر معك في شيء » . (٣٠٩) فكان يحيى بذلك ، ويعاونه ولداه الفضل وجعفر مفوضين من قبل الرشيد ، بادارة الدولة ودواوينها ، ينظرون في أمور الناس وحوائجهم (٣١٠) .

كان هارون على الرغم من حبه ليحيى وأبنائه يفضل جعفرا على أخيه الفضل. وكثيرا ماكان يقول لابيهم « انت للفضل وأنا لجعفر » . وفي سنة ١٧٦ هـ / ٧٩٢ م قلد الرشيد جعفرا اقاليم غربي الدولة العباسية ؛ وأسند الى الفضل المشرق كله من النهروان الى اقصى بلاد الترك . وهكذا اصبحت ادارة الدولة العباسية من السنوات الاولى في عهد هارون في يد البرامكة . وقد اشتهروا جميعا بحسن ادارتهم . وكان الفضل ليحيى في ذلك . اذ كان يوصي أولاده بحسن الادارة ، وحسن اختيار الاعوان . ومن اقواله في ذلك « لابد لكم من كتاب وعمال وأعوان، فاستعينوا بالاشراف واياكم وسفلة الناس ، فان النعمة على الأشراف ابقى . وهي بهم أحسن ، والمعروف عندهم أشهر ، والشكر منهم أكثر » (٣١١) .

---

(٣٠٨) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ص ٩٩ و ص ١٠٦ ـ محمد جمال الدين سرور : الحياة السياسية ، ص ٢١١ .

(٣٠٩) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ص ٢٣٣ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ .
ـ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢١٢ .

(٣١٠) ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ١٧٧ .

(٣١١) ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ١٧٩ .

نهض يحيى بأعباء الدولة أتم نهوض ، ونظم ادارة الدواوين ، وصـــارت الكتب التي تنفذ من ديوان الخراج توقع باسمه ، بعد أن كان لا يوقعها الا الخليفة. وفضلا عن ذلك فان يحيى أجزل العطاء والصلات على رجال الدين والادب . كما اجرى الارزاق السنية على وجوه أهل الامصار . وعمل على امداد أهل الحرمين بالقمح اللازم لهم من مصر (٣١٢) .

استطاع الفضل بن يحيى بماله من نفوذ في الشرق أن يقضي على فتنة يحيى ابن عبد الله العلوي في بلاد الديلم . ويستميله الى الصلح ، ويحصل له على أمان بخط الخليفة (٣١٣) ، كما تمكن من اصلاح شؤون خراسان ، وعمل على النهوض بها ، ومهما بلغت شهرة يحيى وابنه الفضل فانها لم تعدل شهرة ابنه الآخر جعفر الذي تقلد المغرب كله للرشيد (٣١٤) ، وكانت صفاته تستهوي الخليفة ، لما تميز به من حيوية الشباب ، والذكاء الحاد ، والاقبال على المرح . فأصبح له كلمة نافذة في الدولة . وقد حفلت المصادر التاريخية بالكثير من الروايات التي تشير الى سلطان البرامكة أيام جعفر (٣١٥) .

وثق الرشيد بالبرامكة ، وفوض اليهم أمور دولته . فوثق بهم الناس وثوق خليفتهم ، ونظم الشعراء القصائد الرائعة في مدحهم والتغني بكرمهم . وقد أشاد صاحب الفخري بذكرهم فقال :

كان يحيى وبنوه كالنجوم زاهرة ، والبحور زاخرة ، والغيـوث ماطرة ، أسواق الآداب عندهم نافقة ، ومراتب ذوى الحرمات عندهم عالية ، والدنيا فـي أيامهم عامرة ، وأبهة المملكة ظاهرة ، وهم ملجأ اللهف ، ومعتصم الطريد . وبهم يقول أبو نواس :

---

(٣١٢) ــ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(٣١٣) ــ انظر فيما سبق وانظر الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٨٩ ــ ١٩٠ .

(٣١٤) ــ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

(٣١٥) ــ زكار : تاريخ العرب والاسلام ، ص ٢٥٩ .

سلام على الدنيـــا اذا ما فقدتـــم   بني برمك من رائحين وغاد [٣١٦].

على أن الرشيد وعلى الرغم من تفويضه الامور الى الاسرة البرمكية . فانه كان يعمل على أن يحتفظ بمكانته الخاصة بين رعاياه . فقد كان اتصاله بجمهور المسلمين عن طريق حجه المستمر . فكان يحج سنة ويغزو سنة مدة خلافته الا سنين قليلة . واذا ماخرج للحج ، صحبه كبار العلماء ورجال الدولة ، فيسير الخليفة في موكب عظيم مجتازا المسافة بين بغداد ومكة . وكان الرشيد يوزع الهدايا على أهالي المناطق التي يمر بها . واذا ما وصل الى مكة والمدينة ، وزع الهبات والاموال على فقرائها . وكان يتصدق كل يوم بألف درهم على فقراء بغداد . كما اكتسب محبة المسلمين بغزواته التي شنها على البيزنطيين ، وكان النصر فيها حليفه في أغلب الاحيان . ولم يكن الرشيد الذي أراد ان يثبت مقدرته ، وقوة ايمانه بالحج والغزو ، ليقبل بسلب البرامكة لجماهير الناس من حوله . فتغير عليهم وبدأ ينفذ عقوبته بهم بعد عودته من الحج سنة ١٨٦ هـ / ٧٩٢ م ، بدأ بذلك في مدينة الانبار حيث أمر بقتل جعفر بن يحيى ، ونصب جثته على سور بغداد ، كما سجن اخوته في في الرقة ، كما حجر يحيى في بينه ، ووكل به من يحول دون هربه ، وظل هؤلاء في سجنهم الى ان ماتوا . وأصدر اوامره الى الاقاليم بمصادرة اموال البرامكة واملاكهم [٣١٧] .

لقد كانت قضية البرامكة ومصيرهم من اهم القضايا التي عالجها المؤرخون القدامى والمعاصرون . وقد حللها وفسرها كل منهم تفسيرا خاصا حسب وجهة نظره . ونحن هنا لابد لنا من ان نجمع آراء المؤرخين ونبدي رأينا في ذلك . لان السؤال عن أسباب نكبة البرامكة يساور كل دهن . وخاصة وأن هذه النكبة حدثت بعد أن أصبح هؤلاء على قدر كبير من القوة والسلطان . وكان للرشيد السهم الاكبر في ابرازهم واحتلالهم لهذه المكانة . فمن هذه الاسباب التي تحدثت عنها كتب التاريخ :

---

(٣١٦) ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٩٧ .

(٣١٧) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٧٧ ـ ١٧٨ ـ سرور : المرجع السابق ص ١٢٥

ـ تشيع البرامكة وتعاطفهم مع العلويين ، ومحاولة نقل الخلافة اليهم • وقد ثبت ذلك عند الرشيد حين أطلق جعفر سراح يحيى بن عبد الله العلوي ، وهـذا التفسير ايضا يحتمل الشك ، لانه ليس هناك ما يؤكد هذا التعاطف • بل ان هناك دلائل تشير الى العكس ، حتى ان جعفرا المتهم باطلاق سراح يحيى بن عبد الله ، هو نفسه المتهم بتدبير المؤامرة لقتل ادريس أخي يحيى في المغرب الاقصى (٣١٨) •

ـ ذكرت كتب التاريخ ان سبب هذه النكبة مسألة العباسة اخت الرشيد ، حيث قيل انه قامت علاقة انجاب بين العباسة وجعفر البرمكي دون علم الرشيد • ولكن هذه القصة نفسها يعوزها التأكيد لان اكثر من مؤرخ طعن بها ، وعلى رأسهم ابن خلدون (٣١٩) •

ـ دس الفضل بن الربيع ومؤامراته ضد هذه الاسرة • كان الفضل أحد رجالات العرب الطامحين الى تبوء ، منصب الوزارة الذي كان يشغله البرامكة • وقد أدى هذا الدس لابراز قوة وسيطرة البرامكة واضعافهم لمركز الرشيد الى حقده عليهم ، ومن ثم الى تصفيتهم • وهذا الاحتمال لايمكن ان يكون سببا كافيا لقتلهم • فبامكان الرشيد عزلهم ومراقبتهم ، وتقليد الوزارة للفضل بن الربيع ، دون القيام بالفتك في أفراد الاسرة البرمكية •

ـ ومن اهم اسباب نكبة البرامكة استفحال سلطانهم ، فقد كان هؤلاء في الواقع يتصرفون في شؤون الدولة ويعملون جاهدين على تحبيب جماهير الناس بهم بما أظهروا من الجود والكرم ، وتشجيع العلوم والآداب (٣٢٠) ولم يكن الرشيد بالخليفة الذي يتساهل في حقوقه ، بل كان رجلا كما عرفته كتب التاريخ على قدر كبير من الذكاء والدهاء • أظهر في بداية خلافته عدم اكتراثه باستئثار البرامكة في

---

(٣١٨) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جز ء٦ ، ص ١٧٦ .

(٣١٩) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٧٥ وممن طعن بها ابن خلدون : في المقدمة ، ص

(٣٢٠) ـ عن استفحال سلطان البرامكة وجودهم ، انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ٢٥٧ حتى ٢٦٠ .

النفوذ • وعول في الوقت نفسه على انتهاز الفرص لاستعادة ماسلبوه من السلطة • ثم جاهر باستيائه من استبدادهم بالامور دونه • ومما يروى في هذا المجال أن أحد أطباء الرشيد دخل عليه يوما وهو جالس في قصر الخلد ، حيث يقيم البرامكة في الجهة المقابلة ، وبينهما عرض دجلة ، فرأى الرشيد اعتراك الخيول وازدحام الناس على باب يحيى بن خالد البرمكي ، فقال « جزى الله يحيى خيرا ، تصدى للأمور وأراحني من الكد •ووفر أوقاتي على اللذة • ثم دخل عليه الطبيب ذات يوم بعد أن ظهرت امارات انحرافه عنهم • فشاهد حركة الخيول على أبواب البرامكة ، كما كانت الحال في المرات السابقة ، فقال له الرشيد : (استبد يحيى بالامور دوني ؛ فالخلافة على الحقيقة له ، وليس لي منها الا اسمها [٣٢١] •

ـ وقد استطاع ابن خلدون ان يعطي الابعاد الحقيقية لنكبة البرامكة • ويوضح اكثر الجوانب أهمية لهذه النكبة حين قال (انما نكب البرامكة ماكان من استبدادهم على الدولة ، واحتجازهم اموال الجباية ، حتى كان الرشيد يطلب اليسير من المال فلا يصل اليه • فغلبوه على امره وشاركوه في سلطانه ، ولم يكن له معهم تصرف في أمور ملكه) [٣٢٢] •

لقد كان الصراع على السلطة والنفوذ هو الدافع الاول الذي حدا بالرشيد الى التخلص من البرامكة • وهو بدون شك نتيجة حتمية للتضارب بين السيادة المتمثلة بالخلافة وبين الوزراء • ومما لاشك فيه ان فقد الاسرة البرمكية ، كان خسارة فادحة للدولة العباسية ، اذ بعد نكبتهم اضطر الخليفة الرشيد أن يلي شؤون الدولة بنفسه ، وان يحارب الثائرين عليه • حتى أنه توفي وهو ذاهب لاخماد فتنة رافع بن الليث بن نصر بن سيار •

---

(٣٢١) ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٣٢٢) ـ المقدمة ، ص ١٧ •

الوزارة في عهـــد الامين والمأمون :

حين اعتلى الامين عرش الخلافة ، جعل الفضل بن الربيع وزير ابيه وزيرا له . وكان الفضل بن الربيع يرافق الرشيد في حملته الاخيرة على خراسان ، حيث أوصاه قبل وفاته بتسليم جميع ما في معسكره من جند ومال ومتاع ورقيق وخيل الـى المأمون . ولكن الامين طلب منه مناقضا لاوامر أبيه ، بأن يعود بكل ما معه اليـه في حال وفاة الخليفة[٣٢٣] .

أجاب الفضل بن الربيع الدعوة التي وجهها اليه الامين . فجد في السير الى بغداد على رأس الجيش فرحب به الامين . واتخذه وزيرا له . وكان المأمونقد اتخذ من الفضل بن سهل وزيرا[٣٢٤] . وقام بتدبير أمور المنطقة التي تتبع للمأمون . كان الفضل بن سهل ذااطماع كبيرة لاتقل عن مطامع البرامكة ، وكذلك كان الفضل بن الربيع . وقد كان لكل من هذين الوزيرين اليد الطولى في اندلاع نار العداوة بين الامين والمأمون . فقد عمل الفضل بن الربيع الذي أدرك عاقبة النكث بالعهـد الذي أخذه عليه الرشيد لابنه المأمون ، فيما لو آلت الخلافة اليه على اغراء الامين بخلع اخيه المأمون عن ولاية العهد . وجعلها لابنه موسى من بعده . فأبى واستمر ابن الربيع في تصغير الامرعلى الامين واثارة مخاوفه من أخيه المأمون، حتى استجاب لندائه ، وأرسل الى الولاة يأمرهم بالدعاء لابنه موسى بعد الدعاء له وللمأمون والقاسم[٣٢٥] . ثم عزل القاسم عن أعماله .

ولما علم المأمون ان الامين يدبر خلعه ، منع ارسال البريد من خراسان ، وحذف اسم الامين من الطرز[٣٢٦] فكان هذا العمل ايذانا باتساع شقة الخلاف بـين

---

(٣٢٣) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١١٥ وجه وظهر .

(٣٢٤) ـ هو من أولاد ملوك الفرس الذين كانوا يدينون بالمجوسية ، اسلم عـلى يد يحيى البرمكي ، اشتهر بسعة الحيلة وشدة الدهاء .

(٣٢٥) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥ ـ أما الجهشياري : المصدر السابق ، ص ٢٩٠ فيذكر الدعاء لموسى بعد الخليفة وحذف اسم المامون وخلعه .

(٣٢٦) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٧٥

الاخوين • ثم أراد الفضل بن سهل أن يبقى على علم بتطورات الاحداث في بغداد اثر ذلك ، فجعل في بغداد قوما يثق بهم يكاتبونه باخبار الامين (٣٢٧) على حين أن الفضل بن الربيع ، ضرب حصارا شديدا على الطرق لمنع تسرب الاخبار •

وبعد توتر الاوضاع نتيجة وشاية الوزيرين خلع الامين اخاه المأمون ، وبايع لابنه موسى في اوائل سنة ١٩٥ هـ/٨١١م (٣٢٨) ، وأرسل الى مكةمن أتاه بالكتابين الذين وضعهما الرشيد في الكعبة ومزقهما(٣٢٩) •

وهكذا تسبب هذان الوزيران بحدوث قتال بين الاخوين • كانت نهايته وبالا على الامين وعلى بغداد نفسها (٣٣٠) • بينما بويع المأمون بالخلافة بيعة عامة في بغداد سنة ١٩٨ هـ/٨١٤ م بعد مقتل اخيه • وأبقى الفضل بن سهل وزيرا له • ولقبه ذا الرياستين لجمعه بين السيف والقلم (٣٣١) • وأسند الى أخيه الحسن بن سهل أمر العراق • بينما بقي المأمون في مرو ، حيث اتخذها عاصمة له • وأصبح دور بني سهل مع المأمون مماثلا لدور البرامكة مع الرشيد • ولما أخفى الفضل بن سهل أخبار ثورة العراق على الخليفة ، وما كان من عزله وتعيين عمه ابراهيم المهدي(٣٣٢)، غضب عليه • وترك مرو عائدا الى بغداد وبرفقته الفضل بن سهل ، ولكنه توفي في الطريق ، ولما اقترب المأمون من بغداد ، فر الفضل بن الربيع وزير أخيه وأبيه خشية على حياته •

لم يسند المأمون منصب الوزارة لرجالات العرب • بل كان وزراؤه جميعا من أصل فارسي ، فبعد الفضل بن سهل ، اتخذ احمد بن أبي خالد • ولكن المأمون بعد وزارة الفضل بن سهل لم يترك لوزرائه السلطة المطلقة بل قيدهم وراقبهم •

---

(٣٢٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٧٦ •
(٣٢٨) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٣٩ •
(٣٢٩) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٧٧ ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ٢٩٢ •
(٣٣٠) ـ انظر فيما سبق : الصراع بين الامين والمأمون •
(٣٣١) ـ انظر الجهشياري : المصدر السابق ، ص ٣٠٦ •
(٣٣٢) ـ الجهشياري : المصدر السابق ، ص ٣١٢ •

كان تخلص المأمون من وزيره الفضل بن سهل بداية تطلع البيروقراطية الفارسية الى الجماهير الفارسية ، والعمل ضد الخلافة العباسية والشروع معا بانشاء الامارات الفارسية ، كالطاهرية والصفارية والسامانية وغيرها .

واستوزر المعتصم عددا من الوزراء منهم الفضل بن مروان -كان من البردان- ثم استعفاه ، واستوزر احمد بن عمار بن شاذي من المذار . وكان ومن سبقه جاهلين بآداب الوزارة ، وبسبب صفاته تلك صرفه المعتصم : واستوزر محمد بن عبد الملك الزيات الذي استمر في الوزارة بقية خلافة المعتصم وخلافة الواثق(٣٣٣) .

وفي الحقيقه فان النزاع بين الخلفاء والوزراء ظل قائما طوال الدور الاول من العصر العباسي ، وكما انصح من العرض فان غالبية الوزراء كانوا من الفرس . وان هذا النزاع قد اكتسى مظهرا عنصريا سياسيا في بادىء الأمر ، وهو في حقيقته نزاع على مدى صلاحيات كل من الخليفة والوزير . ويبدو من خلال العرض . أنه على الرغم من المكانة الرفيعة والتأثير القوي التي بلغها بعض الوزراء ، فان هذا المنصب كان في منتهى الخطورة ، ومرتبطا الى حد كبير بقوة شخصية الخليفة ومقدرته على تسيير الامور .

جـ - الشعوبية :

ان لفظ الشعوبية مأخوذ من الشعب ، وهو جيل الناس ، أو من قول الله تعالى (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) . وعلى العموم فانه يمكن تعريف الشعوبية بأنها تيار فكري اجتماعي وسياسي يمثل مواقف الشعوب التي ضمتها الدولة العربية الاسلامية من بعضها الى البعض . فقد ابدت الشعوب المختلفة التي ضمها العالم الاسلامي تحت جناحه ، وبشكل خاص الفرس ، مالهم من مميزات . وقابلهم العرب بما لهم من صفات في الماضي

(٣٣٣) - ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٣٢ - ٢٣٥ .

والحاضر[٣٣٤] • بينما يذهب آخرون الى أن الناس من طينة واحدة • ...
ومثالبه • وبالتالي فقد نشأت ثلاث نزعات شعوبية :

ـــ الاولى منها ترى أن العرب خير الامم على الاطلاق • وذلك لانهم ...
الجاهلية حياة مستقلة ، لم تجرؤ أي من الدول الكبيرة أن تطأ ديارهم ...
واقدامهم وصبرهم • كما أنهم يمتازون بصفات خلقية بندر أن يوجد بعضها ...
غيرهم[٣٣٥] وفوق كل هذا وذاك فان الاسلام نشأ فيهم ، ورسول الله منهم ، وهم
ناشرو الدين والمدافعون عنه [٣٣٦] •

ـــ الثانية : تجعل كل الأمم متساوية ، وليس لامة فضل على الاخرى ، لان
الناس من طينة واحدة والتفاضل بين الافراد بحسب أعمالهم • المؤمنون تتكافأ
دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم ، وهم يد على من سواهم ، ومما لاشك فيه أن ...
هي نظرة التدينين من الشعوب الاسلامية الذين تفقهوا في الدين وعرفوه حق معرفته
والذين آمنوا بما انزل اليهم . قال الله تعالى : (يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر
وانثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، ان أكرمكم عند الله اتقاكم ...
عليـــم خبير) •

ـــ الثالثة : تجعل كل الشعوب أفضل من العرب • وقد تبنى هذا الموقف قسم
كبير من الاعاجم كالفرس والترك وغيرهم ممن ظلوا على دينهم القديم ، أو أسلموا
ولما يدخل الايمان في قلوبهم • او غلبت عليهم النزعة القومية ، وقد رأى هؤلاء ...
العرب ليس لهم مايفخرون به ، فقد كانوا في جاهليتهم يقتلون اولادهم من الفقر •
ويقتتلون من أجل السلب والنهب ، وهم أضعف الأمم في الصناعة ، كما أنهم اذا
خطبوا أكثروا من الاشارة بأيديهم ، لصرف العقول عما يقولون • وكذلك فانهـ...

---

(٣٣٥) ـ هذه الصفات تتمثل في الكرم ، والوفاء والفصاحه ، وحسن البديهة ، والشجاعه والمحافظة على الانساب وغيرها . .

(٣٣٤) ـ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ٥١ ـ ٥٣ وانظر عن فضل العرب ، ابن عبد ربه : العقد الفريد : جزء ٣ ، دار الكتاب العربي ببيروت ، ص ٣٢٤ وما بعدها .

(٣٣٦) ـ انظر سورة الحجرات الاية ١٣ .

عابـوا آلات العرب الحربيـة ، وسـخروا من رماحهم وقنـواتهم ، وبالتالـي فانهـم سلبـوا العرب كـل ما يفخرون بـه . وأضافـوا بأن العرب اذا فخروا بالاسلام ، فالاسلام ليس دين العرب وحدهم بل هو دين الناس كافة . وقد كان بعض هذا النقد الذي وجهه الشعوبيون للعرب فيه مفخرة لهم . فاذا استطاع العرب بسلاحهم البسيط القضاء على اكبر الدول المعروفة في هـذه الفترة ، فهذا يرفع من شأنهم . ويجعل الانسان يتصور ماذا يستطيع هؤلاء أن أن يفعلوا لو كانوا يملكون من السلاح أفضله[٣٣٧] .

ويمكن القول ان الشعوبية ظهرت حين شعرت الشعوب بمكانتها اثر قيام الحركة العباسية ، ثم مشاركة الفرس للخلفاء بالحكم . وبشكل خاص حين رأوا أن تعصب خلفاء العباسيين للاسلام لا للعربية . وتبدت بشكل واضح في عهـد الرشيد والمأمون والمعتصم، وبلغت هذه الحركة أوجها في القرن الثالث الهجري[٣٣٨] .

لقد أظهر العجم الذين تعلموا اللغة العربية شعوبيتهم بشتى الطرق ، ففخروا بانسابهم واعتزوا بقومهم . فترجموا العديد من كتبهم الى العربية ، واختاروا منها مايسهل فهمه على العامة كالاساطير والحكايات والحكم ، كما لونوا ما رووا مـن تاريخ الفرس لونا زاهيا جميلا ، ونسبوا الى ملوكهم الحكم الرائعة والسياسـة الحكيمة . كما اكثروا في التأليف في مناقب العجم ، ومثالب العرب . وبرز من شعراء الشعوبيين بشار بن برد ، وديك الجن والشاعر الخزيمي الذي يكثر في شعره من الاعتزاز بالنسب الفارسي وتحقير شأن العرب . وفعل فعله الشاعر المتوكلي نديم المأمون ، ومن الادباء سعيد بن حميد البختكان الذي كان شديد العصبية على العرب وألف كتاب انتصاف العجم من العرب ، ومنهم الهيثم بن عدي ، وسهل بن هارون ، وعلان الفارسي الشعوبي صاحب كتاب الميدان في المثالب . وكذلك أبو عبيدة معمر ابن المثنى وهو من اشهر العلماء في النحو والاخبار ومع ذلك فقد كان شعوبيا .

---

(٣٣٧) ـ انظر الجاحظ : البيان والتبيين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنـان ، جزء ٣ ، من ص ٢ ـ ١٤ .

(٣٣٨) ـ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ٦٣ .

وقد وضع هؤلاء الشعوبيون في الادب قصصا كثيرة تؤيد جانبهم ، اختلقوها اختلاقا • وكانت هذه أخطر على العرب من ايضاح المثالب لصعوبة نقضها • وقد برع هؤلاء بوضع الاحاديث في فضل الفرس ، وأسندوها الى الثقات من الصحابة والتابعين[٣٣٩] •

وقد شعر العرب بخطورة هذه النزعة الشعوبية ، وكثيرا ما أبدى الشعراء الحسرة والالم من هذا الموقف الذي اتخذته الشعوب من العرب • كما انهم قابلوا هذه الحركة الشعوبية بما يماثلها قولا وفعلا • وظهرت طبقة من الكتاب والادباء ردت على هؤلاء الشعوبيين بعد ان تسلحت بثقافة واسعة ، كما عمل المسلمون الذين اعتبروا هذه الحركة نزعة ضد الاسلام على التخلص من كتب الشعوبية وبالتالي فان ما وصل الينا هو نتف من أقوالهم وآرائهم[٣٤٠] •

وقد أثرت هذه الحركة الشعوبية ودخلت في كل علم حتى في الفقه • ومن المؤسف له أن الشعوبية قد ازدهرت في عصر تدوين العلوم ، الامر الذي جعل اكتشاف الآثار الشعوبية صعبا غامضا ، مما اضطر العلماء الى اجهاد انفسهم لتعرف أسرار الشعوبية وخباياها وآثارها في العلم[٣٤١] • ولا بد لنا من القول بأن الشعوبية على الرغم من كل عيوبها كانت اخصابا للفكر العربي الاسلامي ، دعت العرب الى الخوض في الثقافات الاجنبية ليتسلحوا بالعلم ، ويردوا على أعدائهم •

د ـ حركة الزندقة :

ان كلمة زنديق في الاصل تعني بالفارسية الذي يتبع زند ، ثم أطلق على

---

(٣٣٩) ـ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ٦٨ ـ ٧٥ •

(٣٤٠) ـ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ٧٦ •

(٣٤١) ـ أحمد أمين : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٧٦ ـ ٧٧ •

المانوية(٣٤٢) ، لانهم كانوا يأخذون زند وغيره من الكتب المقدسة ، ويشرحونهـا على مذهبهم بطريقة التأويل (٣٤٣) . وقد وضعت الكلمة لطائفة خاصة من المانوية، ثم استعملت في المانوية جميعا وفي الالحاد بصوره عامة .

يرجع تاريخ الزندقة الى أواخر العصر الاموي .ولكن الزندقة كانت في العصر الاموي قليلة ونادرة فقد اتهم بها عبد الصمد بن عبد الاعلى مؤدب الوليد بن يزيد بن عبد الملك كما اتهم بها الوليد بن يزيد (٣٤٤) . كما كان الجعد بن درهم مؤدب مروان بن محمد زنديقا . وقد اشتدت الزندقة بعد قيام الخلافة العباسية حيث انتشرت في الكوفة وبغداد وغيرها . وتكلم الجاحظ الذي عاش في عصر المأمون عن كتب الزنادقة ، ووصفها بدقة . ثم ان أبا الفرج الاصفهاني تكلم عن الزنادقة وذكر انهم يعرفون بالثنوية وانهم يتبعون تعاليم مانى (٣٤٥) ويعزى السبب في انتشار الزندقة في هذه الفترة الى مايلي :

ــ ان الزندقة التي هي الشك والالحاد تقترن بالبحث العلمي ، وان البحث العلمي كان يسير قدما في هذه الفترة حتى وصل الاوج .

ــ ان بعض الفرس كانوا يطمحون الى الوصول الى اكثر مما وصلوا اليه في ظل الخلافة العباسية من مساواة ومن كون الوزارة في غالبيتها لهم ، وبالتالي فالحكم الفعلي بيدهم في بعض الاحيان ، لذلك طمحوا الى ان تكون الحكومة فارسـية في مظهرها وحقيقتها ، ورأوا أن ذلك لايتحقق والاسلام في سلطانه، فأخذوا يعملون

---

(٣٤٢) ــ من اشهر المذاهب الدينية التي نشـأت في القرن الثالث الميـلادي وعاشت حتى القرن الثالث عشر . وكان له اتباع في اسيا وفي أوروبا . وكان له اثر كبير في الاراء الدينية وكانت تعاليمه مزيجا من الديانة النصرانية والزرادشتية ، وخلاصة المذهب ان العالم نشأ عن أصلين هما النور والظلمة وعن النور ، نشأ كل خير ، وعن الظلمة نشأ كل شر . انظر عن تفاصيل المذهب . احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٠٤ ــ ١٠٥ .

(٣٤٣) ــ احمد امين : فجر الاسلام ، ص ١٠٨ .

(٣٤٤) ــ الاصفهاني : الاغاني ، جزء ٦ ، ص ١٣٢ .

(٣٤٥) ــ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١١٥ نقلا عن الاصفهاني .

على نشر المانوية والزرادشتية والمزدكية خفية،فكان من ذلك انتشار الزندقة [٣٤٦].
ومما ساعد على انتشارها انها كانت وسطا بين النصرانية والزرادشتية ، كما أن شعائرها قريبة الشبه من شعائر الاسلام[٣٤٧] . ويفهم من هذا ان هؤلاء حاولوا نشر كل المظاهر الخداعة من الديانات الفارسية القديمة بين الناس ، والتي تشبه في مظهرها الديانة الاسلامية ، للوصول عن هذا الطريق الى تشويه الاسلام ، وبالتالي سيادة الفرس .

وقبل أن ننطلق في البحث عن الزندقة لابد لنا من القول بأن كلمة زندقة اختلفت باختلاف العصور فقد كان العرب يطلقون لفظ زنديق على من ينفي وجود الله سبحانه وتعالى أو يرى أن له شريكا ، كما أطلق على كل من يتخذ من عقائد المانوية شعارا له ، ويتمسك بعقيدة ماني . كما أطلق على من يبطن الكفر ، ويظهر الايمان ، وأطلق على كل من يتأثر بالفرس في عاداتهم ويسرف في العبث والمجون ، ثم اصبح يطلق على من يتظاهر بالظرف . ففي عهد ابي جعفر أرفقت كلمة الزنادقة والمجان معا وكأنهما مترادفتان [٣٤٩] . ولم يعرف عن المنصور امعان في اصطهادهم، وكانت سياسته على ما يظهر قمع الفتن الظاهرة فقط .أو ان هؤلاء لم يكن لهم شأن يذكر في خلافته .

فلما جاء المهدي كان من أظهر أعماله ملاحقة الزنادقة . لأن الزندقة كانت قد انتشرت انتشارا واسعا حتى أنها دخلت بيوت الوزراء والشعراء . فقد اتهم ابن الوزير معاوية بن يسار بالزندقة ، فأحضره المهدي اليه وسأله عن شيء من القرآن الكريم فلم يعرف . فقال لابيه وكان حاضرا ألم تخبرني أن ابنك يحفظ القرآن قال (بلى يا أمير المؤمنين ولكنه فارقني منذ

---

(٣٤٦) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١١٥ .

(٣٤٧) ـ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٣٨ ـ ١٣٩ .

(٣٤٨) ـ العيون والحدائق ، ص ٢٧٣ .

(٣٤٩) ـ انظر أحمد أمين : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٣٩ ـ ١٤٠ .

سنين ، وفي هذه المدة التي نأى فيها عني نسي القرآن) فأمره المهدي أن يتقرب الى الله بدمه ،الا انه حين قام عثروقع وارتعد ، فارتأى بعض من كان يحضر مجلسه أن يعفي المهدي الوالد من قتل ولده ويتولى ذلك غيره [(٣٥٠)] •

تعقب المهدي الزنادقة بشدة وفي سبيل ذلك قام •

١ ــ بانشاء ديوان للزندقة للبحث عن الزنادقة ومحاكمتهم •

٢ ــ بانشاء هيئة علمية لمناظرتهم ، وتأليف الكتب للرد عليهم[(٣٥١)] وبالتالي فانه جعل لديوان الزنادقة مشرفا أطلق عليه اسم صاحب الزنادقة ، كان عليه ان يبحث عن الزنادقة وينكل بهم • ومن اصحاب الزنادقة عمر الكلوادي ، ذكر اسمه الطبري في حوادث ١٦٧ هـ/٧٨٣ م قائلا (وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة ، والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم وولى أمرهم عمر الكلواذي [(٣٥٢)] • وخلفه محمد ابن عيسى بن حمدويه ، فقتل من الزنادقة أيضا عددا كبيرا [(٣٥٣)] •

أمعن المهدي في قتل هؤلاء الزنادقة ، لظهورهم في أيامه ، واعلانهم لمعتقداتهم ، وتتبعهم في كل مكان ذهب اليه ، فحين وصل الى حلب أمر بقتل الزنادقة ، وتتبعهم ومزق اجسادهم شر ممزق • ويبدو اهتمام المهدي بهذه الفئة من الوصية التي أوصى بها ابنه الهادي في اتخاذ الشدة والقسوة مع هذه الفئة المارقه اذا قلد الحكم فقال : (يا بني ان صار لك هذا الامر فتجرد لهذه العصابة ، فانها فرقة تدعو الناس الى ظاهر حسن كاجتناب الفواحش والزهد في الدنيا ، والعمل للاخرة ، ثم تخرجها الى تحريم اللحم ومس الماء الطهور • وترك قتل الهوام تحرجا وتحوبا ، ثم تخرجها من هذا الى عبادة

(٣٥٠) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٣٩ ــ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٦٣ ــ ١٦٤ •
ــ العيون والحدائق ، ص ١٧٥ •

(٣٥١) ــ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٤١ •

(٣٥٢) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٦٥ •

(٣٥٣) ــ العيون والحدائق ، ص ٢٧٣ •

اثنين أحدهما النور ، والاخر الظلمة ، ثم تبيح بعد هذا نكاح الاخوات والبنات ، والاغتسال بالبول ، وسرقة الاطفال من الطرق لتنقذهم من ضلال الظلمة الى هداية النور ، فارفع فيها الخشب،وجرد فيها السيف ، وتقرب بأمرها الى الله لا شريك له، فاني رأيت جدك العباس في المنام قلدني سيفين وامرني بقتل اصحاب الاثنين)[٣٥٤].

وقد سار الهادي على خطا ابيه . وتمثل وصيته في القضاء على هذه الفئة وملاحقتها في كل مكان حتى قتل منها عددا كبيرا ، وكان ممن قتلهم يزدان بن باذان كاتب يقطين ، وابنه علي بن يقطين[٣٥٥] . وقد أثر عنه أنه قال : لئن عشت لاقتلن هذه الفرقة كلها حتى لا اترك منها عينا تطرف ، الا ان المنية عاجلته قبل ان يحقق أمنيته .

ولما تولى هارون الرشيد الخلافة ، سار على سياسة أبيه واخيه قبله . واستمر ديوان الزندقة في عهده ، كما انه عين رجلا عرف بصاحب الزنادقة كسلفيه ، وتعقب الزنادقة ، وعاقب من ثبتت عليه التهمة بشدة . ففي سنة ١٧١ هـ عاقب منهم يونس ابن فروه . ويزيد بن الفيض . وانتشرت الزندقة في عهده انتشارا واسعا بين العرب. فقد اعتنقها صالح بن عبد القدوس ، والشاعر مطيع بن اياس ، الذي لقن ابنته تعاليم الزنادقة ، واعترفت بذلك أمام الخليفة. كما اعترفت بانها قرأت كتب المانوية. ولا بد من القول ، ونحن نتحدث عن الزندقة في عصر الرشيد ، من القول بأن من اسباب قتل البرامكة ما نسب اليهم من زندقة[٣٥٦] .

وعلى الرغم من تشديد المهدي والهادي والرشيد على الزنادقة ، فان الزندقة استمرت في عهد خلفائهم. فمما يروى عن المأمون أنه بلغه ان عشرة رجال من أهالي البصرة، يرون رأي ماني، ويقولون بالنور والظلمة. فأمر بحملهم اليه، فكان يدعوهم فردا

(٣٥٤) ـ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٤١ .
(٣٥٥) ـ أحمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٤٢ .
(٣٥٦) ـ أحمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٤٢ .

فردا . ويسألهم عن دينهم ويمتحنهم،وكانت نهايةجميعهم القتل،لانه ثبت له اعتناقهم الزندقة(٣٥٧) .

وتسربت الزندقة الى بلاط المعتصم . ودان قائده الافشين بها . وقد ثبت اعتناق الافشين للزندقة ، بمحاكمة اجريت له ، وكان ينوي من وراء ذلك قلب المملكة الاسلامية ومحو الخلافة والدين الاسلامي واعادة دولة الفرس بلغتها ودينها(٣٥٨) .

وللحقيقة يجب القول بان الاتهام بالزندقة في هذا العصر ، اصبح عادة معروفة، فاذا كان بين شخص وآخر عداوة يرميه بالزندقة ، فالخصومة الادبية والعلمية يمكن أن تكون سببا في الرمي بالزندقة ، كذلك فان الخصومة الدينية والسياسية تعرض صاحبها للاتهام بالزندقة ، وبالتالي فان بعض من لم يعتنق الزندقة ذهب ضحية الحملة ضد الزنادقة .

وللزنادقة ابحاث في العلم والادب والسياسة تأثر بها الادباء والمفكرون ، ونهض البعض ممن لم يكونوا على الزندقة ، فبذلوا الجهد في مكافحة الزندقة والرد على اصحابها . ولما كان ردهم للحجة بالحجة ، فكان عليهم التسلح بالعلم والادب ، وكل مايحتاجون اليه في هذا الباب ، وكان واصل بن عطاء أول من تصدى للرد عليهم ، وانكر على بشار بن برد الزندقة والالحاد .وكان لابي الهذيل العلاف مناظرات طويلة مع الزنادقة . وقد تمكن بمناظراته من تحويل عدد كبير من المجوس الثنوية الى الاسلام . وتصدى غيره من المتكلمين للرد على الزنادقة ، ولكن كثيرا منهم ظل على الرغم من افحامه متمسكا بعقائد الزندقة(٣٥٩) .

---

(٣٥٧) ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٤ ، ص ٩ ـ ١٠ .

(٣٥٨) ـ انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥١٠ ـ ٥١٦ ـ وهو يورد محاكمة الافشين والاتهامات التي وجهت اليه ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٨ ـ ٢٧٠ .

(٣٥٩) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١١٩ ـ ١٢٠ .

ـ الصراع المسلح بين العباسيين والموالي :

ايقظت الثورة العباسيه كأي ثورة جذرية في نفوس العامة الكثير من الآمال نحو مستقبل افضل ، كما انفسح المجال امام المبادىء الايرانية القديمة في الانطلاق كمبادىء الزرادشتيه والمزدكية والمانوية ، وحين تباطأ العباسيون في تحقيق الوعود التي قطعوها على انفسهم برزت على السطح حركات متنوعة لها غايات دينية وقومية منها :

آ ـ ثورة الراوندية :

يطلق اسم الراوندية على حركة فارسية ، سياسية دينية ، تجلت بوضوح في عهد الخليفة ابي جعفر المنصور . وقد عرفت بهذا الاسم نسبة الى مدينة راوند قرب نيسابور(٣٦٠) .

وتعود الراوندية في ظهورها الى الفترة التي سبقت قيام الخلافة العباسية . ويمكن ان نقول انها سايرت ركب الدعوة العباسية. وعلى حين كانت الراوندية فرقة واحدة قبل اعلان الخلافة العباسيه ، فانه يمكن القول بانها تمزقت شيعا بعد قيام الخلافة العباسية بسبب اختلافهم حول وراثة العباسيين للخلافة وهاك آراء بعضهم :

ـ قال بعضهم ان الامامة العباسية ورثت شرعيتها من ابي هاشم .

ـ ورأى آخرون بأن الامام بعد النبي هو العباس بن عبد المطلب ، وانه أورث الامامة ابنه عبد الله ، وهكذا حتى محمد بن علي . وعرفت جماعة من هؤلاء بالخداشيه نسبة الى داعية عرف بخداش كان محمد بن علي قد وجهه الى خراسان، ثم بلغه عنه الغلو،ففصله عن الدعوة العباسية ولعنه. وقد اعتقل خداش هذا من قبل والي خراسان أسد بن عبد الله القسري ، فسمل عينيه ، وقطع لسانه ويديه

---

(٣٦٠) ـ ان ماجاء في كتاب الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري ، ص ٣٨٤ من نسبة الراوندية الى احمد بن اسحق الراوندي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ خطأ .

وضرب عنقه وصلبه على باب مدينة كابل • وعلى اثر ذلك عادت جماعة من اتباع خداش الى الطريق الصحيح للدعوة العباسية وبقيت فئة ترى رأي خداش ، وأظهروا البراءة من محمد بن علي [٣٦١] لتبرئه من خداش •

ـ ازداد انقسام هذه الفرقة اثر مقتل ابي مسلم الخراساني • فرأى بعضهم بأن الامامة انتقلت من محمد بن علي الى ابراهيم الامام ،ومنه الى ابي مسلم فظهرت الابي مسلميه (الرزامية) ، وقد رأى بعض اصحاب هذه الفرقة بأن أبا مسلم لم يمت وانه حي ، ونسبوا اليه عددا من الخوارق وقدسوه الى درجة العبادة ، على حين اعترفت جماعة اخرى بموته ، وقالت بأن الامامة انتقلت بعد موته الى ابنته فاطمة[٣٦٢] •

ـ ورأى بعضهم بحسب ما جاء في الطبري وهم من الذين يعتقدون بتناسخ الارواح ، أن روح آدم حلت في عثمان بن نهيك • وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو أبو جعفر المنصور • وانه لو شاء ان يسير الجبال لسارت ، ولو أمرهم ان يستدبروا القبلة لفعلوا [٣٦٣] • فأظهروا بذلك انهم يقدسون الخليفة على طريقة الفرس في تقديس ملوكهم ، وجعلهم في مصاف الالهه • وقد يكونوا قد ادعوا هذا الادعاء لاثارة العرب والمسلمين ضد الخليفة المنصور ، انتقاما منه لقتله أبا مسلم ، فتكون هذه الحركة دينية وسياسية في آن واحد •

ـ ورأى آخرون وعلى رأسهم الابلق (لبرص فيه) أن الروح التي كانت في عيسى بن مريم ، صارت في علي بن أبي طالب ثم في الائمة واحدا بعد واحد حتى ابراهيم الامام[٣٦٤] •

---

(٣٦١) ـ زكار : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ •

(٣٦٢) ـ زكار : المرجع السابق ، ص ٢٦٩ •

(٣٦٣) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٠٢ ظهر و ١٠٣ وجه •

(٣٦٤) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥٠٥ ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٠٤ •

اما عقيدة الراوندية فتتجسد في الاعتقاد بتناسخ الارواح ، وتقديس الملوك وجعلهم في مصاف الالهة مع اباحة المحرمات كالزنادقة (٣٦٥) .

وقد خرجت فئة من الراوندية في خلافة أبي العباس في خراسان . فتكفل أبو مسلم بالقضاء على حركتهم . كما قامت بعض فرق الراوندية اثر مقتل ابي مسلم ، وفي سنة ١٤١ هـ/٧٥٨ م(٣٦٦) ، بالعمل على تشويه الاسلام وادخال بعض التعليمات الجديدة عليه ،والتي لاتمت اليه بصلة ، فادعوا بأن المنصور هو ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم (٣٦٧)،وأتوا قصره وكان مايزال يسكن في الهاشمية،فأحاطوا به ،واخذوا ينادون هذا قصر ربنا(٣٦٨) ، فلما خرج اليهم اقبلوا يصيحون به انت أنت يريدون بذلك انت الله(٣٦٩) .

نظر المنصور الى هؤلاء كأعداء سياسيين ، لانهم من اتباع ابي مسلم الخراساني اولا ، وانهم يريدون تحويل الخلافة الى ملك كسروي ، كما أنه نظر اليهم على انهم زنادقة يحاولون اعادة المجوسية او ادخال أي شكل من أشكالها في الدين الاسلامي . ولذلك فان المنصور لم يجد بدا من أن يضرب على ايدي هؤلاء لخروجهم على الدين ، فسجن مائتي رجل من رؤسائهم ، مما اغضبهم وجعلهم يتساءلون عن سبب السجن ، ولما منعوا من التجمع اعدوا نعشا فارغا حملوه ، ثم

---

(٣٦٥) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٠٤ .

(٣٦٦) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٠٥ ـ على حين يرى المقريزي ورقه ١٠٣ وجه أن ذلك كان سنة ١٣٩ او أول سنة ١٤٠ هـ .

(٣٦٧) ـ قد يكون هؤلاء قصدوا من اظهار تاليه المنصور اثارة المسلمين عليه .

(٣٦٨) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٠٣ وجه .
وانظر الطبرى : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥٠٥ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٠٢ .
ـ ابن خلدون ، جزء ٣ ، ص ١٨٥ .

(٣٦٩) ـ حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ، جزء ٢ ، ص ١٠٥ وهذا يخالف ماجاء في الاخبار الطوال لابي حنيفة الدينوري ص ٣٨٤ الذي يرى بان حركة الروandية كانت في البصرة ولكنه أكد ان هؤلاء خرجوا ثارا لابي مسلم .

مروا في المدينة حتى بلغوا السجن فدخلوه واخرجوا اصحابهم ، واتجهوا الــى المنصور باعداد تزيد عن ستمائة رجل [٣٧٠] ٠

خشي سكان العاصمة من هذه الفئة المارقة ، فتنادوا وأغلقوا عليهم ابواب منازلهم للنجاة من خطرهم ، كما أغلقت ابواب المدينة خشية ان يتدفق عليها عدد من الراوندية ، وأحدق الخطر بالخليفة المنصور ، فلم يجد بدا من الخروج اليهم بنفسه ٠ فخرج معن بن زائده الشيباني ، وهو أحد قواد الامويين الذين حاربوا العباسيين تحت امرة ابن هبيرة والي العراق ٠ وكان متخفيا منذ قيام الخلافــــة العباسية لاهدار الخليفة دمه ، فاكفاه مؤونة القتال ، وقاتل دون الخليفة العباسي وابلى بلاء حسنا ٠ فرد هذه الفرقه عن الخليفة ، فعفا المنصور عنه[٣٧١] ، وكافأه بولاية اليمن [٣٧٢] ٠

ب ـ المقنع الخراساني :

تعتبر هذه الحركة حلقة في سلسلة الحركات القومية التي قامت في المناطق الشرقية لاعادة مجد الفرس القديم ٠ كان المقنع رجلا من أهالي رستاق مرو ، واسمه هاشم بن حكيم ٠ حصل علوما من كل نوع ، كما تعلم الشعبذة والطلسمات، وحذق بها . وبرع في السحر ، قرأ كتبا كثيرة من علوم الاولين ، وتنقل في طلب العلم بين مرو وبلخ [٣٧٣] ٠

---

(٣٧٠) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥٠٥ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ،جزء٥،ص٥٠٢.

ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٠٣ وجه .

ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٨٥ .

(٣٧١) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٠٣ .

ـ انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٠٣ .

(٣٧٢) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٠٣ على حين يرى المقريزي : ورقه ١٠٣ ظهر ، ان المنصور ولاه مصر ثم اليمن ثم سجستان وبها هلك .

(٣٧٣) ـ النرشخي : تاريخ بخاري ، ص ٩٤ .

عمل المقنع اعمالا ادارية وعسكرية عديدة ، كان احد قواد خراسان في ولاية ابي مسلم ، ثم صار وزيرا لامير خراسان عبد الجبار الازدي[٣٧٤] . ادعى النبوة في عهد الخليفة أبي جعفر ،فسيق الى بغداد حيث سجن سنوات عديدة ثم اطلق سراحه . وحين عاد الى مرو ادعى الربوبية ،وجمع حوله الناس مخاطبا لهم(انا الهكم واله العالم أجمع) ، ثم يستطرد فيقول : أنا الذي أظهرت نفسي للخلق بصورة آدم ثم بصورة نوح ، ثم بصورة محمد (ص) ، ثم بصورة أبي مسلم ، ثم بهذه الصورة[٣٧٥] .

ان هذا القول من المقنع يدل على أن حركته لا تختلف كثيرا عن الحركة الراوندية ، وأنها كسابقتها تؤمن بتناسخ الارواح ، وتتصل اتصالا وثيقا بالرزامية من الراوندية التي توصل الالوهية الى ابي مسلم[٣٧٦] .

قام المقنع بالدعوة لنفسه . فأرسل كتبه الى الناس ، واعدا اصحابه بالجنة واعداءه بالنار ، وقد دخلت أغلب قرى السعد في دين المقنع ، وأخذ اتباعه يقطعون الطريق على القوافل ، وينهبون القرى . حاول الامراء المحليون القضاء على هذه الحركة قبل أن تستفحل ، فنهض امير خراسان حميد بن قحطبة للقبض عليه وتأديبه ففر مختفيا ، واستتر في اختفائه حتى تأكد من كثرة عدد انصاره . فعبر جيحون الى ولاية كش واستولى عليها . وتحصن ببعض الحصون الموجودة في المنطقة[٣٧٧] فتزايد عدد انصاره هناك ، وتحالفت معه المبيضة في بلاد ماوراء النهر[٣٧٨] حيث دعا اصحابه واعلن لهم اباحة دماء واموال المسلمين منذ سنة ١٥٩ هـ/٧٧٥ م[٣٧٩] .

وقام بتشويه تعاليم الاسلام ، فاسقط الصلاة والصوم والحج عن اصحابه ،

---

(٣٧٤) ـ انظر النرشخي : المصدر السابق ، ص ٩٥ وحاشيته رقم ١ لنفس الصفحة .

(٣٧٥) النرشخي : المصدر السابق ، ص ٩٥ .

(٣٧٦) ـ انظر فيما سبق .

(٣٧٧) ـ كان في جبل سنام في ولاية كش حصن في غاية الاستحكام وبه ماء جار واشجار وزروع وحصن اخر اقوى منه انظر النرشخي : المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٣٧٨) ـ المبيضة من فرق الخرمية التي تنادي بترك الفرائض الدينية وتوالي ابا مسلم الخراساني ، واتخذت اللون الابيض كتعبير لعداء العباسيين .

(٣٧٩) ـ النرشخي : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

وأباح للناس الاموال والنساء ، كما اباح تعاليم مزدك ، فعبده الناس وسجدوا له[٣٨٠] .

كان المقنع رجلا قبيح الخلقة ، اعور قصيرا ، ورأسه اصلع ، عمل لنفسه قناعا [٣٨١] وضعه على وجهه ليحمي به قبحه . وادعى انه فعل ذلك لاسباب دينية ولاخفاء النورانية القدسية . اذ جاء في المصادر التاريخية قوله (ان عبادي لايطيقون رؤيتي في صورتي التي أنا عليها ، ومن رآني احترق بنوري .

ادرك المهدي خطورة الحركة ، فجهز جيشا كبير العدد ، كثير العدة ، ولم يكن من السهل القضاء على المقنع لكثرة انصاره ، ومناعة مواقعه . وبعد اربعة اشهر من القتال العنيف الذي تناوبه عدد من قواد الخليفة أمثال معاذ بن مسلم ، وعقبة ابن مسلم وجبريل بن يحيى ، وسعيد الحرشي ، تمكنت القوات العباسية من السيطرة على الموقف وايقاع الهزيمة بالمقنع ، حيث استسلم عدد كبير من قواته[٣٨٢] .

ولما شعر المقنع بالهزيمة اشعل النار في القلعة ، وأحرق كل ما فيها من دواب وثياب ومتاع وجمع نساءه وأولاده ، وطلب ممن أحب من أصحابه أن يلقوا بانفسهم في النار ليرتفعوا الى السماء . وذكر لهم بأنه صاعد الى السماء ، وأن من أراد ان يصحبه فليشرب من شراب أعده لهم . فشرب وسقاهم شرابا مسموما فماتوا جميعا . وألقى نساءه وأولاده في النار ، ثم القى بنفسه خشية أن يظفر اعداؤه بجثته أو جثث نسائه[٣٨٣] .

وهكذا انتهت حركة المقنع [٣٨٤] ولكن حركة المقنعية المبيضة لم تمت بموته ،

---

(٣٨٠) ـ فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي ، ص ١٧٣ .

(٣٨١) ـ يرى النرشخي ان هذا القناع كان اخضرا على حين ان ابن الاثير وابن خلكان والشهر ستاني يذكرون ان هذا القناع على صورة وجه انسان .

(٣٨٢) ـ انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٣٥ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٣٩ .

(٣٨٣) ـ النرشخي : المصدر السابق ، ص ١٠٣ ـ ١٠٤ .

(٣٨٤) ـ النرشخي : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

فقد اعتقد اصحابه انه ذهب الى السماء ليأتي بالملائكة وينصرهم [٣٨٥] وبالتالي فان مذهبه بقي له بعض المعتنقين من العوام والضعفاء من الناس في ولايتي كش ونخشب وبعض قرى بخارى ، وكان هؤلاء يتظاهرون بالاسلام ويخفون ما يعتقدون به [٣٨٦] • وقد اشارت المصادر الى وجود اتباع للمقنعية حتى القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي •

ومما لاشك فيه ان المبادىء الدينية ، والآراء السياسية التي طرحها المقنع الخراساني ، تمثل خطرا على الديانة الاسلامية • وعلى الخلافة العباسية التي تحميها • ويهدد نفوذها في الشرق الاسلامي خاصة •

د ـ حركة بابك الخرمي :

لم تكن الخرمية فئة واحدة ، بل كان منها الخرمية المحمرة والخرمية البابكية التي تزعمها بابك الخرمي • وقد انتشر هؤلاء في منطقة الجبال بين اذربيجان وأرمينية ، وكانوا متأثرين بالعقيدة المزدكية [٣٨٧] وقد جاء اسم الخرمية اما من خرم بلد في فارس ، أو من خرم الفارسية ومعناها لذيذ [٣٧٨] •

تميزت حركة بابك الخرمي عن غيرها من الحركات الفارسية ذات الطابع الديني والقومي بجهازها المنظم وقيادتها القادرة ، مما جعلها تصمد أمام جيوش الخلافة فترة طويلة •

وينسب المؤرخون الى بابك ادعاءه بالالوهية وأن روح جاويدان [٣٨٩] حلت فيه • كما امن وأصحابه بمبدأ الرجعة وبتناسخ الارواح • كما اباح لأصحابه كل

---

(٣٨٥) يرى النرشخي : المصدر السابق ، ص ١٠٤ ان الحركة انتهت سنة ١٦٧ هـ ـ ٧٨٠ م ، على حين ان فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ١٧٧ يرى انها في سنة ١٦٣ •

(٣٨٦) ـ النرشخي : المصدر السابق ، ص ١٠٤ •

(٣٨٧) ـ المزدكية حركة اصلاحية اجتماعية قادها مصلح عرف بمزدك لاصلاح المجتمع الساساني • انظر احمد امين : فجر الاسلام ، الطبعة العاشرة ١٩٦٥ ـ ص ١٠٩ •

(٣٨٨) ـ شاكر مصطفى : في الدعوة العباسية ، ص ١٢٢ •

(٣٨٩) ـ جاويدان احد رؤساء الخرمية ولما توفي اقامت امرأته بابك مكانه • انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٣٢٨ •

مايلذ النفس ، وينزع اليه الطبع مالم يعد على احد بالضرر ، وبالتالي فانه أباح المحرمات ، والاشتراكية في النساء . كما رفع عنهم الفروض الدينية كالصلاة والصوم والحج والزكاة [٣٩٠] .

أثارت الخرمية حربا شعواء على الاسلام والعرب وفي نيتهم تحويل الملك من العرب الى الفرس ، واعادة مجدهم السابق ، والانتقام لمقتل أبي مسلم . ومما يؤيد ذلك أن كثيرا من المؤرخين ارجعوا بابك الى سلالة أبي مسلم الخراساني ، ورأوا أن حركته استمرار لحركة المقنع الخراساني ، ولحركة الراونديه . ويعودون بنسب بابك هذا الى مطهر بن فاطمة بنت أبي مسلم التي تنتسب اليها الفاطمية من الخرمية [٣٩١] .

اعلن بابك الخرمي ثورته على الخلافة العباسية سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م متخذا من جبال أذربيجان مركزا لحركته . ثم توسع في المناطق المجاورة حيث لاقت دعوته تأييدا واسعا خاصة في منطقة الجبال بين همذان وأصفهان . وانتشر أصحابه بعد ذلك في طبرستان وجرجان وبلاد الديلم ، يعيثون فسادا ويثيرون الاضطراب ، يساعدهم على ذلك انصراف المأمون الى الشؤون الخارجية ، وانهماك قواته بحرب البيزنطيين ، وقوة حصانة المنطقة الجبلية التي اعتصم بها بابك وجماعته [٣٩٢] .

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها المأمون للقضاء على هذه الحركة ، فقد استمرت بعد وفاته . وكان على خليفته المعتصم أن ينهض للقضاء على هذه الحركة، ولم يبخل المعتصم بتسخير كل قوته لقتال بابك ، والقضاء على حركته ، حتى أنه قدمها على قتال البيزنطيين . واختار لقيادة جيوشه خيرة قواده . واهتم ايضا بتدعيم مراكز قواته . فأمر ببناء الحصون التي خربها بابك فيما بين زنجان

(٣٩٠) ـ انظر البدء والتاريخ : جزء ٤ ، ص ٣٠ ـ ٣١ ـ فان فلوتن : السيادة العربية ، ص ٩٩ـ١٠٠
(٣٩١) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٠٨ .
(٣٩٢) ـ زكار : المرجع السابق ، ص ٢٧٣ .

واربيل ، ووضع فيها رجالا مسلحين ، جعل مهمتهم حفظ الطريق لتأمين وصول الميرة الى قواته . ولما حاول رجال بابك الوقوف في وجه الامدادات ، ومنعها من الوصول الى القوات المرابطة هاجمهم رجال المعتصم . وقضوا على سريتهم وكانت هذه أول هزيمة لجنود بابك . وقد استفاد المعتصم وقادته من المعلومات التي حصلوا عليها من الاسرى بعد أن أحسنوا معاملتهم ، ودفعوا لهم أضعاف ما كانوا يأخذونه من بابك ، وجندوهم للتجسس لحسابهم [٣٩٣] .

ودفع المعتصم بقواته كافة لقتال بابك ففي سنة ٢١٨ هـ / ٧٣٣ م تمكن أحد قادته وهو اسحق بن ابراهيم من تشتيت الخرمية في همذان ، ثم قام قائده التركي الافشين سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م بشن هجوم عنيف على معقل الخرمية الاصلي في اذربيجان وحاصرهم مدة طويلة ، حتى اضطر قائدهم بابك الى الفرار سنه ٢٢٣ هـ / ٨٣٦ م [٣٩٤] .

في الفترة التي وجد بابك نفسه في خطر ، حاول تخفيف الضغط عن نفسه . بتحريض البيزنطيين على مهاجمة الثغور الاسلامية ، وأعلمهم بأن المعتصم قد شغل عنهم بقتاله . وانه قد دفع كل قواته في هذا السبيل ، وأنه لا يوجد من يقف بوجههم ، وكانت غايته من ذلك اشغال المعتصم بالبيزنطيين . الا ان ذلك لم يفده . وانتهت حركته بالفشل ، وألقي القبض عليه ، فسيق الى سامراء حيث قتل ومثل به . ولم تنته هذه الحركة الا بعد أن أفنت عددا كبيرا من جند الخلافة ، وكلفت الخلافة الكثير من الاموال [٣٩٥] .

استمرت الحركة الخرمية بعد قتل بابك ، وقام بأمرها المازيار [٣٩٦] الذي كان على صلة سابقة ببابك ، يحرضه ويعرض عليه المساعدة ، فثار في وجه الخلافة

---

(٣٩٣) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٤٤٧ - ٤٤٨ .

(٣٩٤) الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٣-٢٧ .

(٣٩٥) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٤٧٨ - ٤٧٩ .

(٣٩٦) هو من دهاقين الفرس وكان موضع ثقة المأمون ، فولاه أطراف طبرستان ، وسمح له بالاحتفاظ بلقب الاصبهبذ .

العباسية محرضا أكرة الضياع على الوثوب بأربابهم ونهبهم • وقد استطاع عبد الله بن طاهر أن يقبض على المازيار ، ويرسله الى المعتصم • وانتقم المعتصم من رئيسي الخرمية في أيامه فصلبهما في سنة ٢٢٥ هـ / ٨٤٠ م • وقد ساعد القبض على المازيار الخليفة على اكتشاف موقف قائده الافشين ومطامعه ، وجرت له محاكمة اتهم على أثرها بالزندقة ، كان من اعضائها محمد بن عبد الملك الزيات ، وأحمد ابن أبي دؤاد • وكان قرار المحكمة الصلب والحرق (٣٩٧) •

د ـ ثورة استاذسيس :

قام استاذ سيس في سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م بثورته في خراسان • وعلى الرغم من أن أهداف القيام بهذه الثورة مجهولة ، فيمكن القول بأن السبب الذي دعاه الى الخروج هو السبب نفسه الذي دعا غيره من الفرس الى الثورة على الخلافة العباسية العربية الاسلامية • وتكمن خطورة هذه الثورة بالاعداد الكبيرة التي استطاع استاذ سيس جمعها حوله من أهالي هراة وبادغيس وسجستان • ويبدو أن استاذ سيس وانصاره قد عاثوا فسادا في المناطق التي احتلوها فنهض أهالي وولاة المناطق المجاورة بمقاومتهم قبل وصول جيوش الخلافة • وقد تمكن استاذ سيس بما لديه من قوة ، وبالنفوذ الذي أصبح له بين أنصاره من هزيمة هذه الجيوش المحلية التي حاولت الوقوف في وجهه ، فقوي مركزه بين أنصاره •

لم يدع المنصور أمر هذه الحركة للقوات المحلية ، بل وجه للقتال جيشا جعل على قيادته خيرة قواده ، وهو خازم بن خزيمة • وقد تمكن خازم بما قام به من جهود من السيطرة على الموقف ، وانتصر انتصارا حاسما على أستاذ سيس ، ووضع السيف في أنصاره ، وقضى بذلك على هذه الثورة (٣٩٨) •

---

(٣٩٧) ـ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥ •

(٣٩٨) ـ انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٩ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٥ ـ العيون والحدائق ، ص ٢٦٣ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٨ •

الفصل الثاني

الاوضاع العامة في شمال افريقيا والاندلس :

أ ـ الاوضاع في مصر وبلاد النوبه :

كان أول من تولى امرة مصر اثر قيام الخلافة العباسية صالح بن علي بن عبد الله بن العباس ، عم الخليفة ابي العباس ، استقبل صالح ولايته في محرم سنة ١٣٣ هـ/اب ٧٥٠ م ، فبعث بوفد مصر الى الخليفة لاعلان البيعة للعباسيين[١] ثم عمل على ملاحقة الامويين وانصارهم فيها ، فعاقب بعضهم بالقتل ، واعطى لبعضهم الامان ، وضبط البلد للخلافة العباسية[٢] . وحاول ان يجد لنفسه حاشية وانصارا ، فاقطع بعض من شعر باخلاصه للعباسيين اراضي قرب مدينتي الفسطاط والاسكندرية ، أو أراضي قرى أهناس[٣] . وأمر للناس باعطياتهم ، وقسم الصدقات على اليتامى والمساكين[٤] .

قام صالح بن علي ببناء مدينة العسكر مع قائده ابي عون في الشمال الشرقي من الفسطاط بمنطقة الحمراء القصوى ، وجعلها عاصمة له عوضا عن السابقة . وكان

---

(١) ـ عن الوفد المرسل انظر الكندي : الولاة والقضاة ، طبعة الاباء اليسوعيين ١٩٠٨ ، ص ٩٧ـ٩٨ المقريزي : الخطط ، جزء ١ ، ص ٥٧١ .

(٢) ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ٩٨ ـ ٩٩ .

(٣) ـ اسم كوره في الصعيد الادنى وهي على غربي النيل ليست بعيدة عن الفسطاط : انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان جزء ١ ، ص ٢٨٤ ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ١٠١ .

(٤) ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

الذي دفعه الى ذلك شعوره بأن الفسطاط تضيق بعسكره • واستمر البناء بعده بهذه المدينة حتى اتصلت بمدينة الفسطاط[٥] •

تناوب حكم مصر في عهد الخليفة ابي العباس ، والفترة الاولى من حكم الخليفة ابي جعفر كل من صالح بن علي وابي عون • فقد استخلف صالح ابا عون عبد الملك بن يزيد على مصر بأمر من الخليفة في مستهل شعبان ١٣٣ هـ / اذار ٧٥١م، على حين تسلم هو ولاية فلسطين[٦] •

كانت ولاية ابي عون على مصر ولاية عامة[٧] ، ولم يحدث في أثناء ولايته تلك احداثا ذات اهمية ، وانتهت حين جمع الخليفة ابو العباس لصالح بن علي ولاية فلسطين ومصر وافريقية ، وكلفه بتهدئة اوضاع المغرب في ربيع الاخر سنة ١٣٦ هـ / ايلول ٧٥٣ م ، وكانت هذه ولايته الثانية ، وحين توفي الخلفية ابو العباس في السنة نفسها ، اقر الخليفة المنصور صالح بن علي على مصر[٨] •

لم تكن مصر باهاليها في تلك الفترة بعيدة عن الاحداث السياسية العامة التي قامت في المنطقة • فقد تعاون اهالي البلاد مع واليهم ، بالحملة التي اعدت للمغرب اولا ، ثم بالحملة التي أرسلت لقتال ابي الخطاب بن الشيخ عبد الاعلى ابن الشيخ الاباضي[٩] • وقدم امام حملته رجالا من اشراف مصر كدعاة لاهالي افريقية[١٠] • كما استعان بهم لاجل تهدئة ثورة الحكم بن ضبعان الجذامي في فلسطين •

حدث تغيير متكرر لولاة مصر في عهد المنصور بعد ولاية ابي عون الثانية

---

(٥) ـ عن العسكر انظر ياقوت الحموي : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٢٣ .
(٦) ـ المقريزي : الخطط ، جزء ١ ، ص ٥٧١ .
(٧) ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ١٠١ .
(٨) ـ المقريزي : الخطط ، جزء ١ ، ص ٥٧٥ .
(٩) ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .
(١٠) ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ١٠٢ .

عليها • فتولى موسى بن كعب حتى سنة ١٤١ هـ / ٧٥٨ م[١١] • اثر عزله عين محمد ابن الاشعث حتى سنة ١٤٣ هـ/٧٦٠ م[١٢] ثم تولى حميد بن قحطبة • وفي ولايته قدم الى مصر علي بن محمد بن عبد الله بن حسن داعية لابيه وعمه .فعزل عقابا له، لعدم قبضه على هذا الداعية سنة ١٤٤ هـ / ٧٦١ م ، وعين يزيد بن حاتم من آل المهلب مكانه • وقد دامت ولايته حوالي ثماني سنوات ، وهي اطول مدة بقي فيها أمير على مصر في عهد العباسيين حتى هذا التاريخ ، ولكنه لم يستطع ان يقف حائلا في وجه انتشار دعوة بني الحسن في مصر • فقد تقبل الاهالي هذه الدعوة بقبول حسن[١٣] وكل ما استطاع هذا الوالي ان يفعله في هذا المجال ، هو منع اتصال الثوار بمحمد النفس الزكية ، بمنعهم من الحج في سنة ١٤٥ هـ / ٧٦٢ م• ولم تلبث هذه الحركة ان انطفأت اثر نبأ وفاة محمد ثم اخيه ابراهيم ، على الرغم من بقاء علي بن محمد في مصر حتى وفاته[١٤] •

ويبدو ان اسباب التغيير المستمر للولاة يعود لاسباب اقتصادية بالدرجة الاولى ، الى جانب الاسباب السياسية وغيرها من الامور التي لامجال لذكرها الان • فمن الواضح ان اوضاع مصر في الفترة الاولى من الحكم العباسي كانت مشابهة الى حد ما لاوضاع بلاد الشام ، ولكنها اقل حدة • وان اوضاع مصر الاقتصادية كانت تسير الى الاسوأ ، مما ادى الى تململ الاهالي احيانا • فمن المعروف ان خراج مصر كان في عهد الدولة الاموية حوالي ٣٦ مليون درهم اي مايقارب ثلاثة ملايين دينار[١٥] • وان هذا المبلغ تناقص حتى بلغ في عهد الرشيد مليونا وتسع مائة وعشرين الف دينار[١٦] • ومما لاشك فيه ان هذا النقص في الخراج كان بسبب تدهور الاوضاع الاقتصادية ، وان التأخر الاقتصادي ادى الى

---

(١١) ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ١٠٧ ـ ١٠٨ •
(١٢) ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ١١٠ •
(١٣) ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ١١٠ ـ ١١١ •
(١٤) ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ١١٥ ـ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ص ٥٧٧ •
(١٥) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٤٦٨ •
(١٦) ـ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ٢٨٢ •

تحرك السكان ، والى اضطرار خلفاء العباسيين الى تحريك ولاتهم ، عسى ان يجدوا من بينهم من يستطيع أعادة الاوضاع الاقتصادية في مصر الى سابق عهدها •

قامت ثورات عديدة في مصر والمناطق المحيطة بها . وكان على والي مصر ان ينهض بعبء تهدئة هذه الثورات • ولذلك فقد عمل الولاة على تدعيم قوتهم بجيوش من مركز الخلافة • وكمثال على ذلك ان حميد بن قحطبة احضر معه الى مصر عشرين الفا من الجند ، الى جانب امدادات اخرى وصلته بعد ذلك • ومن جملة ذلك ان جيشا ارسل لغزو الحبشة لخروجها عن الطاعة ، فظفر الجيش بالخارج على السلطة [17] •

كما خرج القبط في سنة ١٥٠ هـ / ٧٦٧ م على واليهم يزيد بن حاتم ولما لم يستطع تهدئة الثورة وانهزم جيشه امامهم ، صرف عن الولاية[18] •كماخرج في مصر في عهد الخليفة المهدي احد رجالات بني امية وهو دحية بن مصعب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان ودعا لنفسه بالخلافة وتمكن من التغلب على بلاد الصعيد ، وفشل والي العباسيين ابراهيم بن صالح العباسي (١٦٥ — ١٦٧ هـ/ ٨٧١ — ٨٧٣ م) في القضاء على هذه الثورة فعزله الخليفة المهدي ،وأعطى الولاية الى موسى بن مصعب بن الربيع الخثعمي (١٦٧ — ٦١٨ هـ / ٨٧٣ — ٨٧٤ م)• وفشل الاخير في القضاء على الثورة ، وانتهت حياته بالقتل • ويبدو ان فشل الوالي الاخير كان بسبب اساءته للاهالي ، وفرضه عليهم فروضا مالية زادت عما كان يجبيه سابقوه . فقد زاد ماكان يؤخذ على كل فدان بمقدار الضعف • كما فرض فروضا على أهل الاسواق وغيرهم ، فكرهه المتضررون ، وقامت الفتن في طول البلاد وعرضها وبلغت ذروتها في الصعيد وكوره الحوف [19] •

---

(١٧) — الكندي : المصدر السابق ، ص ١١٦ ـ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ص ٥٧٧ .

(١٨) — الكندي : المصدر السابق ، ص ١١٦ ـ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧٧ .

(١٩) — الكندي : الولاة والقضاة ، ص ١٢٤ — ١٢٥ — ١٢٦ — المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧٨ — ٥٧٩ .

لم تنته ثورة دحية بقتل موسى بن مصعب ، بل استمرت في عهد خلفه عسامه ابن عمرو المعافري ، وفي ولاية خلفه الفضل بن صالح . وقد تمكن الاخير من هزيمة دحية زعيم الثائرين ، ثم قبض عليه وقتله في سنة ١٦٩ هـ/٧٨٧ م . ولم يجن الفضل ثمار انتصاره ، اذ عزل في السنة نفسها التي ولي فيها [٢٠] . ونهض خلفه علي بن سليمان بالاحسان الى الاهالي ، فاظهر الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ومنع الملاهي والخمور ، وهدم الكنائس المحدثة في مصر ، كما اكثر من دفع الصدقات للمحتاجين[٢١] .

هدأت أحوال مصر في ولاية موسى بن عيسى ، لانه استطاع ان يوفق بين الاهالي ويحسن اليهم . فقد اشتهر بالعدل وحسن الادارة . واكتسب بذلك محبة الاهالي ، كما انه احسن الى النصارى ، وأذن لهم ببناء الكنائس التي هدمها سلفه ، كما انه ارضى المسلمين بما قام به من توسيع لجامع عمرو بن العاص[٢٢] .

ويبدو أن هذا الهدوء كان مؤقتا ، وان اسباب الثورات بقيت كامنة في البلاد . وانه لسبب أو لآخر كان الخراج ينكشف في مصر في بعض السنوات ، وكان على أولي الامر فرض زيادة على المزارعين لسد النقص ، وكثيرا ما أدى ذلك الى عودة الاضطراب ، وقد حدث ذلك في خلافة هارون الرشيد مما ادى الى خروج أهل الحوف واضطرار الخليفة الى قتالهم[٢٣] .

وتكرر تغيير الولاة كما عاد أهل الحوف ثانية للثورة في عهد الرشيد سنة

---

(٢٠) ــ الكندي : المصدر السابق ، ص ١٢٨ ــ ١٢٩ ــ ١٣٠ ــ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧٩ .

(٢١) ــ الكندي : المصدر السابق ، ص ١٣١ وما بعدها ــ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧٩ .

(٢٢) ــ الكندي : المصدر السابق ، ص ١٣٢ ــ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧٩ .

(٢٣) ــ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٨٠ .

١٨٦ هـ / ٨٠١ م • وامتنعوا عن دفع الخراج [٢٤] • وعادت الفوضى ثانية للبلاد اثر النزاع بين الامين والمأمون ، فتعصب بعضهم للامين واخرون للمأمون • فقد ثار بعضهم حين أراد الامين نكث العهد وخلع المأمون من ولاية العهد ، لانهم رأوا وجوب الوفاء بالعهود • واضيف الى هؤلاء اصحاب النزعات الخاصة الذين يستغلون الفتن لتحقيق مصالح لهم •

أرسل المأمون الى مصر كتابا يدعو الاهالي فيه الى خلع الامين • وطلب من وكيل ضياعه في مصر قراءة الكتاب على الجند ، وخرج السري بن الحكم يدعو للمأمون ، فبايعه بعضهم وتمكن الجميع بتعاونهم من اخراج والي الامين من الفسطاط ، ولما كان للامين أنصار في مصر فقد وقع الخلاف والقتال بين الفريقين ، وتم النصر لانصار المأمون على أنصار الامين [٢٥] •

لم تهدأ الاحوال في مصر بعد ذلك ، ولم يستطع المأمون من السيطرة على الوضع • ونشبت الثورات في كل مكان وخضعت كل منطقة لثائر • وقام كل من الثائرين بجباية الضرائب لنفسه ، وبالتصرف في ولايته تصرف المستقل ، ولم يذعنوا لاوامر خليفة بغداد • وليس أدل على شدة الاضطراب من أن الشرطة تقلدها خمسة في بضع أسابيع[٢٦] •

وبدت مصر في هذه الفترة خارجة عن طاعة العباسيين ، حتى أن كثيرا من المؤرخين يعتبرون هذه الفترة بداية لاستقلال مصر عن الخلافة العباسية ، استقلالا يسبق ذلك الذي جرى في عهد الطولونيين[٢٧]

---

(٢٤) — المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٨٢ — انظر الكندي : المصدر السابق ، ص ١٤٠ ، لتجد ان اسباب الثورة اقتصادية .

(٢٥) — الكندي : المصدر السابق ، ص ١٤٨ — ١٥٠ .

(٢٦) — الكندي : المصدر السابق ، ص ١٤٨ — ١٥٠ ومابعدها . وانظر عن الاضطرابات في مصر ، وما فعله المأمون لتهدئة الاحوال ، المقريزي : المصدر السابق ، ورقه ١٢٣ وجه وظهر .

(٢٧) — الكندي : المصدر السابق ، ص ١٥٩ — ١٨٠ .

كلف المأمون قائده عبد الله بن طاهر بن الحسين بالقضاء على هذه الاضطرابات التي سادت مصر نحوا من احدى عشرة سنة . وقد تمكن هذا من اعادة الامور الى سيرتها الاولى ودخل مدينة الفسطاط حيث اخذ يعمل على اصلاح الامور فيها . وظن ان الهدوء عاد نهائيا الى المنطقة فتركها وعاد الى العراق(٢٨) .

الا ان الثورات عادت سيرتها الاولى ، فندب الافشين لاعادة الاوضاع الى حالها . ثم حضر الخليفة الى مصر لدراسة الاوضاع عن كثب . وتمكن بفضل الجهود المتكررة التي صرفها من اعادة الامن الى نصابه(٢٩) . وقد شجعت الاوضاع المضطربة فئة من الاندلسيين ــ كانوا قد طردوا من قبل الحكم بن هشام الاموي اثر هيجة الربض في قرطبة سنة ١٩٨ هـ/٨١٣ م ــ على الالتجاء الى الاسكندرية والسيطرة عليها واقامة مايشبه بالجمهورية ترأسها زعيمهم ابو حفص عمر البلوطي، فقاتلهم عبد الله بن طاهر ، وانتصر عليهم واجلاهم عن الاسكندرية ، فالتجأوا الى جزيرة كريت(٣٠) .

ولما تولى المعتصم عرش الخلافة واسقط العرب من ديوان العطاء اندمج العرب مع اقباط مصر وامتهنوا الزراعة ورضخوا لسلطة الولاة الاتراك(٣١) .

أما بلاد النوبه(٣٢) فلم تخضع للمسلمين في صدر الاسلام . وكل ماستطاع عبد الله بن سعد بن أبي سرح ان يفعله سنة ٣١ هـ / ٦٥٤ م هو ارغام ملك النوبة

---

(٢٨) ــ الكندي : المصدر السابق ، ص ١٨٠ - ١٨٥ .

(٢٩) ــ انظر الكندي : المصدر السابق ، ص ص ١٨٩ - ١٩٢ - وانظر المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٨٤ - ٥٨٥ .

(٣٠) ــ الكندي : المصدر السابق ، ص ١٨٣ - ١٨٤ - ابن تغرى بردى الاتابكي : النجوم الزاهرة ، جزء ٢ ، ص ١٩٢ .

(٣١) ــ الكندي : المصدر السابق ، ص ١٩٣ وما بعدها - المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٨٦ .

(٣٢) ــ تقع المنطقة جنوب اسوان على بعد خمسة اميال مركزها مدينة دنقله . انظر المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٥٩ ــ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٥ ، ص ٣٠٩ .

على طلب الصلح وكتابة عهد على نفسه ينص على التسامح الديني وحسن الجوار وتبادل المنافع الاقتصادية بينه وبين المسلمين . فمصر تمد النوبه بالحبوب والثياب والخيل ، وبالمقابل تمد النوبه مصر بالماشية والرقيق لفلاحة الارض . وبهـــذه المعاهدة تخلص المسلمون من خطر هذه المنطقة . ولم يتعرض عبد الله بن سعد بن أبي سرح في انصرافه من النوبه للبجة لانه علم ان لاخطر منهم[٣٣] .

أما عبيد الله بن الحبحاب فقد هادن البجة[٣٤]، اواخر القرن الاول للهجرة/ السابع الميلادي وعقد معهم معاهدة تيسر انتقال المسلمين ، وتحمي تجارتهم في المنطقة . وكانوا قد انتشروا في بلاد النوبة وغيرها ،ولاسيما بين النيل النوبي والبحر الاحمر في الاراضي الممتدة بين دنقلة واسوان تقريبا [٣٥] .

ويبدو ان العرب قد اتصلوا اتصالا وثيقا بالبجة في القرن الثاني الهجري عن طريق البحر الاحمر ووادي النيل ، وخاصة من اقليم اسوان . ورحلوا الى هذه المناطق كتجار ومنقبين عن الذهب والزمرد . وقد استقر جماعة من العرب المسلمين هناك وبنوا مساجدهم،وقد أدت هذه العوامل وهذا الاختلاط في مناطق البجة شرقي السودان الى سهولة تعريب المنطقة [٣٦] .

ولم يحافظ البجة على العهد الذي قطعوه على أنفسهم مع عبيد الله بن الحبحاب بل قاموا بغارات متعددة على جهات اسوان ، واشتد ايذاؤهم للمسلمين ،فرفع امرهم الى الخليفة المأمون العباسي سنة ٢١٦ هـ/٨١٣ م ، وعمل الخليفة العباسي بواسطة

---

(٣٣) ـ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٦ .

(٣٤) ـ اول بلاد البجه من قرية تعرف بالخزيه وبينها وبين قوص نحو من ثلاث مراحل . وآخر بلاد البجه أول بلاد الحبشه . وهم في بطن هذه المنطقة الى سيف البحر الملح مما يلي جزائر سواكن وباضع ودهلك اي انهم يقيمون على مقربة من عيـــذاب على البحر الاحمر . انظر المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٣ .

(٣٥) ـ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ص ٣٦٦ .

(٣٦) ـ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٦ .

القوى التي سرحها اليهم على ابرام عهد جديد بينه وبين ملكهم كنون بن عبد العزيز[٣٧] ، ومن أهم شروط هذا العهد :

١ ـ ان تكون بلاد البجة من حدود اسوان الى البلاد التي تمتد بين دهلك وباضع ملكا للخليفة وان يكون كمون ملكا على البجة •

٢ ـ ان يؤدي ملك البجة كل عام الخراج او البقط على ماكان عليه أسلافه مائة من الابل أو ثلاثمائة دينار •

٣ ـ ان يحترم البجة الاسلام ، والا يذكروه بسوء ولا يعينوا أحدا على أهله ، والا فانهم يكونون قد نقضوا العهد ، وأحل دمهم •

٤ ـ انلايمنعوا احدا من المسلمين من الدخول في بلادهم والتجارة فيها برا وبحرا ، وان يؤمنوا المقيم منهم والحاج والتاجر حتى يترك بلادهم •

٥ ـ اذا نزل البجة صعيد مصر مجتازين او تجارا فلا يظهرون سلاحا ولا يدخلون المدن او القرى باي حال[٣٨] •

وهكذا فانه يبدو من نصوص هذه المعاهدة ان صلات المسلمين كانت وثيقة جدا بمنطقة البجة ، وانه كان لهم مساجد فياكثر من بلد بها •واستمرتالاتصالات بين الفريقين حتى كان عهد المعتصم الذي عمل على تجديد العهد ، فقابله ملكالنوبة بزياره ودية الى بعض مناطق مصر ، حيث قوبل بمظاهر الاحترام ، وعاد الى بلاده يحمل الهدايا •

نقض ملك البجة العهد في عهد المتوكل • وامتنع عن اداء الجزية وغزا الريف في صعيد مصر ، كما تعرض الى عمال مناجم الذهب من العرب • فاستنجد اهالي جنوب مصر بالخليفة المتوكل ، الذي ندب لهم الجيوش لقتالهم ، وتمكنوا من

---

(٣٧) ـ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٦ •

(٣٨) ـ انظر المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٨ •

الانتصار عليهم وقتل زعيمهم[٣٩] ، ومالبث هؤلاء ان رضخوا للطاعة ثانيـــة وصالح اميرهم الجديد المسلمين طالبا الهدنة على أن يسمح له بالسفر الى بغداد ومقابلة أمير المؤمنين ، وفي هذه المقابلة عاهد الخليفة على اداء الخراج ، واشترط عليه الخليفة ان لايمنع المسلمين من العمل في المدن[٤٠] .

٢ ـ الاوضاع العامة في بلاد المغرب (٤١) :

على اثر قيام الخلافة العباسية ، ونقل مركز الخلافة الى العراق والـــدور الذي قام به الفرس في مساعدة العباسيين على نجاح دعوتهم وتحقيق اهدافهـــم في الخلافة ، انصرف اهتمام العباسيين الى الولايات الشرقية من أراضي الخلافة ، مما أفسح المجال واسعا امام المناطق الغربية للقيام بحركات استقلالية ناجحة، كما أدى ضعف قوة قبضة العباسين على المنطقة الغربية الى ان تصبح ملجأ للفئات الفارة من غضبة العباسيين .

وقد نتج عن ذلك ان اصبح شمال افريقية العربي مسرحا للفتن والقلاقل في العصر العباسي ، وكان ذلك لامور متعددة بالاضافة الى ماذكرناه ومن هذه الامور :

ـ عدم معاملة العرب لسكان البلاد الاصليين بالمساواة .

ـ فداحة الضرائب التي كان يفرضها الولاة على السكان ، والتي أثقلت كاهل الاهالـــي .

ـ انتشار المبادىء الخارجية بين سكان المنطقة لموافقة المبادىء الديمقراطية التي نادى بها الخوارج لعقول أهالي المنطقة اكثر من المبادىء الاخرى .

ـ محاولة سكان البلاد تحقيق استقلالهم الذي حلموا به ، عن طريق تأسيس

(٣٩) ـ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٨ .
(٤٠) ـ المقريزي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٨ .
(٤١) ـ لقد اختصرت مادة هذا البحث والذي يليه باعتبار ان الكتاب جامعي وان هناك مؤلفا ومـادة خاصة للمغرب والاندلس .

دول مستقلة • وساعدهم على ذلك بعد هذه البلاد عن السلطة المركزية ، وانشغال خلفاء بغداد بتوطيد اركان دولتهم والسيطرة على الحركات الثورية المتعددة التي نشبت بوجههم في هذه الفترة من تاريخهم •

ثار محمد بن الاشعث والي افريقية على الخليفة ابي جعفر المنصور ، فاعطى الخليفة ولاية هذه البلاد الى الاغلب بن سالم ، فقدم القيروان سنة ١٤٧ هـ/٧٦٥ م، وسرعان ماثار عليه سكان البلاد بزعامة قواد من العرب، وقتلوا الاغلب على أبواب مدينة القيروان سنة ١٥٠ هـ/٧٦٨ م • ويبدو أن القلاقل في شمال افريقية العربي كانت مستمرة طوال عهد الخليفة المنصور ، وانه اضطر الى ارسال الجيوش المتتالية لاعادة المنطقة الى الطاعة ولكن دون جدوى • واستمرت مدينة القيروان تسقط في أيدي الثوار حينا وفي أيدي العباسيين حينا حتى نهاية عصر المنصور [٤٢] •

وحين علم المنصور بنبأ مقتل الاغلب اعطى ولاية افريقية الى عمر بن حفص • فوصل الى القيروان حيث تسلم امرة هذه المناطق من جند الاغلب ، واقام الامن في البلاد مدة • ولكن الخوارج من الاباضية والصفرية استغلوا انشغال الوالي فانتفضوا عليه وهاجموا مدينة القيروان ، ثم حاصروا طبنه • وقد قاموا بقتل عمر ابن حفص ، فاضطر الى ارسال يزيد بن حاتم بن قبيصة ليحل محل ابن حفص ، وتمكن من رد الخوارج بعد ان انتصر عليهم ثم دخل مدينة القيروان[٤٣] •

واستمر خروج شمالي افريقية عن طاعة العباسيين في عهد هارون الرشيد ، واضطر الرشيد الى ارسال قائده هرثمة بن اعين على رأس جيش كثيف الى المنطقة، فوصلها في شهر ربيع الاول سنة ١٧٩ هـ/٧٩٥ م الا انه لم يجد في نفسه الطاقة على اعادة الاستقرار الى البلاد ، فاعتذر للرشيد عن بقائه وعاد الى العراق [٤٤] •

---

(٤٢) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٨٦ — ٥٨٧ .

(٤٣) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٩٨ — ٦٠٢ .

(٤٤) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٣٧ — ١٣٩ .

وهكذا فان الفتن والقلاقل استمرت في المنطقة ، وكانت حصيلتها ظهور دول مستقلة عن الخلافة العباسية كان منها الدولة الرستمية في تاهرت للخوارج الاباضية ، ودولة بني مدرار في سجلماسة للخوارج الصفرية ، وولاية تلمسان التي اسسها بنو قرة الصنهاجيون ، ودولة برغواطة في تامستا(٤٥)• ودولة الاغالبة التي اسسها ابراهيم بن الاغلب في تونس ، ودولة الادارسة التي اسسها ادريس بن عبد الله بن الحسن الشيعية الزيدية في المغرب الاقصى •

٣ ـ الاوضاع في الاندلس :

حين قامت الخلافة العباسية كان الصراع محتدما في الاندلس بين القبائل العربية من قيسية ويمنية • ونتيجة ذلك اجري تبديل متكرر لولاة المنطقة دون ان يحصل أحد من هؤلاء على رضاء الاهالي •واخيرا اتفقت الآراء على يوسف بن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة الفهري وهو من مضر ، على ان يتولى أمر الاندلس لمدة سنة ثم يليها رجل يمني يختارونه في السنة المقبلة وهكذا (٤٦) •

حين استقرت امور الاندلس على هذا الشكل ، وكان الامويون يعانون من تعقب أفراد الأسرة العباسية لهم ، قام أحدهم وهو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بالفرار الى شمال افريقيا فبلاد الاندلس ، واستطاع بعد مصاعب جمة لقيها ان يدخل عاصمة الاندلس قرطبة في سنة ١٣٨ هـ/٧٥٦ م(٤٧) • وان يأخذ البيعة لنفسه بالامارة ويصبح بعدها اميرا على الاندلس •

وهكذا فقد استطاع هذا الرجل الاموي (حفيد هشام بن عبد الملك) من ان يؤسس حكما مستقلا في هذا الاقليم منذ سنة ١٣٨ هـ / ٧٥٦ م • ولم يخف أبو جعفر المنصور الخليفه العباسي ــ والذي حدث في عهده انفصال هذا الجزء الهام

---

(٤٥) ــ قرية بالمغرب قرب المسيلة كانت لكتامة وزناته ، انظر الحموي : معجم البلدان ، جزء ٢ ص ٧
(٤٦) ــ انظر حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٢٩ .
(٤٧) ــ احمد بدر . دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ، ص ٧٢ ــ ٨٦ .

من أراضي الخلافة العباسية ـ اعجابه بعبد الرحمن ومقدرته الخارقة وعزيمته التي ليس لها حد ، فاطلق عليه اسم صقر قريش ، اذ أن مما أعجب به المنصور ان رجلا طريدا شريدا ملاحقا يتمكن من تأسيس ملك واسع له في هذه البلاد البعيدة عن المنطقة التي كان يستقر فيها [٤٨] . وقد ابقى عبد الرحمن (صقر قريش) الدعاء للخليفة العباسي المنصور لمدة عشرة اشهر ثم قطعها [٤٩] . وبذلك فانه استقل تماما عن الخلافة العباسية .

ومما لاشك فيه ان انسلاخ الاندلس عن الخلافة العباسيه قد فت في عضدها. الا ان ظروف المنصور الداخلية لم تكن تسمح له بالعمل على اعادة سلطان العباسيين الى هذه البلاد ، ولذلك فانه حاول في البداية ان يستميل عبد الرحمن اليه عن طريق الرسل ، الا انه لم يحصل على نتيجة[٥٠] . كما حاول ان يثير الناس حوله ليستعيدها فاخفق . كما حاول بطرق دبلوماسية اخرى فلم يحصل على نتيجة[٥١] .

ولذلك قرر المنصور استخدام القوة وخاصة وانه كان قد انتهى من منافسة أكبر منافسية محمد بن عبد الله (النفس الزكية) . فارسل قائده العلاء بن مغيث اليحصبي في سنة ١٤٦ هـ/٧٦٣ م الى الاندلس لاخراج الامويين منها . الا ان هذا القائد فشل أمام عبد الرحمن حين اصطدم معه بمعركة عسكرية قرب اشبيلية . وكانت هزيمة الجيش العباسي قاسية ، ولذلك فان المنصور لم يكرر هذه المحاولة في عهده[٥٢] .

وحين تولى خلفه المهدي وكان يضمر العداء لعبد الرحمن الداخل سعى الى

(٤٨) ـ المقري : نفح الطيب ، جزء ١ ، ص ١٥٧ .

(٤٩) ـ المصدر نفسه ، ص ٨٥ ـ ٨٦ .

(٥٠) ـ Muir : The Caliphate, P. 466

(٥١) ـ Muir : op. Cit., p. 462

(٥٢) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٥٧٥ .

استعادة الاندلس ، ولكن قائده فشل ومني بهزيمة كسابقه امام قوات عبد الرحمن[٥٣] . فكرست هاتان الهزيمتان انفصال الاندلس .

وهكذا سنحت الفرصة لعبد الرحمن للاستقرار وبدأ باعماله العمرانية فبنى في قرطبة قصرا ومسجدا جامعا ، ونظر في المظالم بنفسه ، واورث ابناءه ملكامستقرا بعد وفاته سنة ١٧٢ هـ/٧٨٨ م ، الا ماكان من ثورة قرطبة على الحكم الاول[٥٤] .

(٥٣) ـ لاجل تفاصيل المعركة انظر ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥٤ .

(٥٤) ـ المقري : نفح الطيب : جزء ١ ، ص ١٦٩ .

الفصل الثالث

العلاقات الخارجيـــة :

١ ـ العلاقات مع البيزنطيين :

احتلت بلاد الشام مركزا استراتيجيا هاما في الدولة الاسلامية كان له اثره الكبير في توجيه النشاط الحربي الاسلامي ضد البيزنطيين، ففي ايام الخلافة الاموية وعندما كان مركز الخلافة قريبا من الثغور مدة ثمانين سنة ، كانت الجيوش العربية تنطلق من شمال بلاد الشام الى شرقي آسية الصغرى في غزوات مستمرة لقتـال البيزنطيين في اراضيهم[١] ولم تتوقف هذه الغزوات الا في فترات الفتن والمنازعات الداخلية ، وقد انقطعت الحملات العسكرية الاسلامية الى البيزنطيين في خلافـة مروان بن محمد ، واصبح موقف المسلمين دفاعيا محضا [٢] ماعدا بعض الصوائف، فقد شغلته احداث الخلافة الاسلاميه والثورات التي نشبت في أيامه عن الجهاد ، ووجد البيزنطيون الفرصة سانحة للخروج ومهاجمة اطراف الشام وفي نيتهم دفع خطر المسلمين عن آسية الصغرى[٣] .

ثم لم تلبث سنة ١٣٢ هـ/٧٤٩ ـ ٧٥٠ م ان شهدت سقوط الخلافة الاموية وقيام الخلافة العباسية في العراق ، فزالت عظمة اقليم الشام ، وانتقل مركز الاسلام

(١) ـ Le Strange · Bagdad during the Abbassid Coliphate.,p.3

(٢) ـ عجاج نويهض : ابو جعفر المنصور ، ص ٢٨ .

(٣) ـ ابن شداد : الاعلاق الخطيرة ، ورقة ٧٠ .

بعيدا نحو الشرق • ومن ثم قل تهديد المسلمين لحدود الدولة البيزنطية بصورة واضحة في العصر العباسي[٤] • واستغل الامبراطور قسطنطين الفرصة ، فتوجه الى منطقة الثغور وهاجم كلا من ملطية وكمخ[٥] • الا انه كان عاجزا عن استغلال الظرف على نطاق واسع ، فقد كانت الدولة البيزنطية في شغل شاغل بحركة جدل ديني نشأت اثر نجاح البيزنطيين في الدفاع عن عاصمتهم القسطنطينية ضد المسلمين، وشن الامبراطور ليو الثالث منقذ القسطنطينية حملة على عبادة الايقونات • وحدث رد فعل على هذه السياسة تسبب في قيام ثورة داخلية[٦] •

ومهما يكن من أمر فان القلاقل التي رافقت انتقال الخلافة من الامويين الى العباسيين ، وتحول مركز الخلافة من دمشق الى بغداد قد هيأ الفرصة لاباطرة البيزنطيين على الرغم من ظروف دولتهم ان يبسطوا نفوذهم في اتجاه الشرق ، مما اضطر معه الخليفة ابو جعفر المنصور وخلفاؤه الى ان يبذلوا الجهد في تحصين ثغور بلاد الشام الشمالية والساحلية [٧] ، وان ينظموا منطقة العواصم والثغور ،ويحيوا الغزوات التي سميت بالصوائف والشواتي • والتي كان يقوم بها اهالي الشام والجزيرة صيفا وشتاء مما يلي ثغور الشام والجزيرة [٨] •

فقد بدأ البيزنطيون علاقتهم مع العباسيين بالهجوم على ملطية وكمخ كما ذكرنا[٩] ثم ما لبثوا ان ساروا الى قالقيلا وتمكنوا من دخولها بعد فترة من الحصار ، فقتلوا رجالها وسبوا نساءها • وساروا بالغنائم الى امبراطورهم[١٠] •

---

(٤) ـ عاشور : الحركة الصليبية ، جزء ١ ، ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(٥) ـ قلعة كمخ على الفرات الغربي على مسيرة يوم جنوب اذربيجان في يسار النهر . انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٥١ .

(٦) ـ العدوى : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، ص ٦٦ عن نشوء حركة الايقونات . انظر نفس المرجع ، ص ٦٦ ـ ٦٧ ـ ٦٨ ـ ٦٩ .

(٧) ـ فيليب حتي : المرجع السابق ، ص ١٦٣ .

(٨) ـ البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ١٦٣ ـ ستيفن رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، المقدمة ص آ.

(٩) ـ انظر ماسبق .

(١٠) ـ احمد بن زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، جزء ١ ، ص ٢٣٦ .

ورأى الخليفة ابو العباس ان يقف موقفا حازما من البيزنطيين فكتب الى عمه وواليه على الشام عبد الله بن علي بأن يتخذ موقف الحزم والشدة تجاه البيزنطيين وان ينفذ بالجيوش التي معه ليبثها في نواحي الثغور ، وزحف عبد الله بن علي حتى اتاه خبر وفاة ابي العباس فانصرف (١١) .

وما ان تولى ابو جعفر المنصور الخلافة ، حتى استغل ظروف البيزنطيين السيئة ايما استغلال ، فقد كان الطاعون قد اشتد عليهم . كما كانت الحرب الداخلية تذر قرنها بينهم بسبب الخلاف على الايقونات ، وكان الامبراطور قسطنطين من اعداء الايقونات ، فبطش بالرهبان ، وأغلق الاديرة ، وصادر الاملاك ، وحطم الصور . وبالاضافة الى ذلك فانه كان يواجه متاعب خارجية كبيرة من البلغار الذين ظهروا عليه في منطقة البلقان(١٢) .

وابتدأ أبو جعفر المنصور أعماله بتنظيم اموره في مناطق الجزيرة وقنسرين والعواصم ، فتسبب ذلك بقيام حرب كبيرة بينه وبين البيزنطيين ، انتصرت فيها قوات المنصور ، وأجبرت الامبراطور قسطنطين على عقد معاهدة صلح لمدة سبع سنوات(١٣) استغلها المنصور لفداء أسرى فالفيلا وغيرها(١٤) . كما انه قام بتعمير المدن الخربة ورد اهلها اليها ، ورمم الحصون المتهدمة ، وزار بنفسه جميع تلك المواقع(١٥) .

وبدأ المنصور باعادة بناء حصن ملطية وتحصينه في سنة ١٣٩ هـ / ٧٥٦ — ٧٥٧ م (١٦) . الا ان البيزنطيين مالبثوا ان عادوا اليه وخربوه ، فرد عليهم المنصور

---

(١١) — اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٩٩ .

(١٢) — عجاج نويهض : ابو جعفر المنصور ، ص ٢٨ .

(١٣) — سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ١٨٨ .

(١٤) — زيني دحلان : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٣٧ .

(١٥) — سيد امير علي : المرجع السابق ، ص ١٨٨ .

(١٦) — البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٨ — ابن الفقيه : مختصر كتاب البلدان ، ص ١١٤ بينما يذكر ابن العبري : في تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٠٩ ان ذلك جرى في سنة ١٤٠ هـ .

بصائفة عمه صالح بن علي • وتوغلت الصائفة في الاراضي البيزنطية من طريق درب الحدث[١٧] • بينما دخل جعفر بن حنظلة البهراني من درب ملطية[١٨] •

ثم ارسل المنصور الحسن بن قحطبة على رأس جيش كبير الى الثغور • وكلفه ببناء حصن ملطية • فاستنفر البناة من كل بلد ، وجد الناس في العمل حتى فرغوا منه في ستة اشهر وكان لسياسة الحسن مع البناة أكبر الاثر في نشاطهم في العمل ، وسرعة انجازه • اذ كان يحسن اليهم ويطعمهم • وكان يشاركهم العمل بنفسه • ولما انتهى بناؤها اسكن المنصور فيها أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة لانها من ثغورهم • وزاد اعطيات كل منهم عشرة دنانير ومعونة مائة دينار • واقطعهم المزارع، وشحن المدينة بالسلاح[١٩] • وبلغ مجموع الحشود في ملطية وحدها في عهده عشرة آلاف مقاتل[٢٠] • وحاول الامبراطور قسطنطين أن يغزوها بعد ذلك الا انه حين بلغه كثرة من بها ، تراجع عن ذلك[٢١] •

وكذلك أمر المنصور بتعمير مدينة المصيصة في سنة ١٣٩ هـ/٧٥٦ — ٧٥٧ م واعادة بناء سورها الذي هدمته الزلازل • واضاف بأن حفر خندقا حولها ، فاطمأن أهلها وعادوا الى سكناها في السنة التالية • ويقال ان المنصور زاد عدد مقاتليها ، واعطاهم الاقطاعات وشحنها بالسلاح • وكانت المصيصة قبل ذلك حصنا صغيرا بناه عبد الله بن عبد الملك بن مروان ، وكان البيزنطيون يهاجمونه كلما سنحت لهم الفرصة ، فيستبيحونه قتلا ونهبا[٢٢] • واضاف المنصور بأن اتم بناء مدينة

---

(١٧) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٩٧ — العيون والحدائق ، ص ٢٢٤ — ٢٢٥ — ابو الفداء المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢٢٥ .

(١٨) — زيني دحلان : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٣٧ — عجاج نويهض : المرجع السابق ، ص ٢٩

(١٩) — ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ١١٤ — البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٨ .

(٢٠) — حسن محمود : العالم الاسلامي ، ص ١٥٦ .

(٢١) — ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ١٤٤ — البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٨٨ .

(٢٢) — اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٢٠ — ١٢١ — البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٦٥—١٦٦.

الرافقة ، وكان البدء في بنائها في عهد أبي العباس ، فبناها على هيئة بغداد في ابوابها وفصولها ورحابها وشوارعها[٢٣] .

وهكذا فانه يبدو واضحا للعيان ان المنصور اهتم اهتماما بالغا في تحصين الثغور ، وبث الثقة في اهاليها ، كما جعل من منطقة الجزيرة كيانا اداريا مستقلا ، ووضع اساس النظام الثغري الذي وصل الى حد الكمال ايام الخليفة المعتصم . فكان يقسم المرابطين الى جماعات صغيرة ، كل منها يتألف من عشرة الى خمسة عشر مقاتلا ، ويبني لهم حصنا على بعد ثلاثين ميلا من دار اقامتهم ، بالاضافة الى زيادة العطاء[٢٤] .

وفوق كل هذا فقد حدد اسلوب القتال وتقاليده ، فحافظ عليها الخلفاء الذين تعاقبوا . فأعاد تنظيم الصوائف والشواتي ، فكانت الصائفة تبدأ من عشرة يوليو تموز وتستمر مايقارب الستين يوما . واما الشواتي فلا يتوغل الغزاة فيها ولا يبتعدون عن مكان انطلاقهم ولا تتجاوز فترة المسير عشرين يوما ، يحمل فيها الرجل على فرسه مايكفيه ويكفيها ، وتبدأ في آخر فبراير / شباط يستغل الغزاة في ذلك قلة عدد العدو ، واما الربيعية فتبدأ من عشرة مايو / مايس بعد ان يكون الناس قد اربعوا دوابهم ، وحسنت أحوال خيولهم . فيقيمون ثلاثين يوما وهي بقية مايو / مايس وعشرة من يونيو / حزيران فيجدون الكلأ في الأراضي البيزنطيــة [٢٥] .

وتابع المهدي الطريق نفسه الذي سلكه والده ، حيث اخذ في بناء الحصون وشحنها بالسلاح ، وحشد الجيوش ومواجهة الاعداء [٢٦] . ففي فترة خلافتــه هاجم الامبراطور البيزنطي ليو الرابع وبرفقته ثمانون الفا من جنوده مدينــة

---

(٢٣) — اليعقوبي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٠٦ — العيون والحدائق ، ص ١٦٥ .

(٢٤) . حسن محمود : العالم الاسلامي ، ص ١٥٦ — ١٥٧ .

(٢٥) — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٧ نقلا عن قدامة بن جعفر .

(٢٦) — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٨ نقلا عن البلاذري .

مرعش في سنة ١٦٣ هـ / ٧٧٩ — ٧٨٠ م فأشعل فيها النار وفتك بأهلها ، وعاث في المدن المجاورة لحدوده وخربها (٢٧) . فتصدى له المهدي ووقف في وجه هـذه الحملات البيزنطية على الثغور (٢٨) . فجهز جيشا ضخما قادرا مؤلفا من متطوعين من خراسان والموصل والشام واليمن والعراق والحجاز ، جعل على قيادته الحسن ابن قحطبة ، فلقنهم درسا قاسيا ، واضطرهم الى التقهقر عن المواقع التي سبق ان احتلوها . وثقلت وطأته على اهلها حتى صوروه في كنائسهم (٢٩) . وكان للحسن ابن قحطبة فضل في اعادة بناء طرسوس وتحصينها وشحنها بالمقاتلة (٣٠) واضاف بأن أمر بالبدء ببناء ثغر الحدث . ومما لاشك فيه ان تحصين طرسوس وبناء ثغر الحدث كان له اثر كبير في قوة الثغور أمام البيزنطيين (٣١) .

ولم يكتف الخليفة المهدي بما أحرزه الحسن بن قحطبة من نصر ، بل قرر ان يقود المعركة بنفسه ، وان يصطحب معه ابنه هارون ، فتوجـه في سنة ١٦٣ هـ / ٧٧٩ — ٧٨٠ م الى الثغور حتى وصل الى نهر جيجان (٣٢) حيث ترك ابنه يقوم بالمهمة التي اوكلها اليه ، وذهب هو الى بيت المقدس (٣٣) ، ورافق هارون خالد بن برمك وجماعة من القواد المشهورين من امثال عيسى بن موسى ، وعبد الملك بن صالح ، وحسن بن قحطبة (٣٤) . فحاصر سمالو بالمجانيق لمدة ثمانية وثلاثين يوما . ولمـا اشتد الحصار عليها ، وافق اهاليها على التسليم بشرط منحهم الامان على الا يقاتلوا ولا يرحلوا ولا يفرق بينهم . فأعطاهم الامان ووافق على شروطهم (٣٥) .

---

(٢٧) — سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٠٠ — البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٩ الاان البلاذري يذكر ان الذي قام بالهجوم الامبراطور ميخائيل ، وهذا خطا لان الامبراطور ليو الرابع ، وقسطنطين السادس هما اللذان عاصرا المهدي .

(٢٨) — البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٨٩ — ١٩٠ — عاشور : الحركة الصليبية ، جزء ١ ، ص ٥٣ .

(٢٩) — حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٨

(٣٠) — البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٦٩

(٣١) — اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٢٩

(٣٢) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٤٦ — الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ١٥٠

(٣٣) — العيون والحدائق : ص ٢٧٨ — ابن العميد : المصدر السابق ، ص ١٠٥

(٣٤) — سيد امير علي : المرجع السابق ، ص ٢٠٠

(٣٥) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٤٧ — ١٤٨ — اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٣٥ — البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧٠ — ١٧١

وقد اجرى المهدي في هذه الحملة بعض التنظيمات في الثغور فرمم مدينة المصيصة وزاد في سلاحها وجنودها (٣٦) . كما أنه عزل عبد الصمد بن علي عن الجزيرة وولى مكانه زفر بن عاصم الهلالي . ويبدو ان هنا كاسبابا قوية دعته للقيام بهذا العمل تتجاوز الاسباب التي قيلت في ذلك ، وهي ان عبد الصمد لم يتلق الخليفة في مسيره المذكور ، ولم يهيىء له الانزال (٣٧) .

وفي سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ – ٧٨٧ م اصبح الرشيد خليفة فسار سيرة المنصور والمهدي من قبل ، واهتم باستكمال تحصينات منطقة الثغور ، فعمر مدينة طرسوس ثم نهض في سنة ١٨٠ هـ / ٧٩٦ – ٧٩٧ م ببناء مدينة عين زربه وتحصينها . وزاد في اعداد المرابطين فيها ، واعطاهم المنازل والاقطاعات (٣٨) .وفي سنة ١٨٣هـ/٧٩٩م بنى مدينة الهارونية وشحنها بالمقاتلين . كما امر ببناء مدينة الكنيسة السوداء وتحصينها ، وزاد عدد الحماة فيها ، وزاد اعطياتهم (٣٩) . وكذلك فقد اتم بناء كفربيا وحصنها بخندق ، وجعل لها سورا مزدوجا (٤٠) .

يضاف الى هذا كله ان الجيش العباسي تكامل قدرة ونظاما وتدريبا وكفاية في عهد هارون الرشيد . يؤكد ذلك تجنيده للاعداد الكبيرة في منطقة العواصم وتسخيره لعدد من الفرق في حملاته المتكررة المظفرة ، مما يؤكد كفاية التدريب وحسن التسليح . فقد كان الجيش العباسي في عهد هارون الرشيد من اكفأ الجيوش التي عرفها العالم في ذلك الوقت . فقد بلغ تعداد الجنود الذين اشتركوا معه في حملته على البوسفور خمسة وتسعين الفا وسبعمائة وثلاثة وتسعين جنديا ، كما اشترك معه في حملة هرقلة مائة وخمسة وثلاثون الفا من المرتزقة سوى الاتباع

---

(٣٦) – البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٣٧) – الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٤٧ – ١٤٨

(٣٨) – البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٧١ – ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ١١٣ .

– ابن الشحنة : تاريخ مملكة حلب ، ص ١٨٥ – حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٦٠ .

(٣٩) – البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٧١ – ابن الفقيه : المصدر السابق ، ص ١١٣ .

(٤٠) – البلاذري : المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

والمطوعة ومن لا عطاء له • كما قاد داود بن عيسى في بعض الحملات سبعين الفا • وقاد شراحيل بن معن بن زائدة وكذلك يزيد بن مخلد مثل هذا العدد (٤١) .

وقد قام الرشيد بالحملة الاولى ردا على غارات البيزنطيين المتكررة على الحدود ، والتي حرمت البلاد من الهدوء والطمأنينة ، فقد اجتاح جيشهم الثغور ، واطلقوا ايديهم سلبا ونهبا • فأسرع الرشيد الى صد زحفهم وانزل بهم خسائر فادحة (٤٢) ، وخرج برفقة الرشيد ذلك الجيش الجديد الذي اهتم بتأليفه وتقويته مع من سبقوه من خلفاء بني العباس • وقد القت الخلافة العباسية بكل ثقلها في هذه الحرب ، وجندت له عددا كبيرا من الجنود ، كما دعمته بالمال الكافي . وتوغل هارون الرشيد في آسية الصغرى فافتتح حصن ماجده (٤٣) . واصبح الطريق مفتوحا امام المسلمين بعد هزيمة قائد البيزنطيين ، فتوجهوا الى نقمودية (٤٤) بقيادة يزيد بن مزيد (٤٥) • وواصل الرشيد سيره حتى اشرف على البوسفور (٤٦) •

كانت حملة هارون الرشيد هذه خاتمة الحملات العربية على البوسفور ، وكانت بعد اربع حملات قبلها جرت في عهد الامريين (٤٧) • وعلى الرغم من استمرار الغزوات بعد ذلك عبر آسية الصغرى ، الا انها لم تصل الى البوسفور حتى ان هارون الرشيد نفسه في حملاته بعدها لم يتعد هرقلة (٤٨) •

وتذكر المصادر والمراجع العربية التي تحدد تاريخ حملة هارون الرشيد على البوسفور ، والتي عقد البيزنطيون على اثرها معاهدة الصلح مع هارون الرشيد

---

(٤١) ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٨ ، ص ١٦٠ •

(٤٢) ـ سيد امير علي : المرجع السابق ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ .

(٤٣) ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٨ .

(٤٤) ـ نقمودية : بين انقرة والقسطنطينية : تبعد عن انقرة ثلاث مراحل وعن القسطنطينية اربع مراحل . انظر المقدسي : احسن التقاسيم ، ص ١٥٠

(٤٥) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٥٢

(٤٦) ـ ابن العبري : المرجع السابق ، ص ٢١٨

(٤٧) ـ انظر فيما سبق •

(٤٨) ـ سيد عزمي : المرجع السابق ، ص ٤٢ — CANARD : Sayf Al Dawla

على انها جرت في جمادى الاولى من سنة ١٦٥ هـ / ٧٨١م [٤٩] • ومن المؤكد ان هذا التاريخ الذي حدد لهذه الحملة ليس صحيحا لأسباب عديدة :

ـ ان الهدنة بين هارون الرشيد وايرين استمرت اثنين وثلاثين شهرا ، ثم نقضها نقفور بعد ان تولى العرش [٥٠] • ولما كان نقفور قد تولى العرش في سنة ١٨٦ هـ / ٨٠٢ م [٥١] ، فان ذلك يرجح ان حملة هارون الرشيد على البوسفور قد قامت بين سنتي ١٨٢ ـ ١٨٣ هـ / ٧٩٨ ـ ٧٩٩ م •

ـ ان هارون الرشيد تولى الخلافة في سنة ١٧٠ هـ / ٧٨٦ م واغفل المؤرخون دور المهدي في هذه الحملة ، مما يؤكد انها جرت في خلافة الرشيد وليس في عهد المهدي • اذ لو كانت الحملة قد جرت في سنة ١٦٥ هـ / ٧٨١ م أي في عهد المهدي (١٥٨ ـ ١٦٩ هـ / ٧٧٥ ـ ٧٨٥ م) لاشادت المصادر باسمه مع اسم ابنه قائد الحملة •

ـ ان ايرين تولت العرش البيزنطي في سنة ١٨١ هـ / ٧٩٧ م بعد خلافة الرشيد باحدى عشرة سنة وكانت قبل ذلك وصية على ابنها ، الا ان مايذكره الطبري من ان الهدنة بين الطرفين استمرت اثنين وثلاثين شهرا ثم نقضها نقفور تؤكد ان الحملة جرت بعد تولي ايرين عرش الامبراطورية ، وليس في عهد وصايتها •

ومهما يكن من امر ، فان هارون الرشيد اظهر في هذه الحملة كثيرا من المهارة والحنكة العسكرية • وكان من اثر ذلك النصر ، ان الامبراطورة ايرين اضطرت الى طلب الصلح ، وعقدت هدنة بين الطرفين لمدة ثلاث سنوات ، تعهدت

---

(٤٩) ـ منها : العيون والحدائق ، ص ٣٠١ ـ حسن محمود : العالم الاسلامي ، ص ١٥٨ •

(٥٠) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٦٧ •

(٥١) ـ انظر العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ جدول الاباطرة البيزنطيون والخلفاء المسلمون ملحق ٦ •

الامبراطورة بموجبها ان تدفع جزية سنوية قدرها تسعون ألف قطعة تؤديها على قسطين [٥٢] • وان تمد الجيش العباسي بالادلاء وتيسر لهم المؤن في الطريق [٥٣] •

ومما لاشك فيه انه كان لشجاعة الرشيد واقدامه الفضل الاكبر في هذا النصر • الى جانب ظروف اخرى ساعدته على التحقيق • وتعود الى سوء الظروف الداخلية في الامبراطورية البيزنطية في ذلك الحين • فقد كانت الامبراطورة ايرين في وضع سيىء ، اذ كانت تلقى معارضة داخلية قوية من اخوة زوجها ، وانصار قسطنطين الخامس والجيش وكبار الموظفين بالدولة ، الذين كانوا من اعداء عبادة الايقونات • يضاف الى هذا ان الكنيسة نفسها كانت تحت حكم البطريرك بولس، وكان ضد عبادة الايقونات • وفوق كل ذلك فقد كان عليها ان تواجه الثورات في صقلية وبلاد اليونان [٥٤] •

وقام هارون الرشيد بحملته الثانية كرد رادع لامبراطور البيزنطيين الجديد نقفور • فقد تولى العرش اثر ثورة داخلية قامت في بيزنطة قبض فيهاعلى ايرين [٥٥]، وكان يظن ان لديه من القوة مايكفيه للوقوف في وجه المسلمين بقيادة هارون الرشيد • فبدأ بنقض الهدنة ولم يكن قد مضى على عقدها اثنان وثلاثون شهرا • والقى بجموعه على عين زربة والكنيسة السوداء ، حيث قاموا بما يشبه الاغارة الحربية ، واسروا كل من تمكنوا من اسره وعادوا [٥٦] •

---

(٥٢) ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٩ ويشكك بين ـ٩٠ـ الف قطعة او سبعين الفا ويذكر صاحب العيون والحدائق ، ص ٢٧٨ ان الجزية كانت الف الف دينار . أما زيني دحلان المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٤٤ فيذكر ان مقدار الفدية سبعون الف دينار كل سنة .

(٥٣) ـ سيد عزمي : المرجع السابق ، ص ٤١ ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٥٩ ـ نورمان بينز : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣٦٢ — CANARD : Op. Cit., p 102

(٥٤) ـ عمر كمال توفيق : تاريخ الامبراطورية البيزنطية ، طبعة دار المعارف ، ١٩٦٧ ، ص ٩٥ـ٩٦.

(٥٥) ـ عمر كمال توفيق : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٥٦) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ١٦٧ .

ـ ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٢ ظهر و ٧٣ وجه .

وتمادى نقفور في غيه ، وظن ان بامكانه ان يتوقف عن دفع الجزية او بالاحرى اكثر من ذلك • فقد اراد ان يستعيد مادفعته ايرين من الجزية ، فكتب في سنة ١٨٧ هـ / ٨٠٢ — ٨٠٣ م (٥٧) الى الخليفة هارون الرشيد كتابه المشهور ، الذي يظهر فيه ضعف الامبراطورة التي كانت قبله ، ويطلب من الرشيد اعادة الاموال التي اخذها من ايرين ، ويهدده بالحرب ان لم يفعل • وتبدو في لهجة كتابه اعتداده بقوته وشجاعته ولا عجب فقد كان جواب الرشيد اشد ايجازا وفيه دلالة قوية على استعداده للقتال وثقته بالنصر وتحقيره لعدوه (٥٨) •

ونهض الرشيد لتنفيذ ماصمم عليه من اعطاء العدو درسا لاينساه ، فجمع جيوشه باعدادها الكبيرة برية وبحرية في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ — ٨٠٦ م وسار هو على رأس قواته البرية ، فحاصر هرقلة ثلاثين يوما حتى فتحها وسبى أهلها (٥٩) • ثم وزع جيشه الى اقسام متعددة ، توجه كل قسم الى جهة محددة في الاراضي البيزنطية • وقام قواد هذه الاقسام بفتح حصون عديدة منها : حصن الصفصاف (٦٠) وملقونية وحصن الصقالبة ودبسة • عند ذلك وجد نقفور نفسه عاجزا عن الوقوف في وجه جيوش المسلمين • فوافق على دفع جزية سنوية قدرت بثلاثمائة ألف دينار مقابل وقف القتال • واضاف بدفع جزية عن نفسه وولده وبطارقته قدرها خمسون ألف دينار ، واشترط على الرشيد الا يخرب ذا الكلاع ولا صملة ولا حصن سنان • كما اشترط الرشيد عليه ان لايعمر هرقلة (٦١) • اما الحملة

---

(٥٧) — العيون والحدائق : المصدر السابق ، ص ٣٠٩ •

(٥٨) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٠٧ — ٣٠٨

(٥٩) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٢٠ — ابو الفداء : تاريخه ، جزء ٢ ، ص ١٩ — ابن الوردي : تاريخه ، جزء ١ ، ص ٣٠٩ •

(٦٠) — يقع حصن الصفصاف في طريق القسطنطينية قرب لؤلؤة . انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧١ •

(٦١) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٢٠ — ابن الوردي : تاريخه ، جزء ١ ، ص ٣٠٩ بينما يذكر الجهشياري الوزراء والكتاب ، ص ٢٠٧ ان الصلح عقد على ان يدفع الامبراطور جزية كبيرة عن كل حاكم ممن عنده دينارا عدا الامبراطور وابنه •

البحرية التي رافقت هذه الحملة فقد قادهاحميد بن معيوف وبلغت حتىقبرص (٦٢).

الا ان نقفور مالبث ان نقض العهد ، وخان الميثاق ، مطمئنا الى ان الرشيد لن يعود اليه بسبب البرد ، فخاب ظنه حين وجده قد دخل الاراضي البيزنطية وهو اصلب واشد من المرة السابقة ، ولم يتركها حتى بلغ ما أراد . ورضخ نقفور لمطالبه (٦٣) .

ويمكننا القول ان الصوائف في عهد هارون الرشيد كانت مستمرة تقريبا ، ولم يكن يمنع قيامها وجود هدنة بين الفريقين . بالاضافة الى ان هذه الصوائف لشدتها كانت اشبه بحملات عسكرية . ففي سنة ١٨١ هـ / ٧٩٧ م غزا الرشيد بنفسه أرض البيزنطيين ، ففتح حصن الصفصاف عنوه . ودوخ البيزنطيين وغنم غنائم طائلة ، وعاد سالما (٦٤) . وكذلك قاد ابراهيم بن جبريل صائفة كبيرة ودخل ارض البيزنطيين من درب الصفصاف . وخرج نقفور بنفسه للقتال ، الا انه مالبث ان ارتد بسبب مشاكل داخلية عرضت له . فسنحت الفرصة بذلك لابراهيم وجنوده بالتقدم ، فحقق اهدافه وعاد (٦٥) .

ويبدو ان الهدنة بين الخليفة هارون الرشيد ونقفور لم تطبق بحذافيرها ، اذ ان الغزوات لم تنقطع في أثنائها . ففي سنة ١٩١ هـ / ٨٠٦ – ٨٠٧ م غزا يزيد بن مخلد الهبيري أرض البيزنطيين في عشرة آلاف ، فأغلق هؤلاء المضيق عليه ، وقتلوه على بعد مرحلتين من طرسوس مع خمسين من المسلمين (٦٦) .

---

(٦٢) – الطبري : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢٠ – عاشور : قبرص والحروب الصليبية ، ص ١٤ بينما ترد في العيون والحدائق ، ص ٣١٢ حميد بن معتوق .

(٦٣) – الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٠٧ – ٣٠٨ – ابن العبري : المصدر السابق ، ص ٢٢٤ – السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١١٢ – ١١٣ .

(٦٤) – الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٦٨ – ابو الفداء : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٦ .

(٦٥) – الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣١٣ – ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٢ ظهر .

(٦٦) – الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٢٤ – ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٣ ظهر و ٧٤ وجه .

ولكثرة الحروب التي كانت تحدث بين المسلمين والبيزنطيين ، فان اعداد الاسرى كانت كبيرة ، وكان لابد من افتدائهم . ويقال ان اول فداء استخدم فيه المال لاسترجاع الاسرى كان في خلافة العباسيين . اما في عهد الامويين فلم يحدث فداء مشهور ، وانما كان يفدى النفر بعد النفر في سواحل الشام ومصر وفي الثغور ، الى ان كانت خلافة الرشيد حيث جرى الفداء الاول في سنة ١٨٩ هـ / ٨٠٤ ـ ٨٠٥ م على نهر اللامس [٦٧] ، ولم يترك الرشيد في ايدي البيزنطيين مسلما الا افتداه . وبلغ عدد من فودي به في مدة اثني عشر يوما ثلاثة آلاف وسبعمائة اسير [٦٨] وفي سنة ١٩٢ هـ / ٨٠٧ ـ ٨٠٨ م كان الفداء الثاني بين المسلمين والبيزنطيين على يدي ثابت بن نصر بن مالك [٦٩] .

وهناك أمر آخر ظهر بوضوح في عهد هارون الرشيد وهو وضوح الاصطدامات البحرية مع البيزنطيين ، وقيام السفن البحرية بحملات عسكرية لشد ازر الحملات البرية . ولا يعني هذا ان الحملات البحرية كانت قد توقفت نهائيا قبل عهد الرشيد ، بل جرت حملات عديدة ، منها حملة جرت في سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٣ ـ ٧٧٤ م قادها القائد ثمامة بن وقاص الذي قام بحملة برية وبحرية على شواطيء اقليم ايسورة بآسية الصغرى للاغارة على بعض المدن الساحلية . فأرسل الامبراطور قسطنطين اوامره الى الجيش والاسطول المقيم في آسية الصغرى [٧٠] بالتوجه الى اقليم ايسورة للاغارة على بعض المدن الساحلية ، وقطع خط الرجعة على ثمامة . واستطاعت السفن البيزنطية احتلال المياه الاقليمية لشاطيء ايسورة عند مدينة سيس . وقطعت الاتصال بين ثمامة وبين سفن الشام التي ابحرت معه . على حين

---

(٦٧) ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ١٨٩ ـ وابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٢ ظهر فيذكر ان هذا هو الفداء الثاني في عهد العباسيين .

(٦٨) ـ المقريزي : الخطط ، جزء ٣ ، ص ٣١٠ .

(٦٩) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٣٨ .

(٧٠) ـ كان الاسطول البيزنطي ينقسم الى قسمين الاول الاسطول الامبراطوري ومقره مياه القسطنطينية ، ويعهد اليه بالدفاع عن العاصمة . والثاني اسطول الاقاليم ويضم اسطول غرب آسية الصغرى ، واسطول جزر بحر ايجة ، وهذه الاساطيل الاخيرة هي التي وقفت بالمرصاد لنشاط السفن الاسلامية ، واشتبكت معها مرارا . انظر العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، حاشية ١ ، ص٨٦ .

القى الجيش البيزنطي الحصار على قوات ثمامة البرية • واذا كان ثمامة استطاع ان يفلت من حلقة الحصار البري والبحري التي فرضت حوله ، فان الجدير بالملاحظة هو ظهور نشاط الاساطيل الاسلامية والبيزنطية لشد ازر الحركات البرية (٧١) •

وكانت خطط الفريقين البحرية الاسلامي والبيزنطي تعتمد على مراقبة سواحلهما ، ومن ثم مهاجمة الاهداف بصورة مفاجئة ، ففي سنة ١٧٣ هـ / ٧٨٩ ـ ٧٩٠ م اسر الاسطول البيزنطي المراقب للسواحل الاسلامية بضع سفن اسلامية وهي في طريقها من مصر الى الشام • ومما يذكر انه في تلك السنة نفسها أغار اسطول اسلامي شامي على قبرص (٧٢) ، وتمكن من انزال قواته في الجزيرة ، وقد تكون هذه الغارة ردا على مافعله البيزنطيون من اسر بعض السفن الحربية الاسلامية ، وربما كان الاسطول البيزنطي الذي اسر السفن المصرية السالفة الذكر يراقب حملة اسلامية بحرية كان مزمعا قيامها على قبرص ، وأراد ان لايدع فرصة للسفن المصرية لمؤازرة السفن الشامية (٧٣) •

ولما علمت ايرين بأنباء الحملة الاسلامية ارسلت قسما من الاسطول البيزنطي، فوصل سريعا الى مياه قبرص • غير ان امير البحر البيزنطي تعجل مهاجمة السفن الاسلامية ، فلقي هزيمة منكرة ، ووقع اسيرا في قبضة المسلمين • وعاد المسلمون

---

(٧١) ـ العدوي : المرجع السابق ، ص ٨٦ ويذكر ارشيبالد : القوى البحرية والتجارية في حوض المتوسط ، ص ١٦٠ انه في سنة ١٥٧ هـ / ٧٧٣ م اغار الاسطول الشامي على قبرص واسر حاكمها البيزنطي ، وانهم قاموا بهذه الغارة عندما شغلت قوات القسطنطينية البحرية بالحرب ضد البلغار . ولم تقم سفن البحرية الشامية بأعمال اخرى حتى سنة ١٧٣ هـ / ٧٩٠ م . ويضيف عاشور : قبرص والحرب الصليبية ص ١٣ قوله : يبدو ان تلك الحملة قصد بها صرف البيزنطيين عن قليلية حيث كان ثمامة بن وقاص يعمل منذ ثلاث سنوات على فتح ذلك الركن الهام من الدولة البيزنطية . عسى ان يؤدي ذلك الى تخفيف شيء من الضغط الواقع على ثمامة لعله يحقق مهمته بنجاح .

(٧٢) ـ كان البيزنطيون قد احتلوها في عهد ابي العباس ، انظر عاشور : المرجع السابق جزء ١ ، ص ٥٢ ـ ٥٣ .

(٧٣) ـ العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٧ .

من غارتهم ومعهم امير البحر البيزنطي الذي أمر هارون بقتله لرفضه التعاون مع المسلمين (٧٤) .

ويبدو انه بالاضافة الى هذه المعركة التي جرت في مياه قبرص ، فاز معركة بحرية اخرى دارت بالساحل الجنوبي لآسية الصغرى عند خليج اضاليا بالشمال الشرقي من الجزيرة . وعندما علمت الامبراطورة ايرين بنبأ تلك الغارة ، ارسلت اسطولا لاحباط غرض المسلمين (٧٥) .

وعلى الرغم من النصر الذي احرزه المسلمون في قبرص ، فانه يبدو ان خسائرهم كانت كبيرة جدا . لأننا لم نعد نسمع لمدة ستة عشر عاما بعدها عن حركات هجومية لاسطول الحدود الشامية الطرسوسية . الا ان الاسطول الشامي مالبث ان عاد الى الهجوم بعد فترة التوقف هذه . وقاد حميد بن معيوف والي السواحل الشامية في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ ـ ٨٠٦ م حملة لغزو قبرص (٧٦) في اللحظة التي عبرت فيها حملات الرشيد البرية الاناضول الى هرقلة ، فأعمل التخريب والتدمير فيها . وعاد بأسرى يبلغون ستة عشر ألفا ، عدا الغنائم الوفيرة التي غنمها . وفي العام التالي اغارت بعض السفن الاسلامية على رودوس ، وعادت محملة بالغنائم ، حينذاك قبل نقفور دفع الجزية للرشيد (٧٧) .

على ان غارات المسلمين البحرية قد توقفت مثل غاراتهم البرية على الحدود بين دولتهم والبيزنطيين ابان انشغال الرشيد في اواخر ايامه بالفتن والقلاقل ، وكذلك طوال فترة الخلاف التي نشبت بين الامين والمأمون .

ثم ان البيزنطيين ارادوا استغلال انشغال المأمون بالقضاء على ثورة بابك الخرمي ، وظنوا ان بامكانهم تحقيق ماعجزوا عن تحقيقه ايام خلفاء العباسيين

---

(٧٤) ـ ارشيبالد : المرجع السابق ، ص ١٦٠ ـ ١٦١ عاشور : المرجع السابق ، ص ١٣

(٧٥) ـ عاشور : المرجع السابق ، ص ١٣ .

(٧٦) ـ أنظر فيما سبق .

(٧٧) ـ ارشيبالد : المرجع السابق ، ص ١٦٥

الذين سبقوا • فقام امبراطورهم تيوفيل عام ٢١٥ ـ ٢٢٨ ﻫ / ٨٢٩ ـ ٨٤٢ م ببعض الهجمات المضادة ، ولكنه فوجيء بالخليفة المأمون يقابله ويرد له الصاع صاعين • وجرت بين الطرفين حروب متقطعة استمرت حتى وفاة المأمون • وقد بدأ الخليفة المأمون بالتغلغل تدريجيا في الاراضي البيزنطية حتى وصلت جيوشه هرقلة سنة ٢١٦ ﻫ / ٨٣١ م في الوقت الذي اغارت الاساطيل العباسية على الجزر القريبة من الشاطيء الغربي لآسية الصغرى • ويبدو ان حماسة الخليفة المأمون لقتال البيزنطيين دفعته الى ان يتولى بنفسه قيادة ثلاث حملات في آسية الصغرى [٧٨] •

وقد ساعد المأمون في حروبه التي كللت جميعها بالنصر قوة الجيوش الاسلامية في عهده ، وصمود الثغور بفضل التنظيمات والترتيبات التي قام بها اسلافه ، وحافظ عليها المأمون ، ودعمها بكل مايستطيع • ولما كان المأمون خليفة محاربا شجاعا ، فانه فكر جديا في القضاء على الامبراطورية البيزنطية ، ونظم اموره في حملته الثالثة تنظيما دقيقا ليقوم بهذه المهمة • الا ان المنية عاجلته فمات قبل ان يحقق حلمه • واهم ماتميزت به حروب المأمون مع البيزنطيين ، اتخاذه موقف الهجوم وتغلغله في الاراضي البيزنطية • ولم يكن امام اعدائه الا الوقوف موقف المدافع ، مع القيام بين الحين والاخر ببعض الغارات الانتقامية السريعة التي لم تتعد منطقة الحدود •

ونهض المأمون للقيام بحملته الاولى في اول صفر سنة ٢١٥ ﻫ/٣٠ مارس ٨٣٠ م [٧٩] وسار متوجها الى طرسوس حيث غادرها في منتصف جمادى الاولى من السنة نفسها / منتصف يوليو • وكان يرافقه ابنه العباس ، وبصحبتهما اللاجيء الرومي منويل ، ومعه من القواد اشناس وجعفر الخياط • واصدر المأمون اوامره لابنه العباس وبرفقته منويل الرومي ان يكون مجال عملياته اقليم ملطية الحدث • بينما عبر المأمون من درب قيليقية ودخل الاراضي البيزنطية • وخلال المعارك التي

---

(٧٨) ـ عاشور : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٥٤

(٧٩) ـ انظر تفاصيل المعركة في المقريزي : المقفى ، ورقه ١٢٣ وجه وظهر ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩٢ ـ ٩٤ •

قام بها العباس تمكن من فتح بعض الحصون [٨٠] فاستخلف عليها منويل • الا ان هذا مالبث ان غدر به وطرد المسلمين من الحصون ، بعد ان استولى على السلاح وصنائع الامبراطور البيزنطي[٨١] •

وكان مسرح عمليات الجيش الذي قاده المأمون بنفسه في قبادوقية ، وبشكل خاص في المنطقة المتاخمة لقيليقية ، فيما يسميه المسلمون باقليم المطامير • واتخذت المنطقة هذا الاسم لكثرة الكهوف الارضية التي كانت ملجأ لاهالي الاقليم[٨٢] • وعجزت الحصون البيزنطية عن مقاومة جيوش الخليفة فاستسلمت اليه • واول ما استسلم حصن ماجدة ، ويقع في اقليم المطامير • فما ان استولى عليه المأمون حتى حاصر حصنا آخر من حصون قبادوقية وهو حصن قره [٨٣] • وعلى الرغم من ان هذا الحصن قاوم كثيرا ، الا انه ما لبث ان سقط في يد المأمون في يوم الاحد ٢٦ جمادى الاولى من السنة نفسها ٢١ يوليو ، فخربه المأمون بعد ان امن أهاليه على حياتهم • وسقط كذلك حصن سندس بيد قائد المأمون ايناس وحصن سنان [٨٤] بيد عجيف وجعفر الخياط [٨٥] •

ويبدو ان المأمون اضطر الى العودة الى بغداد ليقضي على ثورة بابك الخرمي • ولما كان تيوفيل حريصا على الانتقام لهزيمته التي اصابته سنة ٢١٥ هـ/٨٣٠ م فانه اغتنم فرصة ابتعاد المأمون عن الحدود البيزنطيـــة ، وانشـــغاله بقتال بابك

---

(٨٠) ــ فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩٢ ــ ٩٤ •

(٨١) ــ ابن طيفور : كتاب بغداد ، جزء ٦ ، ص ٢٦٣ ــ فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩٤ •

(٨٢) ــ كان يوجد في كل بيت طابق سفلي محفور في الصخور ، وهذه الغرف الارضية متصلة فـــوق ذلك بممرات طويلة يمر بها الانسان من بيت الى بيت ، انظر فازيليف : المرجع السابق ص٩٤•

(٨٣) ــ وهي تابعة لقونية ولا تبعد كثيرا عن شرقيهـــا • انظر كي لســـترنج : بلدان الخلافـــة [illegible] ص ١٨١ •

(٨٤) ــ [illegible] سنان في بلاد الروم فتحه عبد الله بن عبد الملك بن مروان • انظر ياقوت الحمـــوي : [illegible] البلدان ، جزء ٣ ، ص ٢٨٥ •

(٨٥) ــ [illegible] : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٢٣ ــ فازليف : المرجع السابق ، ص ٩٤ ــ ٩٥ •

الخرمي (٨٦) ، فسار فجأة مجتازا جبال طوروس وقتل مايقارب الالفين من سكان طرسوس والمصيصة ، وعاد بعد هذا النصر الى عاصمته(٨٧) . ويقال ان فرقا اخرى من جيش تيوفيل سارت في الوقت نفسه نحو الشمال الشرقي من قبادوقية وأوقعت بالمسلمين هزيمة شديدة قرب حصن خرشنة واسر بعضهم (٨٨) .

احتفل تيوفيل بغارته الموفقة على طرسوس والمصيصة احتفالا رائعا . الا انه مالبث ان عانى من الحرب الثانية التي قادها الخليفة المأمون ردا على غارته على الثغور الاسلامية ، وما قام به من تقديم معونات الى الثائر بابك الخرمي . وانصرف المأمون عن قتال الاخير ليوجه جهوده كلها لقتال البيزنطيين(٨٩) . ودامت غارته هذه من (١٥ جمادى الاولى الى ١٧ شعبان سنة ٢١٦ هـ/ أول تموز حتى آخر ايلول من سنة ٨٣١ م)وساعد المأمون في هذه الحرب انشغال البيزنطيين بالقتال في صقلية(٩٠) . فاجتاز الحدود حتى وصل الى اذنه . وادرك تيوفيل انه لن يستطيع الوقوف في وجه المأمون ، فأرسل اليه سفيرا عرض عليه باسم الامبراطور اطلاق سراح خمسمائة أسير . الا ان المأمون رفض هذا العرض وقرر قتال البيزنطيين . ووقعت معارك حملة المأمون الثانية في الاقاليم نفسها التي وقعت فيها معارك الحملة السابقة ، وقصد المأمون هرقلة ، فخاف اهاليها منه وخرجوا يقدمون اليه الطاعة التامة بمجرد اقترابه منها(٩١) .

وانقسم جيش المسلمين فرقا متعددة ، وارتادت كل فرقة وجهة خاصة ،وحققت جميعها النجاح واستولت على حصون عديدة . واسرت اعدادا كبيرة . وكان

(٨٦) ـ الرفاعي : المرجع السابق ، مجلد ١ ، ص ٢٩٠ .
ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٢٣ ظهر .
(٨٧) ـ ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٤ وجه ـ ابن طيفور : المصدر السابق ، ص٢٦٣ ـ ٢٦٤ ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩٦ .
(٨٨) ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩٦ نقلا عن صاحب صلة تيوفان .
(٨٩) ـ الرفاعي : المرجع السابق ، مجلد ١ ، ص ٢٩٠ .
(٩٠) ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ٩١ ـ ٩٢ .
(٩١) ـ كان الرشيد قد استولى عليها في سنة ١٩٠ هـ / ٨٠٥ م ثم استردها البيزنطيون . انظر فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

النصيب الأكبر من النصر وانظمر من نصيب الجيش الذي قاده العباس بن الخليفة المأمون • فانه فتح حصونا في قبادوقية منها : انتيجو ـ وحصـين ـ والاخرب ، واصطدم في معركة عسكرية مع الامبراطور تيوفيل كان النصر فيها للعباس •واضطر الامبراطور البيزنطي بعد هزيمته الى الارتداد ، وترك للعباس غنائم كثيرة(٩٢) • ويقال ان المأمون فتح مع قواده في هذه الحملة مايزيد عن عشرين حصنا سوى المطامير(٩٣) • وقدر تيوفيل قوة المأمون ، واستحالة النصر عليه ، فقرر طلب الهدنة، فأرسل اليه رسولا يحمل خطابا ، وكان الخطاب الذي حمله يبدأ باسم الامبراطور تيوفيل ، فأثار ذلك سخط الخليفة المأمون ، فرده دون قراءته • فأرسل له الامبراطور كتابا آخر عرض فيه مائة الف دينار ، واطلاق سراح سبعة آلاف اسير مسلم كانوا بيده ، اذا اعاد له المأمون ما اخذه من الحصون ، وهادنه خمس سنوات(٩٤) •

ولم يكن المأمون يرى مهادنة البيزنطيين لذلك لم يكلف نفسه الرد عليه ،ولكن ظروفا طارئة اضطرته الى ترك القتال • فقد نشبت ثورة في مصر ، بالاضافة الى قدوم فصل الشتاء ، فارتد الى كيسوم ومنها الى دمشق في طريقه الى مصر(٩٥) •

اما الحملة الثالثة التي قام بها المأمون فكانت تتمة لحملته الثانية التي اضطر الى التوقف عنها بسبب الثورة في مصر • ولما هدأت الاحوال فيها عاد مسرعا الى الحدود البيزنطية ، حيث اجتازها ووقف قريبا من اذنه • واراد في هذه الجولة ان يستولي على دروب جبال طوروس ليسيطر على الطريق الى الامبراطورية البيزنطية • ثم يستولي على مركز متقدم في اراضي الاعداء ، يتخذه قاعدة لعملياته الحربية في تلك الجهات • وغايته من ذلك ان يعمل جاهدا حتى القضاء على

(٩٢) ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٩٢ ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٠٢ ـ ١٠٣ •

(٩٣) ـ ابن طيفور : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٦٤ •

(٩٤) ـ اليعقوبي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٢ اما فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٠٢-١٠٣ فيذكر ان تيوفيل عرض الف دينار •

(٩٥) ـ انظر فيما سبق وانظر اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ١٩٤ ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ •

الامبراطورية البيزنطية ، وارتأى ايضا ان يستفيد من خبرة اهالي الشام في قتال البيزنطيين • ففرض على اجنادها كافة ارسال عدد محدد من الرجال للاشتراك معـــه[٩٦] •

وقرر المأمون الاستيلاء على حصن لؤلؤة لسيطرته على مفارق الطـــرق • فحاصره في سنة ٢١٧ هـ / ٨٣٢ م واستمر على ذلك مائة يوم دون ان يتمكن مـــن الاستيلاء عليه • الا انه لم يتراجع عما عزم عليه ، بل رأى ان يقيم حوله حصـــنان فيحصر بذلك البيزنطيين فيحصن لؤلؤة ويجعلهم تحت سيطرته ، وجعل قيادة هذين الحصنين لقائده عجيف بن عنبسة • وسار المأمون الى سلغوس [٩٧] فأقام بها وقتا ثم قضى الصيف في الرقة ودمشق • وفي تلك الفترة تمكن البيزنطيون المحاصرون في قلعة لؤلؤة من اسر عجيف • فقويت عزيمتهم بذلك، وارسلوا الى امبراطورهـــم يطلبون منه المساعدة ، وتقدم تيوفيل ترافقه بعض الفرق نحو لؤلؤة ،الا انه لـــم يصمد امام قوات المسلمين وانهزم هزيمة ساحقة واستولى المسلمون على غنائم كثيرة[٩٨] •

ولما علم حاكم لؤلؤة البيزنطي بانهزام تيوفيل ، ايقن استحالة الاستمرار في المقاومة ، فأخذ يفاوض أسيرة عجيفا ويعده بالحرية ، وتسليم الحصن،شريطةان يأخذ الامان لمن بالحصن من المأمون • فأجابه عجيف الى ذلك ووفى بوعده[٩٩] •

ونحتق حلم المأمون بالاستيلاء على حصن لؤلؤة ، واصبح بذلك مسيطرا على درب الابواب القيليقيه • ومن ثم فانه اراد ان يجد لنفسه مركزا متقدما في قلـــب

---

(٩٦) ـ فازيلف : المرجع السابق ،، ص ١١٠ •

(٩٧) ـ على الطريق من الرقة الى الثغور الجزرية ، انظر ابن خرداذبة : المصدر السابق ، ص ٩٧ •

(٩٨) ـ اليعقوبي : المصدر السابق، جزء ٣ ،، ص ١٩٤ ـ العيون والحدائق ، ص ٢٧٥ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٠٦ ـ ١٠٧ •

(٩٩) ـ العيون والحدائق : ص ٢٧٥ ـ ابن العميد : المصدر السابق ، ص ١٣٨ ـ فازيليف : المرجع السابق ،، ص ١٠٧ •

الامبراطورية البيزنطية يجعله مكانا لامدادات جيوشه • فاختار لذلك طوانة•[١٠٠] فأمر ابنه العباس في اول جمادى الاولى سنة ٢١٨ هـ / ٢٥ مايو سنة ٨٣٣ م ان يقصدها ، فسار اليها واستولى عليها • ثم اخذ في بنائها وتحصينها وتوسيعها • وبلغت مساحة الطوانة الجديدة ميلا عربيا مربعا[١٠١] • وجعل حولها سورا امتداده ثلاثة فراسخ • وجعل له أربعة ابواب ، وعند كل باب حصن ، واستغل المأمون الفترة التي انفقها ابنه في تحصين طوانة بالعمل الدؤوب على تنظيم الجيوش وتجهيزها للمهمة الكبيرة التي كان ينوي القيام بها • وارسل بعض من جندهم من أهالي الشام للحاق بالعباس عند طوانه • بينما سار المأمون بنفسه ببقية الجيش ودخل الاراضي البيزنطبة وعسكر في البذندون[١٠٢] •

ولم يجد تيوفيل في نفسه القدرة على قتال المأمون فبعث اليه رسولا يحمل خطابا[١٠٣] يعرض فيه على الخليفة ان يؤدي له نفقات حملته • وان يطلق سراح مالديه من اسرى المسلمين دون فداء •وان يصلح ما أفسده البيزنطيون من ثغور المسلمين ، على ان يضع المأمون الحرب • ولكنه رفض ذلك رفضا مبرما ، وشاءت الظروف ان يموت المأمون في تلك المرحلة دون ان يحقق هدفه[١٠٤] •

وهكذا فان موت المأمون قضى على هذا الهدف الكبير الذي لم يفكر فيه من جاء بعده من خلفاء المسلمين حتى كان عهد محمد الفاتح • فقد واجه الخليفة المعتصم

---

(١٠٠) — تقع شمال حصن لؤلؤة ، وهي تيانا عند البيزنطيين ، انظر كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧١ •

(١٠١) — الميل العربي المربع يساوي كيلو مترين مربعين •

(١٠٢) — البذندون : واد بيضاوي الشكل في نهاية درب الابواب القيليقية • انظر فتحي عثمان : المرجع السابق . جزء ١ ، ص ٢٨٧ — العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٧٣ — فازيليف : المرجع السابق ، ص ١١٠ •

(١٠٣) — انظر نص الخطاب كاملا في الطبري : المصدر الساق . جزء ٨ ، ص ٦٢٩ — ابن طيفور : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٨٤ — فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٠٨ — ١٠٩ •

(١٠٤) — المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٢٤ وجه وظهر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ١ ، ص ٦٨ •

مشاكل متعددة منذ اول خلافته ، وارتأى ان يقضي على المشاكل الداخلية ثم يتفرغ لقتال البيزنطيين • فعمل قبل ان يترك الاراضي البيزنطية على تخريب حصن طوانة خشية ان يستولي عليه البيزنطيون بما فيه ، وذلك في سنة ٢١٨ هـ/٨٣٣ م ، واخذ كل مااودع فيه من آلات وسلاح • وامر الجنود الذين كان المأمون قد نقلهم اليها بالعودة الى بلادهم ، وعاد المعتصم بعد ذلك الى بغداد[١٠٥] •

ولابد لنا قبل ان ننتهي من استعراض حروب المأمون مع البيزنطيين من البحث عن المعارك البحرية التي حدثت بين الطرفين في عهده • ويمكننا ان نقرر هنا هذه الحقيقة وهي انه على الرغم من ازدياد القوة البحرية الاسلامية في مياه الشام ، فان البيزنطيين تمكنوا من الاحتفاظ بالسيادة البحرية في العصر العباسي حتى سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ ـ ٨٢٣ م ولم تزعزع هذه السيطرة الا ثورة توماس الصقلي[١٠٦]•

وقد قام توماس بثورة ضد الامبراطور ميخائيل الثاني ٢٠٥ ـ ٢١٤ هـ/٨٢٠ ـ ٨٢٩ م ؛ ولم يتأخر الخليفة المأمون عن مساعدة توماس حين طلب منه ذلك • وعقد معه حلفا تعهد فيه ان يمده بجيش قوي يساعده في مهاجمة القسطنطينية • واتخذ هذا الحلف، صبغة شرعية حين توج بطريرك انطاكية التابع للخلافة الاسلامية توماس امبراطورا[١٠٧] • وقد مد المأمون يد المساعدة لهذا الثائر ، لانه كان يرى ان قتال توماس مع الامبراطور سوف يربك البيزنطيين ، ويضعف قوتهم ، ثم ان هذه المساعدة كانت ردا على ما كان يقدمه البيزنطيون من دعم ومساعدة لثورة بابك الخرمي •

وامد المأمون الثائر بالعون • وبعث في الوقت نفسه جيوشه واساطيله المرابطة في الشام للاغارة على جزر وشواطيء اسية الصغرى تأييدا للجهود التي يقوم بها

---

(١٠٥) ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

(١٠٦) ـ ارشيبالد . المرجع السابق ، ص ١٦٨ .

(١٠٧) ـ العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٠ ـ ٨١ فازيليف : المرجع السابق ، ص ٣٦ـ٣٧ .

توماس [١٠٨] • وعلى الرغم من هزيمة توماس في النهاية ، الا ان هذه الثورة تمكنت من تشتيت اساطيل الولايات البيزنطية ، في الوقت الذي كانت فيه اساطيل بلاد الشام وشمال افريقية وسائر اساطيل المسلمين تجمع قوتها[١٠٩] •

وساد الهدوء بين المسلمين والبيزنطيين في الفترة الاولى من حكم الخليفة المعتصم ، وحتى سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٧ ــ ٨٣٨ م دون ان يكون هناك هدنة رسمية معلنة • اذ كان المعتصم قد وجه جل اهتمامه لاخماد الفتن الداخلية [١١٠] •

وعندما عاد القتال بين تيوفيل والمعتصم كان سببه المباشر ما قام به بابك الخرمي من تحريض البيزنطيين على قتال المسلمين ، وخاصة بعد ان رأى قوته تتضاءل وان جيوش الخلافة تحاصره وتكاد تطبق عليه • فاتصل بتيوفيل موضحا له ان كل قوات الخلافة الاسلامية مشغولة بقتال الخرمية • واضاف بأن تظاهر بأنه مسيحي ليزيد في حماس الامبراطور لمساعدته [١١١] •

جهز تيوفيل حوالي مائة الف مقاتل توجه بهم نحو الحدود الاسلامية ، وكان يرمي الاتجاه لاعالي الفرات آملا في الاتصال بثوار ارمينية واذربيجان •وتمخضت هذه الغارة عن اشعال النار في حصن زبطرة الحصين[١١٢] واحرقت هذه المدينة وقتل الذكور من اهلها ، واسر النساء والاطفال وكان يمثل بالرجال اشنع تمثيل فتسمل عيونهم وتشوه وجوههم بالحديد المحمى [١١٣] • ثم اقتربت جيوش البيزنطيين من ملطية ، ففتحت ابوابها خوفا من ان يجرى عليها ماجرى لاهالي حصن زبطرة •

---

(١٠٨) ــ ارشيبالد : المرجع السابق ، ص ١٦٨ ــ ١٦٩ ــ فازيليف : المرجع السابق ، ص ٣٧ •

(١٠٩) ــ ارشيبالد : المرجع السابق ، ص ١٦٩ •

(١١٠) ــ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١١٣ ــ ١١٥ •

(١١١) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٦ ــ العيون والحدائق ، ص ٣٨٩ ــ ٣٩٠ ــ العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٣ •

(١١٢) ــ هي بلدة بين حصن ملطية وسميساط والحدث . انظر : ابن الشحنة تاريخ مملكة حلب ص ١٩٤

(١١٣) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٥ ــ ابن العبري : المصدر السابق ، ص ٢٤٢ ــ سيد امير علي : المرجع السابق ، ص ٢٤٤ •

واطلق اهاليها سراح من بها من اسرى البيزنطيين ، واحرق تيوفيل شمشاط حتى تحولت الى رماد (١١٤) ، وسبى من المسلمات اكثر من ألف امرآة (١١٥) وعاد الامبراطور الى عاصمته مظفرا ٠ فلما بلغ مكانا يقال له برياس على الشاطىء الاسيوي ، امر ببناء قصر وزرع حدائق تخليدا لنصره (١١٦) ٠

وعلم المعتصم بالخبر فغضب وامر بالتجهيز لحملة انتقامية ٠ واضاف بانه ارسل قسما من هذا الجيش لنجدة اهل زبطرة ، وتمكن هؤلاء من اعادة السكان الى مدنهم وقراهم ٠ ولما انتهى المعتصم من تجهيز الجيش ، وقضى نهائيا على ثورة بابك الخرمي ، توجه لقتال البيزنطيين ، ووقع اختيار المعتصم على عمورية لتكون هدف هجومه ٠ وكان غرضه من ذلك ان يصل الى احصن مدينة في الامبراطورية ، بالاضافة الى انها كانت موطن الاسرة الحاكمة ٠

وغادر المعتصم سامراء في جمادى الاولى سنة ٢٢٣ هـ / اول ابريل نيسان ٨٣٨ م(١١٧) على رأس قوات كبيرة لم تجتمع لخليفة من قبل عددا وسلاحا ، وقدر هذا الجيش بمائتين وخمسين الف مقاتل ٠ ونقش المعتصم على الالوية والتروس عمورية ٠ كما جعل في رفقته اقدر قواده اشناس والافشين ٠ ووقف الجيش على مسيرة يوم من طرسوس على نهر اللامس(١١٨) ٠

كانت خطة المعتصم ان يغزو أرض البيزنطيين من جهات مختلفة على ان تكون وجهة جميع فرق الجيش نحو عمورية ، فبعث بالافشين مع قسم من الجيش نحو

---

(١١٤) ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٢٧ ٠

(١١٥) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٥

(١١٦) ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٢٧ ٠

(١١٧) ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٢٠١ ـ ابن قتيبة : المعارف ، ص ١٧١ ٠
ـ ابو الفداء : تاريخه ، جزء ٢ ، ص ٣٦ ٠

(١١٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٧٠ ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٢٩ ـ ١٣١ ـ ١٣٢ ٠

مدينة سروج [١١٩] • وامره ان يدخل الاراضي البيزنطية عن طريق درب الحدث في يوم محدد • انضم الى هذا الجيش جند من الارمن ، وكذلك جنود من ملطية بقيادة اميرعا • وعسكر جميع هؤلاء عند سهل داسيوس • وفي يوم الاربعاء ٢٢ رجب من السنة نفسها ٢١ /يونيو/ حزيران امر الخليفة اشناسا ان يتقدم في درب طرسوس وامره ان ينتظر مجيئه في الصفصاف قرب لؤلؤة • وسار وصيف خلف اشناس ثم سار المعتصم خلف الجميع يوم الجمعة ٢٤ رجب / ٢٣ يونيو / حزيران على ان يتوجه الى أنقرة ، فاذا تم احتلالها توجه الى عمورية [١٢٠] •

بلغت تيوفيل الانباء بعظم الجيش الاسلامي فاضطرب ، وارتأى عليه كثير من أعوانه اخلاء عمورية من سكانها الى مكان آخر خوفا على حياتهم • ولكنه رفض ذلك وقرر تحصين المدينة ، وان يعهد بحمايتها الى قائد مجرب ، وارسل لها الامدادات[١٢١] •

وتمكنت مقدمة جيش المعتصم بقيادة اشناس من اسر بعض البيزنطيين للوقوف منهم على معلومات عن الامبراطور وجيشه • وعلم من هؤلاء انالامبراطور معسكر منذ ثلاثين يوما وراء نهر الهليس يترقب مرور جيش المعتصم للوثوب عليه • ولكنه حين علم بالجيش الذي كان متوجها الى سروج بقيادة الافشين • توجه للقائه بعد ان ترك قسما من جيشه بقيادة احد اقاربه في منطقة الهليس • ولم يتمكن المعتصم من ابلاغ الافشين وتحذيره من تطورات الموقف بسبب تقدمه في الاراضي البيزنطية . وسنحت الفرصة لجيش المعتصم بالتقدم • وكانت مقدمته تسير امامه على مسيرة يوم بينهما[١٢٢] • ووصل اشناس الى انقرة بعد ان استولى على

---

(١١٩) ـ على بعد ١٢ فرسخا من سميساط وهي بلدة قريبة من حران من ديار مضر ـ انظر ياقوت : معجم البلدان ، جزء ٣ ، ص ٨٥ ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٣٣ •

(١٢٠) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٧ ـ ٥٨ ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٣٣ ـ ١٣٤ •

(١٢١) ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٣٢ •

(١٢٢) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٩ ـ العيون والحدائق ، ص ٣٩١ ـ فازيليف المرجع : السابق ، ص ١٣٦ •

نيقية [١٢٣]، وكذلك وصلها المعتصم . وهناك وصلتهم الاخبار بانتصار الافشين على الامبراطور بعد معركة قوية دارت بينهما في جند ارمنياق بقرب جبل اسمه انزن . وقرر الامبراطور ومن نجا من رجاله بعد هذه المعركة دعم جيشهم الـــذي يعسكر في منطقة الهليس . الا ان الاخبار وصلته بتفرق هذا الجيش ، وعدم اطاعة افراده لاوامر قائدهم . فغضب الامبراطور عند ذلك ، وانتقم بقتل القائد . كمـــا ارسل اوامره الى المدن والحصون ليقبضوا على الهاربين ويجلدوهم ويعيدوهـــم لقتال المسلمين[١٢٤] .

وارسل الامبراطور دعما لانقرة وانسحب هو الى درولية على مسيرة ثلاثة ايام من عمورية . وسرت شائعة بين الجميع ان الامبراطور قد قتل . فثار الناس لذلك واضطربوا . وفي هذاالوقت بالذات كانت جيوش المسلمين مجتمعة تطبق على انقرة . فانهار الامبراطور وفقد شجاعته ، وارسل الى المعتصم يستعطفه . وادعى ان قواده تجاوزوا اوامره حين دخلوا زبطرة ، ووعد ببنائها على نفقته[١٢٥] .

واضاف بأنه سيرسل اليه كل الذين انتهكوا حرمة زبطرة من بطارقة وغيرهم ليرى رأيه فيهم [١٢٦] . ولكن المعتصم كان قد صمم على الانتقام . فلم يصغ الى ذلك بل انه اخذ بعد العدة للتوجه الى عمورية[١٢٧] .

وعند ابواب عمورية قسم المعتصم جيشه الى ثلاثة اقسام ، وجعل المسافـــة بين كل قسم وآخر فرسخين . وقاد اشناس الميسرة . والافشين الميمنة ، واتخـــذ

---

(١٢٣) ـ بين الصفصاف وانقرة وهي من اعمال استانبول على البر الشرقي ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٨ ، ص ٣٦١ ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(١٢٤) ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٤١ ـ ١٤٢ .

(١٢٥) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦١ ـ ٦٢ ـ فازيليف : المرجـــع السابق ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

(١٢٦) ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٢٠١ .

(١٢٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦١ ـ ٦٢ ـ فازيليف : المرجـــع السابق ، ص ١٤٢ ـ ١٤٣ .

المعتصم قيادة القلب • وانقسم كل قسم من هذه الاقسام الى ميمنة وميسرة • واصدر المعتصم اوامره بالانتقام لما فعله البيزنطيون في زبطرة وما ارتكبوه من حرق وتخريب للقرى • ووصل القواد جميعا الى عمورية ،حيث خصص قائد معين لحصار عدد محدد من ابراجها الحصينة [١٢٨] • ونصب مجانيق كبيرة يبلغ ارتفاعها ارتفاع السور ، ويتسع كل منجنيق منها لاربعة رجال ، وركزت هذه المجانيق على كراس تحتها عجل لتتحرك بسهولة • وقام الجنود برمي اكياس مملوءة بالتراب في الخندق ليتمكنوا من تخطيه[١٢٩] • وتحصن اهل عمورية بها ، وكافحوا كفاحا مريرا على الرغم من علمهم بانهزام جيوشهم • وتمكنوا ان يهددوا بالفشل اول محاولة للمسلمين باقتحام السور بعد ان تمكنوا من تصديعه[١٣٠] •

قرر اهالي عمورية ارسال رسولين لاخبار الامبراطور بتصدع سور المدينة وضعف القائمين عليها ، واحتمال دخول جيوش المسلمين اليها ، بسبب سوء احوال الاهالي • ولكن الرسولين لم يتمكنا من تنفيذ المهمة وقبض عليهما • وعلم من الكتاب الذي يحملانه مدى الضيق الذي وصل اليه اهالي عمورية ، وانهم قرروا الخروج من المدينة ، فقوى المسلمون بذلك وشددوا الحصار على الابواب ومنعوا البيزنطيين من الخروج منها • وادى القتال الذي جرى بين الطرفين الى قتل وجرح اعداد كبيرة من البيزنطيين • وضاق حراس الثلمة بالامر ، وخرجوا يطلبون الامان مقابل ان يسلموا اليهم الحصن بما فيه[١٣١]• فمنحهم المعتصم الامان وتسلم الحصن ثم تمكن المسلمون من اسر قائد عمورية ، فاستسلمت المدينة[١٣٢] ودخلها المسلمون يوم الثلاثاء ١٧ رمضان سنة ٢٢٣ هـ/١٣ اغسطس ٧٣٨ م[١٣٣] • واسر من جيوش

---

(١٢٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦٤ •

(١٢٩) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦٥ ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ٣ ، ص ٣٤٤ •

(١٣٠) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦٤ •

(١٣١) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، من ص ٦٤ حتى ٦٧ ـ العيون والحدائق ، ص ٣٩٣ •

(١٣٢) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦٩ ـ ٧٠ •

(١٣٣) ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٢٠٢ •

المدينة واهلها عددا كبيرا حتى امتلأ معسكر المسلمين بهم • فوزعهم المعتصم على قواده وجنوده ، واطمأن الى تحقيق غايته فارتحل متوجها الى طرسوس(١٣٤) •

ويقال ان المعتصم عاد من عمورية بهذه السرعة لوصول انباء هجوم بيزنطي على الثغور الشامية • اذ نزلت بعض قواتهم البحرية ميناء سلوقية (١٣٥) فاسروا قسما من اهاليها ؛ ثم ركبوا سفنهم وخرجوا • وكان نزولهم فيها في الوقت نفسه الذي كانت فيه جيوش المسلمين تحاصر عمورية للتخفيف عنها(١٣٦) • وقد ترتب على محاولات البيزنطيين المتكررة للهجوم على الثغور عن طريق البحر ، وللحد من نشاط الاسطول الاسلامي في جزيرة كريت ، اهتمام السلطات العباسية في بغداد بتدعيم قواعدها البحرية في الشام ومصر ، فنشط الاسطول العربي في عهد المعتصم واخذ في مهاجمة البيزنطيين(١٣٧) •

ولم يعقب هجوم المعتصم على عمورية مضاعفات خطيرة على الامبراطورية البيزنطية ؛ لان المعتصم في زحفه على اسية الصغرى اكتفى بالانتقام لمدينة زبطرة ، ثم قفل راجعا • وبذلك استرد البيزنطيون اراضيهم في اسية الصغرى حتى جبال طوروس • وبعد ذلك ساعدت المشاكل الداخلية لكل من الطرفين على عقد هدنة بينهما ، استمرت حتى وفاة كل منهما في سنة ٢٢٧ هـ/٨٤٢ — ٨٤٣ م(١٣٨) •

وبعد حملة المعتصم على عمورية في سنة ٢٢٣ هـ/٨٣٧ — ٨٣٨ م قلت الغزوات

---

(١٣٤) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٦٩ ـ ٧٠ .

(١٣٥) ـ سلوقية من جند انطاكية في الشام بعد طرسوس ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان جزء ٥ ، ص ١١٥ .

(١٣٦) ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٥٧ .

(١٣٧) ـ العدوي : الاساطيل العربية ، ص ١٠٥ .

(١٣٨) ـ عاشور : الحركة الصليبية ، جزء ١ ، ص ٥٥ ولكنه يذكر خطا ان اسم امبراطور الروم في عهد المعتصم قسطنطين بينما يرد اسمه في الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٥ ، بيوفيل بن ميخائيل ويرد كذلك تيوفيل في كل من العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ملحق ٦ ص ٢٠١ وفتحي عثمان : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٢٩ قائمة بالخلفاء المسلمين والاباطرة البيزنطيين وتاريخ ولاية كل منهم ، ص ٤٢٩ ؛

الاسلامية للدولة البيزنطية ، ويعود ذلك الى تواتر الفتن في بغداد ، فقد واجه الخليفة الواثق ازمات داخلية خطيرة • مما ادى الى عدم استطاعته الاستمرار في حرب البيزنطيين على نطاق واسع ، كما كان يفعل من سبقه من الخلفاء • وشاءت الظروف ان يكون البيزنطيون كذلك ، وبدا للعيان فشلهم في صقلية • ولذلك كان الطرفان مستعدين لاقامة علاقات سلمية عن طريق فداء الاسرى • ووصل في سنة ٢٣١ هـ / ٨٤٥ م رسول البيزنطين ليفاوض في امر الفداء لثلاثة الاف من الرجال وخمسمائة من الاولاد والنساء • وتم الفداء على نهر اللامس غير بعيد عن سلوقية على مسيرة يوم من طرسوس ، وحضر العرب على رأس قوة كبيرة بلغ تعدداها اربعة آلاف رجل الى مكان الفداء (١٣٩) • وكان البيزنطيون كذلك في مثل هذه القوة • وقد ترأس وفدهم اثنان من كبار قوادهم ، وخشيا كثرة عدد المسلمين في الفداء ، فطلبا من رئيس وفد المسلمين ان يعقد معهما هدنة لاربعين يوما تكفي لوصول الاسرى الى مناطقهم • وكادت مفاوضات الفداء تفشل لان البيزنطيين لم يرتضوا فداء العجزة من النساء والرجال وفداء الاطفال بمن في ايديهم من الاسرى •واستمر الخلاف اياما الى ان اتفقوا على فداء رجل برجل(١٤٠) • والراجح ان عدد الاسرى المسلمين عند البيزنطيين كان اكبر مما عند المسلمين • يؤكد ذلك ان الواثق امر بشراء من يباع في بغداد والرقة من العبيد الروم ، فلم يكف • عند ذلك قام باخراج من كان في بلاطه من نساء الروم • واستمر الفداء اربعة ايام • واتضح في هذا الفداء انه كان هناك مراسيم حقيقية له(١٤١) •

ولما انتهت هدنة الفداء المؤقتة غزا والي الثغور أحمد بن سعيد بن مسلم ابن قتيبة الاراضي البيزنطية فجأة في الشتاء على رأس سبعة آلاف رجل • ولكنه

---

(١٣٩) ـ ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٤ ظهر ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٧٦ •

(١٤٠) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١٤٢ ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٧٧-١٧٨ •

(١٤١) ـ انظر فازيليف : المرجع السابق : ص ١٧٧ ـ ١٧٨ و ص ٩٧ ١ ـ ١٩٨ وعن مراسيم الفداء ، انظر العدوي : الامبراطورية البيزنطية •
ص ٩٦ ـ ٩٧ وكذلك ملحق ٥ ص ١٩٣ ـ ١٩٤ •

لم يستطع ان يحقق شيئا • فعاد ادراجه في الاراضي البيزنطية • فسخط عليه الواثق لفشله وعزله واسند ولاية الثغور في ١٥ جمادى الاولى سنة ٢٣١ هـ/١٨ يناير ٨٤٦م الى نصر بن حمزة الخزاعي[١٤٢] •

والخلاصة التي يمكن ان نتوصل اليها بعد استعراضنا للحروب والصوائف والشواتي التي قامت بين المسلمين والبيزنطيين في العصر العباسي الاول ، انالغزوات كانت مستمرة تقريبا الا في أيام الفتن • وأن هذه الغزوات لم تتمخض عن نتائج ذات قيمة كبيرة سواء كان للمسلمين أم للبيزنطيين • فقد ظل خط الحدود بينهما في أخذ ورد دون ان يستطيع أحد الفريقين السيطرة التامة على معاقله ودروبه • كما أن نجاح احدى الغارات أو غيرها كان متوقفا على الاحوال الداخلية عند الفريقين المتنازعين • ولقد ترددت اصداء هذه الحروب في النشاط البحري بينهما[١٤٣] • ومن المهم ان نلاحظ ان المنطقة التي كانت تجرى فيها الحروب بين الطرفين في هذه الفترات محصورة في الثغور الاسلامية والاراضي البيزنطية ، ولم يحدث ان هاجم البيزنطيون الاراضي الاسلامية الداخلية أو اجتازوا منطقة الثغور • وبالتالي فقد كانت خسائر البيزنطيين المادية اكثر من خسائر المسلمين •

وفي النهاية يمكننا القول بأن العلاقات بين المسلمين والبيزنطيين لم تكن علاقات عسكرية بحتة ، بل تخلل ذلك فترات سلمية تبادل فيها الطرفان الاسرى والوفود وساهم البيزنطيون احيانا في الحركة العمرانية الاسلامية • فقد استقبل المنصور سفيرا بيزنطيا بعد انتقاله الى بغداد عاصمة العباسيين الجديدة الذي اشار على الخليفة بألا يبني السوق داخل سور المدينة حفظا للامن من الشغب والتجسس كما كانت التجارة نشطة بين الدولتين برا وبحرا[١٤٤] •

---

(١٤٢) ـ فازيليف : المرجع السابق ، ص ١٧٩ .

(١٤٣) ـ العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٨٥ .

(١٤٤) ـ فاروق عمر : العباسيون الاوائل ، جزء٢ ، ص ١٨ طبعة دمشق ١٩٧٣ .

٢ ـ العلاقات مع الفرنجة (الكارولنجيين)

اغفلت المصادر العربية الحديث عن العلاقات بين الخلفاء العباسيين وملوك الفرنجة في اوربا الغربية ، ممايجعلنا مضطرين الىالاستعانة بالمصادرالغربية للتعرف على هذه العلاقة ، وان نعمل جاهدين على تحري الحقيقة التاريخية عن طريق المناقشة ، ودراسة الاوضاع السائدة في فترة البحث في كل من الدولتين العباسية والكارولنجية . وأما بالنسبة للمصادر الغربية التي ذكرت وتحدثت عن هذه العلاقات فهي ثلاثة مصادر لاتينية الاخبار الملكية الفرنجية ، وسيرة الامبراطور شارلمان لاينهارد ، وما كتبه الراهب سانت كول(١٤٥) .

وقد أخذ المؤرخون ماجاء في هذه المصادر فشرحوها وأولوها وحملوها أكثر مما تحمل . ويضاف الى ذلك ان مؤرخي الغرب لم يتحدثوا عن هذه العلاقات بنفسية المؤرخ المتحرر الذي يذكر ماله وما عليه ، وانما تحيزوا لاوربة الغربية ، وكتبوا عن هذه العلاقات التي قامت في القرن الثاني الهجري الثامن الميلادي بضوء ما عرفوه عن اوربا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي . ذلك القرن الذي بدا فيه تفوق الغرب المادي والثقافي . وتناسى هؤلاء المؤرخون ما كانت عليه الحضارة الاسلامية في الفترة التي يتحدثون عنها . والفارق الشاسع بينها وبين الحضارة الفرنجية المتدنية في تلك الفترة . لقد صور هؤلاء المؤرخون الماضي بضوء الحاضر ، فرأوا أن الغرب الذي استطاع أن يحصل على الامتيازات من الدولة العثمانية ، وحصلت دوله على حقوق حماية الاقليات المختلفة في هذه الدولة ، كان بمقدوره أن يحصل على امتيازات وحقوق حماية الاقليات من الخلافة العباسية في العصور الوسطى(١٤٦) .

وفوق كل هذا ، فان نظرة التعالي الغربية على الشرق الاسلامي .والتي وضعها

---

(١٤٥) [illegible] : الصلات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان ، بغداد ١٩٣٩ ، ص ٤
[illegible] فاروق عمر .

(١٤٦) [illegible] عمر : بحوث في التاريخ العباسي ، ص ١٨٢ .

مؤرخو الغرب في اذهانهم حين التحدث عن الشـــرق ، هذه النظرة حجبت عـــن المؤرخين كل ما للعرب والاسلام من حضارة اما قصدا للتشويه ، واما عن غير قصد بسبب ما اختزنوه مسبقا من الافكار . وبالتالي فان كتابتهم لم تبد فيها حقيقة وضع العرب في ذلك الحين ، حيث كان المجتمع العربي الاسلامي متفوقا فكريا وثقافيا واقتصاديا وعمرانيا في الدور العباسي الاول.ولكن ازدياد الاتصال بين الاوربيين والشرق سلما سواء أكان أم حربا أدى الى تعرف الاوربيين على حضارة المشـــرق ونظمه ، وأخذ بعض المستشرقين يعترفون بما نقله الغرب عن العرب في العلوم المختلفة ، وأنصف بعضهم العرب ، ومن هؤلاء البروفسور بارتولد الذي درس هذه العلاقات بضوء العصر الذي قامت فيه ، وعلى ضوء مادرسه عن الدولتين العربية الاسلامية ، والكارولنجية . وأوضح هذا الامر قائلا : نجد أن اوربا الغربية في القرون الوسطى كانت بلدا متأخرا تماما قياسا للشرق سواء أكان مسيحيا أم مسلمـــا ، كتأخر الشرق اليوم بالقياس الى اوربا الغربية . ولكننا نجد الاسس المتبعة في طرق البحث التاريخية تجد صعوبة في ازالة الخرافة التي تعتبر اوربا في كل العصـــور تحتل تلك الاهمية العالمية سياسيا وحضاريا كالتي تتمتع بها الان(١٤٧) .

ثم سارت قضية ادراك الغرب لمعرفة الحضارة العربية الاسلامية قدما ، فكان ماكتبه مونيريه ونيري شاهدا على ذلك ، ثم تعاقبت البحوث والمقالات التي تعالج العلاقات السياسية والحضارية والحربية بفترات مختلفة(١٤٨) .

ونستطيع القول أن ماكتبه المؤرخون عن العلاقات العربية الفرنجيـــة (الكارولنجية) ، غلب عليه الطابع الاسطوري الغامض . ولم يكن هذا فحسب بل ان المؤرخين اختلفوا حول طبيعة هذه العلاقات وأهدافها . والمهم في الامـــر أن هؤلاء جعلوا آسباب قيام علاقات بين المسلمين والفرنجة ، هو عـــداء الطرفين

---

(١٤٧) ـ فاروق عمر : المرجع السابق . ص ١٨٢ تصدير دراسات في تاريخ فلسطين في العصور الوسطى

(١٤٨) ـ فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ١٨٣ ـ تصدير :

N : Daniel : Islam and the West: the making of an Image 1952 - H.A.R. Gibbond owen Islamic society and the west - R. Frye : Islam and the west B. Lewis : The Middle East and West.

للبيزنطيين واموبي الاندلس • فهناك خلاف وعداء بين الفرنجة وكل من البيزنطيين والامويين في الاندلس ، وبين الخلافة الاسلامية العباسية ، وكل من البيزنطيين والامويين في الاندلس ، وان شارلمان اراد ان يتودد للخليفة العباسي هارون الرشيد رغبة في اقامة علاقات جيدة معه ، تسهيلا لمجيء الحجاج الاوربيين الى الاماكن المقدسة ، ومما يذكر في هذا المجال ، أن شارلمان امبراطور الامبراطورية الكارولنجية بدأ يخطب ود الخليفة هارون الرشيد ، فأرسل له وفدا رسميا سنة ١٨٢ هـ/٧٩٧ م ثم ارسل رسولا الى بطريق القدس سنة ١٨٤ هـ/٧٩٩ م ، وقابل الرشيد هذه المبادرة بمثلها • فأرسل في سنة ١٨٦ هـ/ ٨٠١ م وفدا الى شارلمان ، فقام شارلمان بالرد بارسال وفد آخر سنة ١٨٧ هـ/٨٠٢ م • فرد الرشيد عليه بوفد ارسله سنة ١٩١ هـ / ٨٠٧ م وقد تبادل الطرفان عن طريق الوفود ، الهدايا المختلفة ، ومن جملة ما أهداه الرشيد لشارلمان ساعة مائية دقاقة ، وفيلا ، وأواني نحاسية نفيسة ، وصيوانا ملونا وعطورا واقمشة حريرية[١٤٩] • كما ارسل شارلمان هبات الى الاماكن المسيحية المقدسة في فلسطين ، مما دعا بطريق القدس بموافقة الرشيد الى ارسال وفد سنة ١٨٥ هـ/٨٠٠ م يحمل مفاتيح كنيسة القيامة ، ومدينة القدس ورايتها الى شارلمان ، واولوا هذه الاقوال الخيالية تأويلا ابعد من ذلك ، فرأوا ان شارلمان اصبح بذلك حاميا للاراضي المقدسة في فلسطين ، وأميرا على القدس ، وكان — برأيهم — حصول شارلمان على حماية المناطق المقدسة ، مقابل موافقته على محاربة أمويي الاندلس باسم العباسيين ، والوقوف في صف العباسيين ضد البيزنطيين[١٥٠] •

وقد أيد بعض المؤرخين حدوث هذه المعاهدة بين العباسيين والفرنجة ، أمثال دي ريان • وعارض ذلك المؤرخ الروسي بارتولد في مقالة نشرها سنة ١٩١٢ م أنكر فيها أن يكون شارلمان فاوض الرشيد ، وثنى بقوله « ان الرشيد لم يعطه حق الحماية على فلسطين ، ولو كان ذلك حدث فعلا لذكرته المصادر العربية والبيزنطية • ورأى بارتولد ان ما أطلق عليه اسم وفود بين الطرفين ، لم تكن وفودا رسمية ، بل

---

(١٤٩) — فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ١٩٥ ، حاشية ٤١ تصدير —
H.R. Bitterman : Harun Ar Rashid
Gift of an Organ to Charlemagne.

(١٥٠) — فاروق عمر : المرجع السابق ، ص ١٩١ •

زيارات من قبل تجارمناليهود الفرنجة ، وان اعطاء هذا الحق من قبل الرشيد لشارلمان لاينسجم مع سياسة هارون الرشيد وروح العصر الذي عاش فيه •وشاركه رأيه رنسيمان الذي دحض اسطورة الحماية مؤكدا انها من اختراعات الراهب سنت كول المستندة على روايات اينهارد الغامضة •

وفي الحق فان ماكتبه بارتولد قد كتبه بعد معرفة روح العصر • وقوة الخلافة الاسلامية وموقفها من العناصر الاخرى الموجودة خارج الخلافة ، والتي لاتدين بدياناتها (أهل ديار الكفر) • ثم درست اوضاع الفرنجة وضعفهم عن حماية انفسهم ، فكيف يستعين بهم الرشيد لتهديد اموبي الاندلس ؟ وكيف يعطيهم مفاتيح كنيسة القيامة ؟



الباب الثالث

عصر سيطرة الاتـــراك

٢٣٢ ـ ٣٣٤ هـ / ٨٤٧ ـ ٩٤٥ م

مقدمـــــة :

ان الدور العباسي الثاني هو الدور الذي برزت فيه العناصـــر الاسلاميـــة المختلفة على مسرح الأحداث • واصبح لها شبه سيطرة تامة على الخلفاء • ويمكن ان نحدد هذا الدور زمنيا بالفترة الواقعةبين سنتي (٢٣٢ ـــ ٦٥٦هـ/٨٤٧ ـــ١٢٥٨م ويقسم هذا الدور الى عصور ثلاثة بحسب جنسية العنصر الاسلامي الذي سيطر على الخلفاء •

١ ـــ عصر نفوذ الاتراك ويمتد من سنة ٢٣٢ ـــ ٣٣٤ هـ/٨٤٧ ـــ ٩٤٥ م •

٢ ـــ عصر النفوذ البويهي ، ويمتد من سنة ٣٣٤ ـــ ٤٤٧ هـ/٩٤٥ ـــ١٠٥٥ م

٣ ـــ عصر نفوذ السلاجقة وهو العصر الذي يقع بين سنتي (٤٤٧ ـــ ٥٩٠هـ/ ١٠٥٥ ـــ ١١٩٣ م)•

وقد اعتاد المؤرخون ان يمدوا هذا العصر حتى سقوط الخلافة العباسية • علما بأن الدولة الخوارزمية قد اطاحت بدولة السلاجقة في سنة ٥٩٠ هـ/١١٩٣ م وبالتالي فاننا يمكن ان نضيف عصرا رابعا نجعلـــه للحديث عن اســـتعادة خلفـــاء

العباسيين للسلطة بين سنتي٥٩٠ ــ ٦٥٦ هـ/١١٩٣ ــ١٢٥٨ م • وقد تميز هــذا الدور بالاضافة لما تحدثت عنه عن وضع الخلافة العربية الاسلامية تحت وصايــة العناصر الاسلامية المختلفة بميزات اخرى متعددة منها على سبيل المثال لا الحصر

ــ ازدياد قوة التيار الانفصالي ، مما ادى الى انقسام الخلافة الاسلامية الى دول كثيرة منفصلة ، وتبع ذلك انقسام الخلافة الاسلامية الى شعب ثلاث : الخلافة العباسية ــ والخلافة الفاطمية ــ والخلافة الاموية •

ــ بروز التيار الشيعي ، وتمكنه من تحقيق جزء من اهدافه • وبروز نزعةالغلوفية

ــ بروز التيار الصوفي لدى فئة كبيرة من السنة •

ــ نضوج الحضارة الاسلامية ، ووصولها الى الذروة في هذه الفترة •

ــ قوة الدولة البيزنطية وتهديدها للخلافة الاسلاميةوبروز دور الدول الاسلامية المنفصلة في الدفاع عن الخلافة •

الفصــــل الأول

عصر سيطرة الاتـــراك

عصر سيطرة الاتراك (٢٣٢ ـــ ٣٣٤ هـ / ٨٤٧ ـــ ٩٤٥ م)

١ ـــ ظهور العنصر التركي في بلاد الخلافة الاسلامية :

كان المأمون اول من اتخذ من الخلفاء ، الاتراك للخدمة • فكـــان يشتري الغلام من الاتراك بمائة ألف ومائتي ألف[1] وبدأ ظهور الاتراك على مسرح الاحداث منذ ان ولي المعتصم الخلافة ، اذ وجد بأنه لايستطيع الاعتماد على العرب بسبب عصبيتهم واعتزازهم بدورهم في الاسلام • ولضعف ثقته بهم • كما انه لا يستطيع الاعتماد على العنصر الفارسي لطموحه ومحاولته تحقيق مصلحته القومية ، بالاضافة الــى كرهه لهم • فالبرامكة ، وبنو سهل وغيرهم من الذين قادوا الحركات ذات الاهداف المختلفة في العصر العباسي الاول ، كل هـــؤلاء كان لهم مطامع يريدون تحقيقهـــا على حساب الخلافة العباسية[2] ، ومن جملة مافعلوه في هذه الفترة انهم حاولوا جعل الخلافة للعباس بن المأمون دون المعتصم ، لتحقيق مطامع قومية على حساب الخلافة العباسية وكانوا يتنافسون مع العرب منذ حدوث الخـــلاف بين الامين والمأمون ، وقد تكون هذه الامور هي التي دفعت بالمعتصم الى ان يفكر بالاستعانة

(١) ـــ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٣٨ ظهر و ١٣٩ وجه

(٢) ـــ انظر ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٤ .

بعنصر جديد • فوجد في العنصر التركي ضالته المنشودة ، فامه ماردة منهم ، بالاضافة لما يتصف به هذا العنصر من القوة والشجاعة ثم انه لايحمل الاهواء السياسية التي للعرب ، ولا المصالح الخاصة والمجد القديم الذي للفرس •

ادخل المعتصم الاتراك بصورة خاصة ضمن جيشه كمحترفين ، كما اتخذ منهم حرسه الخاص ، وبالتالي فانه شعر بانه اصبح يملك جيشا بعيدا عن الصراعات الحزبية والقبلية ومرتبطا بالخليفة مباشرة ، وشعر بأنه ضمن خضوع هدا الجيش تماما لسلطته •

استقدم المعتصم هؤلاء الاتراك الذين استخدمهم في جيشه من بلاد ما وراء النهر ، وخاصة فرغانة واشروسنه ، حيث كانت القبائل التركية المعروفة بالهياطلة • وكانوا على علاقة عداء مع الفرس المجاورين لهم قبل الاسلام وقد تميز هؤلاء الاتراك وهم بدو العجم كما اسماهم الجاحظ بالصفات الاصلية للبدو ، كحب الحرب والفروسية والتعلق بالنظام القبلي •

لم يكن ظهور الاتراك بالخلافة الاسلامية جديدا في عهد المعتصم ، بل وجدوا في عهد من سبقه في بيوت سادات العرب على شكل خدم ، وقد انخرط بعضهم في الجيش العباسي منذ قيام الدعوة العباسية[٣] • ثم تزايد عددهم بما كان يجلب منهم شراء ؛ أو كأسرى في الحروب التي نشبت بين العرب والترك على الحدود الشرقية • وكان بعضهم يرسل كهدايا الى الخلفاء من قبل ولاتهم في بلاد ما وراء النهر • أو كجزء من خراج خراسان • فقد كان عبد الله بن طاهر يرسل سنويا الى الخلافة الفي غلام تركي كجزء من خراج خراسان[٤] •

وهكذا توارد الاتراك الى بغداد وقارب عددهم سبعين الفا[٥] • وتعلم هؤلاء العربية كما بدأوا باعتناق الاسلام • وقد خصهم المعتصم بالنفوذ ورفع من شأنهم

---

(٣) ـ فاروق عمر : طبيعة الدعوة العباسية ، ص ١٨ .

(٤) ـ شاكر مصطفى : المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

فقلدهم قيادة الجيش وجعل لهم مركزا في مجال السياسة والحرب ، وفتح باب التطوع كمرتزقة امامهم ، وحرم العرب مما كان لهم من قيادة الجيوش ، كما اسقط اسماءهم من الدواوين[6] وادر عليهم الهبات والارزاق ، واثرهم على الفرس والعرب في كل شيء ولم يكن هؤلاء اصحاب حضارة سابقة فبهرتهم بغداد بحضارتها . فأخذوا يعيشون بالامن في بغداد ، يسيرون في شوارعها راكبين خيولهم دون ان يعبأوا بالمارة فيصدمونهم فيموت منهم جماعة من الصبيان والعميان والضعفاء لضغط خيولهم وتزاحمها[7] ، دون اكتراث . فتأذى من ذلك أهالي بغداد ، واضطروا الى رفع شكاياتهم الى الخليفة معلنين تأذي الناس من جنده ، وطلبوا منه الخروج بهم خارج بغداد ، والا فانهم سيعلنون الحرب عليه ، وحين سألهم المعتصم عن كيفية حربه ؟ اجابوه : (نحاربك بسهام السحر ، قال : وما سهام السحر ؟ قالوا . ندعو عليك ، فقال المعتصم لاطاقة لي بذلك)[8] .

وامام شكوى العامة وخوف المعتصم على جنده ، قرر الانتقال الى القاطول ، موقع مدينة سامراء على بعد يزيد عن مائة كيلو متر عن بغداد العاصمة الى الشمال[9] ، وبنى مدينة جديدة سماها سامراء في سنة ٢٢٠ هـ/٨٣٤ م ، واحضر لها الصناع واهل المهن من سائر الامصار[10] . وقد خصص فيها معسكرات لجنده الاتراك بعيدة عن الاسواق ، وليس معهم في قطائعهم أحد من الناس يختلط

---

(٥) ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٣ ، ص ١٧٤ .

(٦) وقد وصلنا من كتبه التي ارسلت في هذا المجال الى ولاته . ذلك الكتاب الذي كتبه الى كيدر واليه على مصر يامره فيه باسقاط من في الديوان من العرب وقطع اعطياتهم . وكان لذلك اثره في ثورة قبائل لخم وجذام على المعتصم ، انظر احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٩٨ .

(٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١٨ .

ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٤ .

(٨) ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٣ ، ص ١٧٤ ـ ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ، جزء ٢ ص ٢٣٣ ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٦ .

(٩) ـ بين بغداد وتكريت شرقي دجلة ، انظر : ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٣

(١٠) ـ انظر فيما بعد « بناء سامراء » .

بهـم[11] • ولكن شغب الجند الاتراك لم ينقطع ، فكانوا كلما وقعت البلاد في ضائقة مالية وتأخر دفع مرتباتهم شغبوا ونهبوا وسلبوا وقتلوا • ثم شرع كبار قادتهم يطالبون بولايات كاملة كاقطاعات يتصرفون بأموالها كيف شاؤوا • ومن هذا القبيل ولاية بكباك التركي على مصر وارساله نائبا عنه مع بقائه في العاصمة • اما صغار القادة فقد اعطوا اقطاعات من اراضي الخراج كي يجبوا ضريبتها لصالحهم او أعطوا جباية ضرائب احدى المناطق عوضا عن الأجور النقدية • وكان هذا بداية للنظام الاقطاعي العسكري[12] •

وتزايد عدد الاتراك الذين اصطفاهم المعتصم ، ودانوا بالاسلام ، واخـذوا يتعلمون علوم عصرهم ، ويتغلغلون تدريجيـا في وظائف الدولة • ولكنهم لـم يحسنوا للخلفاء الذين اعتمدوا عليهم[13] • حتى ان المعتصم نفسه الذي استكثر منهم عبر في اواخر ايامه عن استيائه من الاعتماد عليهم[14] اذ غرهم ما شـعروا به من انهم يشكلون قوة الخلافة الرئيسية • كما لم يعمل هؤلاء الاتراك علـى اكتساب محبة الاهالي بل تملكهم الزهو والغرور بقوتهم • فاستهانوا بحقـوق الناس في الولايات الاسلامية ، كما أساؤوا الى العرب • وتذمر المتذمرون ، وقام المبرقع اليماني برفع راية العصيان على خلافة المعتصم ، بعد ان بلغه أن أحـد الجنود الاتراك حاول دخول منزله[15] • وكان كره الاتراك عاما بين الطبقات كافة، فقد اخذ المحدثون يعبرون عن استيائهم واستياء العامة بوضع الاحاديث في ذم الترك • فرووا ان النبي (ص) قال : الترك أول من يسلب امتي ما خولوا • وعن ابن عباس انه قال: ليكونن الملك في ولدي حتى يغلب على عزلهم الحمر الوجوه ، الذين كأن وجوهم المجان المطرقة • وعن ابي هريرة انه قال : لاتقوم السـاعة

(11) ـ اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٤ ـ ٣١ •

(12) ـ الدوري : نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية ، بغداد ١٩٧٠ ، ص ١٤ـ١٨ •

(13) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ وما بعدها •

(14) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ١٢٢ •

(15) ـ بيطار : الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام ، ص ٩٨ •

حتى يجيء قوم عراض الوجوه صغار الاعين ، فطس الانوف ، حتى يربطوا خيولهم بشاطىء دجلة[16] .

وصفوة القول : ان سياسة استخدام الاتراك في الجيش وايثارهم بالمناصب العليا في عهد المعتصم ومن جاء بعده ، حملت العرب على الانصراف عن تأييد العباسيين . وكان سكوتهم عن الدفاع عن حقوقهم بسبب عدم توحدهم في وجه الخطر الذي احدق بهم ، نتيجة السياسة التي اتخذها الخلفاء في الاعتماد على العناصر الاسلامية . فحرص كل فرع قبلي في منطقة محددة من العالم الاسلامي على تشكيل كتلة منفصلة ، وعمل لمصلحته دون سواه .

٢ ـ الصراع حول السلطة في عصر النفوذ التركي :

بلغ الاتراك غايتهم منذ عهد الخليفة المعتصم . فقد تمكنوا من السيطرة على شؤون الخلافة الهامة . وكان رئيسهم ايتاخ يتسلم أعلى المناصب ، اليه قيادة الجيش ، والاشراف على دار الخلافة ، وازداد نفوذهم تدريجيا ، واصبحوا مصدر قلق واضطراب . فهم يكرهون الفرس والعرب دون ان يكونوا يدا واحدة . فالدسائس بين قادتهم مستمرة ، وبجهلهم وتفرقهم تحكموا وتدخلوا في تولية وعزل الخلفاء . وقد فسح لهم المجال لاول مرة حين توفي الخليفة الواثق دون ان يعهد لاحد بالخلافة من بعده . فنهضوا بالامر ، واختاروا جعفر بن المعتصم بلقب المتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧ هـ/٨٤٧ ـ ٨٦١ م) وقد عمل المتوكل على قتل كبيرهم ايتاخ للتخلص من تسلطه . فاكتسب حقد الاتراك عليه ، لانهم خشوا ان يكون مصيرهم كمصير ايتاخ فتآمروا على الخليفة . وشعر المتوكل بما يكنه له هؤلاء فحاول التخلص منهم بنقل حاضرة الخلافة من العراق الى الشام[17] . لعله يجد فيها من العنصر العربي ما يغنيه عن العنصر التركي . ولما فعل ثار عليه الاتراك ، كما

(١٦) ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٣ ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٧ـ٨ .

(١٧) ـ حسن محمود وابراهيم الشريف : العالم الاسلامي في العصر العباسي ، ص ٢٣١ .

لم يسلم من شغب جند الشام عليه مطالبين باعطياتهم فاضطر الى العودة مـــن حيث اتى[18] •

اضمر الاتراك السوء للمتوكل ، واستغلوا فرصة تأزم الاوضاع بين الخليفة وابنه وولي عهده المنتصر، الذي رأى انيحتفظ لنفسه بولاية العهد ، بعد أن رأىعزم ابيه على عزله عنها،اثرتحريض وزيره عبيد الله بن خاقان ، ونديمه الفتح بن خاقان فتآمروا على قتل المتوكل • ولما فعلوا بايعوا للمنتصر في سنة ٢٤٧ هـ/ ٨٦١ م بالخلافـــة •

يعتبر قتل المتوكل اول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين ، فقـــد خلفاء العباسيين بعدها ماكان لهم من سلطة • واصبحت حياتهم معرضة للخطر على ايدي الاتراك • ولم يكن على الخلفاء الا الاذعان للامر الراهن ، اذا ارادوا الحفاظ على حياتهم والاقتناع بما بقي لهم من سكة وخطبة • الا من استطاع منهم ان يثبت وجوده ومقدرته على التصرف بأمور الدولة بعزم وحزم •

اصبح المنتصر في قبضة الاتراك بسبب ظروف تسلمه العرش • واصبـــح لايستطيع القيام بعمل دون مشورتهم • فقد لبى طلبهم بخلع اخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد ـــ كان لهما بيعة بولاية العهد بعد اخيهما المنتصر من قبل ابيهما المتوكل ـــ خوفا من ان ينتقما من قتلة المتوكل ، فأحضر المنتصر اخويه وطلب منهما خلع انفسهما امام الاتراك موصحا انه لم يفعل هذا رغبة في تولية احد ابنائه ، بل طاعة للاتراك ، وخشية عليهما من القتل • فقال : (اترياني خلعتكما طمعا في ان اعيش حتى يكبر ولدي وابايع له ؟ ؟ والله ماطمعت في ذلك ساعة قط • وذا لم يكن

---

(١٨) ـ بيطار : المرجع السابق ، ص ١٠١ ـ ١٠٤ ـ وانظر عن أسباب ترك المتوكل لدمشق ، المسعودي: مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٢٧٦ ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢١٠ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٢٩٨ ـ كرد علي : خطط الشام ، جزء ١ ، ص ١٩٣ •

في ذلك طمع ، فوالله لان يليها بنو ابي احب الي من ان يليها بنو عمي . ولكن هؤلاء الحوا علي في خلعكمـــــا فخفت ان لم افعــل ان يعترضكما بعضهم بحديـــدة فيأتي عليكما) [19] .

حرص المنتصر على الرغم من قصر مدة حكمه على توفير اسباب السعـــادة والرفاهية لشعبه فأحسن الى العلويين ، والغى ماكان قد صدر بحقهم في عهـــد ابيه . الا ان الاتراك لم يتركوه على الرغم من خضوعه من الوجهة العملية لهم . ولم يكن من عذر لهم في قتله : سوى زلة لسانه وتعبيره عما يجيش في صـــدره تجاههم بقوله : هؤلاء قتلة الخلفاء . فقتلوه بعد حكم لم يدم اكثر من ستة اشهر وعمره ست وعشرون سنة . ويقال بانهم اغروا طبيبه ابن طيفور بذلك ، واعطوه ثلاثين ألف دينار . ففصده بريشة مسمومة في ربيع الثاني سنة (٢٤٨ هـ/٨٦٢ م) .

على اثر مقتل المنتصر برز قادة الاتراك ، امثال بغا الكبير وبغا الصغيرواتامش ووصيف ، وقد اجتمع هؤلاء وبايعوا لاحمد بن محمد المعتصم خليفة بلقـــب المستعين بالله(٢٤٨ ــ ٢٥٢ هـ/٨٦٢ ــ ٨٦٦ م) وغايتهم الاستئثار بالسلطة دونه . وقد قدم لهم المستعين كل مايستطيع من تنازلات[20] ، حتى اصبح أسيرا بـــين أيديهم ، ولا أدل على وضعه بين يدي الاتراك من وصف احد الشعراء للوضع قائلا :

خليفـــــــة في قفـــــــص بـــــين وصيـــف وبغـــا
يقـــــــول مـــا قالا لـــــــه كمـــــــا تقـــول الببغـــا

ادى ازدياد نفوذ الاتراك في عهد المستعين ، وجشعهم المتنامي للمال ، الـــى قيام الخليفة بقتل باغر التركي قاتل المتوكل [21] . وخوفا من نقمتهم ولشعوره بالمؤامرات تحاك ضده ترك سامراء ، والتجأ الى بغداد في سنة ٢٥١ هـ/٨٦٥ م .

(١٩) ــ الطبري : المصدر السابق جزء ٩ ، ص ٢٤٥ ــ ٢٤٦ .
(٢٠) ــ انظر هذه التنازلات في الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٨٣ .
(٢١) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٧٨ ــ ٢٨٢ .
ــ ابن تغري بردى : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٣٢ .

ولم يرض الاتراك بهذه البادرة ، فلحقوا بالخليفة ، وطالبوه بالعودة الى سامراء ، ولما ابى ويئسوا من عودته ، بايعوا ابن عمه المعتز بالله وانقسم الناس والجنـــد بينهما • ودارت رحى حرب اهلية بين الفريقين (٢٢) • ولما كانت غالبية القـــوة العسكرية في جانب الاتراك وهم يناصرون المعتز • فقد كان النصر الى جانبهم ، واضطر المستعين الى التنازل عن الخلافة في محرم سنة ٢٥٢ هـ / ٨٦٦ م • ورحل الى واسط • وعلى الرغم من ذلك فقد اوجسوا خيفة من بقائه حيا ، وكتبوا الى احمد بن طولون الذي كان يدبر امور المستعين في واسط • يطلبون قتله مقابـل ولاية واسط ، فأبى ، فأرسلوا اليه سعيدا الحاجب حيث قتله (٢٣) •

اختل توازن الخلافة في عهد المعتز (٢٥٢ ــ ٢٥٥ هـ / ٨٦٦ ــ ٨٦٩ م) من جراء استفحال نفوذ الاتراك ، واختـــلافهم فيما بينهم • ولم يكن للخـــلافة الا مسايرتهم حينا ، وتدبير الدسائس والمؤامرات للتخلص من نفوذهم أحيانا اخرى• ولذلك فان الامر لم يرق لهؤلاء الاتراك ، وثاروا ضده ملحين في طلب مرتباتهم وزيادة خمسين ألف دينار ، ولما عجز عن التنفيـــذ ، اخرجوه عنوة من القصـــر وانزلوا به اروع ضروب الاهانات حتى اضطروه الى التنازل عن الخلافة • وعملوا على التخلص منه (٢٤) • كما صادروا اموال امه ، وكان لهذه الاعمال كبير الاثر في الهاب قريحة الشعراء فأخذوا ينشدون الشعر يصفون فيه ما اصاب البلاد (٢٥)•

بايع الاتراك اثر ذلك محمد بن الواثق • ولقبـــوه المهتدي بالله (٢٥٥ ــ ٢٥٦ هـ / ٨٦٩ ــ ٨٧٠ م) ، وكان رجلا عادلا محبا للشعب • على مقدرة ممتازة وكفاية منقطعة النظير • وكان يتشبه بعمر بن عبد العزيز ويقول : اني استحي ان

---

(٢٢) ــ عن هذه الحرب الاهلية انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٨٣ ــ ٣١٧ •
ــ ابن تغري بردى : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٣٢ ــ ٣٣٣ •

(٢٣) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٣٦٢ ــ ٣٦٦ •
ــ ابن تغري بردى : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٦ •

(٢٤) ــ عن طريقة قتله ، انظر ابن الاثير : المصدر السابق جزء ٧ ، ص ١٩٥ ــ ١٩٦ •

(٢٥) ــ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٣ •

يكون في بني امية مثله ولا يكون مثله في بني العباس . ولما كانت قوة الدولة في عهده بيد الاتراك فانه اراد ان يعيدها للخلفاء ، مستغلا في سبيل ذلك شجاعته وقوته اللتين اشتهر بهما ، بالاضافة الى قوة ايمانه ، وتأييد الشعب له ، وحاول ضرب قادة الاتراك بعضهم بالبعض . الا انه فشل في ذلك واصبح هدفا لهم . وعلى الرغم من ذلك فانه اظهر عدم اهتمامه بتآمرهم عليه . وافهمهم انه واقف لهم بالمرصاد . وانه غير راض عن عدم قيامهم بواجبهم العسكري تجاه البيزنطيين[٢٦].

وقد وقع المهتدى نتيجة صلابته وحزمه ، وتشدده في وجه الاتراك دون ان يملك القوة العسكرية والاقتصادية الى نهوض الاتراك لقتاله والتخلص منه . وعلى الرغم من المجهودات الكبيرة التي بذلها الخليفة وبلائه الحسن ، فانه لم يستطع ان يحقق نصرا . فقد انضم من معه من الاتراك الى اخوانهم ، فوقع في ايدي أعدائه . وقد عمل هؤلاء على خلعه من الخلافة . وكانت نهايته بعد ذلك بقليل في رجب سنة ٢٥٦ هـ / يونيو حزيران ٨٧٠ م [٢٧] .

بويع على اثر ذلك احمد بن المتوكل ولقب بالمعتمد على الله (٢٥٦ــ ٢٧٩هـ/ ٨٧٠ ــ ٨٩٢ م) فاستدعى اخاه ابا احمد طلحة من مكة ليعاونه في صد خطر الزنج . ثم جعله وليا للعهد بعد ابنه جعفر في سنة (٢٦١ هـ / ٨٧٥ م) . وحجر الموفق على اخيه الخليفة ، ولم يترك له سوى الخطبة والسكة ، والامر والنهي والقول الفصل للموفق . ويبدو أن الموفق كان رجلا حازما ذا مقدرة عسكرية ممتازة ، يتضح ذلك من وصف ابن طباطبا للدولة في عهد المعتمد حيث يقول : كانت دولة المعتمد دولة عجيبة الوضع . كان هو وأخوه الموفق طلحة كالشريكين في الخلافة ، للمعتمد الخطبة والسكة والتسمي بأمرة المؤمنين ولاخيه طلحة الامر

---

(٢٦) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٤٤٢ ــ ٤٤٣ ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء٧، ص ٢٢٢ ــ ٢٢٣ ــ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٤ .

(٢٧) ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص. ٢٢٨ .

والنهي وقود العساكر ومحاربة الاعداء ومرابطة الثغور وترتيب الوزراء والامراء، وكان المعتمد مشغولا عن ذلك بلذاته (٢٨) •

لم يكن للاتراك في خلافة المعتمد ماكان لهم في خلافة من سبقه • ويبدو ان ذلك كان لقوة الموفق من جهة ، ولتأثير الحركة التي قام بها المهتدي من جهة أخرى • فقد استعاد العباسيون شيئا من سلطانهم وركن موسى بن بغا (٢٩) الى الهدوء في هذه الفترة • وقد حدث في خلافة المعتمد بعض الاحداث الهامة • منها ثورة الزنج (٣٠) واختفاء الامام الثاني عشر عند طائفة الاثنى عشرية ، ونشاط طائفة الاسماعيلية في أرجاء الوطن العربي الاسلامي (٣١) •

توفي الموفق في حياة اخيه الخليفة في اوائل سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م ، فاجتمع كبار القواد ، وبايعوا ابنه ابا العباس بولاية العهد بعد المفوض الى الله • ولقبوه بالمعتضد ، فتحولت سلطة ابيه اليه ، وخلف عمه بعد وفاته •

كان المعتضد (٢٧٩ ــ ٢٨٩ هـ/٨٩٢ ــ ٩٠٢ م) من خيرة خلفاء العباسيين ، عاقلا شهما فاضلا ، ولي الخلافة وهي بحاجة الى رجل قوي السياسة شديد على اهل الفساد • فقام بما يتطلبه منه هذا المركز احسن قيام (٣٢) • فقد وطد الخلافة العباسية ورفع شأنها ، واضعف سلطة الاتراك بقدر مايستطيع • الا انه وعلى الرغم من المجهود الضخم الذي بذله لاعادة سلطة الخلافة العباسية الى سابق عزها ، لم يستطع لتراكم الفساد في الخلافة من عهد من سبقه • ولذلك فان

---

(٢٨) ــ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٥٠ •

(٢٩) ــ درج موسى بن بغا في مراتب الجيش حتى اصبح من اكبر قواده . وقام بدور واسع مع غيره من الاتراك مشتركا في الثورات المتعددة التي قامت في وجه الخلفاء سلبا او ايجابا . فطورا يذب عن عرش الخلافة ، وآخر يتآمر مع المتآمرين لشل هذا العرش . وقد استطاع الخليفة المعتمد ان يكسب جانبه بمصانعته وزيادة اكرامه . فارسله في سنة ٢٥٩ هـ لقتال صاحب الزنج، وكبح جماح الخارجين على الدولة ، كما ضمه لابنه موسى حين ولاه ولاية المناطق الغربية .

(٣٠) ــ انظر فيما بعد .

(٣١) ــ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٣ .

(٣٢) ــ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ .

عددا من الحركات الانفصالية والثورات الاجتماعية ظهرت في عهده • فقد خرج عليه عمر بن الليث الصغار فاستولى على اكثر بلاد العجم ، وقوي نفوذه وعظمت ثروته ، حتى انه كان يقول : لو شئت ان اعقـد على نهر بلخ جسرا من ذهـب لفعلت (٣٣) • كما ظهر نصر بن احمد الساماني في ماوراء النهر (٣٤) • وظهر ابن حوشب في اليمن لنشر الدعوة للمهدى (٣٥) • وابو عبد الله الشيعي في المغرب(٣٦) • كما ظهر القرامطة في الكوفة على يد حمدان قرمط ، وفي البحرين على يد أبـي سعيد الجنابي (٣٧) •

قام المعتضد بالحد من نشاط هذه الحركات • فأنشده ابن المعتز ملحمة بدأها بذم الاتراك وفسادهم في البلاد ، ثم عدد اعمال المعتضد وما قام به من حروب وما اتى به من اصلاح وهي تعد الى جانب أهميتها الادبية ، وثيقة تاريخية هامـة للاحداث في عهد المعتضد (٣٨) •

توفي المعتضد بعد أن حكم عشر سنوات ، وترك لابنه وخليفته المكتفـي (٢٨٩ ــ ٢٩٥ هـ / ٩٠٢ ــ ٩٠٨ م) مهمة القضاء على بعض الحركات التي لـم يمهله القدر بالقضاء عليها • ولم يكن المكتفي اقل من ابيه مقدرة ، الا ان الحركات التي بدأت في عهد اسلافه تمكنت في عهده (٣٩) • فقد اضطر الى قتال القرامطة ، وتسريح الجيوش الكثيرة لايقافهم عن قطع الطرق على الحاج (٤٠) كما عمل على

(٣٣) ــ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ •

(٣٤) ــ ابن الاثير : المصدر الكامل ، جزء ٧ ، ص ٤٥٦ •

(٣٥) ــ القاضي النعمان : افتتاح الدعوة ، تحقيق فرحات الدشراوى، الشركة التونسية للتوزيـع، ص ٦ ــ ٢٥ •

(٣٦) ــ القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص ٣٠ وما بعدها •

(٣٧) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٢٣ ــ ٢٧ •

(٣٨) ــ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٥ ــ ٢٦ •

(٣٩) ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥٤٨ •

(٤٠) ــ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٥٨ •

القضاء على الدولة الطولونيـــة ، واستعاد بذلك السلطة على مصر والشـــام والثغور [٤١] .

سئم الاتراك واصحاب السلطة من اختيار الخلفاء القادرين الاكفاء منذ عهد المهتدى حتى المكتفي اذ لم يترك هؤلاء سلطة للمتنفذين ، وقاموا بامور الخلافــة بانفسهم . فاجتمع اصحاب السلطة بعد وفاة الخليفة المكتفي لاختيار من يرضون عنه . واسفرت اجتماعاتهم ومشاوراتهم عن اختيـــار جعفر ابن المعتضد باســم المقتدر (٢٩٥ ـــ ٣٢٠ هـ / ٩٠٨ ـــ ٩٣٢ م) ، وعلى الرغم من وجود من هـــو اقدر منه . امثال عبد الله بن المعتز [٤٢] وهو كفء واديب . كان المقتدر في الثالثة عشرة من عمره . فترك أمور الخلافة لغيره ، وانشغل عنها باللعب واللهو ، فساءت حالة الخلافة العباسية في عهده . وازداد نفوذ الاتراك وانقسموا في تأييدهـــم للمقتدر . وناصر فريق منهم ابن المعتز وتدخـــل النساء وافراد الحاشـــية في الحكم [٤٣] ، ومن المهم ان نذكر ان انقسام الجنـــد على المقتدر كان لاســباب متعددة : على رأسها مصالح الاتراك المتضاربة ومحاولة كل فئة تأييد من ترى فيه مصلحتها ، وقد ادى ذلك الى حدوث ثورتين ضده ، وازيح المقتدر عن العرش مرتين ، كانت المرة الاولى حين وقف ابن المعتز وانصاره في وجه المقتدر في سنة (٢٩٦ هـ / ٩٠٩ م) [٤٤] . اما الثانية فكانت حين بويع القاهر بالله [٤٥] .

واقدر وصف على تصوير وضع المقتدر ماذكره المسعودي في كتابه التنبيه والاشراف [٤٦] ، حيث قال : (افضت الخلافة اليه وهو صغير غر ترف ، لم يعان الامور ، ولا وقف على احوال الملك ، فكان الامراء والوزراء والكتاب يدبرون

(٤١) ـ انظر بيطار : المرجع السابق ، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٩ .

(٤٢) ـ عن الاجتماعات والمشاورات التي جرت لاختيار الخليفة المقتدر ، انظر مسكويه : تجـــارب الامم ، جزء ١ ، ص ٣ وما بعدها .

(٤٣) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٠٦ ـ و ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(٤٤) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ١٤٠ وما بعدها .

(٤٥) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣ .

(٤٦) ـ ص ٣٢٨ .

الامور ، ليس له في ذلك حل ولا عقد ، ولا يوصف بتدبير ولا سياسة . وغلب على الامر النساء والخدم وغيرهم . فذهب ماكان في خزائن الخلافة من الاموال والعدد بسوء التدبير الواقع في المملكة . فأداه ذلك الى سفك دمه ، واضطربت الامور بعده . وزال كثير من رسوم الخلافة [٤٧] . وهكذا تلاشت هيبة الخلافة نهائيا في عهد المقتدر بعد ان عمن كل من المهتدى والمعتضد والمكتفي على اعادتها الى سابق عهدها .

ولابد لنا في هذا المجال من ان نذكر كيف كان اصحاب النفوذ في الدولة يرون الحجر على من يرشح للخلافة . لينشأ جاهلا غرا . فينصرف الى لهوه ولذته ، ويترك لهم امور الخلافة ، وسنورد مثالا على هذا ـ على الرغم من كثرة الامثلة والادلة ـ ماذكره الصولي من انه عهد اليه بتربية الراضي بالله واخيه هارون فكان يلقاهما مرتين في الاسبوع ، وقد رآهما فطنين عاقلين . الا انهما خاليان من العلوم . فحبب الصولي العلم اليهما . واشترى لهما من كتب الفقه والشعر واللغة والاخبار الكثير ، حتى تنافسا في العلم ، وعمل كل واحد منهما خزانة لكتبه ، وقرأ الاشعار والاخبار على الصولي .

وتقدم الاخير في تعليمهما ، فقيل له على لسان اهل القصر (مانريد ان يكون اولادنا ادباء ولا علماء وهذا أبوهما قد رأينا كل مانحب فيه وليس بعالم) [٤٨] .

تولى القاهر بالله (٣٢٠ ــ ٣٢٢ هـ / ٩٣٢ ــ ٩٣٤) عرش الخلافة بعد اخيه المقتدر ، ولم يكن افضل منه . اذ اشتهر بالقسوة وقبح السيرة . كان سفاحا كثير التلون ، مدمنا للخمر . لم تمض على خلافته سنة واحدة حتى شغب عليه الجند ، واتفق بعضهم على خلعه . واكتشف القاهر المؤامرة فابتدرهم قبل ان يبدأوا به . وبعد ان هدأت الاحوال اعطى الخليفة الجند ارزاقهم وقبض على الامور بحزم ،

---

(٤٧) ـ ازداد نفوذ نساء القصر في عهد المقتدر . وكانت السيدة والدة المقتدر تولي وتعزل ، حتى ان الامر تعدى ذلك الى قهرماناتها ، انظر : المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٢٢٨ ـ ٣٢٩ .

(٤٨) ـ الصولي : اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، وهو جزء من كتاب الاوراق ، دار المسيرة بيروت ص ٢٤ ـ ٢٦ ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٢٧ .

الا ان المؤامرات لم تنته ، فقد خاف البعض بطش القاهر ،فقبضوا عليه واستحضروا الطبيب بخيتشوع بن يحيى ، فسألوه ان يدلهم على من يحسن السمل ــ وكان اول من سمل من الخلفاء ــ فسمل ثم سجن [٤٩] . واستمر في السجن الى ان توفي سنة (٣٣٩ هـ / ٩٥٠ م) في خلافة الطائع لله .

جـ ـ ظهور منصب امرة الامراء واسبابه :

ازداد نفوذ قادة الاتراك في عهد الراضي (٣٢٢ ــ ٣٢٩ هـ / ٩٣٤ ــ ٩٤٠ م) وبدأ الصراع الثلاثي بينهم وبين الخليفة والوزير [٥٠] . وبدا عجز الوزراء عن ادارة الدولة نتيجة لهذا التسلط . وامام الاضطرابات في العلاقات بين كبار رجالات الدولة ، ولاستشراء الازمة المالية في عهد الخليفة الراضي ، رأى الراضي ان يستميل محمد بن رائق اليه ويسلمه صلاحيات الوزير ، وقائد الجيش معا . اى ان يكلفه بكل المهام الادارية والعسكرية . ويخطب له على جميع المنابر بعد اسم الخليفة [٥١] ، ويعطى لقب امير الامراء .

كان محمد بن رائق ــ قبل ان يستدعيه الخليفة ــ يلي واسط والبصرة . فتولى منصب أمير الامراء سنة (٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م) واصبح هذا المنصب من المناصب التي يتنافس عليها الاتراك ، وطغى صاحبه على الخليفة . وقال ابن طباطبا [٥٢] متحدثا عن وضع الخليفة والوزير مع امير الامراء ابن رائق . (استبد ابن رائق امير الامراء بالامور ، وولى النظار والعمال ورفعت المطالعات اليه ، ورد الحكم في جميع الامور الى نظره . ولم يبق للوزير سوى الاسم من غير حكم ولا تدبير ، ومن تلك الايام اضطهدت الخلافة العباسية ، وخرجت

---

(٤٩) ـ المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٣٣٦ .

(٥٠) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٣١٢ ـ ٣١٣ وما بعدها .

(٥١) ـ الصولي : المصدر السابق ، ص ٨٤ ـ ٨٥ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ ، وقد اصبحت الوزارة اسمية ، والوزير يملك ولا يحكم .

(٥٢) ـ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ٢٨٢ .

الامور منها ، واستولى الاعاجم والامراء وارباب السيوف على الدولة ، وجبوا الاموال ، وكفوا يد الخليفة وقرروا له شيئا يسيرا •) حتى عجز عن دفع ارزاق الجند والحصول على مايكفي نفقاته •

اصبح منصب امرة الامراء الذي اوجد ليستعين الخليفة بصاحبه على ادارة شؤون الدولة مجالا للمنافسة • وادى الى بلبلة الاوضاع عوضا عن تهدئتها ، فقد نافس بجكم ــ احد قواد ابن رائق ــ سيده واوقع به الهزيمة ودخل بغداد وحل مكانه في امرة الامراء [٥٣] •

تجلى الاضطراب في العراق في ولاية بجكم لمحاولة ابن رائق استعادة منصبه• وتوسط الخليفة بين المتنافسين ، وقرر أن يبقى بجكم معه كأمير للامراء ، وان يخرج ابن رائق الى الشام واليا عليها ، وبقي بجكم في أمرة الامراء حتى توفي الخليفة الراضي بالله [٥٤] •

وقد اورد ابن الاثير [٥٥] فقرة تدل على مبلغ تسلط رجال الاطراف على اراضي الخلافة في عهد الراضي فقال : ولم يبق للخليفة غير بغداد واعمالها والحكم في جميعها لابن رائق وليس للخليفة حكم • واما باقي الاطراف فكانت البصرة في يد ابن رائق • وخوزستان في يد البريدي ، وفارس في يد عماد الدولة بن بويه ، وكرمان في يد أبي علي محمد بن الياس ، والري واصبهان والجبل في يد ركن الدولة ابن بويه ويد وشمكير اخي مرداويج يتنازعان عليها ، والموصل وديار بكر ومضر وربيعة في يد بني حمدان ، ومصر والشام في يد محمد بن طغج ، والمغرب وافريقية في يد أبي القاسم القائم بأمر الله بن المهدي العلوي ••• والاندلس في يد عبد الرحمن بن محمد الملقب بالناصر الاموي ، وخراسان وما وراء النهر في يد نصر بن أحمد الساماني ، وطبرستان وجرجان في يد الديلم ، والبحرين واليمامة في يد ابي طاهر القرمطي •

---

(٥٣) ــ الصولي : المصدر السابق ، من ص ١٠١ ــ ١٠٧ •
(٥٤) ــ الصولي : المصدر السابق ، من ص ١٠٩ وما بعدها •
(٥٥) ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ص ٣٢٣ ــ ٣٢٤ •

توفي الراضي سنة ٣٢٩ هـ / ٩٤٠ م فخلفه ابراهيم بن المقتدر بلقب المتقي لله (٣٢٩ — ٣٣٣ هـ / ٩٤٠ — ٩٤٤ م) وفي عهده قتل امير الامراء بجكم على يد بعض الاكراد فعاد ابن رائق الى بغداد . وتسلم منصب أمرة الامراء [٥٦] .

لم تصف الامور لابن رائق هذه المرة ايضا فقد نافسه ابو عبد الله البريدي، وهزمه في معركة عسكرية . ونهب البريديون دار الخلافة ، وفعلوا مالم يفعله احد قبلهم [٥٧] . ففر الخليفة مع ابنه ومحمد بن رائق الى الموصل ، طالبين مساعدة الحسن بن عبد الله بن حمدان . ويبدو أن ابن حمدان طمع في منصب امرة الامراء، فبادر الى مساعدة الخليفة وارسل معه اخاه ابا الحسين علي بن عبد الله ، واغتال محمد بن رائق مبررا فعلته للخليفة بتآمر ابن رائق عليه [٥٨] .

اصبحت امرة الامراء بيد العرب بشخص ناصر الدولة بن حمدان حسب اللقب الجديد الذي حصل عليه من المتقي لله ، كما اطلق على اخيه لقب سيف الدولة [٥٩] ولم يعمل ناصر الدولة بعد تقلده منصب امرة الامراء على رعاية حقوق الخليفة ، بل استأثر بالسلطة دونه . وضيق عليه وعلى اهل داره في النفقات، وانتزع ضياعه وضياع والدته ، ثم لم يلبث ان ترك بغداد وعاد الى الموصل [٦٠].

اصبح منصب امرة الامراء فارغا برحيل ناصر الدولة . وكان الخليفة بحاجة الى الحماية خشية من البريديين . ولذلك فانه استنجد بتوزون ومهد له السبيل لدخول بغداد في رمضان سنة (٣٣١ هـ / ٩٤٢ م) وخلع عليه واعطاه امرة الامراء [٦١] . ولم يكن توزون اكثر اخلاصا للخليفة . بل ان اعماله دعت الخليفة

---

(٥٦) — الصولي : المصدر السابق ، ص ١٩٧ وص ٢٠٦ وص ٢٢٥ وما بعدها — السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ١١٤ .
(٥٧) — الصولي : المصدر السابق ، ص ٣٢٢ — ٣٢٣ .
(٥٨) — الصولي : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ وما بعدها — مسكويه : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٢٧ — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٣٨٢ .
(٥٩) — الصولي : المصدر السابق ، ص ٢٢٨ .
(٦٠) — الصولي : اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، ص ٢٣٥ وص ٢٤١ .
(٦١) — الصولي : المصدر السابق ، ص ٢٤٤ ومابعدها .

الى الالتجاء الى ابن حمدان ثانية • ومن عاصمة الحمدانيين أستنجد بمحمد بن طغج الاخشيد ، كما سعى الى مصالحة توزون • وذلك لان ابن حمدان لم يحسن استقبال الخليفة ، وبدا منه الملل والضجر ، بالاضافة الى أنه لم يستطع التغلب على توزون (٦٢) •

رحل الخليفة الى بغداد برفقة توزون بعد أن أمنه في محرم سنة ٣٣٣ هـ / ٩٤٤ م ولكنه مالبث ان قبض عليه وسلمه وسجنه • وبايع ابن المكتفي بلقب المستكفي بالله (٣٣٣ – ٣٣٤ هـ / ٩٤٤ – ٩٤٥ م) (٦٣) ، وقد ساعده على القيام بفعله الخلاف والتنافس والتآمر بين افراد البيت العباسي بغية الوصول الى السلطة ، بالاضافة الى دسائس النساء ، وتفضيل الاتراك لمرشح دون اخر لتحقيق مصالحهم (٦٤) •

بقي توزون اميرا للامراء في عهد المستكفي المغلوب على أمره (٦٥) ، وانتقلت امرة الامراء بعد وفاة توزون سنة ٣٣٤ هـ / ٩٤٥ م الى كاتبه ابن شيرزاد • ولم يكن هذا افضل من سابقه • فقد لجأ الى مصادرة أموال الناس ليزيد في أرزاق الجند الاتراك والديلم • كما فرض الاموال على الكتاب والعمال والتجار وغيرهم من افراد الشعب • وازدادت الضرائب في أيامه بشكل كبير حتى اضطر التجار الى الهرب من بغداد (٦٦) •واستاء كثير من قواد بغداد فدعوا أحمد بن بويه للمسير اليهم • فرحل من الاهواز قاصدا بغداد في / ١١ / جمادى الاولى سنة ٣٣٤ هـ / ٨ يناير كانون الثاني ٩٤٦ م حيث قابل الخليفة واحتفى به ، وخلع عليه ، ومنحه

---

(٦٢) – الصولي : المصدر السابق ، ص ٢٤٦ ومابعدها – السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦٢ •

(٦٣) – السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص ٢٦٢ – ٢٦٣ •

(٦٤) – حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٥ •

(٦٥) – المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٤ ، ص ٣٥٦ – ٣٥٧ •

(٦٦) – مسكويه : تجارب الامم ، جزء ٢ ، ص ٨٣ – ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٤٨ – ٤٤٩ •

امرة الامراء ولقبه معز الدولة (٦٧) • وينتهي بهذا عصر نفوذ قادة الاتراك ليبــدأ عصر جديد هو عصر سيطرة البويهيين •

ومن ابرز صفات عصر نفوذ الاتراك ازدياد شــوكة القادة من الاتــراك • وضعف شأن الوزراء في هذا الدور • فقد سحبت ضياعهم وفرض لهم رزق ثابت قدر بخمسة آلاف دينار (٦٨) في الشهر كما انتقصت اختصاصاتهم ، وقطن الوزير منذ سنة (٣١٢ هـ / ٩٣٣ م) في دار الحاجب بعد ان كان يسكن في دار خاصــة بقصر الخلافة (٦٩) وكان بقاء الوزير في منصبه مرهونا ببراعته في التوفيــق بين مصالحه ومصالح انصاره ومؤيديه من جهة ، ومصالح الخليفة من جهة ثانيــة • مصالحه ومصالح انصاره ومؤيديه من جهة ، ومصالح الخليفة من جهة ثانيــة ، كانت تلعب دورها في اعتماد الوزير وخلعه •

أصبح منصب الوزارة (٧٠) في هذا العصر أشبه بمنصب وراثي فانحصرت الوزارة في أسر معينة كآل خاقان وآل الفرات وآل وهب (٧١) • كما كان الخلفاء يختارون وزراءهم من المثقفين ثقافة ادبية ، ويأبون اسنادها الى العلماء واصحاب الطيالس ، كما اتضح في هذا العهد عدم اتصاف الوزراء بالصفة الحربيــة وانحصار قيــادة الجيش بيد القادة من الاتراك •

ــ كان عصر نفوذ قادة الاتراك عهدا سادته الفوضى وابرز مثال على ذلــك مايروى من أنه حين توجه ابن رائق الى الشام بعد ان تقلد ولايتها من الخليفة ، جاء رسول الاخشيد الى دار الخلافة يستعلم الامر ، لان الاخشيد كان واليا عليها معترفا به من قبل الخلافة • وكان مجلس الخليفة يضم بجكم امير الامراء ، فأنصت

---

(٦٧) ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٤٤٩ •

(٦٨) ــ وصل هذا الرزق أحيانا الى سبعة آلاف دينار (انظر محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٣٧) •

(٦٩) ــ انظر محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٣٧ •

(٧٠) ــ انظر عن ذلك الوزارة في عهد الخليفة المقتدر في كتاب مسكويه : تجارب الامم ، جزء ١ مــن ص ٣ ــ ٢٠٠ •

الخليفة ولم يتفوه بشيء ، بينما اجاب امير الامراء ، ولعل جوابه يعبر عن الوضع في بلدان الخلافة في تلك الفترة ، ويوضح عجز الخليفة عن حماية أي من الطرفين . فقد قال بجكم : (من ضرب بالسيف وهزم صاحبه فالعمل له) . وليس هذا الامر غريبا على الخلافة العباسية في ذلك الوقت ، ونحن نعلم أن أمير الامراء كان لـه الامر والنهي [٧٢] .

ـ مرت الخلافة العباسية خلال هذا العصر بأزمات مالية خانقه ناجمة عن قلة الموارد من الجبايات لانفصال الاطراف ، وسوء المواسم الزراعية ، وكساد التجارة بسبب كثرة الفتن والثورات كثورتي الزنج والقرامطة . وفوق ذلك فقد تزايدت نفقات البلاط والخليفة ، وقد ادى ذلك الى عقد قروض مع التجار الرأسماليين ، وتضمين الولايات لكبار التجار ، او لبعض الاسر الغنية ، وقد قدم بعض الوزراء آراء اقتصادية للقضاء على الازمـات المالية . فقـد رأى علي بن عيسى تخفيف النفقات لاصلاح مالية الدولة ، ولكنه حين بدأ بتنفيذها شعر بأنه اصبح بعيدا عن قلوب رجال القصر والحاشية وغيرهم وتعرض لسوء ادبهم فاستعفى [٧٣] .

ـ وعلى الرغم من ضعف الخلافة العباسية بصورة عامة في هذا العصر فقد تقدم العلم والادب عما كانا عليه من قبل . ذلك ان حركة الترجمة التي بدأت في الدور الاول ونقلت ذخائر الامم المختلفة ، قد نضجت . وأخذ المسلمون يتفهمون هذه المؤلفات ويشرحونها ، يهضمها البعض ، يبتكر فيها ويزيد عليها .

وفي عصر نفوذ الاتراك ، بدأ استقلال بعض الاقطار الاسـلامية عن مركز الخلافة واصبح مركز كل دولة مكانا هاما للعلم والادب . فقد اخذ امراء هـذه الاقطار يكرمون العلماء والادباء ليستقطبوا اليهم هذه الفئة ويفاخروا أمـراء

---

(٧١) ـ انظر ابن طباطبا : المصدر السـابق ، ص ٢٣٨ ـ ٢٤٧ ـ ٢٥١ ـ ٢٥٤ ـ ٢٥٧ ـ ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٩ .

(٧٢) ـ ابن العميد : تاريخ المسلمين ، طبعة ليدن ١٠٣٤ ، ص ٢٠٣ .

(٧٣) ـ انظر مسكويه : تجارب الامم ، جزء ١ ، ص ٢٨ ـ ٢٩ ـ وانظر الصابىء : الوزراء والكتاب ، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧ ـ حسام قوام السامرائي : المؤسسات الادارية في الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧ ـ ٣٣٤ ، ص ١١٦ ـ ١١٧ .

الاقطار الاخرى في الثروة العلمية والادبية • كما يتفاخرون بعظمة الجند وعظمة المباني ، وهكذا انتشرت وتعددت مراكز العلم والادب . وبدأت المنافسات والمفاخرات والمساجلات بين علماء قطر وآخر • ولم تكن هذه الظاهرة تقتصر على الامراء الذين يحسنون العربية • بل تعدى ذلك الى امراء الاتراك الذين لايجيدونها • ومما يذكر في هذا المجال : ان بجكم التركي وكان بواسط استدعى الصولي اليه من المسجد • فتهكم البعض عليه بسبب ذلك لانه لايجيد العربية • فدافع عن نفسه قائلا : انا انسان ، وان كنت لا احسن العلوم والآداب ، احب ان لايكون في الارض اديب ولا عالم ولا رأس في صناعة ، الا كان في جنبي وتحت اصطناعي ، وبين يدي لايفارقني [٧٤] •

يتضح من هذا أنه ليس من الضروري ان تترافق سوء الحالة السياسية مع انحطاط العلم والادب • فقد يحمل الظلم كثيرا من عظماء الرجال وذوى العقول الراجحة ان يفروا من العمل السياسي الى العمل العلمي ، لانهم يجدون العمل السياسي يعرضهم لمصادرة اموالهم ، واحيانا الى ازهاق ارواحهم • على حين ان العمل العلمي يحيطهم بجو خاص هادىء • ويبدو أن الخلفاء والامراء جعلوا للعلماء حرمة ، ولم يتعرضوا لهم طالما لم يتعرض هؤلاء للسياسة • مما ادى الى قيامهم بأبحاثهم العلمية في هدوء وطمأنينة [٧٥] •

ـ كان عصر سيطرة الاتراك بداية ظهور نظام الاقطاع العسكري • فقد اقطع هؤلاء اكثر أعمال السواد ، فتمسك الرابحون منهم بما حصل في أيديهم من اقطاعاتهم ورد الخاسرون اقطاعاتهم فعوضوا عنها • فصار القانون المتبع أن يخرب الجند اقطاعاتهم ثم يردوها ، ويعتاضوا عنها من حيث يختارون • واقتصر المقطعون على تدبير نواحيهم بغلمانهم ووكلائهم • وبذلك كانت الاراضي العامرة تتحول الى خراب وأدى ذلك الى فساد الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية [٧٦] •

---

(٧٤) ـ الصولي : اخبار الراضي والمتقي ، ص ١٩٥ •

(٧٥) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٩٦ •

(٧٦) ـ مسكويه : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٩٧ ـ ٩٨ ـ ٩٩ •

الفصل الثاني

الصراع الاجتماعي والسياسي والديني ـ المذاهب الاسلامية

ان التغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي تبدت بشكل ظاهر في عصر سيطرة الاتراك ، ادت الى نشوء حركات اجتماعيـــة متعددة ، وبروز تيارات دينيـــة مختلفة . فقد بدأ الفساد والانحلال يدب تدريجيا في جسد الخلافة العباسية منذ نهاية الربع الاول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وبدأت الخلافـة العباسية تفقد سيطرتها على اجزاء كثيرة من امبراطوريتها الواسعة . فأدى ذلك الى حدوث حركات انفصالية وقيام دويلات جديدة [1] . وبالاضافة الى ذلك فان هذا القرن تميز بميزات أخرى منها اهتمام الكثيرين بالزراعة والتجارة ، وبشكل خاص الزراعة الواسعة والتجارة الكبيرة الرابحة . مما نتج عنه قيام طبقة مـن أصحاب الثروات العريضة ، وقيام ملكية زراعية واسعة ، الى جانب طبقة كبيرة جدا من الفقراء [2] .

وتتيجة لهذا التمايز الطبقي الذي ظهر في هذه الفترة ، وتتيجة لكون أصحاب الملكيات الكبيرة اما من الحاشية او من المقربين الى البلاط . فان جباة الضرائب المختلفة كانوا يتغاضون عن جزء أو كل الضرائب المستحقة على كبار الملاك . في

---

(١) ـ انظر فيما سبق .

(٢) ـ فيصل السامر : ثورة الزنج ، ص ٢٦ .

حين تعرض صغار الفلاحين الى قسوة هؤلاء الجباة ، فأخذوا يلجئون [٣] اراضيهم الى كبار الملاك كوسيلة للتخلص من قسوة العمال وعبث الجباة [٤] • وبازدياد الملجئين اضطرت الخلافة الى انشاء ديوان للضياع ، ونتج عن ذلك تحول الملجئين الى مستخدمين في الارض بينما اصبح الملجأ اليه مالكا لها [٥]• وهكذا أدى الجاء الاراضي الى كبار الشخصيات مع انتعاش التجارة الى انتشار الملكيات الفردية الواسعة على حساب صغار الفلاحين ، مما دفعهم الى التذمر • وشعر هؤلاء المتذمرون من العرب والفرس بضرورة التكاتف فيما بينهم لمواجهة وضعهم السيىء امام الملاك الذين تعاونوا بدورهم بدافع المصلحة المشتركة •

حين كان الوضع الاقتصادي للخلافة الاسلامية يسير بهذا الاتجاه بدا الضعف على خلفاء العباسيين وتسلط عليهم الاتراك • فقتل اربعة من الخلفاء على أيديهم في خلال تسع سنوات من سنة ٢٤٧ ــ ٢٥٦ هـ / ٨٦٢ ــ ٨٧٠ م • ولم يكن هذا فحسب بل ان الصغار كانوا يسخرون بأعمال الكبار • واذا اضفنا الى ذلك ان القرن الثالث الهجري شهد حركة فكرية واسعة ومتطورة أدت الى تحرير الفكر وشعور الانسان بكرامته وحقه في الحياة الحرة الشريفة ، لادركنا الاسباب التي أدت الى الصراع بين الفئات التي يتألف منها المجتمع • وخاصة وأن المستغلين من العناصر كافة شعروا بضرورة التكاتف فيما بينهم لمواجهة هذه الاوضاع والوقوف بحزم امام كبار الملاك •

١ ــ حركة الزنج :

اطلق هذا الاسم على الثورة التي قامت في جنوب العراق في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، ودامت مايزيد عن اربع عشرة سنة ، وهي الحركة التي

---

(٣) ــ الالجاء : هو تسجيل صاحب الملكية الصغيرة مايملكه باسم احد كبار الشخصيات على اتفاق بينهما باخذ جزء من المحصول وذلك نظير حمايته من عبث جباة الخراج .

(٤) ــ محمد عبد الفتاح عليان : قرامطه العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ص ٢٣ .

(٥) ــ الجهشياري : الوزراء والكتاب ، ص ١١٨ . ويبدو مما ورد في هذا الكتاب ان قضية الالجاء ليست وليدة عصر سيطرة الاتراك ، بل وجدت منذ عصر الخليفة المنصور .

قام بها جماعة من الزنوج [٦] كانوا يكسحون السباخ في الاراضي قرب البصرة . كان هؤلاء ملكا لأصحاب هذه الاراضي يعملون في الارض فيعزقونها ويرفعون عنها الطبقة المالحة ليصلوا الى الارض الخالية من الاملاح الصالحة للزراعة . وكان هذا العمل شاقا ، والمعيشة العامة لهؤلاء متدنية . فهم لا يتقاضون اجرا عن عملهم ويقتاتون بقليل من الدقيق والتمر والسويق ، وبالتالي فانهم كانوا مستعدين لتلبية دعاة التحرر الاجتماعي [٧] .

لقد سلطت الاضواء على هذه الثورة التي هددت أمن المنطقة من قبل المؤرخين على انتماءاتهم كافة ، وعلى الرغم من كل الدراسات المقدمة في هذا المجال ، فان الدارسين لم يصلوا الى حقائق ثابتة عن معتقدات صاحب الزنج . وما يذكر في هذا المجال هو أن علي بن محمد صاحب الزنج وهو من اهالي الطالقان . تمكن من استغلال الظروف الاقتصادية والاجتماعية الى حد كبير فادعى أنه من ولد علي زين العابدين ، كما ادعى ادعاءات أخرى ليثبت مركزه ويزيد في عدد انصاره . فهو الى جانب ادعائه النسب العلوي ، قد تمسك بالمبادىء الديموقراطية الخارجية اعتقادا منه انها تلائم اتجاهات المساواة والديموقراطية التي يتطلع اليها العديد من افراد الطبقة الدنيا . وفوق كل ذلك فانه ادعى علم الغيب ، وانتحل النبوة . وزعم ان له آيات عرف بها ما في ضمائر أصحابه [٨] ، وبالتالي فانه تمكن من ان يضم اليه هؤلاء الزنوج . بالاضافة الى العبيد الفارين من القرى والمدن المجاورة تخلصا من سوء حالتهم [٩] .

بدأ علي بن محمد يدعو لنفسه بين الفئات الفقيرة . فتنقل في بداية الامر بين أهالي هجر والبحرين والعراق واقام سنة في بغداد . ثم استقر به المقام اخيرا في البصرة سنة ٢٥٤ هـ / ٨٦٨ م حيث نزل في بني ضبيعة ، فاتبعه جماعة كبيرة منهم ،

---

(٦) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٤١٠ .

(٧) ـ الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص ٧٦ ـ ٧٧ .

(٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ص ١٧٦ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٠٧

(٩) ـ الدوري : المرجع السابق ، ص ٧٦ ـ ٧٧ .

الا ان قوة والي البصرة محمد بن رجاء الحضاري في ذلك الوقت أجبرته على ترك البصرة ، فالتجأ الى بغداد ، ولكنه لم يكف عن دعوته • وساعدته الظروف بالعودة الى البصرة بعد سنة من خروجه منها ، وذلك بعد عزل ابن رجاء ، ونشـــوب ثورة فيها • وحين دخلها أخذ يدعو الى نفسه بين الفئات المستضعفة ، ويعدهم التحرر، فالتف حوله عدد من المظلومين ، ادعى فيهم بأنه ملهم ، وانه تتنزل عليه الآيات ، ويبدو انه كان يبث اعوانه بين هذه الفئات ليعلم اخبارهم • ثم يسردها لهم مدعيا الغيب • وقد أخذ نجمه يلمع منذ ان استطاع استمالة بعض غلمان البصرة الذين اقبلوا عليه لمبادئه في تحرير العبيد والفقراء ، فوعدهم بأن يقودهم ويملكهـــم الاموال اذا وقفوا الى جانبه وقفة قوية حازمة • وحلف لهم الايمان بأن لا يغدر بهم ولا يخذلهم ولا يدع شيئا من الاحسان الا آتى به اليهم [١٠] وقد نفذ وعوده حين سمح لهؤلاء بضرب سادتهم الذين جاؤوا لمفاوضة صاحب الزنج لردهم [١١]، مقابل خمسة دنانير عن كل منهم [١٢] •

كانت حركة صاحب الزنج في بادىء الامر حركة ضد كبار الملاك ، ثم تطورت فصارت حركة ضد الدولة • لان الخلفاء والولاة ظالمون ينتهكون حرمة الله [١٣] • فسمح صاحب الزنج لرجاله القيام بسلب السلاح والاموال لاستخدامها في قتال اعدائهم ، وان من يأسر رجلا يصبح عبدا له ،وبذلك تحولت جموع هؤلاء الى قوى مسلحة ، واستطاعوا ــ بما بذلوا من جهد وبما قدموا من تضحيات ــ الانتصار على جيوش الخلافة العباسية • وتملكوا الابلة وعبادان والاهواز ثم البصرة وواسط والنعمانية ورامهرمز ، كما انهم اغتنوا ماليا • واصبح هؤلاء الزنوج يملكـــون البيض من السادة • وقد جاء في المسعودي [١٤] ان صاحب الزنج كان ينادي على المراة من ولد الحسن والحسين والعباس من ولد هاشم وقريش وغيرهم من سائر

(١٠) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩

(١١) ـ حسن ابراهيم حسن التاريخ السياسي ، جزء ٣ ، ص ٢١٠ نقلا عن نولدكه .

(١٢) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٢٠٩

(١٣) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٧٠

(١٤) ـ مروج الذهب : جزء ٤ ، ص ٢٠٨ .

العرب ، وابناء الناس ، تباع الجارية منهم بالدرهمين والثلاثة ، وينادي عليها بنسبها . هذه ابنة فلان الفلاني ، لكل زنجي منهم العشرة والعشرون والثلاثون ، يطؤهن الزنج ، ويخدمن الزنجيات كما تخدم الوصائف . ولقد استغاثت الى علي ابن محمد امرأة من ولد الحسن بن علي بن أبي طالب كانت عند بعض الزنج ، وسألته أن ينقلها الى غيره من الزنج أو يعتقها مما هي فيه . فقال هو مولاك وأولى بك من غيره .

وهكذا انقلب الوضع في هذه الفترة وعاش الزنج عيشة كريمة عزيزة ، بينما لم تدع هجمات الزنج لاهالي البصرة مايعيشون منه . ووقع الرعب في نفوسهم ، وقتل منهم اعداد كبيرة . واستخفى من سلم من اهل البصرة في آبار الدور. فكانوا يظهرون ليلا ، ويطلبون الكلاب فيذبحونها ويأكلونها ، ويأكلون الفئران والسنانير ، وصار اذا مات الواحد منهم أكلوه (١٥) .

دامت هذه الثورة أربع عشرة سنة نشب خلالها قتال مرير بين صاحب الزنج وجيوش الخلافة العباسية ، التي ارسلت الجيوش لمتابعة قمع هذه الحركة التي هددت طرق التجارة بين بغداد والجنوب ، وأفسدت الزراعة وأضعفت الاقتصاد .

وقد وضع الخليفة المعتمد على الله في يد آخيه الموفق كل امكانيات الخلافة ليعد الجيوش على النحو الذي يريده . فبنى الموفق قلعة تواجه مدينة المختارة التي كان صاحب الزنج قد اتخذها عاصمة له ، واقام كل فريق يرابط ضد الفريق الآخر . وفي آخر الامر كانت الغلبة للجيش العباسي الذي أباد الزنج قتلا وأسرا . وقتل صاحب الزنج ودمرت مدينته ؛ وانتهت هذه الحركة بعد ان ذهب ضحيتها مليونان ونصف من الفريقين في رواية ابن طباطبا (١٦) ومليون ونصف في رواية السيوطي .

---

(١٥) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ١٣٥

(١٦) ـ المصدر السابق ، ص ٢٥١

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

٢ ـ حركـة القرامطـــة :

آ ـ ظهور قرامطة العراق والشام :

اختلف المؤرخون في نشأة هذه الحركة وموطن انطلاقها الاول . كما اختلفوا حول مؤسسها ، ومتى كانت . ومايعـــرف عنهم هو أنهم طائفـــة من طوائف الاسماعيلية . دانوا بالمذهب على يد دعاة المذهب الاسماعيلي (١٧) . ولم يجتمع رأي المؤرخين حول هذه التسمية . ويذكر الطبري عن ظهور القرامطة ، ان ابتداء أمرهم كان على يد رجل قدم من بلدة خوزستان الى سواد الكوفة . ونزل فـــي موضع يقال له النهرين ، وانه عرف باسم كرميته لاسباب يختلف حولها المؤرخون. وهنا تظاهر بالزهد والورع والتقشف ، وحدث اصحابه عن ذلك وعن الصـــلاة وفرائضها . ثم اعلمهم بانه يدعو الى امام من أهل البيت . فالتف حوله جمع كبير من الناس ، اتخذ منهم اثنى عشر نقيبا ، أمرهم ان يدعوا الناس الى دينهم (١٨) . وقد استدعى نشاطه هذا انتباه رجل اسمه الهيصم ، من كبار الملاك . فسعى الى القضاء على الحركة في المهد ، ففشل . وفي هذه الآونة كانت ثورة الزنج قائمـــة نشيطة في منطقة البصرة ، فذهب قرمط الى صاحب الزنج فناظره . ولما وجد آراءه تختلف عن آرائه ، تركه وانصرف . ويقال بأنه خرج الى الشام فلم يعرف لـــه خـــبر (١٩) .

واذا اردنا ان نحـــلل اسباب ظهور القرامطـــة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي لوجدناها متشابهة مع اسباب قيا محركة الزنج ، وتعود الى سوء الاحوال الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة .

استغل حمدان قرمط الفئات المتضررة من سوء الاوضاع غاية الاستغلال ،

---

(١٧) ـ انظر حول ذلك دي خويه : القرامطة نشأتهم دولتهم وعلاقاتهم بالفاطميين ، ترجمة وتحقيق حسني زينة ، ص ١٥ ـ ٣٠

(١٨) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٢٣ ـ ٢٤

(١٩) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٢٤ ـ ٢٥

ونادى بمبادىء تقبلتها • قام أول الامر بنشر الدعوة الاسماعيلية في سواد العراق، واعتمد على صهره عبدان الذي كان من أكبر من نشر الدعوة • وصادفت الدعوة الاسماعيلية على يد عبدان كثيرا من النجاح • حتى ان أبا سعيد الجنابي مؤسس دولة القرامطة في البحرين وزكرويه بن مهرويه زعيم قرامطة شمالي غربي بلاد العراق وبادية السماوة قد أخذا عنه [٢٠] •

وقد حدث صراع بين زعماء القرامطة في العراق حول رئاسة الطائفة بعد حمدان قرمط • فعلى حين كان عبدان عقل القرامطة المفكر ، كان آل زكرويه يشعرون بأصالتهم في الدعوة وانتهت المنافسة لصالح زكرويه وقتل عبدان [٢١] •

تلقى القرامطة في اثناء رئاسة زكرويه ضربات متتالية من الخلافة العباسية في العراق منها تلك الضربة التي وجهت اليهم في نواحي الكوفة سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ / م [٢٢] • وعلى الرغم من ذلك فلم يكف القرامطة عن نشاطهم ، وزاد انتشارهم بشكل واضح في سواد الكوفة • الا ان الخليفة المعتضد كان قد وطد عزمه على استئصال شأفتهم في هذه المنطقة • فوجه اليهم عدة حملات تمكنت من قتل اعداد كبيرة منهم •

فكر زكرويه بن مهرويه بتوجيه نشاط القرامطة الى بلاد الشام ليوسع منطقة دعوته وليضم عناصر جديدة اليها ، مستفيدا من التفكك السياسي فيها • ولمعرفة أهالي الشام بالدعوة الاسماعيلية التي كانت قد تسربت اليهم بشكل عام من سلمية ولحمل المهدي على الموافقة على توليتهم (آل زكرويه) لرئاسة الدعوة [٢٣] •

اسند القرامطة في الشام رئاستهم في بادىء الامر الى يحيى بن زكرويه المعروف (بالشيخ) • فأخذ يدعو الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ،

---

(٢٠) ـ دي خويه : المرجع السابق ، ص ٣٦ نقلا عن ابن حوقل المسالك والممالك ، ص ٢١٠

(٢١) ـ هناك اسباب اخرى يذكرها دي خويه عن سبب مقتل عبدان انظرها في المرجع السابق ، ص٥٧

(٢٢) ـ محمد عبد الفتاح عليان : قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، ص ٨٩ـ٩٠

(٢٣) ـ عليان : المرجع السابق ، ص ٨٧

وتظاهر بالقدرة على اتيان المعجزات . وقد استغوت ادعاءاته بني العليص فخذ من كلب [٢٤] ، وكذلك جماعات كثيرة بجوار دمشق [٢٥] .

اشتد أمر القرامطة بعهده في بادية الشام ، وأخذوا يفسدون في المناطق والقرى التي حولهم فنهضت القوى الاسلامية المسؤولة للدفاع عن الشام كالطولونيون وولاتهم ففشلوا في ذلك على الرغم من قتلهم ليحيى زعيم القرامطة على أبواب دمشق . ثم تولى الخليفة المكتفي هذا الامر ، وارسل الجيوش الواحد تلو الآخر حتى تمكن من الانتصار على القرامطة [٢٦] . فأسر اعدادا كبيرة منهم ، كما أسر الحسين بن زكرويه ، وفر من بقي الى البادية [٢٧] . وعلى هذا الشكل ضعف أمر القرامطة في الشام لقتل اكثر زعمائهم واستئمان البعض الآخر . الا أن زكرويه الذي كان مختبئا ، واصل تحركه ضد العباسيين وبعث بدعاته الى بلاد الشام ثانية . حيث تركزوا في صحراء السماوة ، وهاجموا مدن الاردن ونهبوا هيت على الفرات ، وهاجموا الكوفة ، ونهبوا قوافل الحجاج وفتكوا فيها . واستمروا في نشر الذعر والرعب بين السكان حتى سنة ٢٩٤ هـ / ٩٠٦ م حيث قضت عليهم جيوش العباسيين [٢٨] .

---

(٢٤) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٣٥ ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٦ ـ ١٠٤ ـ العيون والحدائق ، جزء ٤ ، قسم اول ، ص ١٠٨

(٢٥) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ١٠٤
عليان : المرجع السابق ، ص ٩٤

(٢٦) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ١١١

(٢٧) ـ ثابت بن سنان وابن العديم : المصدر السابق ، ص ٧٦

(٢٨) ـ انظر عن ذلك المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ٣٧٣ وما بعدها ـ عريب بن سعد : المصدر السابق ، ص ١٠ وما بعدها ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٢ ومابعدها ـ ثابت ابن سنان وابن العديم : المصدر السابق ، ص ٢٦-٢٧-٢٨ و ص ٨١ ـ عليان : المرجع السابق ، ص ٩٩ وما بعدها ـ عارف تامر : القرامطة أصلهم نشأتهم تاريخهم حروبهم ، ص ١٠٥ وما بعدها .

ب ـ قرامطة البحرين :

كان ابتداء امر القرامطة في البحرين ان رجلا يعرف بيحيى بن المهدي قصد قطيف فنزل على رجل يعرف (علي بن المعلى) ، فأظهر له يحيى انه رسول المهدي. وذكر انه خرج الى شيعته في البلاد يدعوهم الى أمره ، وأن ظهوره قد قرب • فأخبر علي بن المعلى الشيعة من اهل القطيف بالامر ، وقرأ عليهم الكتاب الذي مع يحيى ، فأجابوه واعلموه بأنهم خارجون معه اذا ظهر أمره • ووجه الى سائر قرى البحرين بمثل ذلك فأجابوه • وكان فيمن أجابه ابو سعيد الجنابي (الحسن بن بهرام) الذي تسلم رئاسة الدعوة ، وأخذ يعمل على نشرها بالبحرين (٢٩) منذ سنة ٢٨٣ هـ / ٨٩١ م • وقد وجدت تعاليمه مرعى خصيبا لدى الاهالي ، وعلى الاخص الاعراب الذين كانوا دائما على استعداد للانضمام الى أي حركة ثورية مادامت تبيح لهم فرصة السلب والنهب • واتخذ الجنابي مدينة الاحساء عاصمة لدولة القرامطة الجديدة التي اسسها سنة ٢٨٦ هـ • واستطاعت هذه الدولة القرمطية من بسط سلطانها على كثير من ارجاء جزيرة العرب •ففتح اليمامة وتطاول الى عمان ولما طمع بدخول مدينة البصرة اصطدم مع قوات الخليفة العباسي المعتمد سنة ٢٨٧ هـ / ٩٠٠ م وانتصر عليها • كان الحكم وراثيا في أسرة أبي سعيد يعاونه مجلس يتكون من اثنى عشر عضوا (٣٠) • كما وضع أبو سعيد نظاما حربيا دقيقا لدولته استطاع بمقتضاه اعداد جيش قوي من رعاياه • فقد جمع الاطفال في دور خاصة ، وعين لهم جماعة تشرف على مصالحهم • وأجرى عليهم مايحتاجون اليه وأخذ يدربهم على ركوب الخيل ، واستخدام الاسلحة الحربية فنشأوا نشأة عسكرية •

اصطدم أبو سعيد نتيجة لمطامعه التوسعية في جزيرة العرب وغيرها مع [illegible] العباسيين وجرت بينهما حروب متعددة تمكن أبو سعيد اثرها من بسط

---

(٢٩) [illegible] دي خويه : المرجع السابق ، ص ٤٠ ومابعدها .

(٣٠) [illegible] : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، ص ٣١

نفوذه على معظم أرجاء جزيرة العرب [٣١] • ومالبث أن اغتيل سنة / ٣٠٢ هـ على يد خادم له كان قد ضمه الى جيشه من الجيش العباسي بعد ان وثق به • وخلفه ابنه سعيد الذي ظل يدير أمور دولة القرامطة حتى ثورة ابي طاهر سليمان أخيه الاصغر الذي قتله ، وتقلد زمام الحكم في دولة القرامطة • حصل أبو طاهر على كتاب توليته من عبيد الله المهدي ، مما يثبت لنا ولاء القرامطة في البحرين للخلافة الفاطمية ببلاد المغرب • ويزيد هذا الامر رسوخا ، اتحاد الطرفين في سياسة العداء ازاء العباسيين • فقد عمل ابو طاهر على اشغال العباسيين في الشرق بحملاته التي وجهها الى بلادهم ، حتى يتيح للمهدي توطيد نفوذه في المغرب • فهاجم البصرة والكوفة مرات متعددة ، وكاد في سنة ٣١٦ هـ / ٩٢٩ م ان يدخل بغداد [٣٢] • كما انه قام في العام التالي بحملة جريئة فأغار على مكة في ذي الحجة سنة ٣١٧ هـ في عدد من اصحابه ، وغايته اظهار الخليفة العباسي بمظهر العاجز عن حماية الاماكن المقدسة • فنهب الحجاج وقتلهم في المسجد الحرام ، كما انه قلع باب البيت وقبة زمزم والحجر الاسود ، وأخذ كسوة الكعبة ففرقها بين اصحابه • ونهب دور أهل مكة وخطب للمهدي • وفرض على الحجاج اتاوة يؤدونها اليه مقابل حمايتهم • ثم عاد الى الاحساء حاملا معه الحجر الاسود [٣٣]•

حافظ القرامطة طوال النصف الاول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي على علاقتهم الودية مع الفاطميين في بلاد المغرب • وكان تعيين أمراء القرامطة يتم بعد موافقة الخليفة الفاطمي • وكان لتعاون القرامطة والفاطميين في نشر آراء المذهب الاسماعيلي أكبر الاثر في صعود نجم العلويين بالقرن الرابع الهجري • على حين بدأ أمر العباسيين بالضعف • وبسط الفاطميون سلطانهم على مصر والشام وكثير من انحاء جزيرة العرب •

---

(٣١) ـ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ٢١٨

(٣٢) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ص ٢٤٢

(٣٣) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٨٩ ـ سرور : النفوذ الفاطمي ، ص ٣٥ نقلا عن ابن الاثير •

وفي النصف الثاني من القرن الرابع الهجري حدث نزاع بين أفراد اسرة أبي طاهر على العرش ، فقبض سابور بن ابي طاهر على عمه أحمد بن أبي سعيد الملقب بأبي المنصور سنة ٣٥٨ هـ وسجنه • غير انه مالبث ان خرج من اعتقاله وقتـل سابور ونفى اخوته واشياعه الى جزيرة أوال ، وانقسم القرامطة بسبب ذلك الى فريقين احدهما بزعامة بيت ابي طاهر ، وثانيهما بزعامة بيت أحمد بن أبي سـعيد وعلى رأسه ابنه الحسن الملقب بالاعصم الذي آلت اليه امارة البحرين بعد وفـاة أبيه سنة ٣٥٩ هـ (٣٤) •

اتبع الحسن بن احمد الاعصم سياسة جديدة ازاء الفاطميين تخالف سياسة من سبقه من أمراء القرامطة الذين كانوا يحرصون على استمرار العلاقات الودية بينهم وبين الخلفاء الفاطميين • فلم يعترض اثناء وجوده في مكة على اقامة الخطبة للخليفة العباسي المطيع • ولم يلبث أن اصبح محاربا للفاطميين وراغبا في القضاء عليهم • فطالب الفاطميين بالاتاوة التي كان يدفعها الاخشيديون للقرامطة في الشام فرفض القائد الفاطمي أداءها اليه ، واسفر ذلك عن وقوع صدامات مسلحة بين الفاطميين والقرامطة • وأضاف الاعصم بحذف اسم المعز من الخطبة في بـلاد البحرين واقامها للخليفة العباسي المطيع (٣٥) •

واذا كان الخليفة العباسي قد رفض مخالفـة الحسن الاعصم وجماعتـه القرامطة ، لانهم في رأيه ملاحدة خارجون على الاسـلام (٣٦) فان بني بويـه المتسلطين على الحكم في بغداد امدوهم بالاموال ، كما قدم الحمدانيون لهـم الحديد والمال (٣٧) •

قامت الخلافات الداخلية بين قرامطة بلاد البحرين بعد وفاة الحسن بـن أحمد ، سنة ٣٦٧ هـ وانكر قسم كبير سياسة القرامطة المعادية للفاطميين • وعمل

---

(٣٤) ــ سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٤٨

(٣٥) ــ سرور : سياسة الفاطميين الخارجية ، ص ٤٩ ــ ٥٠

(٣٦) ــ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٨٩

(٣٧) ــ المقريزي : اتعاظ الحنفا ، ص ١٣١ ــ ١٣٢

اتباع ابي طاهر على اقصاء ولد ابي سعيد عن الامارة ، ثم استقر الرأي علـى أن يتولى الحكم في بلاد البحرين اثنان من سادتهم ، وهما جعفر ، واسحق ، فأعـادا ثانية الدعوة الفاطمية ، وأخذا في محاربة بني العباس ، ولكنهم انهزموا على يد صمصام الدولة أمير بني بويه في سنة ٣٧٥ هـ واخرجوا من العراق •

ضعف أمر القرامطة منذ اواخر القرن الرابع الهجري حتى لم يبق لهم الا ولاية صغيرة على الشاطىء الشرقي للجزيرة العربية ، لا تستطيع قطع الطريق علـى الحجاج ، وأدى التنافس بين ساداتها الى التعجيل باضمحلال دولة قرامطة البحرين وزوالها في نهاية القرن الرابع الهجري •

جـ ـ الوضع الاجتماعي عند القرامطة :

ذكر ابن الجوزي [٣٨] نصا اوضح فيه الفئـات التي دخلت في الدعـوة القرمطية فذكر ان هذه الفئات اما ان تكون من ضعفاء العقول والبصائر الذيـن غلبت عليهم البلادة والبله ، ولم يأخذوا شيئا من العلوم • وأما ان يكونوا مـن ملاحدة الثنوية الذين اعتقدوا ان الشرائع ليست الا معجزات أتى بها الانبياء فاذا رأوا من يعطيهم شيئا من اغراضهم مالوا اليـه • ويذكر من هؤلاء الاكاسـرة والدهاقين وأولاد المجوس • ويرى ان انضمامهم الى القرامطة كان بسبب الحقد الذي يسكن في صدورهم •

سار القرامطة في تعميق نفوذهم في المناطق التابعة لهم على سياسة فرق تسد فاستغلوا الاوضاع الاجتماعية ، واعتمدوا على الطبقة الفقيرة الحاقدة ، وأثاروها ضد الاثرياء • وأدى ذلك الى حدوث اضرابات في بادية السماوة وفي مناطـق اخرى في الشام • فحمل موالي بني العليص على اسيادهم فقتلوا جماعة منهـم وأذلوهم [٣٩] • وتمكن القرامطة بذلـك من التأثير بشكل كبير على الحيـاة الاجتماعية في بلاد الشام •

---

(٣٨) ـ عليان : المصدر السابق ، ص ٩٢ نقلا عن ابن الجوزي
(٣٩) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ـ ص ٩٥

رتب القرامطة نظاما ماليا اشتراكيا ساعد على نجاح هذه الحركة . فكان من مبادىء القرامطة ان يؤدي افرادها ضرائب محددة عينية في كل سنة . ثم يدفع هؤلاء خمس ماكانوا يملكون او يكسبون [٤٠] ويبدو أنهم تنازلوا عن خمس مايملكون ثم دفعوا خمس مايكسبون . ويقال بأن اهل القرى كانوا يحملون مايملكون فاذا جمع جعل مشاعا بين الاعضاء ، وتولى توزيعه رجل من بينهم يثقون به . اذ أوضح قرمط لاصحابه انهم لاحاجة بهم الى الأموال ، لأن الأرض بأسرها ستكون لهم [٤١] .

كان القرامطة لايقرون بوجود طبقات متميزة واخرى محرومة في المجتمع ؛ فأفراد اسرة ابي طاهر الجنابي لم يكونوا يمتازون عن غيرهم من الوزراء أو أعضاء المجلس الاداري المعروف عندهم بالعقدانية الا في قيادة الجيش ورئاسة مجلس الوزراء ، والاشراف على بعض الاعمال الثانوية مما كانت تقتضيه ضرورة التنظيم وحسن الادارة . وكانت السلطات من تشريع وادارة وتنفيذ محصورة في اعضاء مجلس العقدانية المؤلف من ستة افراد يختارهم الشعب . وكان لهؤلاء وكلاء يساعدونهم وينوبون عنهم .

اما عن ملكيه الارض فلا تتوفر معلومات عما آلت اليه . ومن المرجح ان القرامطة لم يلجأوا الى نزع الاراضي من أيدي أصحابها . وكان هؤلاء يقرضون صاحب كل حرفة مايحتاجه من المال حتى يشتغل ، ويجمع من المال مايكفيه ويكفي اسرته . كما كانت الحكومة تقدم المساعدات لمن تحل بهم مصيبة او كارثة . وقد ضرب القرامطة نقودا خاصة بهم في البحرين من الرصاص لم تكن متداولة الا في منطقتهم ، ومن المرجح انها سكت من الرصاص كي لايطمع احد بجمعها واخراجها.

---

(٤٠) ـ المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفاء ، ص ١٠٤ ـ ١٠٥

ـ دي خويه : القرامطة نشأتهم دولتهم وعلاقاتهم بالفاطميين ، ترجمة وتحقيق حسني زينة ، ص ٣٤ ـ ٣٥ .

(٤١) ـ النويري : نهاية الارب ، جزء ٢٣ ، ورقة ٦٩ .

ـ دي خويه : المرجع السابق ، ص ٣٥

وقد اسهمت المرأة في المجتمع القرمطي في تحمل الاعباء المالية التي يتطلبها بناء المجتمع ، وادت الضرائب مع الرجل • وكما قدم الرجل خمس مايملكه قدمت المرأة خمس ماتغزل (٤٢) ، وحين يدعو الامر للتبرع تسارع النسوة بتقديم مايملكنه من حلي ومتاع ، وما يحصلن عليه ويتكسبنه من الاشتغال بالغزل (٤٣) • ويبدو ان المرأة اخذت حقها في التنظيم القرمطي واخذت حريتها كاملة ، ولا رقيب عليها غير المصلحة العامة • وبالتالي نجد ان ماقيل عن الاباحية في التنظيم القرمطي لايمكن الاخذ به (٤٤) لما تمتعت به المرأة من احترام في ذلك المجتمع ولما عرف عن قوة الرابطة الزوجية • ومن اهم ماجاء عن المرأة في قوانين القرامطة تحديد الزواج بواحدة ، والغاء المهر ، وحق المرأة في العمل ، وفي التعليم ، وفي الطلاق ، وفي رفض الزواج بتاتا ، واعفاء المرأة من الاعمال الشاقة ، ومنها طحن الحبوب ، واستخدام القرامطة كتعويض لذلك مطاحن تدور بقوة الماء جعلت مجانية ، وذلك لتخفيف الاعباء عن النساء •

وهكذا فانه من خلال دراستنا للحياة الاجتماعية في المجتمع القرمطي ندرك بأن حياة القرامطة في هذا المجال كانت متقدمة ؛ ويبدو كما اوضح الدكتور الدوري في كتابه تاريخ العراق الاقتصادي ان هذا التقدم الاجتماعي كان على حساب الجانب الديني • ويبدو ان القرامطة اعتبروا ان الدين قضية اجتماعية تهدف الى تحقيق العدالة للمجتمع الذي له الحق ان يمارس طقوسه الدينية كيفما اراد • ويبدو ان الخلاف الذي قام بين الفاطميين والقرامطة كان نتيجة للتطرف المادي للحركة القرمطية ، وبقاء الدعوة الاسماعيلية دعوة روحية •

٣ ـ التيارات السنية والشيعية :

برز في هذا العصر التمايز بين المذاهب الدينية المختلفة من سنية وشيعية ،

(٤٢) ـ ثابت بن سنان : اخبار القرامطة ، ص ٩٩
ـ دي خويه : المرجع السابق ، ص ٣٥

(٤٣) ـ النويري : نهاية الارب ، جزء ٢٣ ، ص ٥٨ .

(٤٤) ـ دي خويه : المرجع السابق ، ص ٣٦

وبدأ النزاع في أوجه بينهما • فالخلفاء العباسيون ومن تبعهم سنيون يتعصبون للسنة والفاطميون في شمال افريقيا ثم في مصر والشام شيعة اسماعيلية ، والحمدانيون في ديار ربيعة وبكر ومضر من الشيعة ، وغيرهم ، وكان الخلاف بين الفريقين في نظرة كل منهما الى الخلافة [٤٥] • ولم يكن هذا فحسب بل ان الخلاف شديدا بين الفقهاء بعضهم مع البعض • حتى اصطبغ هذا العصر بصبغة الخلافات الدينية والمذهبية • وسنحاول ان نتحدث بشيء من الايجاز عن هذه الفرق السنية والشيعية والخلافات التي قامت بينهما •

أ ــ الشيعة : الشيعة في اللغة الصحب والاتباع [٤٦] وهم اتباع علي بن ابي طالب ، لان هؤلاء رأوا أن عليا وذريته احق الناس بالخلافة ، وان النبي عهد له بها من بعده •

وان من تولى الخلافة دونه مغتصبون • وواجب شيعته رد الحق لصاحبه ، والعمل سرا وجهرا لتحقيق ذلك ، ويرون ان الامامة ليست من المصالح العامة التي تفوض الى نظر الامة ، ويتعين القائم بها بتعيينهم ، بل هي ركن الدين وقاعدة الاسلام ولايجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه الى الامة • بل يجب عليه تعيين الامام لهم ، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر [٤٧] • وعلى هذه الحال يتضح بان نشوء هذا الحزب ليس جديدا في هذا العصر العباسي ، انما الجديد في الامر هو قوة هذا التيار في هذه الفترة ، وتمكنه من تحقيق جزء من اهدافه • وقد يكون السبب في ذلك هو عدم قيام خلفاء العباسيين بتقريب ابناء عمومتهم من آل علي اليهم • وخاصة بعد اخفاق تجربة المأمون في البيعة لعلي الرضا (علي بن موسى الكاظم) • وقد اتخذ الشيعة في نشاطهم في هذا الدور طابعا ثوريا تارة ، ودعائيا تارة اخرى ، واثمر ذلك عن قيام بعض الدول الشيعية • فقد نجح الشيعة الزيدية باقامة دولة الادارسة في شمالي افريقية منذ الدور العباسي الاول ، كما انشأ هؤلاء

---

(٤٥) ــ أحمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٥

(٤٦) ــ ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٧٥

(٤٧) ــ ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٧٥ ــ ١٧٦ •

دولة في اليمن واخرى في طبرستان (٤٨) • وتشيع الحمدانيون في حلب والموصل ، وقام الفاطميون من الشيعة الاسماعيلية بتأسيس خلافة لهم في شمال افريقيا اولا . ثم امتدت الى مصر وجنوب الشام • وسارت الدعوة الفاطمية قدما الى العراق نفسه • ونجح هؤلاء في السيطرة على بغداد سنة (٤٥٠ هـ / ١٠٥٨ م) (٤٩) •

وقد انضم الى هذا الحزب المخلصون لمبادئه • ثم انضم اليه كل من كره الحكم الاموي ثم العباسي ، وتشيع كثير من الموالي لانهم لم يحظوا بالمساواة في ظل الحكم الاموي ، كما تشيع اكثر الفرس لانهم تمرسوا ايام حكم الدولة الفارسية على تعظيم البيت المالك وتقديسه (٥٠) •

وانقسم الشيعة الى فرق عدة لاختلافهم حول نقطتين (٥١) النقطة الاولى : كانت تتعلق بالامام والنقطة الثانية : تخص المبادىء والتعاليم ، ومن اشهر فرقهم :

آ ـ الامامية الاثني عشرية :

جعل هؤلاء الاعتراف بالامام جزءا من الايمان • فالرسول نص على خلافة علي • وقد انتقلت الامامة منه الى اولاده من فاطمة الى الحسن فالحسين ، ثم الى احفاده من ابناء الحسين حتى الامام الثاني عشر • وهو محمد المهدي الذي اختفى سنة (٢٦٥ هـ / ٨٧٨ م) في سرداب في الحلة (٥٢) ويذكر بعضهم ان الاختفاء كان من سامراء (٥٣) وهم يتبرؤون من ابي بكر وعمر،ويعتبرانهما مغتصبين ظالمين(٥٤)•

---

(٤٨) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٨١ ـ ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ـ وجزء ٤ ص ١١١ـ١١٣

(٤٩) Wiet : op. Cit., p. 230.

(٥٠) ـ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ٣ ، ص ٢٠٩

(٥١) ـ لم يبدأ انقسام الشيعة في هذا الدور ، بل ان ذلك بدأ منذ العصر الاموي ، وتزايد في العصر العباسي •

(٥٢) ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٧٧ •

(٥٣) ـ ذكر ذلك حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ص ٣٥ ولكنه لم يوثق ماكتب وبالتالي فقد رأيت ترجيح ماجاء في مقدمة ابن خلدون من ان الاختفاء كان من الحلة •

(٥٤) ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٧٦ •

اما تسلسل هؤلاء الائمة فهو كما يلي : علي بن ابي طالب ــ الحسن بن علي ــ الحسين بن علي ــ علي زين العابدين ــ محمد الباقر ــ جعفر الصادق ــ موسى الكاظم ــ علي الرضا ــ محمد الجواد (التقي) ــ علي الهادي ــ ابو محمد الحسن العسكري ــ محمد المهدي المنتظر [٥٥] • وهو سوف يخرج آخر الزمان فيملأ الارض عدلا [٥٦] كما ملئت جورا • وهم الى الان ينتظرونه ويسمونه المنتظر • كما يرون بأنه غاب غيبتين : الغيبة الصغرى ــ والغيبة الكبرى ، وقد تبنت الاسرة الصفوية التي حكمت فارس وغيرها منذ سنة (٩٠٧ هـ / ١٥٠١ م) مذهب الامامية الاثني عشرية • وجعلته مذهب الدولة الرسمي • ولما كان محور الاهتمام في هذا المذهب هو الامام ، ولذلك فاننا سنعمل على ايضاح بعض الصفات التي اتصف بها الائمة فمن اولى هذه الصفات :

ــ العصمة : ويقصد بها ان الامام معصوم عن الكبائر والصغائر وهو حافظ للشريعة [٥٧] • وان الايمان بالامام يجب المعاصي [٥٨] • ويتصل بهذه العصمة ماجاء من ان الائمة وسطاء بين الله والناس وشفعاء • وان الاعتقاد فيهم يكفي لمحو السيئات ورفع الدرجات [٥٩] •

ــ الغيبة والرجعة : ومعنى ذلك ان الامام قد يغيب عن انظار اتباعه الا انه لابد ان يرجع • وسموا الامام الغائب بالمهدي المنتظر • وحين يعود يعذب من اعتدى على الائمة وغصبهم حقهم [٦٠] الا ان بعض دعاة هذه الدعوة الجريئين ملوا من انتظار عودة الامام الثاني عشر ، فعملوا على تحقيق آمالهم في ظل امام الاسماعيلية المستور الذي يترقب الفرص المواتية لكي يظهر للناس [٦١] •

---

(٥٥) ــ انظر شجرة النسب في ضحى الاسلام : جزء ٣ ، ص ٢١١ ــ وانظر المقدمة لابن خلدون ص ١٧٩ ــ ١٨٠ •

(٥٦) ــ ابن خلدون : مقدمة ص ١٧٧ ــ ١٧٨ •

(٥٧) ــ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ٣ ، ص ٢٢٧ •

(٥٨) ــ احمد امين : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٢٢ •

(٥٩) ــ احمد امين : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٣٤ •

(٦٠) ــ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٤٦

(٦١) ــ حسن ابراهيم حسن : الدولة الفاطمية ، ص ٣٦

ـ التقية : هي اخفاء مايضمر الانسان مخافة عدوه . فهي مداراة وكتمان ، غايتها ان يحافظ المرء على عرضه ونفسه وماله مخافة عدوه . كما يحافظ بواسطتها على حياة الامام . ولذلك يطلب من الانصار حين البيعة لامام مستور الكتمان . والتظاهر بالطاعة ، ريثما تنضج الثورة ، ويحين الوقت الملائم ويعلنون الخروج ويحملون السلاح في وجه الدولة . وقد فسر هؤلاء كثيرا من اعمال الائمة على انهم فعلوها تقية . فسكوت علي على ابي بكر وعمر وعثمان كان تقية . ومصالحة الحسن لمعاوية كانت تقية . وقد كان الخوارج مخالفين للشيعة اشد الخلاف في هذا الباب . ورأيهم في ذلك لاتجوز التقية بحال من الاحوال ، ولو عرضت النفس والمال والعرض للاخطار (٦٢) .

تعرض أئمة هذه الفرقة للاضطهاد من جانب خلفاء العباسيين ، ماعدا ماكان من المأمون الذي اوصى بولاية العهد للامام الثامن علي الرضا (٦٣) ونهاية علي الرضا مشكوك فيها . ويرى البعض ان المأمون تراجع عن هذه البيعة وانه تخلص من ولي عهده بالسم حين اكتشف بأن كل ماجرى في العراق ، ومبايعة عمه بالخلافة ، انما كان بسبب هذه البيعة . ولوحق هؤلاء في عهد المتوكل ومن اتى بعده . وبالتالي فان مركز هؤلاء قد ضعف ، ولذلك فان قسما منهم التحق بطائفة الاسماعيلية ، وامدها بمشهوري الدعاة الذين كان لهم اثر كبير في تاريخ الاسماعيلية ، مثل ابن حوشب وابن فضل اليمني اللذين قامت الدعوة الاسماعيلية في بلاد اليمن بفضل جهودهما ، وابي عبد الله الشيعي الذي يرجع اليه الفضل في نشر الدعوة الاسماعيلية وتأسيس الدولة الفاطمية في بلاد المغرب .

ومع كل ماتحدثنا عنه عن عدم تحقيق هذه الفرقة لاهدافها ، فانه يمكن القول : بان هذه الفرقة تغلغلت في دوائر الدولة . واصبح عدد من افرادها ضمن موظفيها . وكان هؤلاء الموظفون يعملون ضمن خلايا تتبع لهذه الفرقة ، وكثيرا ماسلبوا بيت المال لصالحها . وانتعشت بانتساب الحمدانيين اليها . وخاصة حين

---

(٦٢) ـ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٤٨ ـ ٢٤٩ .
(٦٣) ـ انظر فيما سبق .

اسس هؤلاء دولة لهم في الموصل • ثم اضافوا اليها حلب ، ونشر هؤلاء معتقداتهم في انحاء الجزيرة وشمال بلاد الشام ، واضافوا الى آذانهم عبارة حي على خير العمل • كما بنى سيف الدولة على ضريح احد ابناء الحسين مشهدا كتب عليه عمر هذا المشهد المبارك ابتغاء لوجه الله وقربة اليه على اسم مولانا المحسن بن الحسن بن علي بن ابي طالب الامير الاجل سيف الدولة ابو الحسن علي بن عبدالله ابن حمدان (٦٤) •

كما انشد شعراؤهم القصائد التي بكوا بها مقتل الحسين • وعلى رأسهم أبو فراس الحمداني (٦٥) • وقد غلب التشيع على اهل حلب بعد سنة (٣٥١ هـ / ٩٦٢ م) بسبب ذلك (٦٦) • ثم قام ناصر الدولة بن حمدان حين تولى امرة الامراء في بغداد بالعمل على بناء مسجد للشيعة الامامية • وكان هو المسجد الرابع لهم وهو مسجد باراثا •

ب ـ الاسماعيلية :

عين جعفر الصادق ابنه اسماعيل خلفا له • ويرى البعض ان اسماعيل توفي قبيل ابيه بخمس سنوات في سنة ١٤٣ هـ / ٧٦١ م ، واستتر في رأي آخرين • فاضطر ابوه الى ان يعطي الامامة الى ابنه الاصغر موسى الكاظم ، ولكن انصار اسماعيل الذين لم يؤمنوا بموته ، ولم يقبلوا بتحويل الامامة عنه ، رأوا بأنه اظهر موته تقية من خلفاء بني العباس • وهكذا انقسم اتباع جعفر الصادق على انفسهم • اذ اختلفوا حول الامام بعد جعفر فبعضهم كان يرى ان الامام بعد جعفر الصادق هو موسى الكاظم (٦٧) • وآخرون يرون ان الامامة يجب ان تكون

---

(٦٤) Canard : Histoire de la Dynastie de Jazira et de Syrie., pp 656-657
Sauvaget : Les perles chaisies - D'Ebn Achihna., pp. 85-88.

(٦٥) ـ ديوان ابي فراس الحمداني جمعه ونشره وعلق على حواشيه سامي الدهان مطبوعات المعهد الفرنسي بدمشق ١٣٦٣ هـ ، جزء ٣ ، ص ٤٢٢ ـ ٤٢٤ ، وص ٣١٥ وص ٤٢٧ •

(٦٦) ـ الطباخ : اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، جزء ١ ، ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ •

(٦٧) ـ حسن ابراهيم حسن وطه شرف : عبيد الله المهدي امام الشيعة الاسماعيلية ومؤسس الدولة الفاطمية ، الازهر ١٩٤٧ ، ص ٣٠ •

في ابنه الاكبر اسماعيل وابنائه من بعده . لان النص لايرجع القهقرى [٦٨] . وانه لوجازت امامة موسى الكاظم فهو امام مستودع [٦٩] . كالحسن بن علي بن ابي طالب الذي لم يورث الامامة لابنائه . وان اسماعيل هو الامام المستقر [٧٠] ، الذي يورث الامامة لابنائه ، وسمي الذين نادوا بامامة اسماعيل وأبنائه من بعده بالاسماعيلية .

ونادى الاسماعيلية بالتأويل ، واهتموا بالمعنى الباطن للقرآن ، فلازمهم بذلك لقب الباطنيه [٧١] وكان للدعوة الاسماعيلية ثلاثة اركان وهم الامام والحجة والداعي [٧٢] . كما استتر الاسماعيلية بعد محمد بن اسماعيل ويمكن تلخيص اسباب هذا الاستتار بما يلي :

ـ اخفاق ثورات الشيعة المتكررة : وتعرض القائمين بها الى القتل والاضطهاد مع انصارهم ، وتتبع العباسيين لهؤلاء للتخلص منهم ، حتى اضطر من بقي منهم على قيد الحياة الى الفرار الى بلاد بعيدة عن مركز الخلافة العباسية . فقد تكفل المنصور ببني الحسن . وانتهت ثورة محمد وابراهيم ابني عبد الله بن الحسن عليه بقتلهما . وسجن المهدي علي بن العباس بن الحسن بن علي بن ابي طالب ، ثم دس اليه السم . وقتل الحسين بن علي بن الحسن في خلافة الهادي . وكانت نهاية يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسين في عهد الخليفة الرشيد غامضة . وسجن الرشيد ابنه محمد حتى مات في السجن . كما تخلص من موسى الكاظم بالسم بعد ان سجنه . ومما يقال عن المأمون انه تخلص من الامام علي الرضا بالسم ايضا ، ولا ننسى اخيرا موقف المتوكل الصارم من الشيعة [٧٣] .

---

(٦٨) ـ الشهرستاني : الملل والنحل ، جزء ٢ ، ص ٢٨ .

(٦٩) ـ الامام المستودع هو الذي يتمتع بالامامة في حياته ، ولا يستطيع ان يحولها الى ابنائه من بعده .

(٧٠) ـ الامام المستقر هو الذي يتمتع بالامامة في حياته ، ويستطيع ان يحولها من بعده الى ابنائه كالحسين بن علي .

(٧١) ـ الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٩ .

(٧٢) ـ دائرة المعارف الاسلامية : مادة الاسماعيلية ، ص ١٩٣ .

(٧٣) ـ عن موقف العباسيين من الشيعة انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٩٠ ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٥ ـ محمد جواد مغنية : الشيعة والحاكمون ، ص ١٤٦ ـ ١٦٤ .

ـ ذهب الاسماعيلية الى ان الامام يجوز له ان يستتر ان لم تكن له قـوة يظهر بها على اعدائه • ومن المرجح انهم نهجوا هذه الطريقة خشية ان يلحق بهم مالحق اتباع طائفة الاثني عشرية من الاضطهاد والقتل •

وقد تمكن الاسماعيلية من الاستفادة من الظروف المحيطة بهم ، فعملوا على استقطاب أنصار الفرق الشيعية الاخرى المضطهدة ، بعد فشل ثورات الشـيعة جميعها التي قامت قبل ذلك وعدم تمكنها من احراز نصر سياسي [٧٤] ، كما انهم و بدو' ان المدينة المنورة غير صالحة لبقائهم خشية انكشاف امرهم • ففر محمد ابن اسماعيل وتوغل في شرقي المملكة الاسلامية ، حيث وضع مـع حجته اسس الدعوة الاسماعيلية ، ولم يمت حتى كانت اسس الدعوة قد وضحت •

ونتج عن استتار الائمة بعد محمد بن اسماعيل نتيجة خطرة ، وهي اختلاف المؤرخين في اسمائهم والتباس الامر حول اسماء الائمة وحججهم • وهذا ماجعل التحقق من شخصية الائمة المستورين امرا متعذرا على الناس سنيين ام شيعيين • كما اصبح من الصعب التفريق بين الحجج والائمة لاتفاق اكثرهم في التسـمية ، اضف الى ذلك ان رؤساء الدعوة في مراكز الدعوة الرئيسية كانوا يختلفون فيما بينهم في ذكر اسماء الائمة حتى كان ذلك من اكبر العوامل في اختلاف المؤرخين حول نسب الفاطميين [٧٥] ، ومن العوامل التي حفظت الائمة المستورين ، وحالت دون التعرض لاشخاصهم [٧٦] •

ومما يدلنا على امعان الائمة المستورين في التخفي ماذكره الداعي ادريس بأن

---

(٧٤) ـ حسن ابراهيم حسن وطه شرف : عبيد الله المهدي ، ص ٢٩

(٧٥) ـ انظر ماكتبه المؤرخون حول نسب الفاطميين في الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر ، جزء ٦ المسمى الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق المنجد ، طبعة القاهرة ١٩٦١ من ص ٤ حتى ١٥ حيث يجمع اقوال المؤرخين الذين سبقوه في نسب الفاطميين .

ـ العيون والحدائق ، جزء ٤ ـ القسم ١ ، طبعة دمشق ١٩٧٢ ص ٢٥١ •

ـ ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٦٤ ـ ٢٥٦ •

ـ البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٧ •

(٧٦) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ٤١ •

استتار الامام كان كظلمة الليل الشديد ، لانه رأى ان الباطـل غلب على الحق ، ولشدة طلب العباسيين لمعرفة هؤلاء الائمة والتخلص منهم • ولم يكن يذكر اسم الامام لاتباع الدعوة • ومن علت درجته كان يعرف اسم الحجة فقط [٧٧] •

ويبدو ان عبد الله بن محمـــد ، او عبد الله الرضي الذي عرف عنـــد الاسماعيلية بالامام عبد الله الاكبر كان اول الائمة المستورين الذين اســتقروا بسلمية ، وذلك ان العباسيين تتبعوه في عهد المأمون ، وتمكنوا من قتل ابنائـــه وفتكوا بعامة اسرته • فهرب مع ولي عهده في الامامـــة ابنه احمد ، وقصــد سلمية [٧٨] • فأصبحت دار هجرة لأئمة الاسماعيلية ، والمركز الرئيسي للدعوة • وادعى عبد الله هناك وليبعد الشبهة عن نفسه بأنه عباسي ، فظل في سلمية موضع الاحترام والتقدير لورعه وتقواه [٧٩] • وكان اختيار عبد الله لهذه المدينة يعود الى موقعها الجغرافي على طريق التجارة العالمية في ذلك الوقت ، بالاضافة الـى اضطراب احوالها •

كان هرب الامام عبد الله بن محمد مفاجــأة لكثير من دعاته الذين لـــم يستطيعوا العثور عليه الا بعد مشقة [٨٠] ، وتوالى ارسال الاموال والذخائر على الائمة من كل بلد من قبل دعاتهم الى سلمية • وتتألف هذه الاموال مما كان يدفعه انصار الاسماعيليـــة ــ والذين يطلـــق عليهم اليماني اسم (المؤمنون) مـــن اخماسهم وبما يتقربون به من الائمة • وكانت هذه الاموال تصل الى دار الامام عن طريق سرداب محفور من القصر الى مسافة اثني عشر ميلا خارجه • حيث يوجد هناك باب مغطى بالتراب ، تدخل منه الجمال باحمالها حتى تصل الدار دون ان يعلم احد بما يجري • وكانت الاموال كثيرة حتى يقال ان المهدي ماكسب بعد أن

---

(٧٧) ــ ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٦٤ ــ ٢٦٥ ــ البغدادي : الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ــ٢٦٧.

(٧٨) ــ محمد جمال سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ١٧

(٧٩) ــ محمد بن محمد اليماني : سيرة جعفر مجلة كلية الاداب ، القاهرة ، جزء ٤ ، مجلد ٢ ، ص ١٠٨

(٨٠) ــ انظر تفاصيل هربه واستقراره في سلمية في النيسابوري : استتار الامام ، ص ٩٣ــ٩٥ .

فتح الله له الا نحوا مما خلف بسلمية (٨١) • وان دل هذا على شيء فانما يدل على مدى انتشار الدعوة لأئمة الاسماعيلية في ذلك الحين • وعلى تفاني أنصارها في دعمها ماديا ومعنويا •

ويبدو أن بداية انتشار المذهب الاسماعيلي في الشام كان قبل هجرة عبدالله ابن محمد الى سلمية واتخاذها موطنا ودار هجرة • ثم توسعت هذه الدعوة بعد تسربها من سلمية • واصبح لهذا المذهب في مدن الشام وباديتها كثير من الانصار والاتباع • وعهد الائمة الى كبار رجال الدعوة بنشر المذهب الاسماعيلي في ارجاء العالم الاسلامي •

ظلت الامور على هذا الشكل ايام الامام الحسين بن احمد بن عبد الله ، الذي استطاع ان يقيم في سلمية آمنا مطمئنا دون أن تناله يد العباسيين • والواقع ان كرم الامام الحسين وبذله الاموال الكثيرة وتفانيه في اظهار حبه للهاشميين ، وتفاني انصاره في طاعته ، كل ذلك ساعد على ذيوع الدعوة في سلمية ثم في غيرها •

ثم انتقلت الامامة في سلمية الى عبيد الله المهدي او عبد الله ، ويبدو ان ظروفا دعت امام الاسماعيلية في سلمية الى تركها • ومن هذه الظروف : ظهور بوادر انشقاق من آل زكرويه بعد قتلهم لعبدان • وابعادهم عن رئاسة الدعوة بالكوفة مما اشعر المهدي بعداوتهم له • ومنها ان ابا عبد الله الشيعي ارسل له يغريه بالذهاب الى بلاد المغرب ، فقد ارسل له وفدا من كتامه فابله في سلمية ووقف منه المهدي على مدى نجاح الدعوة في بلاد المغرب فقرر التوجه اليها • الا انه اخبر انصاره بأنه سيتوجه الى اليمن • وذلك حرصا منه على الا يقع في قبضة العباسيين • واهم هذه الظروف تنبه العباسيين الى خطورة مركز سلمية وذيوع الدعوة الاسماعيلية في بلاد اليمن والمغرب ، الامر الذي دفعهم الى تعقب الامام

(٨١) ــ سيرة جعفر : مجلة كلية الاداب ، جامعة القاهرة المجلد ٢ ، الجزء ٤ ، يفانوف ــ مذكرات في حركة المهدي مايو ١٩٣٦ ، ص ١٠٨ ــ ١٠٩ .

ومحاولة القبض عليه (٨٢) . فقد أدرك كل من المعتضد والمكتفي ان الدعوة لامام مستور قد بلغت ذروتها ، وان نشاط الاسماعيلية يزداد في سلمية . وانه اصبح لزاما عليهما ان يعملا على القضاء على هذه الحركة قبل ان يستفحل خطرها . ومما نبه العباسيين الى ذلك ان احد ولاة سلمية من قبلهم قد ثارت شكوكه حول المهدي لأنه وجده صاحب مقام كبير في سلمية . ورجح لديه انه هو الذي تروج الدعوة باسمه في انحاء العالم الاسلامي كافة (٨٣) .

وبقي المهدي بعد تركه لمدينة سلمية في الرملة فترة ليست قصيرة ، ومن الجائز ان يكون بقاؤه لوجود انصار له هناك ، تمكنوا من كتمان أمره عن العباسيين الذين أرسلوا الى ولاتهم في مدن الشام ومصر وشمال افريقية بالعمل جادين للقبض عليه . وكذلك لتضليل هؤلاء عن مكان وجوده .

وما لبث المهدي ان غادر الرملة في اوائل سنة (٢٩١ هـ / ٩٠٣ م) ونجحت رحلة المهدي نجاحا كبيرا ، ويعود ذلك الى انها كانت منظمة تنظيما دقيقا . فقد كانت الاخبار تصله بسرعة فائقة عن طريق الحمام الزاجل . كما ان بعض الحكام ممن كانوا في خدمة العباسيين ويتظاهرون بعقائدهم السنية كانوا يدينون بالمذهب الاسماعيلي ، وينتصرون لقضية الاسماعيلية . ويشايعون المهدي المنتظر ويعملون على نجاح دعوته . وكان عامل مدينة الرملة من قبل الطولونيين من احسن الامثلة التي تؤيد هذا الرأي . فقد كان اسماعيليا يتستر على المهدي وحاشيته (٨٤) . مما أدى الى نجاح المهدي في الهجره على الرغم من جهود العباسيين في القبض عليه .

تشابهت معتقدات الاسماعيلية حول الامامة مع معتقدات الفرقة الاثنى عشرية . وكانت الاسماعيلية اكثر مرجا لتعاليمها بالافكار الفلسفية التي داخلتها مع

---

(٨٢) ـ محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر ، ص ٢١

(٨٣) ـ محمد بن محمد اليماني : سيره جعفر ، ص ١٠٩ ـ ١١٠

(٨٤) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، ص ١٢٨ .

تطورها • ومن المهم ان نذكر ان مبادىء هذه الفرقة قد تطورت مع مرور الايام • ويمكن على الرغم من كل شيء ان نذكر بعض هذه المعتقدات :

ـ التأويل : اي أن لكل نص ديني معنى ظاهريا وآخر باطنيا يفهمه الأئسة ولذلك لازم هذه الفرقة اسم الباطنية [٨٥] •

ـ مراتب المجتهدين : كان هناك سبع مراتب للمجتهدين ولكل مرتبة من هذه المراتب تعاليم خاصة ولايستطيع المرء الانتقال من مرتبة الى أخرى الا بعد قضاء مدة من الزمن يتعلم فيها تعاليم تلك المرتبة على يد الداعي الخاص • وعلى رأس الدعاة داعي الدعاة أو الحجة • وهذا المنصب من أعلى المناصب •

ـ اجاز الاسماعيلية للامام ان يستتر ان لم تكن له قوة يظهر بها على اعدائه • ومن المرجح انهم نهجوا هذه الطريقة خشية ان يلحق بهم مالحق اتباع الاثنى عشرية من الاضطهاد والقتل [٨٦] •

جـ ـ الزيديـة :

فرقة من فرق الشيعة المعتدلة ، وهم اتباع زيد بن علي بن الحسين [٨٧] الذي ثار ايام هشام بن عبد الملك ، طامحا الى الخلافة • فقد شجعه على الثورة شعوره بمكانته العلمية والدينية ، وشعوره بعدم تحقيق الامويين للعدالة • وفوق كل ذلك ماكان من استهتار الخليفة هشام به وعدم حمايته امام والي العراق الذي اتهمه بوديعة مالية لخالد بن عبد الله القسري ، كما شجعه على الاسراع بالثورة الحاح انصاره عليه في اعلان امره [٨٨] •

ويرى المؤرخون ان الزيدية اكثر فرق الشيعة اعتدالا ، فهم يرون ان عليا

(٨٥) ـ [illegible] : الملل والنحل ص ٢٩ احمد امين ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ١٢٠

(٨٦) ـ [illegible] : الحماة السياسية في الدولة العربية الاسلامية ، ص ١٧

(٨٧) ـ [illegible] بن الحسين وعلمه ، انظر ضحى الاسلام : جزء ٢ ، ص ٢٧١ ـ ٢٧٣ •

(٨٨) [illegible] : دراسات في تاريخ بني امية ، ص ٢٦٥ ـ ٢٧٠ •

احق بالخلافة من أبي بكر وعمر ولكنهم لاينكرون خلافتهما لاجتماع اكثر الصحابة على بيعتهما • وذلك لان الصحابة قدروا الظروف المحيطة بهم (٨٩) ، كما يرى هؤلاء ان الامام بالاختيار لا بالنص • كما يرون ان الامامة في ابناء علي شرط ان يكون عالما زاهدا جوادا شجاعا • ويخرج داعيا الى امامته (٩٠) • وقد اعترف امامهم زيد بامامة الشيخين ، فاحتج بعض انصاره على ذلك ورفضوه فسموا بالرافضة (٩١) •

ولما خرج زيد بن علي على الامويين وقتل وصلب بالكناسة (٩٢) قال الزيدية بامامة ابنه يحيى من بعده فمضى الى خراسان وقتل بالجوزجان بعد ان اوصى بالامر الى النفس الزكية محمد بن عبد الله (٩٣) •

واختلف الزيدية حول الامام بعد النفس الزكية (٩٤) • وقد تمكن هؤلاء من تحقيق بعض اهدافهم فأسسوا دولة الادارسة في المغرب • وكان منهم الداعي الحسن بن زيد الذي ملك طبرستان ، وكذلك كان الاطروش منهم (٩٥) • ومن مبادىء هذه الفرقة بالاضافة لما ذكر •

ـ ان الامامة في اولاد فاطمة ولم يجوزوا ثبوت امامة في غيرهم • ولم يفضلوا ابناء الحسين عن ابناء الحسن ، واشترطوا في الامام العلم والزهد والشجاعة والسخاء والخروج للامامة •

ـ جواز امامة المفضول مع وجود الافضل (٩٦) •

---

(٨٩) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ١٣٦ •
(٩٠) ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٧٦ •
(٩١) ـ ابن خلدون . مقدمة ، ص ١٧٧ •
(٩٢) ـ موضع بالكوفة •
(٩٣) ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ١٧٥ ، وانظر عن ثورة محمد النفس الزكية فيما سبق •
(٩٤) ـ عن ذلك انظر ابن خلدون : المقدمة ، ١٧٩ •
ـ ابن خلدون : مقدمة ، ١٧٩ •
(٩٥) ـ احمد امين ضحى الاسلام ، جزء ٣ ، ص ٢٧٦
(٩٦) ـ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٦ •

ـ لايجيز الزيدية التقية ، ولا يتبرؤون من ابي بكر وعمر ولا يلعنوهما ، ولا يقولون بعصمة الائمة ، كما لايجيزون التستر والاختفاء . ولذلك كان كثير من ائمتهم يخرجون فيقتلون (٩٧) .

ـ السـنة :

كان رأي السنة ينحصر في الابتعاد عن سيطرة الفرد مهما كان فذا وعبقريا . وكانوا يرون اجماع الامة الاسلامية على ماجاء في كتاب الله وسنة رسوله بشكل صريح . واذا غابت النصوص الصريحة فانهم يعتمدون على مايفسره علماء الدين قياسا على نموذج موجود في القرآن والسنة . وقد سمح بالاجتهاد في الامور الشائكة لفقهاء السنة . ثم اعلن في اواخر القرن الثالث الهجري اغلاق باب الاجتهاد وسمح بالتقليد فقط .

امتاز الدور العباسي الاول بظهور المذاهب الاربعة وارساء اركانها في الوقت نفسه الذي كان فيه علم الكلام في أوجه ، وعلماء المعتزلة يتدخلون في الحكم . وينتصر الخلفاء لهم . وحين بدأ الدور العباسي الثاني وفي عهد المتوكل بالذات الذي كان أول خلفاء هذا الدور ، نادى بترك القول بخلق القرآن وعدم التعرض لمن لايرى هذا الرأي ، كما انه أمر الناس بالتسليم والتقليد . وامر المحدثين باظهار السنة والجماعة (٩٨) . وساعد بموقفه هذا على ظهور جماعة من علماء الكلام عارضوا المعتزلة .

ويعتبر القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي الفترة الفاصلة في تاريخ التشريع الاسلامي . فقد توقف فيه التكوين المستقل للتشريع الاسلامي المبني على الاجتهاد المطلق . وعلى الحكم بالرأي في فهم القرآن والحديث واصبح الفقيه لايستطيع اصدار حكمه الخاص الا في المسائل الصغيرة (٩٩) .

---

(٩٧) ـ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٦
وظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ١٣٦
(٩٨) ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٣٦٩ .
(٩٩) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٦٩ .

كان اهم المذاهب بين اصحاب الحديث الحنابلة والاوزاعية والثورية ، وقد اندثر المذهبان الاخيران وبقي المذهب الحنبلي جنبا الى جنب مع المذهب الشافعي والحنفي والمالكي • وقد انتشر مذهب ابن حنبل في العراق ولم يخرج خارجها الا في القرن الرابع الهجري ، وكانت مكة والمدينة اكبر مراكز الشافعية [١٠٠] ، وكذلك الشام ومصر • وقد نافست المالكية الشافعية في مصـر • وقد اقتسم المالكيـة والحنفية بلاد المغرب ، وكانت السيادة في الاندلس لمذهب مالك • اما بغـداد نفسها فقد كان الحنابلة دون سائر اهل السنة اكبر من اقلق بال الحكومة [١٠١] •

وبدأ انتصار مذهب السنة بشكل حقيقي على يد ابي الحسن الاشعري [١٠٢] الذي ولد سنة (٢٦٠ ھ / ٨٧٣ م) وعلى الرغم من كل مايقال عن هذا الفقيـه ونشوئه على مذهب المعتزلة فانه في النهاية رفض هذا المذهب ، واخذ من خلال معرفته لمداخله ومخارجه يناقس انصار المعتزلة ، ويدحض آراءهم بالاسلحة المنطقية نفسها التي امدوه بها [١٠٣] • وقد ساعد على انتشار مذهب الاشعري المؤلفـات الكثيره التي الفها في علم التوحيد مثل كتاب اللمع وكتاب الموجز ، وكتاب ايضاح البرهان وكتاب التبيين عن اصول الدين وكتاب الشرح والتفصيل في الرد على اهل الافك والتضليل • وقد كان لجهوده اثر كبير في احياء السنة والحد مـن انتشار الاعتزال [١٠٤] •

وقد اختلف الاشعري عن الحنابلة ، في انه لم يمانع في المناقشة التي ترمي الى التقريب بين تعاليم الدين ومبادىء العقل • على حين رفض الحنابلة اى كلام أو جدل في امور الدين خشية التأثر بآراء المجادل • ولذلك وقف الحنابلة موقفا

---

(١٠٠) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣

(١٠١) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ •

(١٠٢) ـ هو من ذرية ابي موسى الاشعري والي البصرة لعمر ثم لعثمان بن عفان • ووالي الكوفة لعثمان وهو ممثل علي في التحكيم •

(١٠٣) ـ عن الاشعري انظر احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ٦٥ حتى ٦٩ •

(١٠٤) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ٦٧ ـ ٦٩ وص ٦٥ •

صلبا في وجه الاشعرية ، ووجهوا اليها حملاتهم مما ادى الى عدم انتشـارها في بغداد • حتى اضطر بعض الاشعريين الى مغادرة بغداد •

ومهما يكن من امر ، فان الاشعرية التي قدر لها ان تصبح مذهب جمهـور المسلمين ؛ قد وجدت النصر الاكبر في نظام الملك وزير السلطان السلجوقـي الثالث ملك شاه • وكان احتواؤه لها لانه وجدها اقدر من الحنبلية على الوقوف في وجه الشيعة الغالية •

وهكذا فانه يتضح بأن السنة لم تقو الا بانتصار السلاجقة لها وتأييـدهم لآرائها ، وذلك في القرن الخامس الهجري • وان الحنبلية التي كان اتباعها اكثر لم تستطع مقاومة الاوضاع السائدة لاسباب متعددة ، كان على رأسها تعصـبهم الشديد حتى ضد المذاهب السنية الاخرى • واستخدامهم القوة ضد كل مـن يخالفهم مما زاد في عدد اعدائهم • ومما قاموا به نتيجة تعصبهم قتال الشـيعة ، فهاجموا مسجدهم في باراثا مرتين ، وتبنوا محو كتابات اللعن لابي بكر وعمر • كما انهم حالوا في سنة (٣١٠ هـ / ٩٢٣ م) دون دفن المفسر والمؤرخ المشهور محمد ابن جرير الطبري ، لانه لم يجعل أحمد بن حنبل من الفقهاء • كما انهم تعدوا على فقهاء المدرسة الشافعية • ووقفوا بحزم امام شاربي الخمر • وقد ادت شدتهم امام مخالفي مذهبهم الى وقوف الخليفـة الراضي في وجههم سنة ٣٢٤ هـ / ٩٣٥ م فهددهم بالقتل ، ومنع اجتماعاتهم [١٠٥] •

ومن اهم ميزات هذا الدور بالنسبة للمذاهب الاسـلامية ظهور المذاهـب الاربعة • وهي على الترتيب المذهب الحنفي ، المذهب المالكي ــ المذهب الشافعي ــ المذهب الحنبلي •

---

(١٠٥) ــ مسكويه : تجارب الامم ، جزء ١ ، ص ٣٢٢ ــ ٣٢٣ •

ـ التصـــــوف

ساير انتصار السنة ، تيار آخر هو تيار التصوف .

ويرى بعض العلماء ان التصوف نزعة من النزعات الاسلامية لا فرقة مستقلة. لذلك يصح ان يكون الانسان معتزليا وصوفيا ، شيعيا وصوفيا في آن واحـد وغير ذلك ، كما يرى آخرون بأن الصوفية طائفة من اهل السنة (١٠٧) . والاصل في التصوف، العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى ، والاعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة (١٠٨) .

انتشرت الصوفية بعد ان فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس الى التمتع بالدنيا (١٠٩) ، ولكن نشأة التصوف كانت قبل هـــذا العصر . فقد وجد رجال كثيرون من بداية الاسلام يعرفون بالزهاد ، وهم رجال الصفة ، كما وجد غيرهم كأبي ذر الغفاري والحسن البصري ، دون ان يطلق عليهم اسم متصوفة (١١٠) .

وقد اختلف الناس في اصـــل التسمية هل هي من الصـــفة او الصفـــاء او الصوف لانهم اختصوا به . ويرجح البعض ومنهم ابن خلدون انها نسبة الـــى الصوف لما كانوا عليه من مخالفـــة الناس في لبس فاخر الثيـــاب الـــى لبس الصوف (١١١) . وقد زهد المتصوفة عن الدنيا . وانفردوا عن الخلق بالاقبال على

---

(١٠٦) ـ يمكن العودة الى مقال هاملتون جب دراسات في حضارة الاسلام ، دار العلم للملايين ، ص ٢٧٥ ـ ٢٨٨ .

(١٠٧) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ١٤٩

(١٠٨) ـ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٥٢

(١٠٩) ـ ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٩

(١١٠) ـ أحمد أمين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٥٠

(١١١) ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٣٩ .

العبادة حبا بالله وتقربا اليه • ثم دخلت الفلسفة الى التصوف وخاصة الفلسفة الافلاطونية الحديثة وغيرها ، وذلك لاتصال الصوفية بأهل الديانات الاخرى(١١٢).

نبدأ مراحل التصوف من مرتبة المريد ولا يزال المريد يترقى من مقام الى مقام الى ان ينتهي الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة • واذا وقع تقصير في النتيجة او خلل فيعلم انه انما اتى من قبل التقصير في الذي قبله • ويحتاج المتصوف لاجتياز هذه المراحل الى محاسبة نفسه في سائر اعماله والنظر في خفاياها لان حصول النتائج عن الاعمال ضروري ، وقصورها من الخلل فيها كذلك (١١٣) • كما يحتاج كذلك الى المجاهدة والخلوة والذكر ليصل الى كشف حجاب الحس ، والاطلاع على عوالم من امر الله ليس لصاحب الحس ادراك شيء منها • وسبب هذا الكشف أن الروح اذا رجعت عن الحس الظاهر الى الباطن ضعفت أحوال الحس وقويت الروح • وغلب سلطانه (١١٤) •

كان الصوفية خصوما ألداء لجميع الفقهاء ، وقد عبروا عن احتقارهم لعلم الفقه الذي يسمونه علم الدنيا تعبيرا قاسيا ، وقد انتصر الصوفية في هذا الباب وبشكل خاص على يد الغزالي امام جمهور المسلمين المتأخرين ، فجاهر بأن علم الفقه علم دنيوي لا ديني ، كما وجد بين الصوفية طوائف كثيرة ترفض العلوم جملة (١١٥) •

ومن اشهر المتصوفة رابعة العدوية صاحبة الحب الالهي ، لاحسانه اليها وانعامه عليها بحظوظ العاجلة ، ولانه اهل لهذا الحب • ثم جاء ابو يزيد البسطامي الذي بدأ بفكرة الفناء في الله ، وهذه الفكرة كثيرة الشيوع في كلام الصوفية •

---

(١١٢) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ١٥٨ ـ هاملتون جب : المرجع السابق ، ص ٢٧٦

(١١٣) ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٤٠ .

(١١٤) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، ص ٤٤١

(١١٥) ـ آدم ميتز . المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٣٤

فلكثرة اندماجه بعبادته يصل الانسان الى انعدام النفس • ويصف السري السقطي من وصل الى هذه الحالة بقوله : (انه لو ضرب بسيف على وجهه لما شعر به) [116]•

ونسب الى ذي النون المصري ادخال الكلام في المقامات والاحوال في الصوفية ، حتى شغلت جزءا كبيرا منها • فللصوفية كلام طويل في الأحوال والمقامات التي وضع فكرتها ذو النون ، خلاصتها ان طريق الوصول الى الله شاق ، وعسير يجب ان يتدرج فيه المريد في مراحل يسلم بعضها الى البعض وهذه المراحل المتعددة نسمى بالمقامات ، وقد جعلها الطوسي صاحب كتاب اللمع وهو من اقدم الكتب الصوفية سبعا كل واحدة تسلم الى مابعدها • وهي مقام التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والتوكل والرضا ، ويرون ان الطالب بعد التوبة يجب ان يتبع مرشدا او شيخا يطيعه طاعة عمياء • ويحتقر المتصوفة من يسير في الطريق من غير مرشد [117] •

والى جانب المقامات فقد كانت الاحوال ، فعدوا منها التأمل والقرب والمحبة والخوف والرجاء والشوق والانس والطمأنينة والمشاهدة والتعين • ويرون ان المقامات يتوصل اليها بمجهود الشخص ، اما الاحوال فموهبة من الله لاحكم للانسان عليها • وهذا معنى قولهم فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب [118] •

وقد تطور التصوف قدما على يد الحلاج الذي كان يرى الغلو في الفناء أي فناء المحب في المحبوب حتى لايرى شيئا الا هو ، وبالتالي فانه كان يرى حلول الله في الانسان ، أي انه هو والله شيء واحد ، ثم تجلى بعد ذلك وحدة الوجود في ابن العربي وابن الفارض وابن سبعين العفيف التلمساني وغيره • ومعنى القول بوحدة الوجود ان العالم والله شيء واحد [119] • وليست مظاهر العالم المختلفة

---

(١١٦) ـ امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٥٤ ـ ١٥٥ •

(١١٧) ـ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٦٠ •

(١١٨) ـ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٦٠ •

(١١٩) ـ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٦٢

الا مظاهر لله تعالى ، اي ليس لله وجود الا الوجود القائم بالمخلوقات • وليس هناك غيره ولا سواه ، وان العبد انما يشهد السوى مادام محجوبا ، فاذا انكشف الحجاب رأى انه لا اثر للغيرية ولا للكثرة • وعليه فعين الرائي عين المرئي والمشاهد عين المشهود (١٢٠) •

ـ كان المصوفية ادب غزير له خصائص متميزة ، كالسمو الروحي ، والمعاني النفسية العميقة ، والخضوع لارادة الله القوية ، وبعد الخيال كما يتصف بالغموض والمعاني الرمزية (١٢١) •

هذا ويجب ان نذكر انه لم يكن للمتصوفة في القرن الثاني جامعة تجمعهم ولا امكنة خاصة يؤدون فيها شعائرهم • وانما كانوا افرادا متفرقين ، قد يكون لبعض منهم تلاميذ ، ثم تزايد اعداد التلاميذ حول المرشد بعد ذلك فكونوا مجموعات متمايزة •

---

(١٢٠) ـ أحمد امين : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ١٦٣
(١٢١) احمد امين : المرجع السابق جزء ٤ ، ص ١٧٠ •



الفصل الثالث

تفكك وحدة الخلافة الاسلامية

عجزت الخلافة العباسية منذ الدور الاول عن المحافظة على وحدة أراضيها ويعود ذلك الى قوة التيار الانفصالي • وقد ازداد هذا التيار قوة أثر تسلط العناصر الاسلامية على الخلافة • فمنذ استأثر الاتراك بالنفوذ فيها دون الخلفاء ، تعرضت الخلافة الى الكثير من الاضطرابات السياسية ، وأخذت العناصر المختلفة التي تشكل شعوب الخلافة تعمل على تأسيس دول مستقلة • ومما لاشك فيه انهذه الحركات الانفصاليةقد اظهرت الخلافةالعباسيةبمظهر التفكك•واصبح الخلفاء العباسيون في بعض فترات تاريخهم المتأخر لايسيطرون الا على مدينة بغداد • وعلى الرغم من هذا الانقسام ،فان أقطارا كثيرة تمتعت بكثير من الطمأنينة والرخاء• وبذل حكام هذه الدول جهدهم في سبيل توطيد دعائم ملكهم • وانتفع كل قطر بموارده الخاصة • وصارت ايرادات الاقطار المستقلة المتجمعة من الخراج والجزية والضرائب الاخرى ، ينفق جزء كبير منها في اصلاح مرافقها • كما عني حكامها بتنمية موارد الثروة في اقطارهم • مما ساعد على توفير اسباب المعيشة لرعاياهم ، وانتعاش الحياة الاقتصادية في بلادهم [1] •

ولم يؤد انقسام الدولة الاسلامية الى انقطاع الصلة بين اقاليمها وولاياتها المنفصلة عنها • بل كانت مجموع الاقاليم تؤلف دولة واحدة هي مملكة الاسلام •

---

(١) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٩٣ ـ ٩٤

وقامت بينها وحدة لا تتقيد بالحدود السياسية المحدثة • فقد كان المسلم يتمتع بحق المواطن في جميع انحاء هذه المملكة • فلا يتعرض أحد لحريته التشخصية • ويستطيع ان يتنقل بين اطراف الاقطار الاسلامية بأمان ، من دون رعايا دار الحرب، الذين لايستطيعون دخول هذه الاراضي الا باذن ، ويسمون مستأمنين مفردها مستأمن ، واذا دخلوها دون أمان ، فلا يسكن حمايتهم وتتعرض حياتهم للخطر[٢].

يضاف الى هذا أن انقسام الدولة الاسلامية الى دول مستقلة ، لم يؤد الى تدهور او انحطاط الحضارة في تلك الدول • بل على العكس فان الاقطار الاسلامية كانت بعد استقلالها عن الخلافة في بغداد منيعة الجانب وافرة العدة عظيمة الخيرات • فقد نوه الرحالة بما بلغته دولة السامانيين في خراسان وما وراء النهر من رقي حضاري • كما أن الحضارة في مصر تقدمت تحت حكم الفاطميين بشكل أكبر واوضح مما كانت عليه ايام ولاة العباسيين • ولما اتيح للاندلس الاستقلال في بدء العصر العباسي ازدهرت فيها الحضارة واسهمت في تقدم العلوم والآداب[٣]. ويمكن رد أسباب نشوء هذه الدول الى عوامل متعددة منها :

١ ــ سياسة الدولة العربية الاسلامية التي تسلمت الاشراف على الجيش والبريد والخراج • وتركت ماتبقى من شؤون الدولة بيد الاسر المتنفذة والغنية في بعض الاقاليم • مما دعا هذه الاسر الى استغلال نفوذها ، وتحقيق غايتها في الاستقلال •

ويضاف الى ذلك تطرق الفساد الى النظام المالي ، فقد ساءت الجباية وأخذت جباية منطقة من المناطق تعطى للاشخاص على سبيل الالتزام • وغاية الدولة من ذلك الحصول على أكبر قدر مالي ، دون النظر الى مصالح أهالي المناطق • ونهض هؤلاء الملتزمون لجمع اضعاف مادفعوه • فاشتد عسفهم بالناس في كثير من الاحيان • وقد ولد ذلك تذمر الطبقة الفقيرة التي لم تظفر بالتقرب من الحكام•

(٢) ــ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣ـ٤

(٣) ــ سرور الحضارة الاسلامية في الشرق ، ص ٧٠ ــ ٧١ ــ احمد امين ، ظهر الاسلام ، جزء ١ ص٩٢

وقد ترتب على تذمر السكان قيام الثورات ، ثم طمع البعض باستغلال الثورات لمصلحتهم .

٢ ــ عدم تمازج العناصر التي تشكل الخلافة الاسلامية ببعضها . وشعور بعض هذه العناصر بذاتها نتيجة الابقاء على الحضارات السابقة . واقتباس الخلافة العباسية بعض مظاهرها .

٣ ــ شعور بعض الاقاليم بأهميتها الاقتصادية والثقافية في المجتمع الاسلامي . فأخذت بالانفصال لتعبر عن ذاتها .

٤ ــ ضعف السلطة المركزية في العاصمة ممثلة بالخلافة التي تسلط عليها الاعاجم . ويمكن القول بان الحركا تالانفصالية كانت كثيرة لهذا السبب ، حتى ان خريطة العالم الاسلامي خلال الدور العباسي الثاني ، كانت مضطربة غاية الاضطراب .

٥ ــ اتساع اراضي الخلافة الاسلامية ، وتباعد اطرافها عن المركز .

وقد بدأت بعض المناطق الاسلامية في الاستقلال عن الخلافة العباسية منذ الدور العباسي الاول ومن أمثلة ذلك . الدولة الأموية في الاندلس ١٣٨ ــ ٣٩٧ هـ / ٧٥٦ ــ ١٠٩٢ م ، ودولة الادارسة في المغرب الاقصى ١٧٢ ــ ٣١١ هـ / ٧٨٨ ــ ٩٣٢ م ودولة الاغالبة في تونس ١٨٤ ــ ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ ــ ٩٠٨ م والدولة الطاهرية ٢٠٥ ــ ٢٥٩ هـ / ٨٢٠ ــ ٨٧٢ م في خراسان وازداد عدد هذه الدول في الدور العباسي الثاني ، فكانت الدولة الصفارية ٢٥٤ ــ ٢٩٨ هـ / ٧٦٨ ــ ٩٠٣ م التي ورثت الدولة الطاهرية ، والدولة السامانية ٢٦٦ ــ ٣٨٩ هـ / ٨٧٤ ــ ٩٩٩ م والدولة الطولونية ٢٥٤ ــ ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ ــ ٩٠٥ م ، والدولة الاخشيدية والحمدانية والمرداسية والعقيلية الى جانب الخلافة الفاطمية . وسنقتصر في دراستنا على اهم الدول المنفصلة التي نشأت في عصر سيطرة الاتراك ويمكن تقسيم هذه الدول بحسب جنسية حكامها في هذه الفترة الى قسمين .

ـ الدول الفارسية

ـ الدول التركية

وكانت هذه الدول تابعة من الناحية الاسمية للعباسيين • وكان امراؤها يعترفون بالخلافة العباسية ويتضح هذا الاعتراف بأمور ثلاثة :

١ ـ الدعوة للخليفة على المنابر على أنه امام المسلمين

٢ ـ ذكر اسم الخليفة على النقود ويليه اسم الامير •

٣ ـ ارسال قسم من الخراج الى بيت مال الخلافة الا في بعض الظروف(٤)•

ـ الدول الفارسية :

قامت دول مستقلة في شرقي الخلافة الاسلامية على يد عناصر فارسية ، ومن هذه الدول :

آ ـ الدولة الطاهرية (٢٠٥ ـ ٢٥٩ هـ / ٨٢٠ ـ ٨٧٢ م)

كانت الدولة الطاهرية اول دولة في الشرق تظفر بشبه استقلال عن حكومة بغداد ، ونسج غيرها على منوالها • أسس هذه الدولة طاهر بن الحسين وهو من قواد المأمون ، وساعده الايمن في حربه ضد الامين ، وقائده في قتال نصر بن شبث العقيلي (٥) • ثم منحه ولاية المناطق الواقعة من مدينة السلام الى أقصى عمل المشرق (٦) ، وجعل على القيادة ابنه عبد الله بن طاهر • وقد اتخذ الخليفة هذا الاجراء أثر عجز واليه السابق عن ادارة الامور •

جعل طاهر بن الحسين من مدينه نيسابور عاصمة له ،

---

(٤) ـ يوسف العش : الخلافة العباسية ، ص ١٢٦ ـ ١٢٧ •

(٥) ـ ابن خلدون : الخلافة العباسية ، جزء ٣ ، ص ٢٥١

(٦) ـ ابن خلدون : الخلافة العباسية ، جزء ٣ ، ص ٢٥١ ـ محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية في الشرق ، ص ٧٨ •

وخلفه أبناؤه في ادارة هـذه الدولة • وعملوا منذ النصف الاول من القرن الثالث على انشاء حكم مستقر في خراسان ، ومراقبة تحركات الثائرين لمقاومتهم ، كما شجعوا التعليم . واهتموا بشكل خاص بشؤون الزراعة ، ووجهوا اهتمامهم الى تطويرها •

ويبدو انه على الرغم من هذا الاستقلال الذي أظهره الطاهريون في المناطق الشرقية ، فان ثقة الخلفاء بهم كانت كبيره • وقد استعان العباسيون بهم في القضاء على الثورات التي نشبت في وجههم • ومن مظاهر الثقة بين الطرفين ان الطاهريين كانوا يدفعون مبلغا ماليا سنويا للخلفاء ، وقد يكون هذا المال فائض الخراج • ففي سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م ارسل آل طاهر الى بغداد ثمانية وثلاثين مليون درهم من جملة وارد يقدر بثمانية واربعين مليون درهم • كما ان الخلفاء استعانوا بهم في القضاء على ثورات العلويين والخوارج • وأبقوا شرطة بغداد في أيديهم حتى سنة ٣٠١ هـ / ٩١٤ م [٧] • ووقف العباسيون الى جانبهم في نزاعهم مع الصفاريين . حتى تمكن يعقوب الصفاري من القضاء على أسرتهم [٨] •

ب ـ الدولة الصفارية ٢٥٤ ـ ٢٩٠ هـ / ٨٦٨ ـ ٩٠٣ م

عاصرت هذه الدولة ، الدولة الطولونية ، وكان يعقوب بن ليث الصفار مؤسسها من الصناع الذين يعملون بالصفر • وقد سنحت الظروف له أن يؤسس دولة عاشت ستا واربعين سنة ، ابتدأت في سجستان ، ثم توسعت الى فارس والاهواز وخراسان • كانت سجستان من المناطق التابعة للدولة الطاهرية يحكمها عامل من قبلهم • وقد استفحل فيها نفوذ الخوارج ، فأخذوا يعيشون في الارض الفساد يقتلون وينهبون • فأرسل عامل سجستان جيشا لقتالهم وتأديبهم • جعل على قيادته صالح بن النصر الكناني [٩] ، وعرف باسم صالح المطوعي • وكان في صحبة هذا الجيش يعقوب بن الليث الصفار • تمكن هذا الجيش من التغلب على

(٧) الدوري : دراسات في العصور العباسية المتاخره ، ص ١١٠ ـ ١١١ •
(٨) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٠٩
(٩) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ٢٩٣

سجستان • وقد بدت مواهب يعقوب الصفار العسكرية في الظهور من خلال ماقدمه من مهارة عسكرية في قتال الخوارج ، واعادة الاستقرار الى سجستان [١٠]•

أخذ يعقوب بن الليث يعمل على تقريب الجنود اليه ، وكذلك عمل على تحبيب الشعب به باغداقه للاموال • وقد اثمرت جهوده فأصبح رئيسا للجند ثم حاكما لسجستان [١١] • ولم يلبث أن بسط سلطانه على وادي كابل والسند ومكران وفتح هراة من مدن خراسان • ثم استولى على كرمان وفارس ، وضم بلخ الى حوزته [١٢] •

لم يكن يعقوب بن الليث الصفار في بادىء الامر يريد الاستقلال عن الخلافة العباسية ، وكانت رغبته أن يكون أميرا للعباسيين • الا ان وقوف العباسيين الى جانب آل طاهر ، ثم مالمسه من ضعف العباسيين تحت نفوذ الاتراك • جعلاه يفكر في فتح خراسان دون اذن العباسيين • وتمكنت جيوشه من دخول نيسابور عاصمة الدولة الطاهرية مخالفا أوامر الخليفة ، وادعى في سبيل تحقيق هدفه ، أن أهل خراسان أرسلوا اليه يطلبون انقاذهم من آل طاهر [١٣] •

أدرك الخليفة العباسي مدى الخطر الذي يقع على دولته من جراء ازدياد نفوذ الصفار ، فأضمر له العداء ، وأراد أن يضعف مركزه باظهار سخطه ، وعدم رضائه عنه • فجمع حجاج المناطق الشرقية في بغداد ، وكلف من يقرأ عليهم كتابه بلعن الصفار ، وأرسلت عشرات النسخ من هذا الكتاب الى الامصار لتذاع بين الناس [١٤] •

---

(١٠) — ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ٢٩٤

(١١) — يوسف العش — الخلافة العباسية ، ص ١٣٠ — ١٣١

(١٢) — محمد جمال الدين سرور — المرجع السابق ، ص ٧٩ — ٨٠

(١٣) — ابن خلدون : الخلافة العباسية ، جزء ٣ ، ص ٣٠٩ — ٣١٠

(١٤) — الطبري : المصدر السابق جزء ٣ ، ص ٥٠٧ — ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٠٨ — ٣٠٩

ولما شعر الصفار بقوته ، أراد أن يفرض على الخليفة المعتمد الاعتراف به . ولما رفض قرر قصد العراق . فأعد عدته وسار الى الاهواز . حيث استولى عليها (١٥) ، مستغلا انشغال الخلافة في صراعها مع الزنج . ومن هناك كاتب الخليفة وسأله ولاية خراسان وفارس وكرمان وسجستان والسند ، وطلب منه أيضا أن يحضر من قرأ عليهم كتابه الاول ، ويقرأ عليهم خلاف ذلك ليبطل الاول بالثاني . ولما كان الخليفة المعتمد على الله وأخوه الموفق في شغل بقتال صاحب الزنج اجيب الصفار الى ماطلب (١٦) .

الا أن اطماع الصفار لم تقف عند حد . فطمع في بغداد نفسها . ويبدو انه كان يطمع في أن يكون له من النفوذ ما للاتراك . وشجعه على ذلك جيش قوي يأتمر بأمره . ولكنه فشل في مشروعه هذا . فأخذ يتوسع على حساب الامراء المجاورين (١٧) .

انصرف اهتمام يعقوب بن الليث الصفار الى تكوين جيش قوي مطيع له . كما انه اعتمد في ادارة البلاد على قوته الشخصية ؛ على الرغم من عدم اظهاره مقدرة سياسية في ادارتها (١٨) . وكان يعمل على ايجاد اتباع مخلصين له ، فيحسن تدريبهم . وكان قدوة لهم في التقشف ليكونوا جنودا مخلصين . مما جعله يترك خزائنه عامرة بالاموال . فمما جاء حول ذلك (كان لايجلس الا على قطعة مسح ينسبه ان يكون طوله سبعة أشبار في عرض ذراعين أو أرجح . والى جانبه ترسه وعليه اتكاؤه . وليس في مضربه شيء غيره ، فاذا اراد أن ينام من ليله او نهاره اضطجع على ترسه ..) وقد اجاب رسول الخليفة الذي سأله عن سبب تقشفه

---

(١٥) ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٣١٦ .

(١٦) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جزء ٢ ، ص ٣١٦ .

(١٧) ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٦٦

(١٨) المسعودي : مروج الذهب ومعادن الجوهر ، جزء ٤ ، ص ٢٠٠ ـ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٨٠

(ان رئيس القوم يأتم به أصحابه في افعاله وسيرته • فلو استعملت ماذكرت من الاثاث ، لأثقلنا البهائم ، ولأتم بي في فعلي من في عسكري ••) (١٩) •

وهكذا نجح يعقوب بن الليث الصفار ، على الرغم من انه لم يكن من بيت عريق • من تأسيس دولة استطاعت مع قصر عهدها ان تنشر نفوذها ليس في سجستان وحدها ، حيث بدأت ، بل في معظم آرجاء فارس • ووصلت الى أسوار بغداد تقريبا (٢٠) •

توفي يعقوب بن الليث في سنة ٢٦٥ هـ / ٨٧٧ م دون ان يستطيع انهاء الخلاف بينه وبين الخليفة العباسي • وبايع الجند أخاه عمروبن الليث • وتحسنت العلاقات — في البدانه — بين الاخير والخليفة المعتمد ، فاعترف به كأمير على خراسان واصبهان والسند وسجستان ، كما أضاف اليه شرطة بغداد (٢١) • وقد احسن عمرو التدبير والسياسة فيما اوكل اليه (٢٢) • الا ان العلاقة بينهما مالبثت ان ساءت ، وعادت الى ماكانت عليه في عهد يعقوب •

تميز عمرو بن الليث بكفايته في ادارة شؤون دولته • وأحب ان يطلع دائما على شؤون قواده ، وان يجعل هؤلاء يأتمرون بأمره • فمنع أصحابه وقواده من أن يضرب أحد منهم غلاما الا بأمره • وكان يشتري المماليك الصغار ويربيهم ويهبهم لقواده ، ويجري عليهم الجرايات الحسنة سرا ليطلعوه باحوال قواده (٢٣)•

ادى اعتزاز عمرو بن الليث بنفسه ومقدرته ، وثقته بجنده الى وقوعه أسيرا في قبضة اسماعيل بن أحمد الساماني وتشتت شمل جيشه في موقعة عسكرية •

---

(١٩) — المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٤ ، ص ٢٠٤ — ٢٠٥

(٢٠) — حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٦٧

(٢١) — ابن خلدون — المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٣١٨
محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٨١ — حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق، جزء ٣ ، ص ٦٧ •

(٢٢) — ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢٠ •

(٢٣) — المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٢٠٥ — ابن الاثير : جزء ٧ ، ص ٥٠٠

وهذه الموقعة من المواقع الهامة التي أدت الى سقوط الدولة الصفارية ، وقيـام الدولة السامانية على انقاضها (٢٤) .

ولما أسر عمرو ، آل حكم الدول الصفارية الى حفيده طاهر بن محمد بن عمر ابن الليث ، ولم يكن له من الامر شيء . فقد استبد غلمان جده بالسلطة . واستمر الحكم للصفاريين اسميا . حتى تمكن احمد بن اسماعيل الساماني من الاستيلاء على سجستان والقبض على محمد بن علي بن الليث الصفاري ، وأرسله الى بغداد في سنة ٢٩٨ هـ / ٩١٠ م .

ويرجع ضعف الدولة الصفارية وزوالها الى موقف الخلافة العباسية العدائي منها . والجهود المتصلة التي بذلتها للقضاء عليها . الى جانب ماكان من السامانيين الذين قضوا عليها . يضاف الى كل ذلك منـاوأة بعض قوادهـم لهم في الفترة الاخيرة (٢٥) .

كان الصفاريون يعتنقون المذهب السني ، ويدعـون للخليفة على المنابـر لاكتساب رضاء الجماهير . ولكنهم على الرغم من كل شيء ، حاولـوا تقليص سلطته ومشاركته في مظاهر سيادته . فأمر يعقوب بذكر اسمه في الخطبه مع اسم الخليفة . كما نقش اخوه عمرو اسمه على الدنانير . ولم يرسل الصفاريون فائض خراجهم للخلفاء العباسيين ، بل تصرفوا بأموال المناطق الخاضعة لهم ، مما اكسبهم عداء الخليفة . ولكنهم وعلى الرغم من كل شيء طبقوا مبادىء العدل والمساواة بين أتباعهم ، فأيدتهم الطبقات الفقيرة (٢٦) .

---

(٢٤) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٥٠٠ ـ ٥٠١

(٢٥) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٧٠

(٢٦) ـ محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية في الشرق ، ص ٨٥

ـ الدوري : دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، ص ١١٨ ـ ١١٩

جـ ـ الدولة السامانية (٢٦١ ـ ٣٨٩ هـ / ٨٧٤ ـ ٩٩٩ م)

تنسب هذه الدولة الى أسرة فارسية عريقة في المجد ، يرجع أصلها الى بهرام جور . أصلهم من مدينة بلخ . وقد برز أحفاد سامان في عهد الخليفة المأمون، وتسلموا ولاية بعض مدن خراسان وماوراء النهر لطاهر بن الحسين . وتطور الامر حتى أسس هؤلاء دولتهم في ماوراء النهر وخراسان .

اشهر أحفاد سامان اسماعيل ونصر . تسلم نصر بن أحمد الساماني ولاية سمرقند . ثم وصله منشورا بأعمال ماوراء النهر من الخليفة المستعين سنة ٢٥١ هـ / ٨٦٥ م (٢٧) ، وتأكد في خلافة المعتمد سنة ٢٦١ هـ / ٨٧٤ م (٢٨). وبذلك تأسست الدولة السامانية (٢٩) .

اشرك نصر اخاه اسماعيل معه في الحكم ، ثم ارسله في سنة ٢٦٠ هـ / ٨٧٤م لتولي مدينة بخارى على اثر الاحداث المؤلمة التي مرت بها المدينة (٣٠) . فأحسن معاملة أهلها فأحبوه ، وتمكن من جمع كلمتهم ، والقضاء على حركات التمرد التي كانت كثيرة (٣١) . وقد أدى ذلك الى اثارة روح الحقد في نفس أخيه نصر ، وخاصة بعد تدخل الوشاة بينهما (٣٢) .

توفي نصر في سنة ٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م فأصبحت السلطة بيد اسماعيل منفردا . فنهض لتدعيم الدولة السامانية الناشئة . وأخذ يبسط سلطانه على خراسان ،

---

(٢٧) ـ النرشخي : تاريخ بخاري ، ص ١٠٦ ، ولكنه يورد أن ذلك حدث في عهد الخليفة الواثق وهذا خطا لان المستعين هو الذي كان يحكم في هذا التاريخ .

(٢٨) النرشخي : المصدر السابق ، ص ١١٠

(٢٩) ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٧ ص ٢٨٠

(٣٠) ـ النرشخي : المصدر السابق ، ص ١٠٨ ـ ١٠٩

(٣١) ـ النرشخي : المصدر السابق ، ص ١١١

(٣٢) ـ النرشخي : المصدر السابق ، ص ١١٢ ـ ١١٦

واستخلصها من الدولة الصفارية . كما ضم طبرستان الى حوزته وكذلك الري [٣٣].
وتمكن خلفه أحمد من القضاء على الدولة الصفارية نهائيا ، والتوسع في منطقة سجستان [٣٤] . وحافظ ولي عهده نصر بن أحمد على حدود ولايته كما ورثها ، على الرغم من منافسة افراد اسرته له [٣٥] .

كان دعاة الاسماعيلية في فارس وشرق الخلافة الاسلامية يبذلون جهودا كبيرة لجذب كبار الامراء الى زعيمهم عبيد الله المهدي ، ومن بين هؤلاء الدعاة أبو عبد الله بن أحمد النسفي ، الذي استطاع أن يضم الى الاسماعيلية كثيرا من أهالي خراسان . وعزز نجاحه في خراسان بنجاح آخر في بلاد ماوراء النهر . ودخل بخارى حيث لقي اهتماما ومساعدة من بعض كبار رجال الدولة السامانية .وبفضل هؤلاء استطاع النسفي الوصول الى نصر بن أحمد الساماني الذي رحب بمبادئه ، ودعاه الى مقابلته بعد أن كان من أكبر معارضي المذهب الاسماعيلي ، وهو الذي قبض على الحسين بن علي المروزي استاذ النسفي وسجنه ، وظل مسجونا حتى توفي . غير ان النسفي استطاع بدهائه وحسن سياسته ان يستميل نصر بن أحمد الساماني الى جانب الخليفة الفاطمي عبيد الله . كما دفع دية المروزي الى النسفي الذي ارسلها بدوره الى عبيد الله المهدي ليبرهن عن اخلاص نصر للدعوة الاسماعيلية .

ارسل نصر بن أحمد الساماني كتابا الى عبيد الله المهدي ، يعترف فيه بسلطته الروحية ، ويعده بامداده بالرجال . وقد قال في كتابه : (انا في خمسين ألف مملوك يطيعونني وليس على المهدي بهم كلفة ولا مؤونه ، فان أمرني بالمسير ، سرت اليه ووقفت بسيفي ومنطقتي بين يديه ، وامتثلت اوامره) .

ويبدو ان ازدياد نفوذ الداعي النسفي في عهد نصر . أدى الى غضب كبار

---

(٣٣) ـ النرشخي : المصدر السابق ، ص ١١٧ ـ ١٢٣

(٣٤) ـ النرشخي : المصدر السابق ، ص ١٢٥

(٣٥) ـ النرشخي : المصدر السابق ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦

رجال الدولة السامانية منه • ودفع هؤلاء الى العمل على التخلص منه • وقد أدرك نصر الخطر المحدق به ، وأراد أن يحتفظ بالامارة في أسرته ، فتنازل عنها لابنه نوح • وكان الابن على غير رأي والده • فوجه اهتمامه الى القضاء على الدعوة الاسماعيلية وانصارها في بلاده • وقتل النسفي مع عدد كبير من القواد الذين دخلوا في المذهب الاسماعيلي سنة ٣٣١ هـ / ٩٤٢ م [٣٦] •

تعرض السامانيون لهجمات البويهيين من جهة ، وتمرد القبائل التركية فيما وراء سيحون من جهة أخرى ، بالاضافة الى تمرد مواليهم عليهم • وقد بدأ الصراع بين البويهيين والسامانيين منذ عهد نوح بن نصر من أجل مدينة الري ، ولما فشل نصر أمام البويهيين ، طمعوا في القضاء على الدولة • وقام الصراع بين الطرفين حتى سنة ٣٦١ هـ / ٩٧١ م [٣٧] • وقد تعرض هؤلاء الى هجمات الاتراك على حدود دولتهم الشرقية [٣٨] ، كما قام مواليهم من الاتراك الذين تقلدوا للسامانيين مناصب عالية في الجيش والادارة بمنافستهم ، واصبحوا خطرا هدد السامانيين • وقد أدت هذه العوامل الى جانب عوامل أخرى الى ضعف سلطة السامانيين ثم انهيارها • وهذه العوامل هي :

ـ وقوع النزاع بين أفراد البيت الساماني ، ووصول أمراء للحكم ليسوا على قدر المسؤولية •

ـ اعتماد السامانيين على الاتراك في جيشهم • وتوليتهم مناصب عالية في الجيش والادارة وتمتعهم بسلطات واسعة جعلتهم خطرا يهدد السامانيين •

هذا وقبل ان اختتم الحديث عن الدولة السامانية يجب ان اعترف للسامانيين

---

(٣٦) ـ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٨٤

(٣٧) ـ ابن تغري بردي الاتابكي : النجوم الزاهرة ، جزء ٤ ، ص ٦٢

(٣٨) ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، حتى ٢٣٥

الذين اتخذوا من مدينة بخارى عاصمة لهم بما قدموه من خدمـات في المجـال الحضاري • حتى غدت بخاري وسمرقند في عهدهم موئلا للعلم والادب والفن • كما تقدمت في عهدهم الدراسات بالعربية والفارسية • وقد وصف لنا الرحالـة المقدسي الوضع في خراسان واقليم ماوراء النهر في عهدهم فقال (انهم آشد الناس تفقها ، وبالحق تمسكا • وهم بالخير والشر أعلم •••) • كما قال عن أمـراء السامانيين بأنهم احسن الملوك سيرة ، وانهم لايكلفون أهل العلم تقبيـل الارض بين أيديهم (٣٩) •

(٣٩) ـ المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٦

الدول التركيــة

آ ـ الدولة الطولونية في مصر والشام ٢٥٤ ـ ٢٩٢ هـ/٨٦٨ ـ ٩٠٥ م •

طولون هو أحد الاتراك الذين كان الولاة يرسلونهم من بلاد ما وراء النهر ضمن هداياهم الى الخلفاء العباسيين • وقد أخذ الاتراك بالظهور على مسـرح الاحداث منذ أن قرر المعتصم الاعتماد عليهم وتسلم بعضهم امرة الولايات الاسلامية وفضل هؤلاء البقاء في العاصمة للتمتع بالنعيم والترف ، وارسال من ينوب عنهم الى حكم الولايات •وكان هؤلاء النوا بيدعون للوالي الاصلي على المنابر بعد الخليفة ، كما كان اسمه ينقش على السكة •

كلف أحمد بن طولون بولاية الفسطاط قصبة مصر ، نيابة عن واليها الاصلي باكباك التركي في سنة ٢٥٤ هـ/٨٦٨ م وحين دخل احمد بن طولون الى مصر وجدها مقسـمة بين عـدة أشخاص [١] • ولذلـك فـان موقفـه كـان ضعيفا لانـه كان نائبا عـلى منطقـة محـدودة من مصـر ، وفي استطاعه واليها الاصلي عزله • اذا لم يحز رضاه • يضاف الى ذلك ماكـان من منافسة ابن المدبر عامل الخراج في مصر، ومحاولته الايقاع به عند الخليفة • ويبدو أن اسباب كره ابن المدبر لاحمد بن طولون تكمن في ما لمسه من شهامته ، وما يعرفه من كره الاهالي له بسبب زيادة الضرائب عليها • واستعماله القسـوة في الجباية •

---

(١) ـ ابن سعيد الاندلسي : المغرب في حلي المغرب ، ص ٧٧

سارت الظروف في صالح أحمد بن طولون ٠ فقد قتل باكباك ، فتولى مصر يارجوخ صهر احمد بن طولون ، فكتب الاول للثاني (تسلم من نفسك لنفسك) ، وزاد في سلطته بأن استخلفه على مصر كلها ٠ وحين توفي يارجوخ في سنة ٨٧١/٢٥٧ م تقلد ابن طولون ولاية مصر من الخليفة مباشرة ٠ فتوطدت قدمه في هذه البلاد ،وتمكن من تأسيس الدولة الطولونية في مصر ٠

عمل احمد بن طولون منذ أن ولي مصر على تقوية نفوذه بها ٠ فتترع في تحصين البلاد واعداد الجيش وتسليحه ، وانشاء السفن الحربية فبنى مدينة القطائع[٢] وضرب دنانير خاصة عرفت بالاحمدية ٠ ثم تطلع الى حماية حدوده الشماليه ٠ وأراد أن يمد نفوذه الى بلاد الشام حتى الثغور ٠ وكان يريد بذلك أن يظهر بمظهر حامي دار الاسلام من أعظم خطر يتهدده وهو الخطر البيزنطي ، وقد تحقق أمله حين قلده الخليفة ولاية الثغور الشامية وتبع ذلك توليته خراجها أيضا ٠ ثم كلفه بقتال عيسى بن الشيخ الشيباني في الشام [٣] ، ولكنه غير رأيه بسبب وشاية الوشاة ٠

انتظر أحمد بن طولون ظروفا أخرى تمكنه من دخول الشام ٠ فتهيأت له هذه الظروف في سنة ٢٦٤ هـ/٨٧٨ م اذ انه اصبح يملك جيشا قويا في الوقت نفسه الدي بدت فيه الخلافة العباسية عاجزة عن القضاء على الثوار في مركز الخلافة نفسها [٤] ٠ ثم عجز قوات العباسيين عن الدفاع عن الحدود امام البيزنطيين، فأدى هذا الى اعادة الثغور اليه ٠ ثم ساعدته الظروف بموت كل من منافسيه موسى بن بغا وأماجور ٠ وحصل على وثيقة رسمية من قبل الخليفة بتوليه الشام ٠

---

(٢) ـ حسن محمود : مصر الاسلامية العصر الطولوني ، مكتبة النهضة العربية سنة ١٩٦٠ ، ص٧-٨

(٣) ـ عيسى بن الشيخ بن السليل من ولد جساس بن مرة بن ذهب من شيبان ، انظر ابن الوردي : تاريخه ، جزء ١ ، ص ٢٣١ ـ يوسف الياس الدبس : تاريخ سروية ، مطبعة بيروت العمومية سنة ١٩٠٠ ، مجلد ٥ ، جزء ٣ ، ص ٣١٧

(٤) ـ ابن ظافر الازدي : المصدر السابق ، ورقة ٢٩ ـ
Zaky. M. Hassan: Les Tulunides Etude de l'Egypte Musulmane à la fin du Ixᵉ siesle, Paris 1933., pp. 4. 64-65.

تمكن أحمد بن طولون بذلك من فتح بلاد الشام بكاملها بما فيها الثغور • وتوحدت مصر والشام في عهده • وبدأ أحمد بن طولون حربه المقدسة ضد البيزنطيين ، ولكنه مالبث أن اضطر الى ايقاف نشاطه هذا عقب الاخبار التي وصلته عن ثورة ابنه العباس في مصر • وقبل أن يغادرها نظم شؤونها ، وترك بها قوات عديدة ، بقيادة حاجبه لؤلؤ • وترك حامية في حران ، وأخرى في الرقة ، وثالثه في دمشق • وكانت غايته من ترك الحاميات في مدن الشام تثبيت مركزه الجديد والمحافظة على أملاكه(٥) •

كان الطولونيون ولاة من قبل الخلفاء العباسيين وكانوا ينقشون اسم الخليفة على السكة ، ولم ينقش ابن طولون اسمه على السكة مع الخليفة ، الا بعد ان قام بحملته الاولى على الشام (٦) •

ـ علاقة الطولونيين بالخلافة العباسية

كانت سنة ٢٦٢ هـ / ٨٧٥ م بداية النزاع بين أحمد بن طولون والموفق•وتعود جذور هذا النزاع الى أن ابن طولون كان يعمل على مراعاة شؤون الخليفة المعتمد على الله ، وتنفيذ رغباته ، وخاصة المادية منها • ويبدو أن الموفق كان على علم بذلك • وكان في حاجة الى الاموال لانفاقها في حروبه مع صاحب الزنج • فأرسل احد رجاله الى ابن طولون يستحثه على حمل الاموال وغايته مراقبة ابن طولون وتحريض قواده ضده •

أخذ الموفق يعمل على تقليص سلطة ابن طولون • فعمل على حرمانه من الثغور الشامية ، وأخذ يحتج لدى الخليفة المعتمد على الله بأن ابن طولون عاجز عن حمايتها ، والقيام بأمر الجهاد • وأن الثغور تحتاج الى من يقيم فيها ويغزو بأهلها • ووصف أحمد بن طولون بأنه مهمل في هذا الامر • واتخذ القرار

---

(٥) ـ مصطفى طه بدر : مصر الاسلامية ، جزء ١ ، ص ١١٥

(٦) ـ ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ، جزء ٢ ، ورقة ٥٢ ظهر

بارسال ولاة الثغور من قبل الخلافة مباشرة[٧] • أدى هذا التصرف من قبل الموفق الى ضعف القيادة في الثغور ، والى خسارة المسلمين لثغر لؤلؤة الذي سقط في يد البيزنطيين[٨] •

كان سقوط لؤلؤة السبب المباشر الذي شجع الخليفة المعتمد على اعادة الثغور الى أحمد بن طولون • الا أن الموفق لم يرض عن ذلك • وأخذ يكيد لابن طولون عن طريق تأليب ولاته عليه في الشام والثغور •

وبدأ العداء بين أحمد بن طولون والموفق ، وزادت حدة الامور حين عزم الخليفة المعتمد على الله في سنة ٢٦٩هـ/٨٨٢–٨٨٣م على ترك بغداد هربا من أخيه الموفق • وكان قد كتب الى ابن طولون يشكو اليه سوء حاله مع أخيه • فأجابه بكتاب هام حسن له فيه المجيء الى مصر • ووعده بأن تكون جميع قواته تحت أمرة الخليفة • وأرسل له سفتجة بمائة ألف دينار [٩] ، ومالبث ان جاءه جواب الخليفة يذكر وصول رسوله وكتابه والسفتجة ، وأنه في طريقه اليه •

كان اهتمام ابن طولون هذه المرة بالخليفة موجها ضد الموفق ، وتشير المصادر والمراجع الى هلع الموفق حين علم بتصميم أخيه على الخروج من العراق • وأدرك انه اذا تم هذا الامر ، استولى احمد بن طولون على أمر الخلافة ، ولم يبق لاحد معه شيء[١٠] • ولكن الامر لم يتم ، ولم يستطع الخليفة الالتجاء الى ابن طولون بفضل تنبه الموفق الى المؤامرة •

أراد ابن طولون أن يضرب الموفق ، بعد أن ضرب مخططه في نقل مركز الخلافة • فكتب من دمشق الى عامله في مصر ، ان الموفق قد نكث بيعة الخليفة

---

(٧) ـ ابن شداد : الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، مخطوطة مصورة بجامعة الدول العربية رقم ٤٣ تاريخ ، ورقة ٧٥ وجه .

(٨) ـ ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٥ وجه ـ البلوى : المصدر السابق ، ص ٨٩–٩٠

(٩) ـ البلوى : المصدر السابق ، ص ٢٨١ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص٣٠٣–٣٠٤، Lane Poole : op. Cit., p. 68

(١٠) ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ٧٤–٧٥

المعتمد على الله •وطلب منه آن يسير اليه الفقهاء والقضاة والاشراف الى دمشق • ولما حصروا اليه ، عقد معهم اجتماعا انضم اليه قضاة وأشراف أهل الشام بما فيها الثغور[11] • وقرروا في هذا الاجتماع خلع الموفق ، وأفتوا بذلك • وبرروا عملهم هذا بأن الموفق كان يخالف المعتمد ويحصره ، فوجب جهاده على الامة • وكتب الكتاب على عدة نسخ ، وانفذ الى كل عماله نسخة تقرأ على المنبر وذلك في يوم الخميس ١٣/ ذي القعدة سنة ٢٦٩ هـ/٢٤ مايو ٨٨٣ م[12] •

كان لهذه الاعمال من قبل احمد بن طولون أثر كبير في نفس الموفق ، ولذلك فانه أمر بلعن احمد بن طولون في دار العامة وعلى المنابر • وقد صدر قرار اللعن من قبل الخليفة المعتمد على الله نفسه ليكون له صفة شرعية ، ولاضعاف مركز ابن طولون في الشام ومصر • كما اصدر قرارا بمنح ولاية المناطق التابعة لاحمد بن طولون الى اسحق بن كنداج •

لقد كان لموقف الموفق الحازم من أحمد بن طولون اكبر الاثر على موقف ابن طولون في الشام ، وخاصة وانه سبق ذلك هزيمة قواته في مكة على يد قوات الموفق • فقد شغب الامراء في الولايات ، وكان لهذا أثره في موقفه العسكري • فثارت ضده بعض المدن ، وحلت به الهزيمة في طرسوس [13] • وفي غمرة هذه الاحداث خرج ابن طولون بأمر آخر على الناس • فقد بنى على قبر معاوية بن ابي سفيان اربعة اروقة ، ورتب عند القبر اناسا يقرأون القرآن ، ويوقدون الشموع ، ومن المرجح ان تكون ذلك تحديا لبني العباس لكرههم التقليدي للامويين • ويبدو أن ما استحدثه ابن طولون ، استمر في عهد أبنائه ، مما دعا الخليفة المعتمد الى الرد على ماقام به الطولونيون من احياء ذكرى معاوية بلعنه على المنابر • وقام

(١١) ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦

(١٢) ـ الكندي : المصدر السابق ، ص ٢٢٦ Lane Poole : op. Cit., p. 69.

(١٣) ـ حسن محمود : العالم الاسلامي ، ص ٤٢٣ .

بانشاء كتاب يقرأ على الناس حول ذلك الامر ، على الرغم من تحذير رجال الخليفة له[١٤] .

كان ابن طولون سياسيا محنكا وقائدا ماهرا . خبيرا باساليب الحروب ، وتعبئة الجيوش ، كما كان اداريا حازما ، وقف على موارد الثروة المختلفة ، واستغلها لمصلحة الدولة والاهالي ، كما عمل على نشر العدل بينهم ، فاستتب له الامن ، واستقرت له الامور ، وسادت الطمأنينة بين الناس . توفي سنة ٢٧٠ هـ فخلفه ابنه خمارويه .

ظلت املاك الطولونيين في مصر والشام في عهد خمارويه ، كما كانت في عهد ابيه محط اطماع المتنافسين من القواد الاتراك ، ومثار حسد الموفق . ولذلك فان الموفق لم يجب خمارويه على كتابه الذي يطلب فيه اقراره على سائر البلاد التي في يده[١٥] .

وادرك خمارويه ان ولايته لن تكون مستقرة ، وان حكمه في البلاد لن يكون شرعيا لعدم حصوله على اعتراف الخليفة به . وأن اعداءه سوف يكيدون له مستغلين ذلك . وخاصة وان الامير الشرعي للبلاد حتى ذلك الوقت هو اسحق ابن كنداج . ولذلك فانه نظم اموره في هذه المنطقة وشحنها بالجيوش .

وحدث ماكان يتوقعه خمارويه ، فقد أيدت الخلافة العباسية مطامع اسحق ابن كنداج في أخذ الشام، واعانته بجيش عباسي قاده ابن الموفق «ابو العباس الخليفة المعتضد فيما بعد» وانضم اليهما ابن أبي الساج وساعدتهم الظروف بعصيان أحد قواد خمارويه عليه وهو أحمد بن دوغباش[١٦] .

---

(١٤) ـ ابن الجوزي : المنتظم ، جزء ٥ ، ص ١٧١ ـ العيون والحدائق ، جزء ٤ ، قسم اول طبعة دمشق ١٩٧٢ ، ص ٨٧ ـ ٨٨ .

(١٥) ـ ابن العديم . زبدة الحلب ، جزء ١ ، ص ٨٠ .

(١٦) ـ ابن العديم : بغية الطلب ، جزء ٢ ، ورقة ١٣٠ ظهر ـ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥٥

وتكرر خروج ابن ابي الساج وابن كنداج على خمارويه بتحريض من العباسيين في سبيل أخذ البلاد النابعة له • وأزهقت لاجل ذلك ارواح كثيرة • ولم يستطع هؤلاء تحقيق حلمهم في القضاء على الدولة الطولونية أو حتى في ابعادها عن بلاد الشام • ولذلك نرى الموفق وبعد أن رفض الاعتراف بولاية خمارويه فيما سبق ، يقبل ذلك على اثر كتاب من خمارويه يطلب من الخلافة الاعتراف بولايته مقابل مال يبذله عما بيده ، فأجيب الى ذلك • وكتب له كتابا ارسله الى مصر مع فالق الخادم في رجب سنة ٢٧٣ هـ/ ديسمبر كانون الاول ٨٨٦ م ذكر فيه ان المعتمد والموفق وابنه كتبوه بأيديهم تعظيما لخمارويه ؛ وترحيبا بهذا السلام • وحصل خمارويه بذلك على ولاية مصر والشام جميعه بما فيه الثغور لمدة ثلاثين سنة ، وشرط المعتمد على خمارويه ان يحمل اليه في كل سنة بعد القيام بجميع مصاريف المنطقة التابعة له ، وأرزاق اجنادها مائتي الف دينار(١٧) • وأضاف بعض المؤرخين شرط التوريث ، فذكروا ان الاعتراف كان لخمارويه وأولاده • فأمر خمارويه بالدعاء للموفق ، وبذلك استوفت الامارة الشكل • واصبحت الدولة الطولونية دولة يعترف بها أصحاب النفوذ الاسمي والفعلي (١٨) •

وعلى الرغم من هذا الاعتراف ، فقد عاد ابن ابي الساج الى مطامعه ، وحاول استعادة نفوذه على شمالي الشام • فقاتله خمارويه بجولنين كبيرتين ، وانتصر عليه فيهما (١٩) • ثم انتصر ايضا بجولة ثالثة وعادت قوات ابن ابي الساج تجر اذيال الخيبة •

وبذلك قضى خمارويه على أعدائه الذين كانوا قد اجتمعوا على قتاله ، وأقر السلام على حدوده • وامتد نفوذ الطولونيين الى مناطق لم تكن تابعة لهم ، فاهتم

---

(١٧) ـ ابن ظافر : الدول المنقطعة ، ورقة ٣٢ ـ ٣٣، ـ ابن تغري بردي : المصدر السابق ، جزء ٣، ص ٥٢

ـ حسن محمود : حضارة مصر الاسلامية ، ص ١٢٢

18 — Lane Poole : op. Cit., p. 73-Zaky Hassan : op. Cit.,p. 115.

19 — Zaky Hassan : op. Cit., p. 116.

خمارويه بعدها بشؤون الثغور ، ليستأنف امر الجهاد ضد البيزنطيين • وصفت له الامور بشكل تام على اثر وفاة الموفق سنة ٢٧٨ هـ/٨٩١ ــ ٨٩٢ م وبعده ابن كنداج في سنة ٢٧٩ هـ/٨٩٣ م • ثم توفي الخليفة المعتمد على الله ، وتولى ابو العباس بن الموفق الخلافة بلقب المعتضد • فبادر خمارويه بارسال الهدايا اليه ، وورد كتاب المعتضد اليه باقراره على ولايته • وتجددت بذلك الوثيقة التي كان الخليفة المعتمد قد منحها لخمارويه • وجعل اليه الصلاة والخراج والقضاء وجميع الاعمال ، على ان يحمل في كل عام من المال مائتي الف دينار عما مضى وثلاثمائة ألف عن كل عام للمستقبل • وتقدم خمارويه بتزويج ابنته قطر الندى لابن الخليفة المعتضد ، فاختارها لنفسه وتزوجها في سنة ٢٨١ هـ / ٨٩٤ م • وكان صداقها مليون درهم • وقد قيل ان المعتضد اراد بزواجه من قطر الندى افقار الدولة الطولونية • وحدث ما أراد فقد جهزت قطر الندى بجهاز لم يعلم بمثله •

وفي سنة ٢٨٢ هـ/٨٩٥ م خرج خمارويه الى الشام فقتل هناك • ويروي المؤرخون قصصا شتى عن مقتله واسبابه • ومما يلفت النظر اضطراب هذه الروايات التي يؤكد معظمها انه ذبح على فراشه بأيدي غلمانه في قصره بسفح جبل قاسيون اسفل دير مران في دمشق الاحد ٢٨ ذي القعدة سنة ٢٨٢ هـ/ ١٩ يناير ٨٩٦ م[٣٠] ويختلف المؤرخون في ذكر السبب الذي دعا غلمانه الى قتله • ولاداعي لذكر كل ماقيل في هذا الامر • الا ان لي رأيا في الموضوع عسى أن اصل به الى الصواب • وقد بدا لي ذلك من خلال مطالعاتي في مخطوطة بغية الطلب لابن العديم • مما جعلني ارجح أن غلمانه قتلوه بايعاز وتحريض من طغج بن جف •

ينقل ابن العديم من أقدم مؤرخي هذه الفترة وهو ابن زولاق • فيذكر

.. الكندي : المصدر السابق ، ص ٢٤١ ــ ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ١٢٥
. ابن العديم : زبدة الحلب ، جزء ١ ، ص ٨٦ . وهناك قصص كثيرة في اسباب قتله انظر
.. ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣٨٥ ــ سعيد بن البطريق : المصدر
السابق ، ص ٧٢

ان حضور خمارويه الى دمشق في المرة التي قتل فيها كان على اثر غضبه الشديد من طغج بن جف لعدم تنفيذ اوامره التي اصدرها اليه بقتل راغب الخادم • وكان خمارويه مصمما على قتل طغج • وشعر الاخير بالامر ، وخاصة حين امتنع خمارويه عن الشرب على المائدة التي احضرها له طغج • ويبدو ان الحديث دار في هـذه الجلسة بين خمارويه وطغج بن جف حول الموضوع نفسه • وأن خمارويه اعترف بأنه ماجاء الى دمشق الا من اجله فقط • وبدا الاضطراب على طغج بن جف ، مما اضطر خمارويه الى تغيير الحديث • ثم انصرف كل منهما وطغج بن جف في أشد الحالات من الخوف لانه ادرك انه سيقتله ولما أصبح الصباح كان العكس قد حصل اذ وجد خمارويه مقتولا [21] • وتظاهر طغج بن جف بأنه مع الطولونيين وأنه يفتش عن القتلة • وأخذ البيعة لجيش ابنه ليبعد عن نفسه الشبهة والشك • الا انه ما لبث ان تغير على الطولونيين [22] •

ـ جيش وهارون ابنا خمارويه

اضطربت احوال الدولة الطولونية بعد موت خمارويه سنة ٢٨٢ هـ / ٨٩٥م، وتدخل الجند في الحكم ، وتنافس الامراء الطولونيين فيما بينهم • واشتعلت الفتن والثورات • وفقد أمراء البيت الطولوني عنصر القوة • كان جيش صبيا غرا لم يتجاوز الرابعة عشر ، الا انه كان أكبر أولاد خمارويه ، وتولى طغج بن جف حاكم دمشق اخذ البيعة له من قواد الجيش[23] • ولم يكن جيش على مستوى المسؤولية التي حملها ، اذ انه لم يستطع ان يقوم بالمهمات التي يتطلبها مركزه كحاكم لمصر والشام ، ومدافع عن الثغور الشامية [24] •

ولم تكن مشاكل الامارة في عهد جيش تنحصر في سوء سياسته ، بل انه

---

(٢١) ـ ابن العديم : بغية الطلب ، مجلد ٦ ، ورقة ١٠ ـ ١٣

(٢٢) ـ انظر فيما بعد الدولة الاخشيدية •

(٢٣) ـ Zaky Hassan : op. Cit., p. 134.

(٢٤) ـ سعيد بن بطريق : المصدر السابق ، ص ٧٢

تسلمه والخزانة فارغة من الاموال • وزاد من مشاكل الامارة تفكك الاسـرة الطولونية وحسد افرادها بعضهم الى بعض •

وما لبثت بلاد الشام ان خرجت عن طاعة جيش ، وبدأت بها أولى مظاهـر اختلال الحكم الطولوني • وحكم طغج بن جف مابيده من اعمال الشام دون أن يقدم الطاعة للامير • كما ساءت أحوال مصر • وبقي الامر على هذه الحـال حتى قتل جيش سنة ٢٨٣ هـ/٨٩٦ م •

كان هارون أهل خبرة من أخيه • ومما زاد الامر سوءا عدم اعتراف الخليفة العباسي المعتضد بامارته حتى سنة ٢٨٦ هـ / ٨٩٩ م أي بعد ثلاث سنوات من ولايته على الرغم من الحاح هارون في ذلك • كما خرجت بلاد الشام ومنطقة الثغـور عن طاعته • ولم يبق له من الامر سوى الاسم •

وفي سنة ٢٨٥ هـ /٨٩٨ م كرر هارون طلبه ، وأرسل الى الخليفة المعتضد طالبا منه الاعتراف بامارته على ما بيده من بلاد الشام ومصر • وعاد الرسـول وبرفقته رسول الخليفة المعتضد ليقدم شروط الاعتراف بهارون • ويبدو أن هـذه الشروط تتعلق بالثغور وبالاموال التي يجب ان يقدمها هارون الى الخلافة مقابل ذلك • الى جانب ارسال مولى تركي من قبل الخلافة للاشراف على أمير الطولونيين في مصر نفسها[٢٥] •

وقد وافق هارون على شروط الخلافة مقابل اعتراف الخليفة به كأمير على البلاد التي في يده • وخاصه وانه وجد أن الثغور قد خرجت فعلا من يده ، وان تبعيتها اليه نسبية فقط • وان الخليفة المعتضد بدأ يتدخل بشكل مباشر في أمورها دون ان يتمكن هرون من الاتيان بأي عمل • اذ كان المعتضد قد تدخل في شؤون الثغور واهتم بها لدفع البيزنطيين ورد عدوانهم • منذ ان قدم اليه وفد مـن

(٢٥) الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ص ٧٠

أهالي طرسوس يناشدونه العناية بشؤونهم ، وضبط امور ثغرهم • وتعيين من يقودهم في الجهاد ، قبل توقيع الاتفاقية مع هارون [٢٦] •

ويبدو أن سيطره الخلافة على شمال الشام قبل سنة ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م ، وفي نهايه عهد خمارويه • فقد وجدت نقود ذهبية في الرافقة تعود الى سنة ٢٨١ هـ/ ٨٩٤ م لم يذكر عليها اسماء الأمراء الطولونيين ، ولم يذكر عليها سوى اسم الخليفه المعتضد[٢٧] •

ـ نهاية الدولة الطولونية

بدأت الدولة الطولونية تتهاوى أمام ضربات القرامطة في الشام • فلم تستطع جيوشهم الصمود ، وقتل معظم رجالها • وكان أميرهم هارون بن خمارويه سيىء السيرة • حتى ان معظم قواده وأنصاره قد تركوه وانضموا الى العباسيين • وخرجت بلاد الشام عن سلطتهم ، وأصبحت تتبع لهم تبعية اسمية منذ ان خرج عليهم طغج بن جف ، كما أن الخزينة الطولونية كانت فارغة ، وعجز الطولونيون عن دفع رواتب الجند • هذا فضلا عن تنافس أفراد الاسرة الطولونية للوصول الى كرسي الامارة •

وفوق كل ذلك فان الخلافة العباسية شهدت في عهد كل من الخليفتين العباسيين المعتضد والمكتفي فترة من فترات الاحياء ، تعود الى قوة شخصية هذين الخليفتين • وقد اتضح اثر ذلك في عهد الخليفة المكتفي ، الذي تمكن من استعادة هيبة الخلافة العباسية • وتمثل في انتصاره على القرامطة ، ثم فيما بعد في استعادة مصر والشام من الطولونيين •

اهتم الطولونيون بالعمران الى درجة كبيرة • فقد بذل امراؤهم الاموال

---

(٢٦) ـ حسن محمود : المرجع السابق ، ص ١٦٧

(٢٧) Lane Poole : The Mahammadan Dynasties. p. 86.

الضخمة على المباني الفخمة والمنتزهات . ومن جملة ذلك بناء مدينة القطائع قرب الفسطاط ، حيث بنى فيها أحمد بن طولون المسجد المعروف باسمه حتى اليوم . والذي ضم مئذنة على نمط المئذنة الملوية في جامع سامراء في العراق .

كما بنى خمارويه قصرا أقام فيه قاعة مذهبة حفرت فيها صورته وصور نسائه على الخشب بالحجم الطبيعي كما بنى مارستانا للمرضى ، ووفر لهم سبل الراحة .

كما أنفق بسخاء على مطابخه . ويقال بأن نفقاته بلغت كل شهر ثلاثة وعشرين ألف دينار . وقد كانت مدينة القطائع ايام الطولونيين تعج بالفقهاء والمحدثين والمتصوفة والادباء والمؤرخين . ومن أشهر الفقهاء وأعلمهم بكار بن قتيبة ، ومن المتصوفة ذو النون المصري ، ومن المؤرخين ابن عبد الحكم ، بالاضافة الى وجود عدد كبير من الشعراء .

وفي نهاية هذا البحث يبقى لزاما علينا أن نتساءل عن أسباب اشتداد نشاط الاسماعيلية والقرامطة في عهد الطولونيين في بلاد الشام . والجواب على ذلك هو أن هؤلاء واولئك بدأوا نشاطهم في بلاد الشام بعد ان دخلت الدولة الطولونية مرحلة الضعف . وكذلك كانت الدولة العباسية . وكان هذا الضعف نتيجة للصراع النامي بين احمد بن طولون والموفق ، الى جانب الاسباب الاخرى .

ب ـ الدولة الاخشيدية (٢٨) في الشام ومصر (٣٢٣ ـ ٣٥٨ هـ / ٩٣٥ـ٩٦٩م)

لمع نجم طغج بن جف والد مؤسس هذه الدولة منذ عهد الامارة الطولونية. فقد قدمه خمارويه على جميع من معه ، وقلده دمشق وطبرية(٢٩) . الا أن خلافا حدث بينهما وعزم خمارويه على الفتك بطغج ، غير انه قتل قبل تحقيق ذلك .

---

(٢٨) ـ عن أصل الاخشيديين انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ١٤٩ ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ١٤٧

(٢٩) ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ١٤٩ ـ ابن ظافر الازدي : الدول المنقطعة ، ورقة ٣٤

وكان طغج معه في القصر ليلة قتله • وسخط طغج على جيش بن خمارويه وشق عليه عصا الطاعة في دمشق • وحكم الشام حكما مستقلا في عهد هارون • ومالبث أن حصل — بعد تسوية سلمية بينهما — على اقراره بولاية دمشق وان يكون تابعا للطولونيين • وكان طغج من بين القواد الطولونيين الذين لم يرضوا عن قتل هارون بن خمارويه ، ولم يعترفوا بخلفه شيبان • وكان لانضمام قادة الطولونيين للجيش العباسي الذي يقوده محمد بن سليمان اثر كبير في انتصار هذا الجيش والقضاء على الامارة الطولونية • ويبدو أن محمد بن سليمان أراد أن يفيد من خبرة طغج بن جف ويتخلص من وجوده في دمشق • فقرر ارساله الى الثغور ، وجعله واليا على قنسرين • وضم اليه طائفة من جند بني طولون •

لم يبق طغج في هذا المنصب طويلا • اذ أنه اضطر الى الذهاب الى بغداد مع أولاده • حيث سجنوا اثر خلاف مع وزير الخليفة المكتفي[٣٠] • وسنحت الفرصة لولدي طغج بقتل الوزير بعد وفاة والدهما في السجن • ثم توجه احدهما وهو محمد ابن طغج الى الشام ، حيث ساعده الحظ ، وأخذ يرتقي في المناصب ، حتى اصبحت له ولاية الرملة ، ثم ولاية دمشق[٣١] •

وقد أتيح للاخشيد أن يؤسس لنفسه جيشا ضم اليه طائفة كبيرة من الجند • وأخذ يجمع المال بالطرق والوسائل المختلفة ، وعلى رأسها مصادرة الاموال عند من يعرف عنهم الثراء •

وحين استقرت له الامور في دمشق ، طمع الى ولاية مصر • فدخلها بعهد من الخليفة الراضي في ٢٣ رمضان سنة ٣٢٣ هـ/٢٧ اغسطس اب ٩٣٥ م بقوة السلاح[٣٢] • وهكذا حقق محمد بن طغج كل ما يصبو اليه • فأخذ في تنظيم اموره في بلاد الشام ومصر • كما حصل في سنة ٣٢٧ هـ/٩٣٩ م على لقب الاخشيد من

---

(٣٠) — طه بدر : المرجع السابق ، ص ١٦٩ — سيده كاشف : المرجع السابق ، ص ٦٠.

(٣١) — ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ١٥٣ .

(٣٢) — ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص١٤٨ — ابو الفداء : تاريخه ، جزء ٢ ، ص ٨٨٧

الخليفة الراضي • وفي اعطاء الاخشيد هذا اللقب ، اعتراف من الخليفة بمكانته كما كان هذا صدى لما أصبح للاخشيد من مكانة في العالم الاسلامي •

ولقد ساعد الاخشيد في حكمه قائده كافور الذي كان مملوكا خصيا حبشيا ، الا انه مالبث أن ترقى في بلاط الاخشيد فأصبح مربيا لاولاده الى جانب القيادة العسكرية •

وحين أصبح الاخشيد في أوج قوته ، استنجد به الخليفة المتقي لله — حين بدا له أن الحمدانيين ضجوا من مقامه بينهم ، بعد أن فر اليهم من ظلم توزون — وارسل له كتابا يشرح له فيه وضعه • وخرج على اثر ذلك الى الرقة مع أولاده وحرمه ، يرافقه وزيره ابن مقله، فوصلها في أوائل رمضان سنة ٣٣٢ هـ/ابريل نيسان ٩٤٤م[٣٣]

ولما ورد على الاخشيد كتاب الخليفة المتقي لله سار الى الشام في رجب سنة ٣٣٢ هـ/مارس اذار ٩٤٤ م حتى وصل الى دمشق ، ودخلها • ثم انفذ مع احمد ابن سعيد الكلابي أموالا الى الخليفة المتقي ، وتوجه بدوره نحو شمالي الشام • فدخل حلب بعد أن فر منها الحسين بن حمدان امامه • وسار الاخشيد حتى بلغ الرقة ، وأراده المتقي أن يعبر اليه ، فلم يفعل خوفا على نفسه أن يحدث له مثل ما حدث لابن رائق — فعبر المتقي اليه ، واجتمعا هناك[٣٤] •

اظهر محمد بن طغج الخضوع للخليفة • فامتنع عن الركوب بين يديه • وحمل اليه هدايا واموالا كثيرة • ولم يدع أحد من أصحاب الخليفة وحواشيه الابره ووصله • واجتهد بالمتقي لله ان يسير معه الى الشام ومصر فأبى ، فأشار عليه بالمقام مكانه • وضمن له أن يمده بالاموال فلم يفعل • ولا شك في أن تصرفه هذا كان لخوفه من الاتراك والحمدانيين •

وهكذا كرر الاخشيد ما فعله ابن طولون ليجعل من مصر قاعدة للخلافة العباسية ، ولم ينجح في ذلك ، وظفر فقط باعتراف الخيلفة له بولاية الشام ومصر

---

(٣٣) — سيده كاشف : المرجع السابق ، ص ٨٥

(٣٤) — ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ١٩١ •

له ولابنه اونوجور مدة ثلاثين سنة[٣٤] • وبهذا الاعتراف من الخليفة المتقي بتبعية بلاد الشام لمحمد بن طغج الاخشيد ولابنه من بعده • فانه يكون قد حرم بني حمدان منها ، ووقف في وجه مطامعهم • كما ضم الاخشيد الحجاز الى املاكه قبل سنتين من وفاته فقط •

تعرض نفوذ الاخشيد للخطر في بلاد الشام حين نافسه محمد بن رائق أمير الامراء على حكمها • ومما لاشك فيه أن هناك ظروفا دعت ابن رائق الى ترك مركز الخلافة في بغداد ، والتوجه بانظاره نحو بلاد الشام • وتتلخص هذه الظروف فيما كان يسود مقر الخلافة العباسية من منافسات ومؤامرات للاستئثار بالنفوذ ، والاستيلاء على منصب امير الامراء •

وسار ابن رائق في ربيع الثاني سنة ٣٢٧ هـ/ يناير كانون الثاني ٩٣٩م الى أن أتى مدينة حلب فاستولى عليها[٣٦] • وبدأت منذ ذلك الوقت سلسلة من الصدامات بينه وبين محمد بن طغج الاخشيد • اذ قام بتهديد الاخشيد في أملاكه • وطالبه بدفع مقدار من المال كجزية على الممتلكات الاخشيدية في الشام • وقلق ابن طغج أشد القلق لهذا الوضع ثم اشار عليه بعض معاونيه بأن يسترضي ابن رائق بالاموال ليكف شره عنه • ولكن مالبث أن بدا للعيان ان المطالبة بالاموال لم تكن الا حجة أراد ابن رائق أن يتذرع بها للاستيلاء على الشام • فلما دفع الاخشيد الاموال المطلوبة ، لم ير ابن رائق بدا من أن يكشف عن نواياه الحقيقية • وهكذا خرج الى الشام على رأس جيش كبير • ولما بلغ الرقة ، بعث الاخشيد جيشا لمقابلته فهزم • وعلى اثر ذلك تمكن ابن رائق من الاستيلاء على حلب وحمص وغيرها • كما استولى على دمشق بعد أن هزم فيها عبيد الله بن طغج • وسار ابن رائق حتى

---

(٣٥) . ابن العديم : زبدة الحلب ، جزء ١ ، ص ١٠٧ - حسن محمود واحمد الشريف : العالم الاسلامي ، ص ٤٣٩

(٣٦) - ابن العديم : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ١٠٠ - بمتشوف : تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء ، طبعة بيروت ١٨٨٠ ، ص ٢٨

دخل مدينة الرملة في آخر ذي الحجة سنة ٣٢٧ هـ/سبتمبر ايلول ٩٣٩ م • وانصرف اصحاب الاخشيد عنها دون قتال[٣٧] •

وأحس ابن طغج الاخشيد بخطر ابن رائق ، وعظم الجهود اللازمة لصده ، كما بلغه ما كان يقال من أن الخليفة قلد ابن رائق ولاية الشام • فرأى ان يلجأ الى الخليفة ليستطلع جلية الامر • ومثل رسول الاخشيد امام الخليفة مقدما رسالة الاخشيد • وكان مجلس الخليفة يضم بجكم امير الامراء • ولعل جوابه يعبر عن الوضع في بلدان الخلافة في تلك الفترة • ويوضح عجز الخليفة عن حمايـة أي من الطرفين فقد قال بجكم (من ضرب بالسيف وهزم صاحبه فالعمل له)[٣٨] • وليس هذا الامر غريبا على الخلافة العباسية في ذلك الوقت ، ونحن نعلم أن أمير الامراء كان له الامر والنهي[٣٩] •

وحين علم الاخشيد بموقف الخليفة وأمير الامراء ثارت ثائرته ، وتبدلـت صلة المودة التي كانت تربطه بالخليفة العباسي الى كراهية ، لدرجة أنه اصدر اوامره بقطع الخطبة للخليفة العباسي وذكر اسم الخليفة الفاطمي عوضا عنه[٤٠] •

ووقع بين الاخشيد وابن رائق مناوشات ومعارك عديدة انتهت لصالـح الاخشيد[٤١] • ثم قامت وساطة بالصلح بين الفريقين على ان يحـكم ابن رائق الولايات الشامية شمالي الرملة ، وعلى أن يدفـع الاخشيد اليه جزيـة سنوية ، قدرها مائة واربعين الف دينار[٤٢] •

---

(٣٧) ـ ابن سعيد . المصدر السابق ، ص ١٧٤

(٣٨) ـ ابن سعيد : المصدر السابق ، ص ١٧٦

(٣٩) ـ ابن العميد : المصدر السابق ، ص ٢٠٣

(٤٠) ـ انظر نص موقف الاخشيد هذا كاملا في حسن ابراهيم حسن : الدوله الفاطمية ، ص ١٢٠-١٢١.

(٤١) ـ الصولي : اخبار الراضي بالله والمتقي لله ، ص ١٤٣ ـ ابن سعيد : المصدر السابق ،ص١٧٨
ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٤ ، ص ٣١٢ ـ سيده كاشف : المرجـع السـابق ، ص ٨٢ ـ ٨٣ •

(٤٢) ـ الانطاكي : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، جزء ١ ، ص ٧٢.

ولاشك في ان الظروف المحيطة بالاخشيد هي التي دعته الى عقد الصلح على هذا الشكل • فقد اصبح يخشى تهديد الفاطميين له • حيث ان قوتهم تزايدت في المغرب ، واصبح في مقدورهم أن يهددوه في مصر • كما أنه كان يعرف مكانة ابن رائق ولايريد ان يستمر في حرب معه • اذ كان يخشى ان تواصل الخلافة العباسية الحملات عليه ، على الرغم من انتصاره على خصمه • وقد عد بعض المؤرخين هذه المعاهدة دليلا على ضعف محمد بن طغج ، اذ وقعت بينهما بعد ان كانت جيوش الاخشيد قد نجحت في الوصول الى حلب والانتصار على والي ابن رائق فيها •

وقد ساعدت ظروف الخلافة العباسية السيئة والنزاع على منصب امرة الامراء في عودة بلاد الشام الى الاخشيد • فقد استدعى ابن رائق الى بغداد • ثم انتهت حياته على يد ابن حمدان • ثم مالبث الاخشيد ان وقع في صدام مع الحمدانيين لمطامعهم في بلاد الشام[43]

عهد الاخشيد الى كافور بالوصاية على ابنه ابي القاسم اونوجور • وقد تسلم الاخير الامارة بعد موت ابيه في ٢٤ ذي القعدة سنة ٣٣٥ هـ/يوليو تموز ٩٤٦ م وقام كافور بتدبير أمره فأصبح صاحب السلطان المطلق في ادارة الدولة الاخشيدية •

قام في وجه كافور في مبدأ حكمه بعض المشاكل الداخلية والخارجية ، فنجح في القضاء على ثورة قام بها أهالي مصر ، فارتفع شأنه بين الناس • ثم وردت الانباء باضطراب الامور في الشام ، واستيلاء سيف الدولة الحمداني صاحب حلب على دمشق ، وبأنه قد عول على المسير الى الرملة لغزو مصر • فحاربه كافور ، وانتصر عليه انتصارا حاسما بالقرب من مرج عذراء بجوار دمشق • ودخل جيش الاخشيديين مدينة حلب ، وعقدت بين الفريقين معاهدة صلح بالشروط نفسها التي عقدت بها اواخر عهد طغج ، ما عدا الجزية التي وقف دفعها •

---

(٤٣) . انظر فيما بعد الدولة الحمدانية .

وحصل كافور على موافقة الخليفة العباسي على تولية انوجور على مصر والشام وعلى المدينتين المقدسنين مكه والمدينة • وحكم كافور هذه المناطق باسم أونوجور ، وخاطبه عليه القوم بالاستاذ وذكر اسمه في الخطبه ، ودعي له على المنابر في مصر والبلاد الاخرى التابعة له[٤٤] •

وبعد ان توفي انوجور ، وتولى اخوه علي بن الاخشيد • ظل كافور يباشر الامور بنفسه • وبقي الامير الحقيقي قابعا في داره • يأخذ ماعينه له كافور ، وقدره اربعمائة الف دينار في كل سنه • ومات في سنة ٣٥٥ هـ/٩٦٦ م •

كان احمد بن علي الوارث للعرش صغير السن • فحال كافور دون تعيينه بحجة انه غير صالح لصغر سنه • وبقيت مصر بغير امير نحوا من شهر • وفي محرم سنة ٣٥٥ هـ/٩٦٦ م اخرج كافور كتابا من الخليفة العباسي ، بتقليده على ولاية مصر ، واظهر الخلع التي وصلت اليه من الخليفة العباسي ، وحكم باسمه زهاء سنتين وأربعة اشهر حتى وفاته في جمادى الاولى سنه ٣٥٧ هـ/٢٣ ابريل نيسان ٩٦٨ م[٤٥] •

وبعد وفاته عقدت الولاية لاحمد بن علي الاخشيد • الا ان الحسن بن عبيد الله بن طغج لم يبايعه اولا بل أخذ البيعة لنفسه • واستولى على ماكان لكافور من آموال في الرمله • ويبدو أن الامور سارت في النهاية على أن يدعى لاحمد بن علي الاخشيد على منابر مصر والشام والحرمين ، ثم من بعده للحسن بن عبيد الله بن طغج[٤٦] ، الا آن الامارة الاخشيدية في مصر مالبثت ان سقطت في يد الفاطميين ثم تبعتها بلاد الشام • وبذلك وضع الفاطميون حدا لسلطان الدولة الاخشيدية • ويمكننا ان نلخص اسباب سقوط الدولة الاخشيدية بما يلي :

---

(٤٤) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٤٠

(٤٥) ـ سيده كاشف : المرجع السابق ، ص ١٢ ـ بينما يذكر الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨١١ بأن كافورا توفي في ٢٠ جمادى الاولى سنة ٣٥٦ هـ •

(٤٦) ـ الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨١١

ـ الخلافات بين أفراد الاسرة الاخشيدية ، وتنافسهم فيما بينهم للوصول الى عرش الامارة • الى جانب اختلاف القواد على تولي أمر الجند • وأخذ كل واحد منهم بتسمى بالامير • ويتربص الفرص للايقاع بصاحبه • وقد ادى ذلك الى فرار قسم كبير من الجنود من مصر • واللحاق بالحسن بن عبيد الله في الشام، وما نتج عن ذلك من قلة عدد جنود الاخشيديين في مصر •

ـ وقد لعب ارتفاع الاسعار وتعذر الاقوات دورا كبيرا في سقوط الامارة ، يتضح ذلك مما ذكره المقريزي[٤٧] ، اذ قال : (مات كافور فكثر الاضطراب ، وتعددت الفتن ، وكانت حروب كثيرة بين الجند والامراء قتل فيها خلق كثير ، وانتهبت اسواق البلد ، واحرقت مواضع عديدة • فاشتد خوف الناس وضاعت اموالهم وتغيرت نياتهم وارتفع السعر وتعذر وجود الاقوات حتى بيع القمح كل ويبه بدينار • واختلف العسكر فلحق الكثير منهم بالحسن بن عبيد الله بن طغج وهو يومئذ بالرملة • وكاتب الكثير منهم المعز لدين الله الفاطمي ، وعظم الارجاف بمسير القرامطة الى مصر ، وتواترت الاخبار بمجيء عساكر المعز من المغرب) •

ومما لاشك فيه ان اضطراب الاسعار وزيادة ثمن الحبوب ، رافقه وباء عظيم • وقد امتد ذلك فترة طويلة يحددها الانطاكي[٤٨] من سنة ٣٥٣ ـ ٣٥٧ هـ/٩٦٤ ـ ٩٦٨ م بينما يذكر المقريزي[٤٩] انها دامت تسع سنين متتابعة ، ابتدأت من سنة ٣٥٢ هـ/٩٦٣م • ويعزى سبب ذلك الى انخفاض ماء النيل • ومما يذكر ان الامر تفاقم في سنة ٣٥٧ هـ/٩٦٨ م وهلك الضعيف من الناس • وأكلوا الجيفة وكانوا يسقطون موتى من الجوع • وزاد الوباء فكثر الموت ، حتى انهم لم يتمكنوا من دفن موتاهم جميعا • وكانوا يحفرون لهم حفرا وينزل فيها عدد كبير من الموتى ، ويردم عليهم التراب من غير صلاة ولا غسل ولا كفن[٥٠] •

---

(٤٧) ـ اغاثة الامة في كشف الغمة ، ص ١٣

(٤٨) ـ المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨١٢

(٤٩) ـ اغاثة الامة ، ص ١٢ ـ ١٣ •

(٥٠) ـ الانطاكي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨١٢ ـ ٨١٣

ـ كما عانت الدولة الاخشيدية كثيرا من المتاعب بسبب كثرة الحروب التي اضطرت الى خوضها وكان آخر هذه الحروب مع القرامطة الذين اضعفوا مركزهم في بلاد الشام • وبالتالي فقد ضعف مركزهم في مصر نفسها • وجاء الفاطميون فوجدوا البلاد بحالة شديدة من الضعف فسهل عليهم تحقيق اهدافهم في القضاء على الدولة الاخشيدية في مصر والشام وضمها الى املاكهم •

لم تخلف الدولة الاخشيدية شيئا يذكر من المآثر العامة ، وقد وجه جل اهتمامها الى تقريب الشعراء والادباء • ومن أشهرهم المتنبي الذي التحق بهم بعد ان فارق سيف الدولة • وكان يأمل في تولي بعض الاعمال ولما لم يحقق مايصبو اليه ترك كافور بعد ان هجاه هجاء مرا مقذعا • ونبغ في عهدهم ابو عمر الكندي المتوفى سنة ٣٥٠ هـ ، وكتابه الولاة القضاة من الكتب الهامة • وكذلك الحسن ابن زولاق المتوفى سنة ٢٨٦ هـ/٩٩٧ م صاحب كتاب العيون الدعج في حلى بني طغج ، وسيبويه المصري المتوفى سنة ٣٥٨ هـ/٩٦٩ م •

—※...



الفصل الرابع

« العلاقات العربية البيزنطية في عصر سيطرة الاتراك »

انتهى الدور العباسي الاول والغلبة فيه للعباسيين على البيزنطيين ، على الرغم من عدم قيامهم باحتلال ثابت للاراضي البيزنطية ، ذلك ان مسرح القتال كان في الثغور أو داخل الاراضي البيزنطية • ولكن الوضع تغير في عصر سيطرة الاتراك سواء اكان ذلك في الفترة التي تولى فيها العباسيون مواجهة البيزنطيين بقيادة جندهم الاتراك ، أو في الفترات التالية والتي تولت فيها الدول المستقلة عن الخلافة في المنطقة قضية الدفاع مثل الطولونيين والاخشيديين والحمدانيين • وسنتناول العلاقات مع البيزنطيين في هذا العصر بالتتابع بحسب القوى التي تسلمت الدفاع ضد البيزنطيين •

١ ـ العباسيون يتولون الدفاع عن الثغور :

بدأ عصر سيطرة الاتراك بخلافه المتوكل ، ولم تكن اوضاع الخلافة العباسية الداخلية في عهده بأحسن مما كانت عليه أيام الواثق • فقد كانت مشاكل الخلافة الداخلية تشده ، لذلك فانه رحب بالفداء الذي عرضه عليه البيزنطيون • وقد جرى الفداء كالعادة على نهر اللامس ، وفودي به ما يقارب ٨٧٥ رجلا و ١٢٥ امرأة[1]

(١) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٠٣ ـ ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٥ وجه ـ انظر المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ١٩١ وهو يذكر ان هذا الفداء هو الرابع من نوعه ، وان عدد من فودي به ٢٢٠٠ انسانا .

واتخذ البيزنطيون دور المهاجم ، فأخذوا في سنة ٢٤١ هـ/٨٥٥ — ٨٥٦ م في الاغارة على عين زربه ، فأسروا كل من وجدوه بها • وكان اكثرهم من الزط الذين نفلهم المعتصم اليها بعد ثورتهم التي قاموا بها[٢] • وبعد هذه الغزوة تأكد البيزنطيون ان المسلمين مشغولون بخلافاتهم الداخلية ، فنشطوا لمهاجمة الحدود[٣] •

الى جانب ذلك فقد اخذت الصوائف التسواتي تتعرض لخطر كبير • وأخذ قوادها في معظم الاحيان يعرضون للقتل او للاسر على ايدي البيزنطيين اثناء قيامهم بالغزوات • فقد قتل البيزنطيون في تلك الفترة قائدين من أشهر قواد المسلمين وهما عمر بن عبيد الله الاقطع ، وعلي بن يحيى • فقد قتل الاول في ١٥ رجب سنة ٢٤٩ هـ/٤ سبتمبر ٨٦٣ م مع الف من المسلمين • اما القائد الثاني فقد نفر للانتقام من البيزنطيين بعد خروجهم الى الثغور الجزرية ، الا أنه مالبث أن قتل مع اربعمائة من رجاله في رمضان من السنة نفسها[٤] •

وبعد فترة وجيزة أسر قائد ثالث هو عبد الله بن رشيد بن كاوس الذي دخل بلاد البيزنطيين في اربعة الاف فارس • فانتصر في أول الامر ، ولكنه مالبث أن حوصر وأسر وقتل جميع رجاله ماعدا خمسمائة منهم[٥] •

وشعر اهالي بعض الثغور بضعف المسؤولين عن حمايتهم • فأخذوا يترددون في اعلان ولائهم للبيزنطيين • كما وبدا منذ ذلك الوقت سقوط بعض قلاع المسلمين نهائيا في ايدي البيزنطيين • ففي سنة ٢٦٣ هـ/٨٧٦ م سقط حصن لؤلؤة بيد البيزنطيين ، ثم تلاه بعد ذلك سقوط قلاع اخرى لاتقل عنه أهمية[٦] • وكانت هذه

---

(٢) — البلاذري : فتوح البلدان ، ص ١٧١ — ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٦٤ وجه
— ابن العميد : المصدر السابق ، ص ١٥٠
(٣) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٠٧
(٤) — اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٢١٩ — ٢٢٠ — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ٢٦١
(٥) — ابن العبري : المصدر السابق ، ص ٢٥٦ — ٢٥٧ — زيني دحلان : المرجع السابق ، جزء ١، ص ٢٧٤ •
(٦) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٥٣٢
Zaky Hassan: op.cit , p. 157

القلعة بيد المسلمين منذ ان سقطت بايديهم في عهد المأمون • وبقيت طوال هـذه الفتره شجى في حلق العدو • فلم يفم البيزنطيون بغزوة برية او بحرية الا رآهـم حراس هذه القلعه واندروا المسلمين[٧] •

أما في البحر فانه في سنة ٢٤٦ هـ/٨٦٠ ــ ٨٦١ م قامت قوة بحرية مستقرة عند طرسوس ، ويمكن ان يكون هذا الاسطول قد دعم بفرق مصرية بالهجوم على القاعدة البحرية البيزنطية الاناضولية في اضالية • ورافق هـذا الهجوم هجـوما اسلاميا بربا على آسية الصغرى[٨] •

٢ ــ **الطولونيـون والبيزنطيون :**

كون الطولونيون امارة في مصر والشام• وتسلموا كذلك حماية الثغور والدفاع عنها للوقوف في وجه البيزنطيين • ففد ازعجت انتصارات البيزنطيين الخليفة المعتمد الدي رآى ان جميع الممتلكات في فيليقية اصبحت مهددة بالخطر البيزنطي بعد ضياع قلعة لؤلؤذ وقلاع اخرى[٩] • فسلم الثغور لاحمد بن طولون •

ولم نشهد هذه الفترة من مراحل النزاع بين العرب والبيزنطيين حروبا حقيقية بينهما • فلم يكن الامر يعدو مجرد غزوات وغارات متبادلة ، رجحـت في بعضها كفة البيزنطيين وفي البعض الاخر كفة الطولونيين • واستمر الامر كذلك حين آل امر التغور الى العباسيين اثر سقوط الامارة الطولونية حتى سنة ٣١٢ هـ/٩٢٤ ــ ٩٢٥ م •

وجه نائب أحمد بن طولون طخشي بن يلبرد ضربات مركزه للبيزنطيين عقب قيامه باصلاح الثغور ، وخشي الامبراطور البيزنطي من قوة موقف الطولونيين

---

(٧) ــ زيني دحلان : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٧٤

(٨) ــ ارشيبالد : المرجع السابق ، ص ٢٢٥

Zaky Hassan: op.cit , p. 157

(٩) ــ ابراهيم العدوي : الامبراطورية البيزنطية ، ص ٣

في الثغور ، فبعث بطلب الهدنة • ورفض ابن طولون في البداية ، ثمقبل عرضابيزنطيا اخر بعد اشتداد الخلاف بينه وبين الموفق • واطلق البيزنطيون مقابل ذلك سراح الاسرى المسلمين ، وعلى رأسهم عبد الله بن رشيد بن كاوس ، كما أطلق المسلمون سراح الاسرى البيزنطيين بالمقابل[١٠] •

وقد استغل ابن طولون الهدنة لتقوية دفاعاته ، وزيادة اعداد جنوده ، وتحسين اسلحتهم في هذه المنطقة[١١] • ولا يحدد المؤرخون مدة هذه الهدنة او تاريخعقدها• ويتضح مما حدث اثر عقدها انها لم تتمخض الا عن فداء الاسرى فقط ، اذا مالبث البيزنطيون ان قاموا باعتداءات متتابعة على الثغور ودافع اهالي الثغور عن أنفسهم ثم دعمهم احمد بن طولون ببعض القوات[١٢] •

اتضح لابن طولون حاجته الى وجود اسطول قوي لحماية شواطئه ، ومواجهة الهجوم البيزنطي ، والمحافظة على طريق الاتصال البحري بين سواحل مصر والشام • ولذلك فانه أنشأ قاعدة بحرية في عكا ، وجدد حصونها واسوارها ، كما أنه اهتم بتحصين بقية الموانىء الشامية[١٣] • وأخذت الاساطيل الطولونيةبمهاجمة البيزنطيين في عقر دارهم عوضا عن خطه الدفاع •

وأضاف بأن نقل بعض وحدات الاسطول الى طرسوس ، وجعلها قاعـدة حربية تخرج منها السفن لشد ازر القوات البرية التي تهاجم معاقل البيزنطيين فـي آسية الصغرى • وأصبحت مدينة طرسوس بذلك ذات اهمية كبيرة في الصراع البحري بين الطولونيين والبيزنطيين •

---

(١٠) ـ ابن تغرى بردى : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٠ ـ
Zaky Hassan: : op. cit., p. 158

(١١) ـ من اجل تفاصيل اكثر انظر البلوى : المصدر السابق ، ص ١٠٩ ـ ١١٠ ـ ابن سـعيد : المصدر السابق ، ص ٩٨ ـ
Zaky Hassan: : op. cit., p. 158

(١٢) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص٥٤٩ ـ زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، جزء ١ ، ص ٢٧٥

(١٣) ـ المقدسي : احسن التقاسيم فى معرفة الاقاليم ، ص ١٦٣

وكان موقف الثغور في عهد خمارويه مشرفا بفضل سيطرة يازمان عليها ، الذي اشتهر بالجهاد • وكانت غزواته برية وبحرية استمرت حتى سنة ٢٧٨ هـ/٨٩٢ م • حيث اصيب امام حصن سلندر[١٤] • واستمرت قبضة الطولونيين قوية على الثغور حتى بعد وفاة يازمان ، بفضل جهود طغج بن جف الذي تمكن من فتح بعض الحصون في الاراضي البيزنطية •

واستمرت الثغور في صمودها في وجه البيزنطيين حتى بعد وفاة خمارويه • ولم يكن ذلك بسبب قوة خلفائه ، ولكن بفضل وقوف بعض ولاة الثغور بحزم في وجه البيزنطيين • وما لبث ان ظهر للعيان ضعف الطولونيين عن حماية الثغور • وان البيزنطيين اتخذوا ثانية دور المهاجم ، فاتخذ الخليفة المعتضد قراره بحماية الثغور والدفاع عنها من قبله مباشرة • واستعادها من ايدي الطولونين بناء على الحاح من جانب اهالي الثغور[١٥] •

٢ ــ العباسيون والبيزنطيون ــ أحوال الثغور بين الامارتين الطولونية والاخشيدية :

لم يستطع العباسيون في هذه الفترة من الوقوف بحزم في وجه البيزنطيين بسبب المشاكل الداخلية التي كانوا يعانونها وقد زاد الامر سوءا اشتداد خطر القرامطه في بلاد الشام • ولذلك فان البيزنطيين استمروا في اتخاذ موقف المهاجم • فأغاروا في سنة ٢٨٧ هـ/٩٠٠ ــ ٩٠١ م على كيسوم كرد على غزوة موفقة قام بها المسلمون في السنة نفسها ، وفتحوا بها عددا من الحصون[١٦] • ثم اغار البيزنطيون في محرم سنة ٢٩٢ هـ/نوفمبر تشرين الثاني ٩٥٤ م على مرعش ونواحيها • وقد ارتأى العباسبون مهادنة البيزنطيين في هذه الفترة لانشغالهم في قتال الطولونيين[١٧]

---

(١٤) الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٢٧ ــ ابن شداد : المصدر السابق ، ورقة ٧٦وجه
Zaky Hassan: : op. cit., p. 158

(١٥) [illegible] : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٧٥ ــ ٧٦ •

(١٦) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٧ ــ ابن العبري : المصدر السابق ، ص ٢٦٢

(١٧) [illegible] بن سعيد : المصدر السابق ، ص ٧ ــ ابن العديم : مخطوطة بغيه الطلب ، جزء ٢ ، [illegible] ٩٤ وجــه

وبنهدئة الثورات التي اعقبت ذلك في بلاد الشام • ووافقوا على اجراء فداء في السنة نفسها اطلق عليه اسم فداء الغدر • لان البيزنطيين افتدوا قسما من الاسرى ثم انسحبوا قبل اتمام الفداء [١٨] •

وما ان تخلص العباسيون من مشاكلهم الداخلية حتى بدأ نشاطهم يظهر في قتال البيزنطيين وابحر ليو الطرابلسي من طرابلس بأساطيل المدينة ومدن الشام الساحلية الاخرى • وتعاون مع اسطول مصر ليهدد سالونيك ويدمر استعداداتها الحربية[١٩] • وكذلك فقد استنقذ العباسيون اربعةالاف شخص من اسرى المسلمين، كما استولوا على ستين مركبا للبيزنطيين • ويقال ان نصيب الرجل الواحد من الغزاة بلغ ألف دينار[٢٠] •

واخذت جيوش المسلمين تتقدم في الاراضي البيزنطية ، كما انتظمت الصوائف والشواتي التي كانت موفقة في معظمها • ويبدو انه كان لقوة كل من الخليفتين العباسيين المعتضد ومن بعده المكتفي دور كبير في ظهور المسلمين على البيزنطيين[٢١] • ولم يستمر الوضع على هذا الشكل ، اذ مالبثت الامور ان تدهورت في عهد الخليفة المقتدر ، وظهر ضعف القائمين على الثغور وعدم مقدرتهم الدفاع في وجه تقدم البيزنطيين • وتواردت شكاوى أهالي المنطقة على الخليفة المقتدر • مما يقاسونه من البيزنطيين ، فأمدهم بما استطاع من مال ورجال ، كما ارسل بعض قادته للقيام ببعض الغزوات • فمن ذلك ماقام به مؤنس الخادم في سنة ٣٠٤ هـ/ ٩١٦ — ٩١٧ م حيث تمكن من فتح حصون عديدة [٢٢] ، الا ان ذلك لم يكن كافيا لردع البيزنطيين •

---

(١٨) — المسعودي : التنبيه والاشراف ، ص ١٩٢ — عريب بن سعد : المصدر السابق ، ص ٧ .

(١٩) — عريب بن سعد : المصدر السابق ، ص ٥٥

(٢٠) — الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ١١٧ — الذهبي : مخطوطة تاريخ الاسلام ، جزء٢، ورقة ٢٥ ويذكر انها ٩٠ مركبا .

(٢١) — انظر من اجل ذلك الطبري : المصدر السابق ، جزء ١٠ ، ص ٤٥
— عريب بن سعد : المصدر السابق ، ص ٥٥ — ابن الجوزي : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٨٢ و ٨٩ و ٩٧ و ١٢١

(٢٢) — زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، جزء ١ ، ص ٢٨٠

وفي سنة ٣٠٥ ه/٩١٧ ــ ٩١٨ م تقدم البيزنطيون بطلب الهدنة والفداء ، واجابهم الخليفة المقتدر الى طلبهم •وتسهب كتب التاريخ في ذكر مدى ما أظهـره الخليفة المقتدر بالله امام الوفد البيزنطي لابراز الخلافة ، الا ان هذه الهدنة لـم تطل ، اذ مالبثت الصوائف والشواتي أن عادت في السـنة نفسها في البر والبحر • وتكرر ذلك في سنة ٣٠٦ ــ ٣٠٧ ه / ٩١٨ــ٩١٩م واستمرت غزوات المسلمين في سنة ٣١٠ و ٣١١ ه/٩٢٢ ــ ٩٢٣ م ، وفي معظم الاحوال كانت برية وبحرية وكانت موفقة احيانا •

واشتد القتال بين الطرفين في سـنة ٣١٣ه / ٩٢٥ ــ ٩٢٦ م ، فقـد أدرك البيزنطيون مبلغ ضعف الخلافة العباسية في عهد الخليفة المقتدر • وعدم تمكنها من الوقوف بحزم في وجههم • حتى ان امبراطور البيزنطيين كتب في هذه السنة الى أهالي الثغور ، يأمرهم بحمل الخراج وهددهم بالقتل والسبي ان لم يفعلوا [٢٣] •

وبدأ سقوط الثغور الاسلامية بيد البيزنطيين ؛ فسقطت ملطية سنة ٣١٤ه / ٩٢٦ ــ ٩٢٧ م • كما هاجم البيزنطيون سميساط سنة ٣١٥ ه / ٩٢٧ م ، وتمكن مؤنس الخادم من صدهم عنها • ثم تملكوا خلاط وبدليس صلحا [٢٤] • وخشي اهالي الثغور من البيزنطيين فأرسلوا الى دار الخلافة يستنجدون بالخليفة ان يمدهم بجيش يمنع عنهم كيد المعتدين ، وهددوا بالخضوع للبيزنطيين ودفع الاتاوة لهم ، اذا لم يحصلوا على معونة تمكنهم من الصمود • الا ان طلبهم هذا لم ينظر فيه • فقد كانت بغداد غارقة في فتنة عارمة خلع فيها المقتدر ، ونصب مكانه القاهر • ثم مالبث ان أعيد المقتدر ثانية • وعلى اثر ذلك اضطر أهالي الثغور الجزرية ومنهـا ملطية وميافارقين وآمد وارزن الى مصالحة البيزنطيين والخضوع لهم [٢٥] •

---

(٢٣) ــ زيني دحلان : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٨١

(٢٤) ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٢١٢ ــ ابن خلـدون : المصدر السـابق ، جزء ٢ ، ص ٣٨٦

(٢٥) ــ اخلاط او خلاط وتقع في طرف بحيرة وان الغربي ، اما بدليس فتقع في جنوب غربي بحيرة وان انظار كي لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٢١٨ •

وتوالى على عرش الخلافة خلفاء ضعاف ، وأخذ هؤلاء يتلقون كتب البيزنطيين التي يقدم فيها امبراطورهم اسمه على أسمائهم ، دون أن يثير ذلك فيهم أي نـوع من الضيق .

واذا كان ماذكره كل من سعيد بن البطريق ويحيى بن سعيد الانطاكي (٢٦) ، من أن كلا من بطريق الاسكندرية وانطاكية وبيت المقدس ، اخذوا في ذكر اسـم الامبراطور في صلواتهم وقداساتهم ، بناء على كتاب وجهه اليهم الامبراطور البيزنطي في سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٧ م مع رسوله ، فان هذا يدل دلالة كبيرة على شدة ضعـف المسلمين في تلك الفترة ووقوفهم مكتوفي الايدي أمام تدخل البيزنطيين في شؤون البلاد الاسلامية . ثم مالبث أن برز دور الحمدانيين في الدفاع عن الثغور الجزرية . ولذلك نقل البيزنطيون هجومهم الى الثغور الشامية . هكذا كان الوضـع حين آل امر الدفاع عن الثغور الشامية الى الاخشيدين ، والجزرية للحمدانيين ، ثـم اجتماع الثغور بقسميها للحمدانيين .

٤ ــ الاخشيديون والبيزنطيون :

تدرب الاخشيديون على قتال البيزنطيين منذ عهد طغج بن جف الذي تولى أمر الثغور للطولونيين ، وتابع ابنه محمد الاهتمام بأمر الحدود مع البيزنطيين منذ أن عمل على انشاء الامارة الاخشيدية . واشترك الاخشيديون مع الخلافة العباسية في دفع النفقات اللازمة لفداء أسرى المسلمين . وأول فداء اشترك فيه محمد بن طغج كان في سنة ٣٢٦هـ / ٩٣٧ ــ ٩٣٨ م (٢٧) وقد كان هذا الفداء تعبيرا عن رغبة الاخشيدين في الحياة بسلام مع البيزنطيين . اذ كانوا في حاجة الى هذا السـلام لتعرضهم المخطر المستمر من جانب الفاطميين في المغرب ، ولمواجهة القلاقل الداخلية التي تبثها الدعاية الفاطمية في البلاد (٢٨) . وقد قوبلت رغبة الاخشيديين هـذه

(٢٦) ــ سعيد بن البطريق : المصدر السـابق ، ص ٨٧ و ٨٨ ــ الانطاكي : المصـدر السابق ، جزء ١ ، ص ٧١٠ ــ ٧١١

(٢٧) ــ سيدة كاشف : مصر في عهد الاخشيديين ، ص ١٠٦ .

CANARD : Histoire de la Daynastie de Hamdanides. p. 589.

برغبة مماثلة عند البيزنطيين • وتتأكد لنا هذه الرغبة من خطاب الامبراطور البيزنطي الى الاخشيد في سنة ٣٢٥ هـ / ٩٣٦ ـ ٩٣٧ م ؛ وتظهر فقرات هذا الخطاب رغبة البيزنطيين في الصداقة مع الاخشيديين ، وفي تبادل الاسرى (٢٩) •

الا ان هذا الفداء وما تبعه من هدنة لم يمنع من قيام بعض الغزوات • اذ قام نصر الثملي أمير الثغور من قبل الاخشيد في سنة ٣٣٠ هـ / ٩٤١ ـ ٩٤٢ م بغزوة تأديبية من ناحية طرسوس فأسر عددا من الاسرى •. وكان بين أسراه عدد من البطارقة ، وعاد محملا بالغنائم • وكان ذلك ردا على خروج البيزنطيين الى قرب حلب ، وافسادهم في البلاد وسبيهم لخمسة الاف انسان •

وحدث فداء آخر بين محمد بن طغج والبيزنطيين • وبدأ التفكير في هذا الفداء ، عندما أرسل الامبراطور رومانوس رسولا الى الاخشيد يحمل اليه هدية وكتابا يتودد اليه فيه • فقبل الاخشيد ذلك (٣٠) • وقد بدأ تنظيم هذا الفداء أيام محمد بن طغج الاخشيد ، وتم في عهد كافور ، وحين توجه الوفد الاخشيدي لاتمام الامر ، وجدوا ان سيف الدولة استولى على الثغور ، فأتم الفداء ونسب اليه (٣١) •

وهكذا يبدو ان الاخشيديين اتبعوا سياسة المهادنة مع البيزنطيين ، فمكنتهم هذه السياسة من توجيه اهتمامهم ـ بشكل خاص محمد بن طغج ـ الى اقتصاديات المناطق التابعة لهم ، واصلاح احوالها ، وتقوية قبضتهم عليها امام امارة الحمدانيين• كما كان لهذه المهادنة أثرها في اتجاه البيزنطيين نحو الثغور الجزرية (٣٢) •

---

(٢٩) ـ CANARD : Une Lettre de Muhammad Ibn Tugj Al Ikshid., p. 4.

(٣٠) ـ عن كتاب امبراطور البيزنطيين الى الاخشيد والرد عليه ، انظر ابن سعيد : المصدر السابق ، من ص ١٦٧ حتى ١٧٢ ـ القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٧ ، من ص ١٠ ـ ١٨
CANARD : op. cit., p. 3

(٣١) ـ بيبرس الدوادار : مخطوطة زبدة الفكرة ، مجلد ٦ ، ص ١٧١ •
CANARD : Sayf Al Dawla., pp 83-85.

(٣٢) ـ CANARD Une Lettre de Muhammad Ibn Tugj Al Ikshid., pp. 2-3.



الفصل الرابع

أهم مظاهر الحضارة العربية الاسلامية
من سنة ١٣٢ - ٣٣٤ هـ / ٧٥٠ - ٩٤٦

مقدمـــــــــة :

بدت الخلافة العباسية من الناحية الحضارية كأيام الربيع المزهرة بشتى أنواع الزهور • فقد كان التقدم الحضاري عاما وشاملا ، وشمل هذا التقدم العلوم الدينية والدنيوية ، بعد أن اقتصر على الامور الدينية تقريبا في العصر الامــوي • فنهض العرب في ذلك العصر بترجمة كتب الفلسفة اليونانية بجميع فروعها • كما ترجموا كتب الطب والطبيعية والكيمياء والنجوم والرياضيات •ولنا فيما كتبه لنا ابن خلدون عن المرحلة التي يبدأ اهتمام الانسان فيها بالعلم ؛ تلك المرحلة التي يكون فيها قد بلغ غايته من المعاش ، فينصرف الى غيرها ، فيقول : (فمتى فضلت أعمال أهــل العمران عن معاشهم ، انصرفت الى ماوراء المعاش من التصرف في خاصية الانسان وهي العلوم والصنائع •• ولابد له من الرحلة في طلبه الى الامصار المستبحرة شأن الصنائع كلها • واعتبر ماقررناه بحال بغداد وقرطبة والقيروان والبصرة والكوفة لما كثر عمرانها صدر الاسلام ، واستوت فيها الحضارة كيف زخرت فيها بحار العلم ، وتفننوا في أصطلاحات التعليم وأصناف العلوم ، واستنباط المسائل والفنون حتى آربوا على المتقدمين وفاقوا المتأخرين) (١) •

---

(١) - أبن خلدون : مقدمة ، ص ٤٠٠

ويبدو ان هناك عوامل متعددة ساعدت على تقدم العلوم في هذه الفترة وعلى رأسها صناعة الورق • فقد انتشرت هذه الصناعة ، وظهرت أنواع عديدة ، منها : الورق الفرعوني نسبة الى فرعون مصر ، والورق السليماني نسبة الى سليمان بن راشد عامل الخراج على خراسان للرشيد • والورق الجعفري نسبة لجعفر البرمكي، والورق الطلحي نسبة لطلحة بن طاهر ، والورق الطاهري نسبة الى طاهر بن الحسين ، وانتشرت مصانع الورق في سمرقند ، وفي دار الخز ببغداد ، وفي تهامة واليمن ومصر وفي دمشق وطرابلس وحماة ومنبج وفي المغرب والاندلس (٢) • وكان نشاط مصانع الورق ، ورخص أثمان منتجاتها عاملا هاما في تقدم العلوم • وقد أدى وجود الورق الى نشوء صناعة الورافة ، وهي نسخ الكتب وتصحيحها ، وانتشار دكاكين الوراقين •

وبالاضافة الى ذلك فان انتقال الخلافة العباسية الى العراق ، وماتتج عنه من اختلاط الامم الاسلامية بعضها بالبعض ، وماتم اثر ذلك من أخذ وعطاء بينها ، كان من العوامل الاساسية التي أدت الى تقدم العلوم • اضافة الى الحرية التي أعطيت للامم الاسلامية في العصر العباسي ، وعامل الزمن ، فقد مر على ظهور الاسلام قرن وثلث القرن •

١ ــ نظام الحكم

آ ــ النظام السياسي

ــ الخلافة : (٣)

حكم خلفاء بني العباس زهاء خمسة قرون من سنة ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م • وقد تأثر نظام الحكم العباسي الى درجة كبيرة بنظام الحكم الفارسي • وساست الخلافة العباسية العالم الاسلامي سياسة ممزوجة بالدين والملك • كما كان الحكم العباسي وراثيا ، فولاية العهد استمرت لحصر الخلافة في البيت العباسي ، كما

(٢) ــ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٢٢ ــ ٢٣

(٣) ــ عن الخلافة العباسية ، انظر فيما سبق ، سمات الخلافة العباسية

سار العباسيون على نظام تولية العهد لاكثر من واحد • وكان الخليفه يحاول عزل ولي عهده وتولية ابنه مكانه ، وكثيرا ماحدثت خلافات بين آفراد الاسره الحاكمة لاجل ذلك ، وتطورت الامور في احيان كثيرة الى امتشاق السيف • وقد احتفظ خلفاء العباسيين في حقهم بتعيين ولاة عهودهم حتى في الادوار العباسية المتأخرة بعد ان بدا ضعفهم ، وتركوا غالبيه آمور الدولة لغيرهم •

اتخذ خلفاء العباسيين في الدور العباسي الاول بعض أعوانهم من الفرس ، وسلدوهم غالبا منصب الوزارة • وبدا نفوذ هذا العنصر من خلال ذلك • وقد توفر لخلفاء العصر الاول المقدرة على حفظ التوازن السياسي ، وجعل الخلافة السلطة العليا والمنصب الاول في الدولة (٤) •

أما في الدور العباسي الثاني فقد طبعت الخلافة بطابع جديد بدا فيه أكثر الخلفاء على درجة من الضعف ، والانصراف الى أمورهم الشخصية ، وعدم الحفاظ على سلطتهم السياسية والعسكرية في الدولة ، مما سمح للعناصر الاسلاميه غير العربية بالسيطرة على الخلفاء • ففي الفترة الاولى من هدا الدور وبالتحديد من سنة ٢٣٢ ــ ٣٣٤ هـ / ٨٤٧ ــ ٩٤٥ م سيطر العنصر التركي على الخلفاء من خلال تسلمه للقيادة العسكرية • وتدخل هؤلاء في شؤون الدولة ، وآخذوا في تنصيب وعزل من يشاؤون من الخلفاء،وقتل وسمل البعض الاخر• مما نتج عنه اثارة التناحر بين أفراد البيت الحاكم • كما امتاز هذا العصر بتدخل النساء في شؤون الدوله ، وكثرة تولية الوزراء وعزلهم •

ــ الوزارة :

ظهرت الوزارة للمرة الاولى في العصر العباسي (٥) • وكانت مرتبة الوزير تأتي بعد مرتبة الخليفة مباشرة • ولم تكن سلطات الوزير محددة في البداية ، ولكنها

(٤) ــ البيروني : الاثار الباقية ، ص ١٣٢ •
(٥) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٢١ وفيما بعد ــ والازدي : المصدر السابق ، ص ١٦١ ــ ١٦٢ •

اتضحت وتحددت في شكلها النهائي أواخر الدور العباسي الاول • وقد انقسمت الوزارة الى قسمين : وزارة تفويض ووزارة تنفيذ • وكان منصب وزير التفويض يماثل منصب رئيس الوزراء حاليا ؛ على حين ان وزير التنفيذ كان يقوم بالمهمات الموكلة اليه من الخلافة • وقد كان وزير التفويض ساعد الخليفة الايمن ، يساعد الخليفة في أعماله وينوب عنه في حكم البلاد ، وينصب العمال ، ويشرف على الضرائب ، ويجمع في يده السلطتين المدنية والعسكرية [٦] • اشتهر من وزراء العصر العباسي الثاني بنو الفرات وبنو وهب وبنو الجراح [٧] • وقد ساءت حالة الوزارة في نهاية عصر الاتراك ، وبشكل خاص في عهد الخليفه المقتدر • بسبب السياسة التي اتبعها في تعيين وزرائه وعزلهم ، بالاضافة الى اعتماده في بعض الاحيان على وزراء ضعاف كأبي علي محمد بن مقله • ثم مالبث الوزراء أن فقدوا سلطتهم في عهد الخليفة الراضي ، وعجزوا عن ادارة الدولة ، بسبب ازدياد نفوذ القواد وتدخلهم في الامور الادارية دون ان يكون لديهم امكانية القيام بالعمل • فاضطر الخليفة الراضي الى ايجاد منصب جديد يجمع صاحبه بين المهام القيادية والادارية ، ويستطيع التخلص من الازمة الاقتصادية التي أحاقت بالبلاد ؛ فأوجد منصب أمره الامراء ، وقلده الى ابن رائق • ولم يبق للوزراء في عهد أمرة الامراء شيء من النفوذ ، واصبحوا بمثابة كتاب لا أكثر ، واقتصرت أعمالهم على أمور شكلية تتعلق بالحضور الى دار الخلافة أيام المواكب مرتدين السواد ، متقلدين السيوف والمناطق وعيرها من شعار الوزارة • وبلغ الامر شأوا بعيدا حين قام أمير الامراء بتعيين الوزراء وعزلهم بعد ان كان هذا الامر بيد الخليفة فقط [٨] •

ـ الكتابة والحجابة

عقب ازدياد أعمال الوزراء وتضاعف مسؤولياتهم ، دعت الحاجة الى اتخاذ

---

(٦) ـ عن وزراء الدور العباسي الاول انظر : الصراع بين الخلفاء والوزراء ـ وانظر الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٢٢ ـ ٣٠ ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٢٨٤ ـ مقدمة ابن خلدون ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ •

(٧) ـ هلال الصابيء : تاريخ الوزراء ـ وانظر فيما سبق

(٨) ـ حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص ١٢٨ ـ ١٢٩ •

الوزراء للكتاب يساعدونهم في الاشراف على الدواوين المختلفة وادارة شؤونها . ومن أشهر مجالات الكتابة في هذا العصر كتابة الرسائل والخراج والجند والشرطة والقضاء . وبرز بذلك كاتب لكل كتابة مذكورة .

كانت مهه كاتب الرسائل اعلان المراسيم وتحرير الرسائل السياسية وختمها بخاتم الخلافة بعد اعتمادها من الخليفة ، ومراجعه الرسائل في مجلس القضاء للنظر في المظالم ، وختم الاحكام بخاتم الخليفة . وفي بعض الاحيان كان كاتب الرسائل يتولى مكاتبة الملوك والامراء نيابة عن الخليفة . ولذلك فقد وجب أن يتحلى بسعة العلم ، وجزالة الاسلوب .

وقد ذكر ابن خلدون الصفات التي يجب أن تتوفر في الكاتب عامة وفي كاتب الرسائل خاصة في مايلي : (واعلم أن صاحب هذه الخطة لابد ان يتخير من أرفع طبقات الناس ، وأهل المروءة والحشمة منهم ، وزيادة العلم ، وعارضة البلاغة ، فانه معرض للنظر في أمور العلم ، لما يعرض في مجلس الملوك ومقاصد أحكامهم من أمثال ذلك ، مع ماتدعو اليه عشرة الملوك من القيام على الاداب ، والتخلق بالفضائل ، مع مايضطر اليه في الترسيل وتطبيق مقاصد الكلام من البلاغة وأسرارها) [٩] . ولم يقل مركز الكاتب عن مركز الوزير في كثير من الاحيان ، حتى ان الكتابة كانت ترشح صاحبها لتقلد الوزارة .

ويبدو ان كتاب دواوين السلطان وسجلات القضاة ، استخدموا في الكتابة طريقة تشبه مانسميه اليوم « الشفرة » فقد اصطلحوا على وصل كلمات بعضها بالبعض وحذف حروف معروفة عندهم . لايعرفها الا أهل مصطلحهم ، فتستعجم على غيرهم . وذلك لكتمان الامور الهامة عن الناس . ويعرف استخراج معاني هذه الكتابة بفك المعمى [١٠] .

---

(٩) ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ٣٨٠

(١٠) ـ ابن خلدون : مقدمه ، ص ٣٨٢

زخر العصر العباسي بطائفة من الكتاب لم ير لهم مثيل ، مثل يحيى بن خالد البرمكي والفضل بن الربيع وأحمد بن يوسف في عهد المأمون • واشتهر محمد بن عبد الملك الزيات والحسن بن وهب وأحمد بن المدبر في عهد المعتصم والواثق • ولم يكن اتخاذ الكتاب مقصورا على الخلفاء وحدهم ، بل كان عمال الاقاليم وامراء الامراء يتخذون كتابا يعاونونهم في ادارة الدولة •

أما الحاجب [11] فيعتبر من موظفي الدولة الكبار وتنحصر مهمته في ادخال الناس على الخليفة مراعيا في ذلك مركزهم ، وأهمية العمل الذي يقومون به • ولم تستجد وظيفة الحاجب في العصر العباسي ، بل كانت منذ العهد الاموي • واقتدى الخلفاء العباسيون ببني أمية ، فاتخذوا الحجاب ، ولم يسمحوا لاحد بمقابلتهم الا اذا كانت له حاجة هامة • وقد علت مرتبة الحاجب بارتقاء الحضارة الاسلامية ، واصبح يستشار في كثير من أمور الدوله • ويستبد أحيانا بالنفوذ دون الوزير ، ويلزم أصحاب الدواوين بالرجوع اليه في كل أمور الدولة [12] •

ب ــ النظام الاداري :

ــ الولايات والولاة : تبنت الخلافة العباسية في العصر العباسي الأول نظام الحكم المركزي • وكان عمال الاقاليم يتبعون مباشرة للحكومة المركزية • فكانت سلطتهم وصلاحياتهم محدودة • ولذلك فاننا لانجد بين عمال العباسيين من وصل الى درجة زياد بن أبي سفيان ، والحجاج بن يوسف الثقفي ، وخالد بن عبد الله القسري • وكان الخليفة أو وزير التفويض يختار عمال الاقاليم بنفسه لادارة شؤونها دون أن يعطيهم صلاحيات مدنية وقضائية واسعة ، ولذلك فانه كان الى جانب الوالي صاحب البريد والقاضي وصاحب بيت المال • واقتصر عمل الوالي غالبا على الصلاة وقيادة الجند • وفي العصر العباسي الثاني ازداد عدد العمال

(11) ــ انظر عن الحاجة الى الحاجب في مقدمة ابن خلدون ، ص ٢٥٩ ــ ٢٦٠

(12) ــ انظر ماكتبه ابن خلدون : مقدمة ، ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ عن درجات الحجابة الثلاث .

المساعدين الموالي ، فأصبح فيهم القاضي والبندار [١٣] وصاحب الجند ، وصاحب البريد ، ومتولي السواقي والضياع السلطانية ، وصاحب المعونة ، وكان يساعد صاحب الجند . وفوق هذا وذاك ، فان الولاية لاتترك للعامل زمنا طويلا ، وحين يعزل العامل عن منصبه كان يطلب منه أن يقدم بيانا مفصلا عن شؤون ولايته . وكان أقل شك في صدقه كافيا لمصادرة أملاكه جميعها . ولنا مثل في ذلك ماكان يفعله المنصور الذي أنشأ لاجل ذلك ديوانا سماه بيت مال المظالم أو ديوان المصادرات [١٤].

انقسمت الدولة العباسية في عهد أبي العباس من الناحية السياسية الى عدد من الولايات ، أبرزها ولاية الحجاز وولايتي العراق ، وخراسان ، وفارس ، والشام ، ومصر ، والمغرب . وكانت هذه الولايات تزداد عددا بانفصال بعض أجزائها وتشكيل ولاية جديدة ، فقد فصل أبو العباس فلسطين عن الشام ، كما فصل أرمينية واذربيجان عن الجزيرة ، وجعل منهما ولايتين [١٥] .

فضل الخلفاء العباسيون اعطاء ولاية الولايات الاسلامية البعيدة لبعض أفراد البيت العباسي ، أو الى كبار القواد . وقد انحصرت معظم الولايات في العرب دون سواهم في الدور العباسي الاول [١٦] . ثم ازداد عدد الولاة من الفرس والترك . ومنذ مطلع الدور العباسي الثاني أخذ الولاة يفضلون البقاء في عاصمة ملكهم ، وأنابوا عنهم نوابا يحكمون هذه الولايات باسمهم . ولم يظهر خطر هذا العمل حين كانت السلطة المركزية قوية . الا أنه حين بدأ الضعف يدب في جسد السلطة المركزية ، جنح بعض هؤلاء النواب الى الاستقلال [١٧] .

---

(١٣) ـ كاتب السلطة ومهمته المطالبة بالخراج ووجوه المال .

(١٤) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٨١

(١٥) ـ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٢٦٧

(١٦) ـ اليعقوبي : تاريخه ، جزء ٣ ، ص ٨٨ ـ ٨٩ ـ ابن الابار : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥١ و ص ١٥٤ ـ ١٦٣ ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(١٧) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٦٧

اهتم العباسيون في الدور العباسي الاول باختيار ولاتهم من أفاضل الناس . وعملوا على ان يصرف هؤلاء طاقة اعمالهم في ولاياتهم لمصلحة أهالي الولاية . كما جعلوا صاحب البريد عينا عليهم للخليفة . وحين يعلم الخليفة اهمال الوالي لامور الرعية ، وانشغاله بأموره الخاصة يعمل على عزله . وأكبر دليل على ذلك مافعله المنصور مع واليه على حضرموت . فقد أعطى ولايتها الى رجل من العرب ، ولكنه علم عن طريق صاحب البريد أن الوالي يكثر الخروج في طلب الصيد ببزاة وكلاب قد أعدها . فعزله وكتب اليه : ثكلتك أمك ، وعدمتك عشيرتك ، ماهذه العدة التي أعددتها للنكاية في الوحش انا انما استكفيناك امور المسلمين ولم نستكفك أمور الوحش . سلم ماكنت تلي من عملنا الى فلان ابن فلان ، والحق بأهلك ملوما مدحورا (18) .

ويمكن القول أن الامارة مهما كان نوعها من حيث الصلاحيات الممنوحة للوالي أو طريقة حصوله على الولاية ، فانه يمكن تقسيمها بحسب ماجاء في الاحكام السلطانية (19) الى ثلاثة أنواع .

١ ــ امارة استكفاء :

وفيها يفوض الخليفة الى الوالي امارة بلد أو اقليم ، فيشمل نظره سبعة أمور : أحدها النظر في تدبير الجيوش وترتيبهم في النواحي ، وتقدير أرزاقهم ، الا أن يكون الخليفة قدرها فيذرها عليهم ، والثاني النظر في الاحكام وتقليد القضاة والحكام . والثالث جباية الخراج وقبض الصدقات وتقليد العمال فيها وتفريق ما استحق منها . والرابع حماية الدين والذب عن الحريم . والخامس اقامة الحدود في حق الله وحقوق الادميين . والسادس الامامة في الجمع والجماعات حتى يؤم بها أو يستخلف عليها ، والسابع تسيير الحجيج من عمله ، ومن سلكه من غير أهله حتى يتوجهوا معانين عليه . فان كان هذا الاقليم ثغرا متاخما للعدو ، اقترن بها ثامن

---

(18) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٨

(19) ــ الماوردي : ص ٢٨ ــ ٣٤

وهو جهاد من يليه من الاعداء . وقسم غنائمهم في المقاتلة وأخذ خمسها لاهل الخمس [٢٠] .

٢ ــ امارة استيلاء :

وهي أن يستولي أحد الامراء قسرا على ولاية من الولايات فيضطر الخليفة الى اقراره عليها ويفوض اليه تدبيرها وسياستها .

٣ ــ امارة خاصة :

بمعنى أن يحصر الخليفة عمل الوالي على تدبير الجيش وسياسة الرعية وحماية البيضة ، والذب عن الحريم ، دون التعرض للقضاء والاحكام أو لجباية الخراج والصدقات .

ــ الدواوين :

هي دوائر العمل في الدولة تشبه الوزارات في العصر الحالي . وعلى رأي ابن خلدون فان (الدواوين ضرورية للملك لان اصحابها يقومون بالجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج ، واحصاء العساكر بأسمائهم ، وتقدير أرزاقهم ، وصرف أعطياتهم في اباناتها ، والرجوع في ذلك الى القوانين التي يرتبها قومة تلك الاعمال ... وقهارمة الدولة . وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبني على جزء كبير من الحساب ، لايقوم به الا المهرة من أهل تلك الاعمال) [٢١] .

كان لكل ولاية ديوان ببغداد يدير شؤونها ، ولم يكن لبغداد دواوين في الولايات [٢٢] . وبذلك فان الدواوين انقسمت الى دواوين مركزية ، ودواوين أصغر منها في الولايات .

---

(٢٠) ــ الماوردي : المصدر السابق ، ص ٢٨

(٢١) ــ ابن خلدون : مقدمه ، ص ٢١٦

(٢٢) ــ آدم ميتز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، جزء ١ ، ص ١٢٩ .

أهم الدواوين على الاطلاق ديوان الخراج وديوان الدية ، وديوان الجند ، وهو أول ديوان وضع في الاسلام ، ويرى البعض أنه وضع في عهد النبي ، وآخرون يرون أنه وضع في عهد عمر بن الخطاب وهو الاصح . وقد استمر على نظامه حتى كان عهد المعتصم الذي أسقط العرب من الديوان وحرمهم العطاء [٢٣] .

وديوان الموالي والغلمان وتسجل فيه أسماء موالي الخليفة وعبيده ؛ وديوان الرسائل [٢٤] . وديوان الحوائج ، وديوان الاختام ، وديوان الاكرة للاشراف على الترع والجسور . وكانت هناك ادارة خاصة تنظر في مصالح غير المسلمين يدعى رئيسها كاتب الجهباذ ، كما أنشيء ديوان سمي بديوان المظالم ، وكان يجلس له الخليفة يستمع الى شكاوى العامة والخاصة .

ولم يكن ديوان البريد محدثا في العصر العباسي بل وجد في العصور السابقة . ولكنه نظم واصبح اكثر سرعة ، كما اوجدت به محطات جديدة [٢٥] . وكان البريد خاصا باعمال الدولة ، ولا يهتم بنقل رسائل الجمهور . وكان على صاحب البريد ان يراقب العمال ، ويتجسس على الاعداء وهذه نقطة تطور في مهمة صاحب البريد الذي كانت مهمته تقتصر على نقل الاخبار من الخليفة الى العمال وبالعكس ، فأصبحت تتعدى ذلك ويصبح عين الخليفة الساهرة ، فهو اذن يقوم بالاعمال التي يقوم بها رئيس قلم المخابرات . وقد اهتم الخلفاء العباسيون بصاحب البريد اهتماما خاصا : وكان أبو جعفر المنصور يقول : ما احوجني الى ان يكون على بابي أربعة نفر لا يكون على بابي أعف منهم ... والرابع ثم عض على اصبعه السبابة ثلاث مرات يقول في كل مرة آه آه آه ، قيل له ومن هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : صاحب بريد يكتب خبر هؤلاء على الصحة [٢٦] .

---

(٢٣) ــ النويري : نهاية الارب ، جزء ٨ ، ص ١٩٦ ــ ١٩٨

(٢٤) ــ انظر فيما سبق : الكتابة والحجابة .

(٢٥) ــ ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٧٢

(٢٦) ــ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٧٢ .

كان المنصور يقف بواسطة صاحب البريد على أعمال الولاة ، وعلى مايصدره القضاة من الاحكام ومايرد بيت المال من الاموال وما الى ذلك • كما كان ولاة البريد يوافونه باسعار الحاجيات من قمح وحبوب وأدم ومأكولات وغيرها • وبلغ من انتظام ادارة البريد في عهده أن عماله كانوا يوافونه بذلك مرتين في كل يوم • فاذا صلى المغرب وافوه بما حدث طول النهار ، واذا صلى الصبح كتبوا اليه بما جرى في الليل من أمور • وبهذا كان يقف على كل مايحدث في الولايات الاسلامية . فيوقف القاضي عند حده اذا ظلم ، ويرجع أسعار المحاصيل الى حالتها الاولى اذا شعر انها زادت عن الحد • واذا رأى من احدهم تقصيرا وبخه ولامه أو عزله عن عمله •

اما صاحب الشرطة فكان يختار من علية القوم ومن أهل العصبية والقوة • فهو رئيس الجند الذين يساعدون الوالي على استتباب الامن وحفظ النظام ، والقبض على الجناة والمفسدين (٢٧) •

هذا ومما يذكر من اصلاحات للدواوين في الفترة العباسية انشاء ديوان الزمام من قبل الخليفة المهدي سنة ١٦٢ هـ لجمع ضرائب العراق وتقديم حساب للضرائب في الاقاليم الاخرى (٢٨) • ثم اصبح لكل ديوان زمام أي ان الديوان الواحد ينقسم الى قسمين الاول وهو الاصل ، ويختص بوضع الضرائب وحملها الى بيت المال وتقوية موارد الدولة أي يقوم بالعمل الاداري عامة ، والقسم الثاني الزمام او ديوان المال (٢٩) • ثم اجرى الخليفة المعتضد في نهاية القرن الثالث الهجري اصلاحا جديدا ، حيث ضم دواوين الولايات كلها وألف منها ديوانا سماه ديوان الدار ، او ديوان الدار الكبير ، وله ثلاثة فروع : ديوان المشرق وديوان المغرب وديوان السواد • وقد وضع الخليفة أزمة هذه الدواوين كلها في يد رئيس واحد •

---

(٢٧) ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٦

(٢٨) ابن الاثير . المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٥٧ — حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٦٩

(٢٩) ادم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٢٩

ثم جعل الاصول كلها في يد رئيس واحد في سنة ٣٠٠ هـ / ٩١٢ م ، حيث جاء القرن الرابع الهجري ، وادارة الدولة تنقسم الى مايشبه وزارتين احداهما الداخلية ، وهي ديوان الاصل ، والاخرى للمالية وهي ديوان الازمة .

ج ـ النظام العسكري : الجيش

اختلف الجيش في تكوينه وسماته في الخلافة العباسية ، عما كان عليه أيام الخلافة الاموية . فقد كان في عهد الامويين جيشا عربيا صرفا بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى . وغلب عليه الطابع العربي في قياداته وعناصر جنده . وكان الجيش في مطلع الخلافة العباسية عربي القيادة على الاغلب . وقد انضم الى صفوف جنوده الفرس من الذين عملوا في مساعدة الدعوة العباسية ، وقد تزعم هؤلاء أبو مسلم الخراساني . وكلما تقدم الزمن كان أفراد الجيش من الفرس يعملون على تقوية فريقهم .

تعدد قادة العرب في الدور العباسي الاول ، فكان منهم عبد الله بن علي بطل معركة الزاب ، وأبو جعفر المنصور الذي قاد الجيوش في قتال ابن هبيرة ، وعيسى ابن موسى الذي قاتل النفس الزكية وأخاه ابراهيم ، وقحطبة بن شبيب الطائي الذي كان من كبار الدعاة ، وقاد الجيش العباسي الذي تعقب نصر بن سيار ، والحسن ابن قحطبة الذي استطاع أن ينتزع النصر من الامويين في العراق ، وتابع سيره الى الكوفة فدخلها ، حيث كان له دور مهم في اعلان خلافة أبي العباس . وبرز اسمه ايضا في الحملات العسكرية التي وجهها العباسيون ضد الدولة البيزنطية .

وبرز أيضا من قواد العرب خازم بن خزيمة الحرسي وهو الذي تسلم قتال استاذسيس ، كما اشترك في قتال الراوندية [٣٠] . وهذا قائد عربي آخر هو معن بن زائدة الشيباني ، الذي قاد قتال الراوندية ، وكان له فضل فتح الطالقان وطبرستان ونهاوند وفرغانه . كما أنه تولى اليمن للمنصور كمكافأة له عن أعماله . كما تولى

(٣٠) ـ ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٨٦ ـ ١٩٨ ـ العيون والحدائق ص ٢٦٣ـ٢٦٤

بعض نواحي خراسان (٣١) • والى جانب هؤلاء كان مزيد بن زائدة أخي معن الذي قاتل معه (٣٢) • وابنه يزيد بن مزيد ، الذي رافق معن في حروبه ، وكان على ميمنته في قتال رتبيل الذي ثار في عهد المنصور • وقد قام يزيد بأمرة سجستان بعد ان استرجعت من رنبيل (٣٣) . كما انه قاد الجيوش ضد يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم ، الذي ثار بخراسان سنة ١٦٠ هـ / ٧٧٧ م ، وتمكن يزيد من أسره وارساله الى المهدي (٣٤) • ثم تولى ارمينية حتى عزله الرشيد عنها سنة ١٧٢ هـ (٣٥) ، كما انه تسلم ولاية الموصل سنة ١٨٤ هـ (٣٦) ، وقاد يزيد الجيوش لقتال الخارجي المسمى الوليد بن طريف الشارى ، الذي ثار في سنة ١٧٨هـ / ٧٩٤م في منطقة الجزيرة (٣٧) • وهرثمة بن أعين (٣٨) ومرار بن أنس الضبي الذي قتل أبا سلمة الخلال (٣٩) ويزيد ابن البدر البطال قائد العباسيين في قتال البيزنطيين (٤٠) ، وأبو عون قائد معركة الزاب قبل حضور عبد الله بن علي • وتحمل كتب التاريخ كثيرا من أسماء القواد العرب الذين قادوا الفتوح والمعارك في بداية عصر الخلافة العباسية ، مما يثبت ان القيادة كانت للعرب في الفترة الاولى (٤١) • وكثيرا ماكان خلفاء الدور العباسي الاول يقودون الجيوش بأنفسهم ، فهذا المهدى يغزو بنفسه سنة ١٦٣ هـ / ٧٨١ م ، وكذلك غزا هارون الرشيد البيزنطيين مرات متتالية •

ويتضح دور العرب الكبير في الجيش العباسي الذي قاتل الامويين حين نطلع

---

(٣١) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٦٠٦ — العيون والحدائق ، ص ٢٦٤

(٣٢) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٦٠٦

(٣٣) — ابن خلدون : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٩

(٣٤) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٤٣

(٣٥) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١١٨

(٣٦) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٦٦

(٣٧) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٤١

(٣٨) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ١٣٧ وما بعدها — زكار : المرجع السابق، ص٢٥٣

(٣٩) — ابن خلدون . المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٦

(٤٠) — ابن الاثير : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٧٨

(٤١) — بيطار : الحياة السياسة وأهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية حتى الفتح الفاطمي ، ص ٣٣ •

على ماكتبه صاحب الامامة والسياسة عن هذا الموضوع ، اذ يفرق بين أهل خراسان من العرب وبين الفرس منهم ، فيذكر ان تعداد الجيش كان اثنا عشر ألفا من أهل خراسان سوى الاعاجم [٤٢] .

الا ان الحال لم يستمر على هذا بل كان عدد قواد الفرس في تزايد مستمر كلما تقدم العهد بالخلافة العباسية ، حتى كان عهد المعتصم الذي أخرج العرب من ديوان الجند ، وأهملهم . كما انه اهمل الفرس في الوقت نفسه واعتمد على جنود الترك . وعلى الغالب فان اهم الدوافع التي دعت خلفاء بني العباس الى الاعتماد على العناصر غير العربية بدءا بالعنصر الفارسي ثم التركي يعود الى العصبية القبلية التي كانت تتأجج نارها بين عناصر الجند العربي من حين الى حين . حتى ان أبا جعفر المنصور فكر في تأسيس الكرخ ليبعد عنه خطر جنده من اليمنية والمضرية [٤٣] .

ومن قواد الفرس الذين قادوا الجيوش في هذه الفترة ، وشهد لهم الجميع بالكفاءة ، طاهر بن الحسين الذي برز خلال الازمة الخطيرة والحرب الأهلية التي قامت بين الامين والمأمون بسبب ولاية العهد [٤٤] . ثم ظهر قواد من الترك منذ عهد المعتصم ومن أمثال هؤلاء الافشين وكان له دور كبير في قتال البيزنطيين في موقعة عمورية ، وكذلك فانه تمكن من القضاء على حركة بابك الخرمي الانفصالية .

وقد ظهر ضعف الجيش في الدفاع عن حدود الخلافة العباسية في هذه الفترة أمام البيزنطيين . حتى قرر بعض الخلفاء التخلص منهم ، فاستعانوا ببعض فرق المرتزقة من العناصر الاخرى . فاصطنع المعتز المغاربة والفراغنة دون الاتراك . وكان ذلك من اسباب قتله على أيدي الاتراك .

---

(٤٢) ـ بيطار : الحياة السياسية واهم مظاهر الحضارة في بلاد الشام ، ص ٢٦

(٤٣) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٩ ، ص ٢٨١ ـ ٢٨٢ ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ .

(٤٤) ـ زكار : المرجع السابق ، ص ٢٥١ .

ويهمنا هنا أن نذكر بعض التطورات التي بدأت تطرأ على الجيش في عصر سيطرة قادة الاتراك • ذلك هو تعويض الجند عن رواتبهم بواردات أرض خراجية، وهو مايمكن أن يطلق عليه الاقطاع • ويمكن ذهم جذوره بالعودة لبدايات العجز المالي واضطرار الخلافة لتعويض ذلك بمنح الجند قطائع من أملاكها ، في وقت كانت فيه الدولة تتجزأ ، وتقل واردات الاطراف الى العاصمة ، مع حاجتها الى تهدئة الاضطرابات الناشئة عن التجزئة • وقد كان على الجند في البداية ان يقدموا من واردات الاراضي المقطعة لهم الزكاة أو العشر ، ويبقى واردهم الصافي الفارق بين ضريبتي العشر والخراج •

كان تعداد الجيش العباسي كبيرا جدا بلغ مئات الالوف من الجند النظاميين، وبجانبهم طائفة اخرى من الجنود والمتطوعة من البدو وطبقه الزراع وسكان المدن • وكان هؤلاء يشتركون في الحرب مدفوعين بعوامل مادية أو دينية • كما استعان بعض الخلفاء بفرق من المغاربة ومن الخزر • وبذلك فان الجيش العباسي بعد الدور الاول كان يتألف من فرق عديدة تضم المرتزقة والنظامية • وتتألف هذه الفرق من المشاة الذين يتسلحون بالرماح والسيوف والحراب والتروس • والرماة ويتسلحون بالسيوف والاقواس والتروس والنشاب،ويلبسون الخوذ لتقي رؤوسهم،والدروع لتقي صدورهم ، ولها اجزاء للساعدين والساقين • كما كان يتألف من النشابين وهم الذين يرمون بالنشاب ، والمنجنيقيون ، والنفاطون وهم الذين يقذفون النفط ويرتدون الملابس التي لا تؤثر فيها النيران لاقتحام الحصون • ويرافق الجيش فرق من الفعلة والاطباء والبياطرة [٤٥] •

كان الجيش ينظم بشكل دقيق ، ويتألف من أقسام صغيرة ، تجتمع عدة أقسام لتشكل فرقة أكبر منها • فقد كان على كل عشرة آلاف جندي أمير ، وعلى كل ألف قائد ، وعلى كل مائة نقيب ، وعلى كل عشرة عريف [٤٦] ويختلف لباس الجند

---

(٤٥) ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨ ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٨٣

(٤٦) ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٣٠٧ ـ ٣٠٨

باختلاف الفرقة والاسلحة • وكانت صلاحية الجند للخدمة العسكرية ، تقرر بعد اختيار دقيق يشرف عليه جماعة من كبار القواد [٤٧] • كما كان الجيش ينظم وقت القتال ، ويقسم الى أقسام مختلفة . وغالبا ماتكون خمسة أقسام : القلب وهو مركز القائد العام ، والميمنة والميسرة . والطليعة والساقة • وكانت الطليعة تتقدم الجيش . وهي سرية من الفرسان يلبسون الدروع اللامعة والخوذ الفولاذية ويحملون الرماح [٤٨] •

وقد عني العباسيون بالجاسوسية في الجيش ، واستخدموا في ذلك كلا الجنسين الرجال والنساء ، الذين كانوا يدخلون الى البلاد المجاورة متنكرين في أزياء التجار والاطباء ، وغيرهم لجمع الاخبار ونقلها الى دولتهم •

وكان للجيش مجلسان هما مجلس التقرير ، وينظر في تقدير رواتب الجند وأوقات دفعها اليهم ، ومجلس المقابلة ويختص بالاشراف على سجلات الجند ، ومراجعة أسمائهم • وينقسم كل من هذين المجلسين الى أقسام معينة من الجند كجند الخاصة ، وجند الخدمة العسكرية وجند الولايات [٤٩] •

أما آلات الحرب التي استعملها العباسيون فهي كثيره منها ماعرف قبل عهدهم كالمنجنيق والدرقة والسيوف والرماح • كما يبدو ان العباسيين ، استخدموا في قتالهم منذ الفترة الاولى بعض الاسلحة التي كان يستعملها أهالي المناطق الشرقية من دولتهم ومنها المشاقة وهي من الكتان أو القطن أو الشعر الخالص ، تجعل على رؤوس الاسنة ، وتروى بالنفط ثم تشعل فيها النيران وتلقى على الاعداء [٥٠] • وكثيرا ما اتخذ الجنود الخوذ على رؤوسهم والجواشن على ظهورهم والدروع والتجافيف [٥١] •

(٤٧) ـ من اجل طريقة الاختيار ، انظر هلال الصابيء : تحفه الامراء في تاريخ الوزراء ، ص ١٣-١٤
(٤٨) ـ سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، ص ٣٧٧
(٤٩) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص١٣٠
(٥٠) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٤٦٣
(٥١) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٦٤
ـ حسين ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٧٧

د ـ النظـــام المالـــي

يشمل النظام المالي كل مايتعلق بالواردات (استخراج) والنفقات (مصاريف الدولة) • كانت سياسة العباسيين المالية ترمي الى تحقيق التوازن بين موارد الدولة ومصارفها • كما كانت الجباية بالدرهم في أقاليم المشرق• وبالدينار في أقاليم المغرب• ومن أهم موارد بيت المال : الخراج والجزية والزكاة والفيء والغنيمة والعشور •

عمل خلفاء العباسيين على اشاعة الامان ، ورفع الظلم عن الرعية في جبايـــة الخراج مهما كانت الطريقة التي يجبى فيها [٥٢] • لاجل ذلك فقد رأى هـــارون الرشيد ان يعلم كل ماجرى قبله في شأن الخراج ، فأمر قاضي قضاته أبا يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري صاحب الامام أبي حنيفة النعمان ، بجمع مايعرفه من أمور الخراج في كتاب جامع ، سماه كتاب الخراج • وكذلك فان المأمون لم يكن أقل اهتماما من أبيه بهذا الامر ، ولذلك فانه طلب من رجاله اعادة مسح الاراضي، وحدد عليها الخراج مجددا [٥٣] • وصفوة القول أن خلفاء العباسيين الاوائـــل ، عملوا على عدم ارهاق المزارعين ، وعني البعض بوضع قواعد ثابتة لمقدار الخراج حسب نوع المحصول وجودة الارض • وراعوا خفض الضرائب في بعض الاحيان اذا قل المحصول لسبب من الاسباب • وعلى نرغم من مراعاة أحـــوال الاراضي الخراجية فان دخل الدولة العباسية كان كبيرا ، فقد بلغ في عصر هارون الرشـــيد ٢٧٢ مليون درهم و ٤ ملايين ونصف من الدنانيـــر بالسنة في بعض الروايـــات ، ويتجاوز ذلك فيبلغ نحو خمسمائة مليون درهم من الفضة وعشرة ملايين دينار من الذهب في روايات أخرى [٥٤] •

وقد بلغ النظام المالي في العصر العباسي الثاني مبلغا عظيما من الدقة والنظام، فكان لكل ولاية ديوان للخراج يتبع ديوان الخراج الرئيسي في بغداد أو سامراء ،

---

(٥٢) ـ كانت هناك ثلاث طرق لجباية الخراج : هي المحاسبة والمقاطعة والمقاسمة .
(٥٣) ـ أبو يوسف : كتاب الخراج ، ص ٣
(٥٤) ـ حسن ابراهيم حسن : التاريخ السياسي ، جزء ٢ ، ص ٢٧٨ وانظر قوائم الخراج في هـــذا المرجع من ص ٢٨٠ حتى ٢٩١ وكذلك في ببطار : المرجع السابق • ص ٤٣٩ ـ ٤٤٦

وينقسم كل منهما قسمين ، يشرف أحدهما على النفقات ، ويحمل ماتبقى الى دار الخلافة ، ويشرف الثاني على الموارد (٥٥) . وقد راعى خلفاء هذه الفترة مصلحة الناس ، وعمل الخليفة المعتضد على تأجيل السنة المالية مرتين متتاليتين ، لتصبح هذه السنة متناسبة مع فترة جني المحاصيل . فكان التأجيل في المرة الاولى من ١٥ آذار الى ١٧ حزيران ، وفي المرة الثانية من ١٧ حزيران الى ٢١ تموز (٥٦) . ومهما كان الاصلاح في الجباية في القرن الثالث الهجري ، فان مابدا ظاهرا للجميع ، أن الاموال التي كانت تدخل الى بيت المال الرئيسي قد اصبحت أقل من الفترات السابقة ، مما يدل على سوء حالة الدولة ، واستئثار بعض عمال الاقاليم بالنفوذ (٥٧).

ويبدو ان قضية اقطاع الارض الى بعض الشخصيات المتنفذة ، التي استخدمت في العصر العباسي ، لم تكن وليدة هذا العصر ، بل تعود الى أيام الفتوح الاسلامية . فقد أقطع كثيرون اقطاعات من أراضي الدولة منذ ئذ . وكان الخراج الذي يؤدى عن الارض المقطعة يحدد باتفاق خاص بين صاحب الاقطاع وبين الحكومة ، ويبلغ العشر على ماقرره الفقهاء .

وقد عاد هذا النظام بالضرر على الخلافة كلما أوغلت في استخدامه ، اذ أن المقطع أو الملتزم كان يعمل على الاثراء وجمع المال . ولايتردد في ارهاق الاهلين واثقالهم بالضرائب المختلفة حتى يستطيع أن يؤدى الى الحكومة ما عليه من مال الخراج ، ويحتفظ لنفسه بما زاد . وقد تطور هذا الاقطاع في عصر سيطرة الاتراك الى اقطاع ولاية بكاملها (٥٨) .

وكانت الجزية التي تؤخذ من اهل الذمة الى جانب الخراج من أهم مصادر بيت المال . وقد فرضت أول الامر على النصارى واليهود مقابل حمايتهم والدفاع

---

(٥٥) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٩٠.

(٥٦) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٧٨

(٥٧) ـ قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥١

(٥٨) ـ انظر ماسبق الحركات الاجتماعية والدينية

عنهم • لذلك فانها لم تفرض الا على القادرين على حمل السلاح • وكانت تؤدى على قدر طاقة الشخص • ولذلك قسم أهل الذمة الى طبقات ثلاث : دنيا ويدفع الشخص ١٢ درهما في السنة ، ووسطى ويدفع ٢٤ درهما . وعليا ويدفع ٤٨ درهما • وفي البلاد التي استعملت فيها العملة الذهبية كانت الجزية دينارا أو دينارين أو أربعة على التوالي • وكانت تؤخذ على أقساط ، ثم اصبحت سنوية ، وقد بلغ المتحصل من ضريبة الجزية في أواخر القرن الثالث الهجري بمدينة بغداد ٢٠٠ ألف درهم في السنة [٥٩] • ويبدو عمليا ان غالبية دافعي الجزية كانوا يدفعون الحد الادنى ، حتى ان بنيامين قال ، ان اليهود في كل بلاد الاسلام يدفعون دينارا واحدا [٦٠] •

ومما لاشك فيه أن هناك موارد أخرى كانت تجمع من أرباب الحرف والصناعات ، ومن التجار الوافدين على الدولة الاسلامية [٦١] ، ومن التركات ، وخاصة من تركة من يموت دون أن يترك وارثا ، حيث يؤول ميراثه الى بيت المال [٦٢] •

ومن أهم نفقات بيت المال في هذه الفترة ، النفقات المخصصة للحج ، ونفقات الغزوات لمحاربة الاعداء كالبيزنطيين ، ولفداء أسرى المسلمين ، ولقتال الخارجين على الدولة كالقرامطة والزنج وغيرهم • ونفقات استقبال الملوك والامراء وتوديعهم وتزويدهم بالهدايا والتحف أحيانا ، ونفقات دار الخلافة ، وحفر الترع وكري الانهار ، واكرام العلماء والاطباء والمترجمين وغيرهم [٦٣] •

---

(٥٩) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص٧٨ ـ هلال الصابىء : تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، ص ٤٤٨ •

(٦٠) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص٧٨ تصدير بنيامين •

(٦١) ـ قدامة بن جعفر : كتاب الخراج ، ص ٢٤٩ ـ ٢٥١ •

(٦٢) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص٧٨ ـ الصابىء : المصدر السابق ، ص ٤٤٨

(٦٣) ـ آدم متيز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٠٢

هـ ــ النظـــام القضائي :

يعني هذا النظام ، الفصل في الخصومات ، وايصال كل ذي حق حقه ، حتى يسود الامن ، وتعم هيبة الدولة . ويشمل النظام القضائي ، الحديث عن القضاء . والنظر في المظالم والحسبه . ان القضاء ينبع دستوره في الاسلام من القرآن والسنة، واجتهاد القاضي بمالا يتنافى معهما في نطاق علمه وعدله ووجدانه . هذا ويجب ان نذكر ان القضاء لا يجوز أن يقلد الا لمن اجتمع فيه ثمانية شروط هي : الذكورية والبلوغ والعقل والحرية والاسلام والعدالة وسلامة السمع والبصر ، والعلم باحكام الشريعة (٦٤) .

وقد أورد بعض الفقهاء تحفظات على هذه الشروط . من ذلك ان الامام ابي حنيفه قال بجواز أن تقضي المرأة فيما تصح فيه شهادتها . ودهب الطبري الـــى جواز قضائها في جميع الاحكام (٦٥) . كما جوز الامــــام مالك ولاية الضـــرير للقضـــاء (٦٦) .

كان القاضي وهو ممثل السلطة القضائية يعين من قبل الخليفة مباشرة دون الوزير والوالي ، كي يستطيع اصدار احكامه بنزاهة ، ولئلا يعزل بعزل الوالـــي أو يتأثر بآرائه محافظة على منصبه . وقد ظل تعيين القضاة من حق الخليفة حـــتى عصور متأخرة (٦٧) . وكان مركزه في العصر العباسي أرفع من الوالي ، ولم يكن يمثل أمام الوالي ، بل ان الوالي هو الذي يمثل بين يديه (٦٨) . وظل القاضي في كثير من الاحيان يشغل منصبه في عهد ولاة عديدين . ولم يكن أسرع منه في تقديم استقالته اذا تدخل في احكامه الشرعية متدخل .

اتسعت سلطة القاضي في العصر العباسي الاول فبعد أن كان عمله مقتصرا على

---

(٦٤) ــ الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٦٥

(٦٥) ــ مصطفى الشمكة : معالم الحضارة الاسلامية ، دار العلم للملايين ، ص ٧٥

(٦٦) ــ الشمكة : المرجع السابق ، ص ٧٦

(٦٧) ــ آدم ميتز : المرجع السابق جزء ١ ، ص ٣٧٩

(٦٨) ــ ادم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٧٩ ــ ٣٨٠

الفصل بين الخصوم ، أصبح يفصل في الدعاوى والاوقاف ، وتنصيب الأولياء ، ثم وضع يده على الاحباس • كما وضع يده على أموال اليتامى حتى كان عهد الحاكم بأمر الله الذي افرد موضعا يوضع فيه مال الايتام ، ويختم عليه أربعة من الشهود لايفتح الا بوجودهم [٦٩] • اما النظر في المواريث فلم يدخل في اختصاص القاضي بصورة نهائية الا في القرن الرابع الهجري •

كان القضاء في العصر العباسي نزيها الى اقصى درجات النزاهه ، وكثيرا ماقوضي الخلفاء العباسيون الاوائل انفسهم مع افراد رعيتهم ، وحكم عليهم غالبا لصالح الاخرين ؛ ومع ذلك فلنا رأي آخر حين تكون القضية المطروحة فيها مساس بمصلحة الدولة العليا [٧٠] • ففي هذه الحالة يجبر الخلفاء القضاة على الافتاء لصالحهم • وقد أدى ذلك الى امتناع كثير من الفقهاء عن تولي القضاء ، خشية ان يحملهم الخليفة على الافتاء بما يخالف الشريعة الاسلامية ، وخير مثال على ذلك الامام أبو حنيفه النعمان الذي اعتذر عن تولي منصب القضاء في عهد أبي جعفر المنصور [٧١] ، وقد تحمل في سبيل هذا الرفض اذى كثيرا • كما اعتذر أبو حاتم الرازي سنة ٢٧٠ هـ كذلك عن تولي منصب قاضي القضاة للاسباب نفسها [٧٢] •

كانت جلسات القاضي للحكم علنية [٧٣] ؛ فقد كان في أول الامر يجلس في مكان لايمنع احد من المسلمين من الدخول اليه وهو المسجد الجامع • وفي كثير من الاحيان كان القاضي يجلس للقضاء في داره • وكان المتحاكمون الى القاضي يبسطون قضيتهم وهم وقوف بين يدي القاضي صفا واحدا •

---

(٦٩) ـ الشكعة : المرجع السابق ، ص ٧٧

(٧٠) ـ المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٣٢ ظهر و ١٣٣ وجه حيث يذكر قول المأمون للقاضي الذي أراد من المرأة ان تخفض صوتها اثناء محاكمتها مع ابن الخليفة : (دعها يا احمد فان الحق انطقها ، والباطل أخرسه)

(٧١) ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ١٣ ، ص ٣٢٨ ومابعدها .

(٧٢) ـ الشكعة : المرجع السابق ، ص ٧٧

(٧٣) ـ ادم مبنز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٩٥

رفع العباسيون رزق القضاة ، حتى لا تدفع بهم الحاجة وضرورات الحياة ومطالبها الملحة الى الانحراف ، وقبول الرشوة ، فتضيع العدالة • فبعد ان كان مرتب القاضي في عهد المنصور ثلاثين دينارا في الشهر ، أصبح في عصر المأمون مائة وثمانية وستين دينارا أو أكثر • فقد تقاضى عيسى بن المنكدر قاضي مصر سنة ٢١٢ هـ سبعة دنانير يوميا ، وتقاضى بكار بن قتيبه ألف دينار في الشهر على عهد أحمد بن طولون (٧٤) • الا ان بعض القضاة امتنعوا عن تقاضي المرتب ، وأخذ بعضهم مرتبا عن ايام العمل فقط • اما الايام التي كان يقضيها خارج ذلك فكان يأنف من اخذ مرتب عنها ، فقد امتنع قاضي المدينة في عهد المهدي عن اخذ رزقه ، لانه لم يشأ ان يصيب مالا من هذا المنصب الذي يكرهه • وبلغ من نزاهة القاضي أبي خزيمه ابراهيم بن يزيد الرعيني (١٤٤ — ١٥٤ هـ) انه كان لايأخذ عطاءه عن اليوم الذي يقضيه بعيدا عن مجلس الحكم ، مهما كان نوع العمل الذي يقوم به في ذلك اليوم • وكان يقول انما انا عامل للمسلمين ، فاذا اشتغلت بشيء غير عملهم فلا يحل لي أخذ مالهم • وكان يعمل الارسان رسنين كل يوم يبيعها فينفق ثمن أحدها على نفسه وأهله ، أما ثمن الاخر فيبعث به الى اخوان له في الاسكندرية وذلك في سبيل الله (٧٥) •

حدث تطور في النظام القضائي في العصر العباسي الاول عما كان عليه في العهود السابقة ، وذلك بسبب ظهور روح الاجتهاد في الاحكام ، لظهور المذاهب الاربعة • فاصبح القاضي يصدر احكامه وفق احد المذاهب . ومالبث العصر العباسي الاول أن شهد قضاة يمثلون المذاهب الاربعة في كل ولاية ، ينظر كل منهم في النزاع الذي يقوم بين من يدينون بعقائد مذهبه (٧٦) •

اتخذ العباسيون نظام قاضي القضاة ، وهو بمثابة وزير العدل اليوم ، وكان

---

(٧٤) — الشكعه : المرجع السابق ، ص ٧٩

(٧٥) — آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٨٨ — حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٩٤

(٧٦) — حسن ابراهيم حسن : النظم الاسلامية ، ص ٢٨١

يقيم في حاضرة الدولة ، ويولي من قبله قضاة ينوبون عنه في الاقاليم الاسلامية • وأول من لقب بهذا اللقب القاضي أبو يوسف صاحب كتاب الخراج في عهد هارون الرشيد • وكان لقاضي القضاة ببغداد ديوان يعرف بديوان قاضي القضاة • ومن أشهر موظفي هذا الديوان : الكاتب والحاجب وعارض الاحكام ، وخازن ديوان الحكم واعوانه (٧٧) • وقد اقتضى تطور نظام القضاء التحري عن الشهود • وكان القاضي يرتدي السواد شعار العباسيين ، ويغطي رأسه بعمامة سوداء على قلنسوة طويلة (٧٨) •

ـ النظر في المظالم :

كان صاحب المظالم ينظر في كل حكم يعجز عنه القاضي • وكما جاء في الماوردي(٧٩) « ونظر المظالم هو قود المتظالمين الى التناصف بالرهبة ، وزجر المتنازعين عن التجاحد بالهيبة ، فكان من شروط الناظر فيها أن يكون جليل القدر، نافذ الامر عظيم الهيبة ، ظاهر العفة ، قليل الطمع كثير الورع » • ويمكن القول أن اختصاص قاضي المظالم هو النظر في القضايا التي يقيمها الافراد والجماعات على الولاة اذا انحرفوا عن طريق العدل والانصاف ، وعلى عمال الخراج اذا اشتطوا في جباية الضرائب ، وكتاب الدواوين اذا حادوا عن اثبات أموال المسلمين بنقص أو زيادة • وكذلك النظر في تظلم المرتزقة اذا نقصت أرزاقهم وتأخر ميعاد دفعها لهم • وكذلك مراعاة اقامة العبادات كالحج والاعياد والجمع والجهاد (٨٠) • ومن فوائد النظر في المظالم ، كف أيدي أولي الامر عن الظلم • فهم حين يرون أن صاحب الحق يستطيع الوصول الى حقه ، باللجوء الى السلطات العليا ، يحذرون سوء عاقبة فعلهم ، وتحسن سمعة الدولة بذلك (٨١) •

كانت محكمة المظالم بمثابة محكمة الاستئناف العليا في عصرنا ، والغرض

---

(٧٧) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٩٢

(٧٨) ـ ادم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٩٩

(٧٩) ـ الاحكام السلطانية ، ص ٧٧

(٨٠) ـ مشرفة : القضاء في الاسلام ، من ص ١٧٦ ـ ١٧٨

(٨١) ـ القلقشندي : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦

الاساسي من انشائها وقف تعدي ذوي الجاه والحسب • ولهذا كانت المظالم تسند الى رجل كفء يعرف باسم قاضي المظالم ، وكثيرا ماكان الخليفة يجلس بنفسه للنظر في المظالم في أيام محدودة • وذلك لان أكثر المتظلمين يصلون من أطراف المملكة ونواحيها ، وفيهم الحرم والمنقطعات والايتام ، وكل من يفد منهم يعتقد انه يصير الى من ينصره ويكشف ظلامته ويعديه على خصمه • فيجب ان يتلقى كل منهم بالترحاب واللطف ، ويندب لهم من يحفظ رقاعهم ويتنجز التوقيع فيها من غير التماس رشوة ولا فائدة منهم [٨٢] •

كان خلفاء العباسيين الاوائل ينظرون في المظالم بأنفسهم غالبا • فقد كان الخليفة المهدي يجلس للمظالم ، ولئلا تقدم القصص اليه بعضها عن البعض ، ومنعا للرشوة ، فانه اتخذ بيتا له شباك حديد على الطريق تطرح فيه القصص ، يدخله وحده • وقدم عليه رجل فتظلم فأنصفه فاستخفه الفرح حتى غشي عليه ، فلما أفاق قال : ماحسبت أني أعيش حتى أرى هذا العدل ، فلما رأيته داخلني من السرور مازال معه عقلي • فقال المهدي كان الواجب ان ننصفك في بلدك • فأمر له بخمسين دينارا كتعويض لنفقات السفر • وكذلك فقد جلس لها الهادي ثم الرشيد ثم المأمون ، وآخر من جلس لها المهتدي [٨٣] •

تنعقد محكمة المظالم في المسجد في يوم محدد من الاسبوع اذا كان صاحبها من الموظفين ، وطوال أيام الاسبوع اذا انفرد بالمظالم • ثم بنى الخليفة العباس (٢٥٥ ــ ٢٥٦ هـ) قبة لها أربعة أبواب سماها قبة المظالم كان يجلس فيها ويلقى فيها العامة والخاصة ، وكان صاحب المظالم يحيط نفسه بخمس جماعات لاينتظم عقد جلساته الا بحضورهم وهم الحماة والاعوان ، والحكام الذين يحيطون بالاحكام ويردون الحقوق الى أصحابها ، والفقهاء الذين يرجع اليهم صاحب المظالم فيما أشكل عليه من المسائل • والكتاب ويقومون بتدوين أقوال الخصوم •

(٨٢) ــ القلقشندي : صبح الاعشى ، جزء ٦ ، ص ٢٠٤ ــ ٢٠٥

(٨٣) ــ الماوردي : المصدر السابق ، ص ٧٦

والشهود ويثبتون مايعرفونه عن الخصوم ، ويشهدون على أن ما أصدره القاضي لا ينافي الحق والعدل [٨٥] .

ـ الحسبة :

يعرف القائم على الحسبة بالمحتسب ، ويشترط فيه ان يكون عدلا فقيها عالما بالاحكام الشرعية ، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين ، وعلم بالمنكرات الظاهرة.

والحسبة هي أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ، ونهي عن المنكر اذا ظهر فعله ، واصلاح بين الناس بالطرق المشروعة كافة ، فوظيفة المحتسب على هذا الشكل هي المحافظة على الآداب والفضيلة والامانة ،والنظرفي مراعاة أحكام الشرع والاشراف، على نظام الاسواق ، والحول دون بروز الحوانيت حتى لايعوق ذلك نظام المرور، واستيفاء الديون ، والكشف على الموازين والمكاييل تجنبا للغش ومعاقبة من يعبث بالشريعه أو يرفع الاثمان ، والمنع من التعدي على حدود الجيران [٨٦].ويدخل في وظيفة المحتسب الامر باداء الصلاة في مواقيتها ؛ ومعاقبة من لا يصلي بالضرب أو الحبس ، وتعاهد الائمة والمؤذنين . فمن فرط منهم في حقوق الامامة أو خرج عن الاذان المشروع ألزمه بالصواب[٨٧] . وقد كان قاضي القضاة يخضع لرقابة المحتسب ويأتمر بأمره في بعض الشؤون . فقد مر ابراهيم بن بطحاء والي الحسبة ببغداد بدار أبي عمر بن حماد ، وهو يومئذ قاضي القضاة ، فرأى الخصوم جلوسا على بابه ينتظرون جلوسه للنظر بينهم ، وقد تعالى النهار واشتدت حرارة الشمس ، فوقف واستدعى حاجبه وقال له : تقول لقاضي القضاة ، الخصوم جلوس على الباب ، وقد بلغتهم الشمس وتأذوا بالانتظار فاما جلست لهم أو عرفتهم عذرك فينصرفوا ويعودوا [٨٨] .

---

(٨٤) ـ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ٤٣١

(٨٥) ـ الكندي : الولاة والقضاة ، ص ٤٢٣ ـ ٤٢٤ ـ الماوردي : المصدر السابق ، ص ٧٧ ومابعدها
النويري : نهاية الارب ، جزء ٦ ، ص ٢٧٠ ـ ٢٧١ .

(٨٦) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١٩٦ ـ النويري : المصدر السابق ، جزء ٦ ، ص ٢٩١

(٨٧) ـ الشمكه : المرجع السابق ، ص ٨٤

(٨٨) ـ الشمكة : المرجع السابق ، ص ٨٧

وقد اصبح للحسبة دار خاصة بها • فكان المحتسب يطلب جميع الباعة الى هذه الدار في اوقات معينة ، ومعهم موازينهم وسنجهم ومكاييلهم ، فيعايرها • فان وجد فيها خللا صادرها والزم صاحبها بشراء غيرها أو آمره باصلاحها (٨٩) •

وأول من وضع نظام الحسبة دون استعمال اللفظ الخاص ، الخليفة عمر بن الخطاب ، أما اللفظ فقد استعمل لاول مرة في عهد الخليفة المهدي العباسي (٩٠) •

هذا وقبل ان اختتم الحديث عن النظام القضائي ، لابد لي من ذكر الفروق بين منصب القاضي والمحتسب وقاضي المظالم ، مما لم يأت ذكره في ماذكر ، ويأتي على رأس الفروق بين القاضي والمحتسب مايلي : ـ

١ ـ كان القاضي ينظر في فض المنازعات المرتبطة بالدين بوجه عام • ووظيفة المحتسب النظر فيما يتعلق بالنظام العام والجنايات أحيانا ، مما يستدعي الفصل فيها الى السرعة • ووظيفة قاضي المظالم ، الفصل فيما استعصى من الاحكام على القاضي والمحتسب •

٢ ـ بني عمل القاضي على التحقيق والاناة في الحكم ، اما عمل المحتسب فمبني على الشدة والسرعة في الفصل •

اما الفروق بين عمل صاحب ديوان المظالم والقاضي ، فيمكن أن نجملها بما يلي : ـ

١ ـ ان لناظر المظالم من جلال الهيبة وقوة التنفيذ ، ماليس للقضاة من كف الخصوم عن التجاحد والتغالب والتجاذب •

٢ ـ ان نظر المظالم لايتقيد بصيغ الوجوب ، وانما يخرج الى سعة الجواز

(٨٩) ـ الغزالي : احياء علوم الدين ، جزء ٢ ، ص ٤٢

(٩٠) ـ النويري : نهاية الارب ، جزء ٦ ، ص ٢٩٣ ـ انشكعة : المرجع السابق ، ص ٨٤

فتكون حركته اسرع ، ويكون بعيدا عن القيود التي يلتزم بها القاضي ويكون مجال عمله أوسع وأفسح .

٣ ــ يعمد صاحب المظالم الى الارهاب اذا ما اقتنع بأن أمامه عقدة مستحكمة الحل ، لمراوغة الباغي ومخادعته ، فيصل من خلال ذلك الى اظهار الحق .

٤ ــ يقوم صاحب المظالم بتأديب من ظهر ظلمه ، وتهذيب من ثبت عدوانه ، وذلك أمر لايدخل في سلطان القاضي .

٥ ــ لصاحب المظالم الحق في رد الخصوم الى وسطاء أمناء لفض الخصومات، والفصل في تنازع ما ، عن طريق الصلح بالتراضي مهما غلا طرف واعتدل الآخر .

٦ ــ ان يسمع من شهادات المستورين من يشاء حتى يستبين الحق من الباطل .

٧ ــ يجوز لصاحب المظالم أن يستكثر من الشهود ماشاء له أن يفعل ليزول كل شك عنده ، ويتبدد كل ارتياب في شأن القضايا التي ينظرها .

٨ ــ يجوز له انيبتدىء باستدعاء الشهود ، وان يسألهم عما لديهم من معلوم عن تنازع الخصوم . بينما يبدأ القضاء بتكليف المدعي ببينة ؛ وان يكون صاحب القول الاول في ادعائه (٩١) .

٢ ــ الحياة الاجتماعية :

يقصد بالحياة الاجتماعية ، الحديث عن عناصر السكان الذين يكونـــون [illegible] في تعاملهم مع بعضهم البعض ، ومستواهم المعاشي ، والاديـــان التي [illegible] ، والمناسبات التي يحتفلون بها . والبحث في بلاط الخلفاء وحياة ساكنيه . و [illegible] طبقات الشعب .

---

(٩١) [illegible] : المرجع السابق ، ص ٩٧ ــ ٩٩

ـ عناصر السكان

أ ـ العناصر الجنسية والرق •

تألف المجتمع الاسلامي في الدور الاول للخلافة العباسية من عنصرين كبيرين هما عنصر العرب والفرس اضافة الى عنصر الترك(٩٢)•وكان لكل من هذه العناصر الثلاثة اثره الكبير في الحياة السياسية والاجتماعية في ذلك العصر • فقد كانت هذه الامم تختلف في ميزاتها اختلافا بينا واضحا • فهي تختلف في عاداتها ومنهج تفكيرها ، ومقدار ثقافتها وادابها •

وقد أثر كل جنس من هذه الاجناس تأثيرا مخالفا في احوال الدولة الداخلية، فالترك كانوا يحبون الجندية والفروسية ويستكثرون من الجنود المجلوبة من بلادهم لتقوية حكمهم ، كما عرفوا بأنهم ينظرون في شيء من الاحتقار الى اهل البلاد التي يحكمونها ، وينتصرون لمذهب أهل السنة ولا يميلون الى الفلسفة والجدل في الدين ، ويقربون علماء الدين وخاصة علماء التفسير والحديث ، وقد طبع هؤلاء الخلافة بطابعهم الخاص • بالاضافة الى ان حبهم للمال قد أدى الى قيامهم بمصادرة الاغنياء ، وأصحاب التروات من رجال الدولة (٩٣) ، والى القيام بثورات ضد الخلفاء مطالبين بزيادة أرزاقهم ورواتبهم ، مما أدى الى اثارة الاضطراب في الدولة (٩٤) •

اما الفرس فقد ورثوا مدنية قديمة ، فطبعوا عليها بمحاسنها ومساوئها • ولهم قدرة فائقة على تنظيم الحكم ، والمام كبير بالوسائل التي تزيد الثروة وتضاعفها • كما اهتموا بتشجيع العلم بمعناه الواسع الذي يشمل الفلسفة بفروعها المختلفة • ولم ينس الفرس عدم مساواتهم بالعرب في العهد الاموي ، لذلك فانهم مالوا الى اظهار

(٩٢) ـ انظر مليحه رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، ص ٩ ـ ٢٩

(٩٣) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص٣٤٧ ـ ٣٤٨ ـ مسكويه : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٧ ـ ١٧

(٩٤) ـ الصولي : اخبار الراضي بالله ، والمتقي لله ، ص ١٢٠ ـ ١٣٣ ـ ٢٧٧

ماخفي في أعماق نفوسهم حين حصلوا على المساواة في العهد العباسي • واخـذوا يعملون على تحقيق اهدافهم • وقد علمهم التشيع التقية ، فعملوا في الخفاء ، ودبروا المؤامرات للقضاء على خصومهم بالثورات أحيانا وبالدعوة المقنعة بالعلم أحيانـا أخرى (٩٥) • وكان تأثير الفرس في الحياة الاجتماعية واضحا ، فقد اخذ الخلفـاء عنهم حياة البذخ والترف ، ونظام بناء القصور وزخرفتها وتأثيثها • واقتبسوا منهم اللباس وادوات الطعام ، وكذلك احياء المجالس الغنائية ومجالس الشراب (٩٦) •

وقد احتفظ العرب ببعض عاداتهم القبلية وتعصبوا لبني جنسهم وتأثـروا بالحضارة ، الا انهم سرعان ما انغمسوا في البذخ والترف ، وتركوا شؤونهم فـي أيدي الشعوب الاسلامية الاخرى (٩٧) •

وبالاضافة الى هذه الاجناس الاصيلة الثلاثة ، فقد كثر عدد الروم في أراضي الخلافة • وهؤلاء كانوا يجيئون كأسرى حرب من أراضي الدولة البيزنطية ، وغالبا ماكانوا يعيشون في بيوت الخلفاء والاغنياء • ونتيجة لذلك أصبح لهم شأن فـي الدولة وخاصة في عهد المقتدر (٩٨) •

وكثيرا ماكان يتعاقب على أقطار الدولة الاسلامية هذه الاجناس الثلاثة أو جنسان منها • فتعاقب على العراق العرب والفرس والاتراك ، وعلى مصـر العرب والترك ثم المغاربة وكان لهذه العناصر أثر واضح في سياسة الدولة الاسلامية ، كما أثرت في حالتها المادية ، ونهضتها الادبية والعلمية (٩٩) •

عناصـــر الرقيق :

ومن العناصر التي تكاثر عددها في العصر العباسي الرقيق الابيض من الاتراك

---

(٩٥) ــ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص٥ ــ مليحه رحمة الله : المرجع السابق ، ص١٤ــ١٥

(٩٦) ــ مليحه رحمه الله : المرجع السابق ، ص ١٥ ــ ١٦

(٩٧) ــ سرور : الحضارة الاسلامية في الشرق ، ص ١٦٩ •

(٩٨) ــ مليحة رحمه الله : المرجع السابق ، ص ٢٠ ــ ٢١

(٩٩) سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٠

والصقالبة والديلم والاكراد • والرقيق الاسود الذي كان يجلب من ساحل افريقيا الشرقي كالزنج [١٠٠] • وكانت قصور الخلفاء والامراء والعظماء والاغنياء تأوي الكثير من الرقيق وعلى الاخص الجواري الذين كانوا من أجناس متنوعة ، تختلف في الطباع والعادات واللغات • وكان الرقيق الصقلبي يفضل على التركي ، ويستخدم التركي عند غيبة الصقلبي ، لما اتصفوا به من خلق وطاعة وهيئة [١٠١] •

فقد كان عند الرشيد زهاء ألفي جارية من المغنيات والخدمة في الشراب ، في أحسن زي • وكان للمتوكل أربعة آلاف سرية [١٠٢] • ولم ينظر الخلفاء العباسيون الى الأرقاء نظرة امتهان وازدراء بدليل ان كثيرا منهم كانوا أبناء أمهات وقعن في أيدي آبائهم عن طريق الاسترقاق • بل ان بعض الخلفاء وكبار رجال الدولة كانوا يتخذون الاماء من غير العرب ، يفضلونهم أحيانا على العربيات الحرائر [١٠٣] وذلك لان الجمال في كثير من نساء هذه الامم المفتوحة أوفر ، كما أن الزوج يراها قبل ان يتسرى بها • على حين انه يعتمد على رأى الخاطبة في زواجه من الحرة ، وقد لا يتفق ذوقها مع ذوقه [١٠٤] •

وانتشر في هذا العصر تعليم الجواري الغناء • ولما كان الناس يحرصون على التغني بالشعر العربي الفصيح ، لذلك صار الجواري يتعلمن الادب مع الغناء • وكانت عناية الرجال بتعليم الجواري اكثر من عنايتهم بتعليم الحرائر • ومما دعاهم الى ذلك الناحية التجارية ، فالجارية اذا قيمت بمائتي دينار وهي غير متعلمة ، تقيم اذا اجادت الغناء والادب بأضعاف ذلك • اما الحرائر ، فكانت العنايه بتعليمهن مقصوره على طبقة الاشراف ومن في حكمهم • وكان للجواري بيوت معدة لسماع

---

(١٠٠) ـ مليحه رحمه الله : المرجع السابق ، ص ٢٢

(١٠١) ـ ابن حوقل : صورة الارض ، ص ٣٨٧

(١٠٢) ـ أحمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص ٩

(١٠٣) ـ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٠

(١٠٤) ـ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٠

الغناء في احياء بغداد ، وكان عدد من يحترف الغناء منهن فى جانبي بغداد أربعمائة وستين جارية [١٠٥] .

كان هناك اسواق للرقيق يوكل الاشراف عليها لعامل خاص . ومن أشهرها سوق سامراء في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . وهي سوق مربعة فيها طرق متشعبة وفيها الحجر والحوانيت[١٠٦] . كما اشتهرت سمرقند بأنها أكبر سوق للرقيق الابيض . فكان يأتي اليها رقيق تركستان وماوراء النهر . وقد اتخذ أهلها تربية الرقيق وتهذيبه صناعة يعيشون منها [١٠٧] . كما كان في بغداد شارع يسمى شارع دار الرقيق ، انتهب في الفتنة بين الامين والمأمون [١٠٨] . وقد انتشر نوع آخر من الرقيق عدا ماذكرنا هو الرقيق الرومي ، الذي ازدادت أعداده نتيجة الحروب المتصلة بين المسلمين والبيزنطيين . وقد استكثر الخليفة المقتدر من الخدم والمماليك الروم . كما ان أحمد بن طولون لما ولي مصر ، اشترى العبيد من الروم ، وأفرد لهم قطيعة في مدينة القطائع تعرف بهم . وكان في بغداد حي يسمى دار الروم بالشماسية . وقد أقيم لهم بهذا الحي كنيسة على مذهب النسطورية ، ودير يسمى دار الروم . وكان لبعض الروم الذين استوطنوا الدولة الاسلامية نشاط أدبي وعلمي ، كابن الرومي الذي ينتمي الى أصل رومي ، وابو الفتح بن جني الذي نبغ في النحو والصرف . وكان أبوه جني مملوكا روميا لسليمان بن فهد الازدي [١٠٩] .

ومن العناصر التي تزايد عددها وكان لها أثر كبير في الحياة الاجتماعية عنصر الزنج . وكانوا يجلبون الى الدولة الإسلامية من سواحل افريقية الشرقية . ولا أدل على كثرتهم وخطرهم من ثورتهم التي قاموا بها قرب البصرة ، وكلفت الدولة العباسية كثيرا من الاموال والدماء طوال أربعة عشر عاما وأربعة أشهر [١١٠] .

---

(١٠٥) ــ سرور : المرجع السابق ، ص ١٧١
(١٠٦) ــ الاصفهاني : الاغاني ، جزء ١٠ ، ص ٩٥ ــ اليعقوبي : البلدان ، ص ١٠٣
(١٠٧) ــ سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٠ ــ ١٧١
(١٠٨) ــ الاصفهاني : الاغاني ، جزء ١٠ ، ص ٩٧ ــ أمين : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٨٣ .
(١٠٩) ــ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٢ ، ص ٦٦٢ ــ سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .
(١١٠) امين : ظهر الاسلام ، جزء ١ ، ص ٧٠ انظر عن ثورة الزنج فيما سبق

وقد قام الرقيق على اختلاف أنواعه بأعمال كثيرة في الدولـة الاسلامية ، واشتركوا في الحياة السياسية والاجتماعية • فقد عملت فئات من جنسياتهم كافـة بما فيهم الزنج في خدمة قصر الخلافة ، وكذلك بيوت أوساط الناس • كما ضـم الجيش العباسي طائفة كبيرة من الفرس ثم الترك والزنج • ووصـل كثير مـن المعتقين منهم الى مراكز سامية كقيادة الجيوش مثل مؤنس الخادم ، ومنهم من حكم الولايات مثل كافور الاخشيدي في مصر ،وسبكتكين التركي في بلاد الافغان(١١١)• اما النساء فمنهن القيان في مجال الغناء العامة ، وامهات الاولاد اللاتي كثر وجودهن في بيوت الخلفاء والامراء وغيرهم (١١٢) • وكان بيع الرقيق الجيد يتم في سـوق خاص او بواسطة تاجر كبير • اما اذا عرض في السوق العام فان قيمته الماديـة تهبط ، ويعتبر هذا بمثابة عقوبة للرقيق الجيد • وكان النخاس أو تاجر الرقيـق ضعيف القيمة في المجتمع ، وقد يستخدم اسمه للشتيمة(١١٣) •

ب ـ الطوائف الدينية :

كان افراد المجتمع في الخلافة العباسية بدينون بديانات مختلفة • كانـت الاكثرية من المسلمين • وتوزع هؤلاء على مذاهب : المذهب السني ، والمذهب الشيعي بأقسامه المختلفة • فقد كان خلفاء العباسيين من السنة ، واعتنق هـذا المذهب عنصر الاتراك ، على حين كان الفاطميون من الشيعة ، وكذلك الفرس ، وغلب على الحمدانيين التشيع (١١٤) •

كان بنو هاشم من العباسيين والطالبيين يعرفون بالشرفاء • وكان لهم راتب معين من الحكومة الاسلامية • وكان لهذين الفريقين معا نقيب في كل مدينة من

---

(١١١) ـ سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦

(١١٢) ـ سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٥ ـ ١٧٦

(١١٣) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٢٨٤

(١١٤) ـ انظر فيما سبق : التيارات الشيعية والسنية

المدن الكبرى ، مثل بغداد وواسط والكوفة والبصرة والاهواز ، ثم صار لكل منهم منذ النصف الثاني للقرن الرابع الهجري نقيب خاص [١١٥] .

كانت ولاية نقابة الاشراف تصح من احد ثلاثة وجوه ، اما من وجه الخليفة المسئولي على كل الامور ، واما ممن فوض الخليفة اليه تدبير الامر كوزير التفويض وامير الاقليم ، واما من نقيب عام الولاية . ويجب ان يكون المرشح لرئاسة النقابة من أجلهم بيتا واكثرهم فضلا ، فيسرعون الى طاعته برياسته ، وتستقيم أمورهم بسياسته [١١٦] .

كان من افراد المسلمين عدد كبير من اهل الديانات الاخرى ممن يطلق عليهم اسم أهل الذمة ، وقد تمتعوا بكثير من ضروب التسامح الديني ، فأقاموا الشعائر الدينية في أمن ودعة ، وشاركوا المسلمين في وظائف الدولة ، وفي ممارسة المهن الحرة . ولم يتدخل خلفاء بني العباس بصورة عامة في شؤونهم الدينية الا في بعض الفترات . واستند اهل الذمة الى ماكان بينهم وبين المسلمين من عهود ، وما منحوه من حقوق . كلم يندمجوا مع المسلمين ، وحرصوا على تكوين مجموعة لها كيانها المتميز ، فحالوا بذلك دون وحدة العالم الاسلامي [١١٧] . ومن بين أهالي الذمة في القرن الرابع الهجري ، الصابئة . فقد فرضت صيانتهم وحراستهم والذب عن حريمهم ، وترك مواريثهم [١١٨] . وكذلك فقد اعترف منذ القرن الرابع الهجري للمجوس بأنهم أهل ذمة الى جانب اليهود والنصارى ، وكان لهم رئيس يمثلهم في قصر الخلافة [١١٩] .

انتشر اليهود والنصارى بأعداد كبيرة في أراضي الخلافة العباسية ، فقد ذكر

---

(١١٥) ـ الجاحظ . رسائله ، ص ٢ نشر فانن فلوتن ـ مليحة رحمة الله : المرجع السابق ، ص ٣٠ ٣١

(١١٦) ـ الماوردي : الاحكام السلطانية ، ص ٩٦

(١١٧) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧

(١١٨) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٦٠

(١١٩) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٦٠

بنيامين أحد الرحالة اليهود ، ان عدد اليهود في المملكة الاسلامية من غير العرب نحو ثلاثمائة الف • وكانوا منتشرين على نهر دجلة والفرات وفي جزيرة ابن عمر والموصل وعكبرة وواسط وبغداد والحلة والكوفة والبصرة • وفي كثير من بلاد فارس في همذان وأصفهان وشيراز ، وأيضا في غزنة وسمرقند • وقد كان في بغداد وحدها نحو ألف يهودي (١٢٠) • وكان فيها في اوائل القرن الرابع الهجري مابين اربعين وخمسين ألفا من النصارى (١٢١) • وقد كان هؤلاء في الغالب يختصون ببعض الحرف حتى تكاد تكون حكرا عليهم • فأغلب اليهود عملوا بالصيرفة والصياغة ودباغة الجلود (١٢٢) ، والتجارة(١٢٣) • كما امتهن النصارى الطب والصيرفة (١٢٤) • وعاش جميع الرعايا من الديانات المختلفة في جو من التسامح لم تعرفه اوربا في العصور الوسطى •

كان لليهود رئيس خاص يلقب أحيانا بالملك ، ويدفع له أهل ملته الضرائب ، فيأخذ نصفها ويرسل النصف الاخر الى بيت المال ، بخلاف النصارى الذين كانوا يؤدون الضرائب لبيت المال مباشرة • ويطلق على رئيس اليهود ببغداد رأس الجالوت • وعلى رئيس المسيحيين الشرقيين اسم الجاثليق النسطوري(١٢٥) • وتجري لكل منهما مراسيم عند توليتهما (١٢٦) •

ـ الطبقات الاجتماعية :

انقسم المجتمع في العصر العباسي الى قسمين متمايزين كل التمايز • طبقة

---

(١٢٠) ـ بنيامين التطيلي : الرحلة ، ص ١٣٥ ـ ١٣٩ أحمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ١ ، ص٣٢٥

(١٢١) ـ سرور : المرجع السابق ، ص ١٧٨

(١٢٢) ـ احمد أمين : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢٥

(١٢٣) ـ المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٨٣

(١٢٤) ـ المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٨٣

(١٢٥) ـ ابو اسحاق رفائيل : أحوال نصارى بغداد ، ص ٤٨ ـ بنيامين : الرحلة ، ص ١٣٧
ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ٤٢٥ ـ ٤٢٦

(١٢٦) ـ انظر عن مراسيم تولية الجالوت ، بنيامين : الرحلة ، ص ١٣٧

غنية مترفة منعمة ، وطبقة فقيرة . وقد صور لنا ابن المعتز في شعره الفوارق بين هاتين الطبقتين فقال :

أفما ترى بلدا أقمت به   أعلى مساكن أهله خص
وولاته نبط زنادقة   ملأى البطون وأهله خمص (١٢٧)

آ ـ طبقة الخاصة :

كان على رأس الطبقة الاولى الخليفة ورجالاته من وزراء وأمراء ومن يلوذ بهم من الادباء والعلماء . وقد انغمس هؤلاء في الترف والبذخ ، واهتموا بعمران قصورهم ، حتى كانت مضرب المثل في حسن رونقها وبهائها ، وفخامة بنائها واتساعها ، ومايكتنفها من حدائق غناء واشجار متكاتفة (١٢٨) . وأفضل الامثلة على قصور الخلفاء قصر التاج في بغداد ، والقصر المعروف بالعروس في سامراء الذي أنفق المتوكل على بنائه ثلاثين ألف درهم ، والجعفري عشرة آلاف (١٢٩) . وقصر ابن طولون في القطائع ، وقصر الوزير ابن الفرات الذي انفق على بنائه ثلاثمائة ألف دينار (١٣٠) . وكذلك كان البرامكة يهتمون باتخاذ القصور الفخمة . فاتخذوا منها ما يبقي لهم ذكرا فبنى جعفر قصرا له في الجانب الشرقي من دجلة ، وكان هذا القصر مغشى بالرسوم والزخرفة من الداخل والخارج ، وعليه صور من الجص المجسم (١٣١) .

كانت دار الخلافة ومايتصل بها كأنها لكبرها مدينة قائمة بذاتها . وكانت تشغل مع بساتينها مساحة كبيرة . وتمتد الجدران المحيطة بها فراسخ كثيرة (١٣٢) .

---

(١٢٧) ـ ديوان ابن المعتز ، جزء ٢ ، ص ١٤
(١٢٨) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٢٩
(١٢٩) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩
(١٣٠) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٠٨ ـ ٢٠٩
(١٣١) ـ سرور : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٨١
(١٣٢) ـ الاصطخري . المصدر السابق ، ص ٨٣

وكثيرا ماكانت الانهار تجتازها • وقد انقسمت دور الكبار الى ثلاثة أقسام ، قسم الضيافة ، وقسم الحرم ، وقسم الخدم • وكانت الحدائق الغناء تحيط بهذه القصور ويغلقها سور واحد [١٣٣] •

حفلت قصور الخلفاء والامراء والوزراء وكبار رجال الدولة بالمغنين والموسيقيين ، وكان يحضر هذه المجالس الشعراء والادباء فينالون من العطاء الكثير[١٣٤] • وقد أخذ العباسيون نظام مجالس الطرب والغناء التي انتشرت في عهدهم عن الفرس • وكان الرشيد من بين خلفاء بني العباس الذين جعلوا للمغنين مراتب وطبقات على نحو مافعله أكاسرة الفرس • ولم يجتمع على باب خليفة من الخلفاء ندماء ومغنون مثلما اجتمع على باب الرشيد • وكان يجزل لهم الصلات ويرفعهم الى أعلى المراتب [١٣٥] • ونبغ في عهده كثير من المغنين الموسيقيين نخص بالذكر منهم : ابن جامع ، وابراهيم الموصلي الذي ابدع في وضع الالحان ، وكتب ابنه اسحق رسالة مطولة في الغناء صحح فيها أنغامه ، واحتفظ بالغناء القديم[١٣٦] •

وكان الامين يميل الى سماع الاغاني ، ويقضي جل أوقاته في الاستمتاع بضروب اللهو • وعلى الرغم من ان كثيرا من أخباره وضعت في عهد المأمون للاساءة اليه والحط من شأنه ، فانا لانستطيع أن ننكر ميله الى اللهو • فقد روى انه لما ولي الخلافة ، وجه الى جميع البلدان في طلب المغنين وضمهم اليه • وأجرى لهم الارزاق ، كما أمر ببناء مجالس لمنتزهاته ، ومواضع خلوته ولهوه ولعبه بقصر الخلد والخيزرانيه[١٣٧] • أما المأمون فقد سمعه من وراء حجاب في البداية، ولما شغف به دعا الندماء والمغنين الى الجلوس بحضرته ، كما قرب اليه اسحق

---

(١٣٣) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٣٤

(١٣٤) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٣٠ .

(١٣٥) ـ ابن طباطبا : المصدر السابق ، ص ١٧١ ـ ١٧٢

(١٣٦) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣١١ ـ ٣١٤

(١٣٧) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٨ ، ص ٥٠٨ ـ ٥٠٩

الموصلي ، وأعلى من شأنه • وكذلك فعل مع عمه ابراهيم بن المهدي ، وكان مبدعا في غنائه • واستمر اهتمام خلفاء العباسيين بمجالس الطرب والغناء بعد ذلك • فكانت لهم مجالس يحضرها الشعراء والادباء والمغنون والموسيقيون • ومرجع انتشار الغناء في هذا العصر كثرة الجواري ، وقليل منهن من الحرائر •

ولقد كان انطولونيون في مصر يعنون بالغناء والموسيقى ؛ يدلنا على ذلك بيت الذهب الذي بناه خمارويه بن أحمد بن طولون ، واتخذ على حيطانه صورا بارزة من الخشب تمثله ومغنياته بدقة فائقة • أما في عهد الاخشيديين فقد كان الحكام ووجوه القوم يستمعون الى الغناء في مجالسهم الخاصة ومآدبهم •

كما اهتم الخلفاء العباسيون بالاعياد ، واتخذوها مجالا لابراز مايتمتعون به من مقدرة وقوة ومن سلطة دينية • فقد اهتم العباسيون منهم بالاحتفال بعيدي الفطر والاضحى في شيء من الروعة والابهة • وتجلى الاحتفال بهما على الاخص في دمشق وبيت المقدس وطرسوس[١٣٨] • وهناك مواسم أخرى احتفل بها العباسيون مثل النوروز[١٣٩] •

وتتجلى سيادة الخلفاء العباسيين الروحية في مواكبهم التي تميزت بروعتها • فيتقدم موكبهم ايام الجمع والاعياد رجال الحرس على اختلاف طبقاتهم : يحملون الاعلام ، ويليهم امراء البيت العباسي راكبين الخيول المطهمة ، ثم الخليفة ممتطيا جوادا ناصع البياض ، وبين يديه كبار رجال الدولة • وكان الخليفة في تلك المواكب يلبس القباء الاسود ، ويتمنطق بمنطقة مرصعة بالجواهر ، ويتشح بعباءة سوداء ، ويلبس قلنسوة مدببة مزينة بجوهرة ، ويتقلد سيف الرسول الكريم • وفي يده اليمنى الخاتم[١٤٠] •

(١٣٨) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٣٥ وجزء ٣ ، ص ٤٥٢
ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٩٢

(١٣٩) ـ مسكوية : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٥ وهو أحد ايام السنة عند الفرس ، وأحد مواسمهم القديمة •

(١٤٠) ـ سرور : المرجع السابق ، ص ١٩٢

ويظهر ترف الخلفاء العباسيين للعيان في بداية القرن الرابع الهجري في احتفال الخليفة المقتدر باستقبال سفيري امبراطور الروم سنة ٣٠٥ هـ / ٩١٧ م ٠ فقد أمر الخليفة بعد ان مثل سفيرا الامبـــراطور البيزنطي بين يديه وأديا له رســـالة الامبراطور ان يطاف بهذين السفيرين في دار الشجرة (١٤١) ٠ وقصر التاج (١٤٢) ٠

وهكذا يمكن القول ان الخليفة ورجال دولته ومن تبعهم ولف لفهم ، كانوا يعيشون في قمة الهرم الذي يمثل المجتمع ، وكانوا قلة في العدد بالنسبة لسائر أفراد الامة ، الا انهم يملكون غالبية الثروة ٠ وعلى الرغم من ذلك فان حاجة هؤلاء الى الاموال لانفاقها في مجالسهم وعلى كبار رجال دولتهم تدفعهم الى القيام بالمصادرة ، مصادرة الاموال ومواد التجارة وغيرها ٠ ومن ذلك مصادرة المواريث والتركات٠ وكثيرا ماكان يدعى على التجار الكبار أن عندهـــم ودائع للسلطان لمصـــادرة تجاراتهم ٠ وكان الاخشيد صاحب مصر يصادر خاصته وعماله وأصحابه ٠ وقـــد فشا نتيجة لذلك عادة خزن الاموال واخفائها كالدفن في الارض ونحو ذلك (١٤٣)٠

ب ـ طبقـــة العامـــة :

لاعطاء صورة واضحة عن طبقة العامة ، لابد لنا من التطرق الى الحديث عن طبقة التجار وأرباب الحرف والصناع والعلماء ، واستعراض نمط حياتها بايجاز ٠ وسأتناول بالحديث تلك الفئة التي لم تتح لها الظروف الاتصال بالطبقة الاولـــى والسير في ركابها ، والاستفادة منها ماديا ٠

تشكلت طبقة العامة من مختلف الاجناس التي ضمنها الخلافة العباسية من عرب وديلم وترك وكرد ، ولم يكن لها مكانة كبيرة في المجتمع بسبب فقر غالبيتها من جهة ، وجهلهم بالامور الثقافية والدينية من جهة اخرى ٠ وقد اطلق عليهـــم

(١٤١) ـ عن دار الشجرة انظر الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ١ ، ص ١٠٠ ـ ١٠٢

(١٤٢) ـ سرور : المرجع السابق ، ص ١٨٢ ـ ١٨٣

(١٤٣) ـ امين : ظهر الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٨ ـ ١٠

المؤرخون تسميات متعددة ، كالسفله ، والغوغاء ، والسقاط ، والجماهير الدهماء ، والاوباش [١٤٤] • وكان طعامهم ولباسهم يتميز بالبساطة ، كما كانت بيوتهم دون اسوار تحيط بها • وكانت نوافذهم تطل على الشوارع مباشرة [١٤٥] •

وقد امتهن هؤلاء التجارة أو الصناعة ، فالتجار تعاطوا بيع المواد الاستهلاكية لسد حاجات الناس اليومية ، وتركوا تجارة السلع الثمينة والمجوهرات لاولئك الذين لهم ارتباط بالخليفة وحاشيته ورجالات الدولة [١٤٦] • أما ارباب الحرف والصناع ، فكانوا يعيشون دون مستوى التجار ، لان مواردهم محدودة • فقد كان متوسط أجر العامل في القرن الثالث الهجري درهما ونصف الدرهم في اليوم لصانع الزجاج ، ثم ازداد في القرن الرابع الهجري • وكان ايراد اصحاب الحوانيت لايتعدى ٣٠٠ درهم في الشهر [١٤٧] •

٣ ـ الحياة الاقتصادية :

كانت الاسعار رخيصة في العصر العباسي الاول • وبالتالي ساد الرفاه في البلاد • وخير مثال على ذلك قائمة أسعار بعض المأكولات في عهد أبي جعفر المنصور ، فقد كان الكبش بدرهم ، والحمل بأربعة دوانق [١٤٨] • والتمر زنة ستين رطلا بدرهم ، والزيت ستة عشر رطلا بدرهم ، والسمن ثمانية أرطال بدرهم • وكان ينادى على لحم البقر تسعين رطلا بدرهم ، ولحم الغنم ستين رطلا بدرهم [١٤٩] • ومما لا شك فيه ان هذه الاسعار الرخيصة ، تدل بشكل قاطع على الرخاء وكثرة الخيرات • ويرجع السبب في ذلك الى اهتمام الخلفاء بشؤون البلاد الاقتصادية ،

---

(١٤٤) ـ مليحة رحمه الله : المرجع السابق ، ص ٥٢ ـ ٥٣

(١٤٥) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٣٤

(١٤٦) ـ مليحة رحمه الله : المرجع السابق ، ص ٤٩

(١٤٧) ـ التنوخي : الفرج بعد الشدة ، جزء ٢ ، ص ١٥٥ ـ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي ، ص ٢٦٠

(١٤٨) ـ الدانق : سدس الدرهم

(١٤٩) ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٥٩

وعملهم على تنمية موارد البلاد ، مع بذل جهود كبيرة في الزراعة والتجارة وغيرها من شؤون الاقتصاد والمال (١٥٠) .

ومن المهم أن ندرك ان الثروة التي كانت تبلغ سبعمائة دينار في الدور العباسي الاول ، كانت تعتبر ثروة محترمة . وكذلك فقد كان يكفي الرجل من عامة الناس مع زوجته في عصر هارون الرشيد ثلاثمائة درهم في السنة .

آ ـ الزراعة :

كانت نظم الزراعة في الدولة الاسلامية منوعة . فكل قرية انفردت بنظام معين يتلاءم مع ظروفها الطبيعية (١٥١) . وقد اهتم خلفاء العباسيين بالزراعة ، ووجهوا عنايتهم اليها . فنشطوا في حفر الترع والمصارف واقامة الجسور والقناطر، وكانت الاراضي الواقعة بين نهري دجلة والفرات من أخصب بقاع أراضي الخلافة العباسية ، وكانت الحكومة تشرف على ادارتها اشرافا مباشرا . وتعمل على تحسين زراعتها وتنمية مواردها . وامتدت في هذه الاراضي شبكة من الترع والمصارف زادتها خصبا . وكثرت فيها المزارع والبساتين ، فعرفت باسم أرض السواد . وبلغت مساحة السواد وحده ٣٦ مليون جريب (١٥٢) .

شق المنصور عددا كبيرا من الجداول والقنوات ، منها قناة من نهر دجيل ، واخرى من كرخايا وصلهما بمدينة بغداد (١٥٣) . كما ساق الى الكرخ عدة أنهار منها نهر القلائين ونهر البزازين ونهر الدجاج . ولكثرة الانهار التي أحاطت أو دخلت مدينة بغداد ، أصبحت مدينة محاطة بالمزروعات . فالبساتين والحدائق

---

(١٥٠) ـ الخطيب البغدادي : تاريخ بغداد ، جزء ١ ، ص ٧٠

(١٥١) ـ سرور : المرجع السابق ، ص ١٣٠

(١٥٢) ـ الجريب عشرة آلاف ذراع انظر : حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٠٣ ـ ٣٠٤ على حين أورد الخوارزمي في مفاتيح العلوم ص ٤٣ ان الجريب يساوي اشل في اشل يساوي ٣٦٠٠ ذراعا مربعا أي حوالي ٢٤٠٠ مترا مربعا

(١٥٣) ـ اليعقوبي : البلدان ، ص ٢٥٠

حولها •والنخيل حولها وبداخلها ، بعد ان كانت زراعته مقتصرة على البصـرة والكوفة والسواد •

وقد أدى اهتمام العباسيين الاول بالري الى ازدهار الزراعة في العـــراق وجنوب فارس ، الى جانب عمران هذه المناطق بالقرى والضياع (١٥٤) • كذلك فقد بذل خلفاء الدور الثاني جهودا في هذا المجال ، وعملوا على تنظيم أساليب الري ، وجعل الماء في خدمة الجميع • فقاموا بتنظيم السقاية في مصر والعراق واليمـــن وشمال شرقي فارس ، وبلاد ماوراء النهر (١٥٥) •

ولم يكتف خلفاء العباسيين بالاهتمام بالامور العملية ، بل عملوا على أن يبنوا هذا التقدم الزراعي على أساس علمي • فتوسعوا في البحث النظري ، ودرســوا أنواع النباتات وصلاحية التربة لزراعتها ، واستعملوا الاسمدة المختلفة لانــواع النباتــات(١٥٦) •

أما بالنسبة لبلاد الشام ، فلم يوجه خلفاء بني العباس أو ولاتهم فيها اهتمامهم للقيام باصلاحات غايتها تنمية الثروة الزراعية في بلاد الشام • فقد استمر الري على ماكان عليه ايام الخلافة الاموية ، الا ماكان من الخليفة المأمون الذي أمر بحفر قناة من نهر منين مارة بسفح قاسيون الى معسكره بدير مران • ويبدو ان الاســـباب السياسية كانت وراء ذلك •

وقد قاسى أهالي غوطة دشق كثيرا من سوء الاحوال الاقتصادية ، ومن مصادرة اراضيهم من قبل العباسيين (١٥٧) ، كما كان بعض أهالي الشام يقاسون من

---

(١٥٤) ـ الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ص ٤٥

(١٥٥) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣١٩

(١٥٦) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦

(١٥٧) ـ انظر التنوخي : المستجاد من فعلات الاجواد ، ص ١٨٤ ـ ١٨٦ ـ والفرج بعد الشـــدة ، جزء ١ ، ص ٩٣ ـ ٩٨ ـ بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٤٧ ـ كرد علي : الاسلام والحضارة العربية ، جزء ٢ ، ص ٢١٨ ـ ٢١٩ •

كثرة الخراج . ومما يذكر في هذا الصدد ان بعض أهالي قرى فلسطين تركوا اراضيهم ، فوجه الخليفة هارون الرشيد اليهم أحد كبار قواده الذي أخذ يدعوهم الى الرجوع الى أراضيهم على ان يخفف عنهم من خراجهم ، وان يعاملوا معاملة أفضل مما مضى ، فرجعوا وهؤلاء هم أصحاب التخافيف . ثم عاد قوم منهم بعد ذلك فردت عليهم أراضيهم على مثل ماكانوا عليه وهم اصحاب الردود (١٥٨) . ومن المهم ان نعرف ان العامل الاقتصادي كان احد اسباب ثورة المبرقع اليماني (١٥٩) .

ومما لا شك فيه أن خلفاء العباسيين حاولوا أن يتخذوا بعض الاجراءات الاقتصادية لانقاذ البلاد من التردي ، ولكن هذه الاجراءات الاقتصادية لم ترق للاهالي في كثير من الاحيان . فقد تصدى الخليفة المأمون لتعديل أراضي الشام ، ففرق المساح في اجنادها كافة ، وأقام شتاء سنة ٢١٤ هـ / ٨٢٩ م كله في دمشق لهذه الغاية . ثم وضع لها كشفا جديدا على أمل زيادة الدخل الوارد منها (١٦٠) .

وقد انتشر نظام اقطاع الاراضي للمتنفذين في العصر العباسي الاول ، مكافأة لهم على ماقدموه من خدمات جليلة . وكذلك فقد انتشرت عادة اقطاع الولايات على ان يؤدي الوالي لدار الخلافة مبلغا من المال عدا الهدايا والطرف (١٦١) . على ان نظام الاقطاع لم يخل من بعض العيوب . اذ ان المقطع أو الملتزم كان يعمل على الاثراء وجمع المال ، ولا يتردد في ارهاق الاهلين واثقالهم بالضرائب المختلفة ، حتى يستطيع ان يؤدي الى الحكومة ماعليه من مال الخراج ، ويحتفظ لنفسه بما زاد عن ذلك . ولا يخفى مافي هذا من غبن الاهالي أحيانا ، وتعذيبهم في احيان اخرى (١٦٢) .

أما أشهر المزروعات التي كانت تزرع في اراضي الخلافة العباسية في هذه

(١٥٨) - كرد علي : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢١٣

(١٥٩) - بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٤٩

(١٦٠) - بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٤٩ .

(١٦١) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٦ .

(١٦٢) - حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٢٩٥ ، وانظر فيما سبق

الفترة ، فهي الحنطة وكانت تزرع في المناطق الاسلامية كافة حيث يتوفر المـاء ، وكذلك كانت الكروم تزرع بكثرة ، وفي الارجاء جميعها ، وهي كثيرة الاصناف . وقد امتازت كروم العنب في اليمن بضخامة عناقيدها [١٦٣] . وكان لزراعة الكروم شهرة خاصة في الشام حتى لاتكاد تخلو منها منطقة من المناطق [١٦٤] . وبقيت زراعة الذرة مقتصرة على جنوبي جزيرة العرب . وكان الاهلون يزرعون كذلـك الشعير والارز والنخيل واشجار الفاكهة [١٦٥] .

وكان تفاح الشام مضرب المثل في الجودة ، وكان يحمل منه الى الخلفاء في كل سنة ثلاثون ألف تفاحة ، ويقال انها كانت في العراق أعبق منها في الشام . كما كثرت زراعة الزيتون في أرجاء كثيرة من بلاد الشام ، وغيرها من أراضي الخلافة مثـل شمال افريقيا . واشتهرت بعض مناطق الشام باستخراج الزيت من الزيتون ، حيث كان من اهم خصائصه الصفاء والنظافة . وكان الزيـت يحرز في جباب كبيرة في مدينة حلب . وكانت الشام تمد البلاد الاسلامية بما تحتاجه من الزيت الذي كـان يعرف بالزيت الركابي ، لانه كان يحمل على الابل من الشام [١٦٦] .

زرع قصب السكر في البصرة وصور وبيروت وطبرية وكابل وخوزسـتان وغيرها . وقد استخرج منه السكر في كابل وخوزستان والبصرة [١٦٧] . وقـد حاول مسلمو المغرب وصقلية زراعة بعض النباتات التي تنمو في البلاد الحـارة كالتوابل والقطن وقصب السكر والتوت ، فلم يقدر لزراعة التوابل النجاح [١٦٨].

---

(١٦٣) ـ آدم ميتز : الحضارة الاسلامية ، جزء ٢ ، ص ٢٩٨ – ٩٢٩

(١٦٤) ـ بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٥٤

(١٦٥) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٩٩

(١٦٦) ـ الثعالبي : لطائف المعارف ، ص ١٥٧ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ٢ ، ص ٢٢١ ،

[illegible] جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٣٢

(١٦٧) [illegible] حوقل : المصدر السابق ، ص ١٧٦ ـ المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦١ – ١٦٢ –

[illegible] ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٥

[illegible] ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٨

واشتهرت مناطق واسعة بزراعة النخيل واشهرها البصرة وكرمان وشمال افريقية ، ومصر ومنطقة الغور وغيرها (١٦٩) . بالاضافة الى وجود اصناف متعددة من الفواكه كالتين والموز والجميز والرمان والتوت والبرقوق والمشمش والبرتقال والخوخ والكمثرى والسفرجل والليمون والكباد(١٧٠) . والبطيخ(١٧١)

ب ـ الصناعة :

كان للصناعة نصيب كبير من عناية الخلفاء العباسيين الاوائل . فاهتموا باستخراج المعادن . فاستخرجوا الفضة والنحاس والرصاص والحديد من مناجم فارس وخراسان .

وكان بالقرب من بيروت مناجم للحديد ، ساعد وجودها على نمو بعض الصناعات المعدنية ، كما استخرجوا الخزف والمرمر من تبريز ، والملح والكبريت من شمالي فارس ، والقار والنفط من بلاد الكرج .

وقد اشتهرت صناعة الزجاج ، ولاسيما في عهد المعتصم الذي شيد لها مصانع جديدة في بغداد وسامراء وغيرها (١٧٢) . كما حافظت الشام على الرغم من التقلبات كافة التي تعرضت لها على شهرتها في بعض الصناعات، فقد اشتهرت في صناعة الزجاج كغيرها ، ووصف زجاجها من قبل كثير من المؤرخين والرحالة ، وضرب به المثل في الرقة والصفاء ، حتى يقال أرق من زجاج الشام ، واصفى من زجاج الشام(١٧٣). وقد مهر أهل الشام في زخرفة الزجاج بالذهب وتلوينه بالوان أخرى . وبلغوا في ذلك درجة كبيرة من الاتقان . وفي مستهل القرن الثاني للهجرة ، كان الزجاج الملون المطلي بالميناء يصدر الى كثير من جهات العالم(١٧٤) . كما مهر أهالي الشام

---

(١٦٩) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٣ ـ بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٥٦

(١٧٠) ـ بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٥٧

(١٧١) ـ سرور : المرجع السابق ، ص ١٣١ ـ ١٣٢ ـ ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٢

(١٧٢) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٨

(١٧٣) ـ الثعالبي : لطائف المعارف ، ص ١٥٧

(١٧٤) ـ بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٦١

بصناعة الخزف وبشكل خاص المنقوش منه ، كما أنشيء مصانع للورق في عدة مدن ، وجلب لها الاساتذة والصناع من مصر التي اشتهرت بصنع الورق منذ عهد بعيد . وقد اشتهرت صناعة الورق في بغداد ودمشق وطبرية وطرابلس الشـــام وسمرقند حتى قيل ان كواغيد سمرقند عطلت قراطيس مصر وبغداد (١٧٥) .

وأنشأ العباسيون دورا للطراز في مناطق متعددة ، وتفوق المسلمون في صناعة الحرير والاطلس والمنسوجات الحريرية المشجرة والسجاجيد . ومما يدل على تفوق المسلمين في هذه الصناعة تلك الشهرة التي نالتها المنسوجات الحريرية المشجرة الجميلة التي كانت تصنع في تستر . وكذلك السجــاجيد في قرقب ، والحرير في سوس . وكذلك فقد اشتهرت مدن خراسان بصناعة البسط والستور والمنسوجات الصوفية على اختلاف انواعها . واشتهرت الكوفة بكوفياتها الحريرية وغيرها . وتفوقت خوزستان بمنسوجاتها(١٧٦) .

وقد امتازت دمشق بصناعة الاقمشة الحريرية التي لاتزال تســمى دمقس (دامسكو) كما عرف الدمشقيون نسيج الديباج وغيره . ويقال بأن الاقمشـــة التي كانت تصنع في حمص كانت تقارب الاقمشة المصنعة في الاسكندرية منحيث الجودة والحسن . ومما يذكر ان طبرية كانت تنسج نسيجا أبيض تصنعه ثيابا ، وكان ثمن الثوب منه اربعمائة درهم لجودته ، في الوقت نفسه الذي كان غيره من الاثواب يساوي مائة درهم فقط . ويبدو أن أهالي الشام برعوا في صناعة الصباغ وغيره من الصناعات التي ماتزال لها بقية قليلة الان(١٧٧) .

كذلك فقد اشتهرت اعناك من نواحي حوران بصناعة البسط ، وبصناعة نوع

---

(١٧٥) ـ محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية في الشرق ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥

ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٢٤٦ ـ مجلة المجمع العلمي العربي بدمشـــق مجلد ٢ ، ص ٢٢

(١٧٦) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٩

(١٧٧) ـ بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٦١ ـ ٤٦٢

جيد من الاكسية • كما اشتهرت بلاد الشام كغيرهامن سائر البلاد الاسلامية بصناعة الحصر ، وبشكل خاص سكان قدس بالقرب من طبرية الذين اشتهروا بفتل الحبال الى جانب صنع الحصر ، واشتهرت عسقلان بوجود حرير فائق فيها(١٧٨) •

كما اشتهرت مصر في ذلك العصر بصناعة المنسوجات ، فكان يصنع في مدينة تنيس الثياب الملونة والفرش ، ويعمل بها اثواب الخلفاء التي تسمى البدنة ، وبلغت قيمة الثوب منها الف دينار يحاك من الذهب الخالص المحكم الصنعة ، ليس فيه من الغزل سدى ولا لحمة سوى أوقيتين • كما بلغ ثمن قطعة النسيج من الكتان في مدينتي تنيس ودمياط مائة دينار ، مما يدل على مدى تقدم صناعة المنسوجات المصرية ودقتها في ذلك الوقت(١٧٩) •

برع أهالي الشام في صناعة الفسيفساء • وقد شاهد الرحالة المقدسي جدران اروقة المسجد الحرام وقد زينت بالفسيفساء التي حملها اليها صناع الشام ومصر(١٨٠)

وكان بالقرب من بيروت مناجم للحديد ساعد وجودها على نمو بعض الصناعات المعدنية ، كما كان يوجد الحديد في ضواحي دمشق ، ولا سيما في داريا • وكذلك اشتهرت دمشق في صناعة السيوف المتقنة الصنع • ولشهرة سيوف دمشق ، فقد أمر خمارويه بن أحمد بن طولون بصناعة سبعة عشر سيفا دمشقيا لغلمانه مقابل سيوفهم التي تبرعوا بها للاعرابي الذي مدح خمارويه(١٨١) • وقد نقل الصليبيون الى بلادهم سر هذه الصناعة • كما استمر الصناع الدمشقيون محتفظين بتفوقهم

---

(١٧٨) ـ المقدسي : المصدر السابق ، ص ١٦٢ و ١٧٤ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ١ ، ص ٢٩٢

ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٢٤٥

(١٧٩) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٠٩

(١٨٠) ـ مجلة المجمع العلمي بدمشق : مجلد ٢ ، سنة ١٩٢٢ ، ص ٢٢

(١٨١) ـ انظر القصة كاملة في التنوخي : المستجاد من فعلات الاجواد ، ص ١٣٤ ـ ١٣٥

في هذه الصناعة الى ان سباهم تيمورلنك فماتـت هذه الصناعة لتـزدهر في بلاد العجـم[182] .

وقد اشتهرت بيت المقدس بصناعة النسيج لكثرة زوار المسجد الاقصى [183] كما أن أهالي دمشق أبدعوا في ترصيع الآنية المعدنية بالذهب والفضة ، وأبدعوا في النقش على الخشب [184]

وقد اشتهرت بغداد بالصباغة ؛ وبلغت صناعتهم شأوا بعيدا في الدقة والجمال، حتى أنهم كانوا يرصعون الزجاج بالجواهر ، ويكتبون عليه بالذهب . واشتهرت مصر أيضا بصناعة المعادن ولا سيما صياغة الذهب والفضة ، وضربوا بسهم وافر في صناعة الادوية والعقاقير .

واشتهرت مصر في العصر العباسي الاول بصناعة المراكب النيلية التي كانت تسير في النيل حاملة حاصلات البلاد بين الوجهين البحري والقبلي . كما اشتهرت بصناعة السفن التي تشحن بالاسلحة والمقاتلة لغزو البيزنطيين عن طريق الاسكندرية ودميـاط وتنيس والفرما .

وقد وجدت مقاطع للرخام في بيت جبريل في فلسطين . وفي منطقة عمـان وجدت الجبال البيض التي تسمى الحواره ، التي تستعمل في طلاء سقوف المنازل باللون الابيض ، كما كانت توضع منه طبقة فوق سطوح المنازل . كما اشتهرت فلسطين بمقاطع حجارة بيضاء استعمل بعضها في البناء ، واستخرج الكبريت من منطقة الاغوار ، كما استخرج الملح والحمر من البحر الميت[185] .

---

(١٨٢) ـ بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٦٣

(١٨٣) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٢

(١٨٤) ـ مجلة المجمع العربي بدمشق ، مجلد ٢ ، ص ٢٢

(١٨٥) ـ بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٦٤

جـ ـ التجـــارة

أما التجارة فمما لاشك فيه أنها تحتاج في نشاطها وازدهارها الى توفر عناصر متعددة أهمها انتشار الامن ، وسهولة الانتقال من مكان الى آخر دون عوائق ، لتوفر الحماية لاموال التجار من المصادرة وغيرها • الى جانب وجود أســواق مزدهرة تصرف فيها هذه البضائع •

وقد اهتم خلفاء العباسيين بتسهيل سبل التجارة ، فأقاموا الآبار والمحطات في طريق القوافل ، كما أنهم جهدوا لبناء الاساطيل لحماية السواحل من اغارات لصوص البحار • وكان لذلك اثر بعيد في نشاط التجــارة الخارجية والداخلية ، وأصبحت قوافل المسلمين تجوب البلاد ، وسفنهم تمخر عباب البحار •

وقد شجع خلفاء العصر العباسي الاول التجارة تشجيعا غير مباشر ، بما أدخلوا من مظاهر الترف الى بلاطهم ، وبتمهيد الطرق ، وتأسيس مدينة بغداد ، التي ساعد موقعها على أن تصبح سوقا تجاريا من الطراز الاول • وكانت دمشق مركزا هاما للقوافل الآتية من آسية الصغرى أو من أقاليم الفرات الى بــلاد العرب ومصر ، واصبح الفرات ودجلة شريانين هامين داخل بلاد الدولة العباسية • كما حفروا قناة للملاحة تأخذ ماءها من الفرات عبر العراق ووصلوها الى بغداد • وأصبحت هذه القناة تربط الحاضرة بآسية الصغرى وسورية وبلاد العرب ومصر • كما أن القوافل كانت تأتي اليها من آسية الوسطى مارة ببخارى وفارس(١٨٦) •

وقد وضع المنصور أساس الكرخ في الجهة الجنوبية ، ونقل اليها أسواق بغداد ، وأفرد لكل حرفة سوقا خاصا • ومن هذه الاسواق سوق العطارين وسوق الحدادين وسوق النجارين وسوق البزازين ، وسوق الرياحين ، وسوق القصابين(١٨٧) •

---

(١٨٦) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣١٢

(١٨٧) ـ العيون والحدائق : ص ٢٦٥ ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ١ ص ٤٦٠ ومابعدها

أما مدينة البصرة فقد اصبحت من أهم مراكز التجارة ، وهي باب بغداد الكبير ومدخل دجلتها المتدفق بضروب المتاع ، وأنواع السلع المستوردة ، في كل أصقاع العالم • ولذلك استفحل بها العمران وكثرت فيها المصانع والصنائع ، وصارت واسـطة العرب والعجم(١٨٨) •

كذلك كانت انطاكية التي حصنها الخليفة المعتصم من أهم مراكز بلاد الشام التجارية بين الشرق والغرب • لايعيبها سوى وجود السفالة(١٨٩) • وكذلك كانت دمشق وبيت المقدس •

وكان مما يعيق التجارة في بلاد الشام أحيانا ، اضطراب الاحوال السياسية التي أدت للفوضى ، مع انتشار قطاع الطرق ، وسيطرة الاعراب على طرق القوافل وقيامهم بالنهب والسلب(١٩٠) ، بالاضافة الى تحميل ولاة العباسيين فيها للتجار أمورا اضافية ، كدفـع مكوس عند انتقالهم مـن جند الى آخر (١٩١) • وعلى الرغم مما ذكر ، فـان التجارة قد استمرت نشـطة في بلاد الشـام بسـبب موقعها وثروتها ، وتوجيه خلفاء العباسيين لجزء من نشاطهم لازالة العوائق عن التجـارة فيهـا •

وكان طريق قوافل الحجاج التي تجتاز بلاد الشام يمر في الطريق المحاذي لبادية الشام ، وهو الذي يمر شرقي نهر الاردن • وبعد العودة من الحـج يقوم الحجاج بزيارة بيت المقدس والمسجد الاقصى وقبر ابراهيم الخليل • وقد أدت هذه الحركة المستمرة الى انتشار السلع في أسواق دمشق • ومن المرجح ان المـدن

---

(١٨٨) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ٣١٢ ـ ٣١٣

(١٨٩) ـ هي شعاب نابتة تحت الماء ، بينها وبين قبرص ، كانت تتحطم عليها معظم السفن ، انظر ادم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٢٦

(١٩٠) ـ انظر الامثلة عن انتشار الفوضى فيما ذكره الجاحظ : المحاسن والاضـداد ، ص ١٠٢ ـ التنوخي : الفرج بعد الشدة ، جزء ١ ، ص ١٦٣ ـ ابن الجوزي : المنتظم ، جزء ٥ ، قسم ثاني ، ص ٦٥

(١٩١) ـ انظر : المقدسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٢

البحرية التي لم تكن تبعد عن سوق دمشق كثيرا مثل طرابلس وبيروت وصور وعكا ، كانت تحصل على ما تحتاج اليه من السلع من سوق دمشق ، الى جانب ماكانت تحصل عليه من البضائع نتيجة قيامها بالتجارة البحرية • كما أن دمشق أصبحت مركزا هاما للقوافل التجارية الآتية من آسية الصغرى أو من العراق الى الجزيرة العربية ومصر •

كانت أسواق الفسطاط عامرة بأنواع السلع المختلفة التي ترد اليها من انحاء البلاد المصرية ، ومن بلاد الشام والعراق والمغرب وبلاد الروم (١٩٢) •

كما أن القلزم وجده وعيذاب من أهم الموانىء التجارية على ساحل البحر الاحمر ، وكانت السلع تنقل عن طريق القلزم من الدول الاوربية الى الشرق ، ومن اقطار الشرق الاسلامي الى اوربة ، أما جده ، فترجع أهميتها الى انها محط الحجاج المسلمين الذين كانوا يفدون اليها عن طريق ايلة والقلزم أو عن طريق عيذاب •

أما ميناء عيذاب فهو من المراكز التجارية الهامة ، وتقع على ساحل البحر الاحمر الغربي ، ولها ميناء عميق • وفيها تحصل المكوس على ما تحمله السفن الواردة من الحبشة وزنجبار واليمن ، وتنقل منها البضائع على الابل الى اسوان مجتازة الصحراء في خمسة عشر يوما ، ومن هناك تنقل بالسفن الى الفسطاط في النيل •

وكان لعدن شهرة تجارية فائقة بسبب موقعها ، وكانت السفن المحملة بمنتجات الدول الاسيوية والاوربية ترسو بها ، ويسميها المقدسي دهليز الصين ، ويحدثنا أنه سمع عنها أن من الناس من دخلها بالف درهم فرجع بالف دينار • ومنهم من دخلها بمائة فرجع بخمسمائة •

وكانت سيراف من موانىء الخليج العربي ، وترجع شهرتها لقيامها بالتجارة

(١٩٢) ـ محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية ، ص ١٥٠

البحرية • وقد بلغت هذه التجارة من الازدهار مبلغا جعل من سيراف منافساللبصرة في الغنى والثروة[١٩٣] •

كان النشاط التجاري الداخلي يتركز في الاسواق التي تقام في كل مدينة • فقد كان لكل طائفة من التجار سوق يختص بها ، حيث يمكثون الى مابعد الظهر ، ثم يعودون الى منازلهم في المساء • وكانت الحوانيت في بلاد الشام تمتد على طول الشارع من الجانبين ، واتخذت الاسواق أسماء السلع التي تبيعها ، فهناك دار بيع الفاكهة والخضار التي كانت تسمى دار البطيخ ، وهناك سوق الصاغة ، وآخر للسراجين ، وثالث للزجاجين ، وكانت اسواق دمشق من أحفل الاسواق وأحسنها انتظاما ، وكذلك قيسارياتها • فقد كانت كل واحدة منها منفردة بضبتها وأقفالها الجديدة ، وأبوابها مصنوعة من الحديد تشبه ابواب القصور[١٩٤] • أما الفنادق فقد خصصت للتجار الغرباء ، وكانت أشبه بالاسواق الكبيرة • وكان التجار يضعون بضائعهم في أسفلها وينامون في أعلاها ، ويغلقون غرفهم بأقفال رومية [١٩٥] •

كانت التجارة البحرية نشطة في هذه الفترة ، فقد كان العرب يقومون برحلات بحرية تبدأ من بغداد ، وتسير في الخليج العربي حتى تصل الى شبه جزيرة مالقه (الملايو) وكان التجار يشجعون هذه الرحلات التي تجلب لهم توابل الهند وعطورها وحرير الصين • كما نشطت التجارة في البحر المتوسط ، وكانت مراكب المسلمين تقطع هذا البحر في ستة وثلاثين يوما من مبدئه في الغرب حتى انطاكية[١٩٦] •

لقد جاوز العرب جزيرة سيلان في العصر العباسي الاول ، ووصلوا الى بلاد الصين في القرن الثاني الهجري ، وكانوا من بين الاجانب الذينفتح لهم ميناء كانتون

---

(١٩٣) ـ محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية ، ص ١٥٠ •

(١٩٤) ـ بيطار : المرجع السابق ، ص ٤٦٩

(١٩٥) ـ محمد جمال الدين سرور : الحضارة الاسلامية ، ص ١٥٠

(١٩٦) ـ آدم ميتز : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٤٢٦

وسوقها . وقد اثبتت بعض الفتن التي وقعت بهذه المدينة في سنة ١٤١ هـ/٧٦٠ م وجودهم هناك . فقد أخذ العرب يقومون برحلات طويلة الى بلاد الصين . وجعل ميناء سيراف الفارسي مرسى للسفن التي تأتي محملة ببضائع الشرق الاقصى،حيث كانت تسير بمحاذاة الشواطىء حتى ملبار ، رغبة منها في شحن البضائع وتفريغها في الموانىء المختلفة .

وقد استطاع العرب منذ اواخر القرن الثاني للهجرة أن يستقروا في ميناء خانفوا الى الجنوب من مدينة شنغهاي الحالية . وكان لهم فيها قاض مسلم يحكم بينهم وفق احكام الشريعة الاسلامية ، ويؤمهم في الصلاة ، كما كانوا يتبادلون التجارة مع الصينيين ، ويحصلون على جوازات تسمح لهم بالتنقل داخل البلاد للتجارة . وبعد أن ساءت أحوال الصين بسبب الفتن والثورات ، انتقل هؤلاء التجار الى شبه جزيرة مالقة ، وهكذا فان العرب وصلوا في تجارتهم الى الهند الصينية والصين فيكثير من الاحيان ، ولا يبعد أن يكون بعضهم قد وصل الى كوريا . وكانت الرحلةمن الساحل العربي الى ساحل الهند الغربي تستغرق مدة تتراوح بين شهرين وثلاثة أشهر ، وقد تستغرق شهرا واحدا اذا ساعدتها الريح(١٩٧) وقد كانت تجارة الحرير هي الدافع الاساسي لرحلات التجار الى الصين . فلما انشر هذا النوع في شمال فارس ، قل مسير القوافل الى بلاد الصين (١٩٨) .

وقد كانت السلع تأتي من جميع ارجاء العالم الى العراق ، فحملت الانية من الهند ، والحديد من خراسان ،والرصاص من كرمان ، والنسيج الملون من كشمير ، والعود والمسك والسروج والدار صيني من الصين ، والعطر وأنواع الطيب من اليمن ، والسلاح والمصوغات من فارس ، واللآلىء من عيذاب، والخيزران والكافور والعود والقرنفل والنارجيل والثياب القطنية والفيلة من الهند والسند ، والياقوت والماس من سرنديب . والجلود والرقيق من بلاد الروم ، والفاكهة والسلاح والحديد

(١٩٧) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣١٥ .

(١٩٨) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣١٨ .

من بلاد الشام ، وجلود الثعالب من روسية • كذلك فقد وجدت بين بلاد اليمن والحجاز والحبشة ومصر وآسية الصغرى علاقات تجارية • فكان زمرد ساحل الهند الشرقي ينقل الى المغرب عن طريق عدن ومكة ، وكان بالمقابل زمرد مصر العليا وناب الفيل من الحبشة يطلب من امراء الشرق الاقصى •

وكان المسلمون في العصر العباسي الاول يصدرون الحنطة والارز والفاكهة وزهور مازندان المشهورة والسكر والزجاج والحرير والاقمشة الصوفية والكتانية والحريرية والزيت والعطور كماء الورد والزعفران وماء السوس وزيت البنفسج (١٩٩) •

وقد عني العباسيون بتنظيم التجارة فعهدوا الى المحتسب مراقبة الاسواق والاشراف على الموازين والمكاييل ، ومراعاة أثمان الحاجيات منعا للغش أو ابتزاز أموال الاهلين (٢٠٠) •

وقد ساعدت طرق التجارة على انتعاش التجارة ، وسهلت على التجار نقل بضائعهم ، ومن أشهر طرق التجارة :

١ ــ الطريق البحري من غرب اوربا الى المشرق مارا بمصر ، حيث تحمل المنتجات على الدواب الى القلزم ، ومنه تنقل عبر البحر الاحمر مرورا بموانيه الهامة مثل جدة • ويتجه حتى السند والهند والصين •

٢ ــ الطريق التجاري بين بلاد الروس والمشرق عن طريق بحر قزوين ، ومنه تنقل التجارة الى بخارى وسمرقند ببلاد ماوراء النهر ومنها الى الصين •

٣ ــ الطريق التجاري الذي يسير من المنطقة الواقعة عند مصب نهر السند نحو داخل فارس مارا بولاية سجستان ، والى الشمال من هذا الطريق كانت

---

(١٩٩) ــ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣١٨ ــ ٣١٩ •

(٢٠٠) ــ جميل نخلة : حضارة الاسلام في دار السلام ، ص ١١٦ ــ ١١٧

قوافل البنجاب تنقل مقادير كبيرة من البضائع عبر هضاب أفغانستان وتوصلها الى كابل وغزنة وغيرهما • ومن هنا كانت القوافل تسير نحو خراسان غربا وبخارى شمالا •

٤ ـ الطريق البري من غرب اوربا الى المشرق ، ويبدأ من بلاد الاندلس الى طنجة عبر مضيق جبل طارق ، مجتازا المغرب الاقصى والاوسط والادنى عن طريق افريقية حتى يصل الى مصر • ثم يتجه الى بلاد الشام مارا بالرملة ودمشق • ثم الى العراق مارا بالكوفة وبغداد والبصرة ، ثم الى فارس مارا بالاهواز ، ثم الى كرمان والهند والصين (٢٠١) •

حظيت الجاليات الاسلامية التي توطنت في مناطق غير اسلامية بسبب التجارة بمكانة محترمة • كما كان لاشتغال المسلمين بالتجارة اثر كبير في حياتهم العامة سواء اكان من الناحية الاقتصادية أم الاجتماعية ، فمن الناحية الاقتصادية كانت التجارة مصدر ثروة لعدد كبير من الناس واتباعهم • ومن الناحية الاجتماعية ساعدت التجارة على وفود كثير من الارقاء من الاصناف المختلفة الى الدولة العربية الاسلامية •

وكان لعناية الخلفاء بالتجارة واهتمامهم بتسيير طرقها البرية والبحرية اثره في تمهيد السبيل أمام الرحالة • كذلك ربطت التجارة بين الاقطار الاسلامية ربطا محكما • فقلما كان يخلو ركب من التجار من أن يصحبهم بعض العلماء لطلب العلم وخاصة الحديث • وفضلا عما تقدم ، فان التجارة كانت تغذي الفقهاء بالمسائل الكثيرة التي تعرض للتجار ، ولم تكن معروفة من قبل • ذلك ان أعمال التجار وما يصادفونه في حياتهم كانت مبعث اسئلة توجه الى الفقهاء ليبحثوا ويجيبوا عنها (٢٠٢)

٤ ـ الحياة الفكرية :

نمت الحياة الفكرية نموا مطردا في العصر العباسي • وكان لهذا النمو أسباب متعددة يأتي على رأسها :

---

(٢٠١) ـ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٤٨ ـ ١٥٠ •

(٢٠٢) ـ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥

١ ــ دعوة الاسلام الى المعرفة ، وحضه على التعلم ، وتشجيعه على الثقافة • ولقد تمثل ذلك بالكثير من آيات القران[٢٠٣] •

٢ ــ كانت الدعوة الى الاسلام في الفترة الاولى مبنية على التأمل والتفكر في الكون ، وكان ذلك كافيا في كثير من الاحيان الى جذب عدد كبير الى الاسلام • وما لبث العرب بعد ان اختلطوا بالامم الاخرى ، واحتاجوا الى دعوة هؤلاء الى الاسلام أن عملوا على استخدام العقل والمنطق في دعوتهم ، اسوة بما يفعل أهل الديانات الاخرى ، فاستندت الدعوة الدينية الى علم الكلام ، وتأثر تفسير القرآن وتفسير الحديث والتشريع بهذا الاثر الفلسفي ، واذا كان هذا في العلوم الدينية فالامر في العلوم الدنيوية أكثر وضوحا ، فالطب والرياضة والهيئة وغيرها قد اعتمدت كل الاعتماد على التجارب وأقوال العلماء وبراهين المنطق[٢٠٤] •

٣ ــ حركة الترجمة من اليونانية والفارسية وغيرهما الى العربية ، كان لها أثر كبير في امتزاج الثقافات وتقدم الحياة الفكرية[٢٠٥] •

وقبل الخوض في غمار الحياة الفكرية في العصر العباسي لابد من مقدمة نوضح فيها السمات العامة للحياة الفكرية في العهد الاموي •

فقد ساد العلم الديني في العصر الاموي ونواته القرآن والحديث • وأضيف عليه في العصر العباسي نواة اخرى تجمعت حولها العلوم الدنيوية أو التجريبية وهي نواة الطب • فحول هذه الدراسة تكونت دراسة الطبيعة والكيمياء وغيرها[٢٠٦] • وقد عبر ابن خلدون عن هذين النوعين من العلوم تعبيرا صادقا حين قال : ان العلوم صنفان صنف طبيعي للانسان يهتدي اليه بفكره ، وصنف نقلي يأخذه عمن وضعه[٢٠٧]

---

(٢٠٣) ــ الشكعة : المرجع السابق ، ص ١٠٩

(٢٠٤) ــ أحمد أمين : ضحى الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٩

(٢٠٥) ــ عن حركة الترجمة ، انظر الشكعة : المرجع السابق ، ص ١٤٠ ــ ١٤٥

(٢٠٦) ــ أحمد أمين : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ١٢

(٢٠٧) ــ مقدمة ، ص ٣٦٣

وقد وضع في العصر العباسي أسس كل العلوم تقريبا ، فقل أن نرى علما اسلاميا نشأ بعد ذلك . فقد وضع في هذا العصر تفسير القرآن وجمع الحديث ووضعت علومه ، ووضع علم النحو ، ووضعت كتب اللغة ، كما وضع علم العروض ، ودونت أشعار العرب في المعلقات التي دونها حماد الراوية ، والمفضليات التي دونها المفضل الضبي ، والاصمعيات التي دونها الاصمعي ، ووضع الجاحظ أساس الكتب الادبية ، وحذا حذوة ابن قتيبة والمبرد وغيرهما . ودون الفقه على يد الائمة وتلاميذهم ، ودون التاريخ كذلك . وترجمت كتب الفلسفة من منطق ورياضة وهيئة وطب وغيرهما . وبدأ العلماء يؤلفون فيها[٢٠٨] . وقد كان من أسباب تقدم العلوم في العصر العباسي انتقال الدولة العباسية الى العراق ، وما تنج عنه من اختلاط الامم الاسلامية بعضها بالبعض مما أدى الى الاخذ والعطاء . بالاضافة للحرية التي اعطيت للامم الاسلامية في هذا العصر ، والتي أدت الى تفتق الذهن والخيال . وفوق ذلك ، فان عامل الزمن كان له دور كبير ، فقد مر على ظهور الاسلام قرن وثلث القرن . يضاف الى ذلك كثرة مصانع الورق ونشاطها ، ورخص أثمان منتجاتها . وقد أدى وجود الورق والكتابة فيه ، الى نشوء صناعة الوراقة وهي نسخ الكتب وتصحيحها وانتشار دكاكين الوراقين . الى جانب سعة رقعة الدولة العباسية ، ووفرة ثروتها ، ورواج تجارتها . وقد ادت هذه العوامل مجتمعة الى خلق نهضة ثقافية لم يشهدها الشرق من قبل ، حتى لقد بدا أن الناس جميعا قد غدوا طلابا للعلم وانصارا للادب[٢٠٩] .

كانت معاهد الثقافة تتمثل في المسجد ، حيث كان علماء التفسير والحديث يتخذونه مقرا لهم[٢١٠] . ثم اضيفت اليه الزاوية والمدارس والمارستان والمكتبات . ومن أشهر المدارس بيت الحكمة التي أمدها العباسيون بمختلف الكتب[٢١١] . وظلت هذه

(٢٠٨) ـ انظر فيما سبق .
(٢٠٩) ـ انظر فيما سبق
(٢١٠) ـ ابن خلكان : وفيات الاعيان ، جزء ١ ، ص ٢٥٧
(٢١١) ـ ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٤٣

الخزانة قائمة حتى استولى التتار على بغداد سنة ٦٥٦ هـ • والى جانبها نشـأت مكتبات اخرى هامة •

ولنبدأ ببحث العلوم المختلفة التي سادت في العصر العباسي والقاء نظرة سريعة عليها ، وهـي :

آ ـ العلوم الدينية :

علم القراءات : عني العباسيون بعلم القراءات الذي يعتبر المرحـلة الاولى لتفسير القرآن الكريم (٢١٢) • وقد وجدت على مر الزمن سبع قراءات تمثل كـل واحدة منها مدرسة معترفا بها ، وما لبث عدد القراءات ان ازداد ، ويرجـع اكثر الاختلافات في القراءات الى رجال عاشوا في القرن الاول كابن عباس وعثمان بـن عفان وابنه أبان ، والى قراء معترف بهم كعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب •

ومن أشهر القراء في العصر العباسي الاول يحيى بن الحارث الذماری(ت١٤٥هـ) وحمزة بن حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ) وأبو عبد الرحمن المقرىء (ت ٢١٣هـ)(٢١٣)•

ـ التفسـير :

لاريب أن العرب الذين عاصروا نزول الوحي أدركوا معانيه ، ووقفوا على الاسباب التي أدت الى نزول الآيات القرآنية • غير أن الامم الاسلامية الاخرى كان يصعب عليها ادراك معاني الآيات والظروف التي أحاطت بنزولهـا ، ولهـذا نشأ علـم التفسير •

وقد اتجه المسلمون في تفسير القرآن اتجاهين ، يعرف أولهما باسم التفسير بالمأثور ، وهو ما أثر عن الرسول وكبار الصحابة • ومن أشهر مفسري هذا النوع

---

(٢١٢) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٢٤

(٢١٣) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٢٥

محمد بن جرير الطبري وابن عطية الاندلسي ، والقرطبي . أما النوع الثاني فيعرف باسم التفسير بالرأي ، وهو ماكان يعتمد على العقل اكثر من اعتماده على النقل .ومن أشهر مفسري هذا النوع المعتزلة والباطنية . وقد فسروا بعض الآيات القرآنية تفسيرا يتفق مع مبادئهم العقلية(٢١٤) . ومن أشهر المفسرين في هذا العصر مقاتل بن سليمان الازدي (ت ١٥٠ هـ)(٢١٥) . وأشهر كتب التفسير التي وصلت الينا تفسير الطبري ،الذي يمتاز بتحري الدقة في النقل عن الرسول والصحابة والتابعين(٢١٦) .

ـ الحـديث :

هو أحد أصلين قام عليهما التشريع الاسلامي ، وهو يلي القرآن في الاهمية . وكان له رجال عرفوا باسم المحدثين . ومن مصادر الحديث ، صحيح البخاري(٢١٧) . وصحيح مسلم ، والسنن لابي داود ، والجامع للترمذي ، والسنن للنسائي .

كانت علوم الحديث كثيرة . فمنها ماينظر في ناسخه ومنسوخه،وهو أصعبها وذلك لمعرفة الحقيقة حين يتعارض الخبران بالنفي والاثبات ، ويتعذر الجمع بينهما ببعض التأويل . واذا تعين تقدم أحدهما ، تقرر أن المتأخر ناسخ(٢١٨) . ومنها النظر في الاسانيد ومعرفة مايجب العمل به من الاحاديث بوقوعه على السند الكامل الشروط ، ومعرفة رواة الحديث بالعدالة والضبط ، وانما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلهم وبراءتهم من الجرح والغفلة(٢١٩) . وكذلك مراتب النقلة من الصحابة والتابعين ، وتفاوتهم في ذلك ، وتمييزهم فيه واحدا واحدا . وكذلك تتفاوت الاسانيد باتصالها وانقطاعها . وبالتالي فانهم وصلوا الى تصنيف الاحاديث

---

(٢١٤) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٣٩ ـ ٣٤٠ .

(٢١٥) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٢٦

(٢١٦) ـ جولدتسيهر : المذاهب الاسلامية ، ص ٨٥ ـ ٨٦

(٢١٧) ـ انظر حوله مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٠٨

(٢١٨) ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٠٥

(٢١٩) ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٠٦

في مراتب ، فكان الصحيح منها والحسن والضعيف ؛ والمرسل والمنقطع والمعضل والشاذ والغريب وغير ذلك[٢٢٠] •

ــ الفقــه :

هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين بالوجوب والحظر والندب والكراهة والاباحة ، وهي متلقاة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتهــا من الادلة • فاذا استخرجت الاحكام من تلك الادلة قيل لها فقه[٢٢١] •

انقسم الفقه الى طريقتين ، طريقة أهل الرأي والقياس وهم أهل العراق ؛ وطريقة أهل الحديث وهم أهل الحجاز • وكان على رأس ائمــة الفريق الاول ؛ الامام ابو حنيفة النعمان وعلى رأس أئمة الفريق الثاني الامام مالك ، والامام أحمد ابن حنبل • اما الامام الشافعي ، فقد كان مذهبه وسطا بين الفريقين • وقد ظهرت مذاهب اخرى لم يقدر لها الاستقرار والذيوع امام هذه المذاهب الاربعة[٢٢٢] • منها مذهب الظاهرية وصاحبه داود بن علي وابنه ، توفى الاول ٢٧٠ هـ والثانــي ٢٩٧ هـ [٢٢٣] ومذهب الاوزاعية ، ومذهب سفيان الثوري ومذهب اسحق بن راهوية المتوفى سنة ٢٤٠ هـ • وعلى مر الزمن تلاشت هذه المذاهب ، واصبحت السيــادة للمذاهب الاربعة • ووقف الاجتهاد عند هؤلاء الاربعة[٢٢٤] • أما الشيعة فقــد انفردوا بفقههم وتناولوا بعض أئمة المذاهب بالقدح ، وقالوا بعصمة الائمة ورفــع الخلاف عن أقوالهم[٢٢٥] •

ومن أشهر كتب الفقه التي وصلت الى ايدينا كتاب الموطأ للامام مالك • وله الى جانب هذا الكتاب مجموعة رسائل جمعها تلميذه أسد بن الفرات النيسابوري ، وتشتمل على نحو ست وثلاثين ألف مسألة • وكتاب الام للشافعي •

ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٠٦

... ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٤ ، ص ٤٤٨

... خلدون : مقدمة ، ص ٤١١

... خلكان : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢١٠ و ٢٧٥

... مقدمة ابن خلدون : ص ٤٢١ حول ذلك الامر وسببه

... خلدون : مقدمة ص ٤١١

ـ علم الكلام ((المعتزلة))

هو البحث في أمور العقيدة الاسلامية مثل توحيد الله ، والكلام في ذاته سبحانه وتعالى ، وصفاته وأفعاله ، ثم الكلام في الانبياء والرسل • ويتناول كثير من كتب علم الكلام مسائل عصمة الرسل والامامة • وقد يعرض هذا العلم لمسائل غيبية كالبعث والحساب والجنة والنار وغير ذلك ، ثم يعرض هذه المسائل على مقاييس العقل والمنطق في معرض جدلي كلامي منطقي •

يعد علم الكلام أساس الفلسفة الاسلامية • كما يعتبر وليد النهضة الثقافية الاسلامية التي تأثرت بثقافات اليونان والفرس والسريان في العصر العباسي الاول (٢٢٦) • ويمكن أن نجمل أسباب نشوئه بما يلي :

١ ـ اسباب داخلية نبعت من طبيعة الاسلام والمسلمين ، تنحصر في شعور المسلمين ، بأن الله تعالى سمح لرسوله بالرد على المشركين ومجادلتهم بالتي هي احسن • فلم لا يسيروا على هديه ، ويردوا على المخالفين لهم بحجج مقنعة تتناسب مع قوة طعن مخالفيهم •

٢ ـ اسباب خارجية : تنجت عن تفاعل المسلمين مع الثقافات الاجنبية ، وتأثرهم بها الى جانب تأثرهم بالديانات الاخرى السائدة • فنتج عن ذلك ، أن عقل المسلمين أخذ يفلسف الدين ، ويصبغ مسائله بصبغة علمية فلسفية •

وقد حمل المعتزله لواء علم الكلام الذي سيطر على الفكر الاسلامي حينا من الدهر • ومن اشهر متكلمي المعتزلة واصل بن عطاء (٨٠ ـ ١٨١ هـ) وعمرو بن عبيد (٨٠ـ١٤٤هـ) وكلاهما تلميذ للحسن البصري (٢٢٧) • وابو الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٣٥هـ • ويعتبر النظام صاحب منزلة لا تداني في عصره ، وهو من تلاميذ العلاف (ت ٢٣١ هـ) ، وقد تتلمذ الجاحظ عليه (٢٢٨) •

---

(٢٢٦) ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٢٨

(٢٢٧) ـ الشكعة : المرجع السابق ، ص ١١٧

(٢٢٨) ـ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ٣ ، ص ٩٧ ـ ٢٠٧

وقد رويت روايات متعددة عن نشأة فرقة المعتزله ، بعضها يجعل نشوء هذه الفرقة يعود الى فترة اسلامية مبكرة ، وبعضها يردها الى نهاية العصر الاموي ومن تلك الروايات ، ما يروى من انه في مجلس للحسن البصري ، يضم تلميذيه واصل ابن عطاء ، وعمر بن عبيد ، نوقش رأي الخوارج بان مرتكبي الكبيرة يعتبرون كفارا ، فأبدى الحسن البصري رأيه ، فقال : انهم مؤمنون ، وان فسقوا بالكبائر، وانما يلقون حسابهم على ذنوبهم ، فانبرى واصل بن عطاء لابداء رأيه في ذلك ، فقال : ان الفاسق من هذه الامة ليس بمؤمن وليس بكافر ، بل في منزلة بين المنزلتين ، فطرده الحسن من مجلسه ، فاعتزل عنه ، ثم تبعه عمرو بن عبيد ، فقيل لهما ولاتباعهما معتزله(٢٢٩) .

ينقسم المعتزلة الى قسمين كبيرين ينتسب احداهما الى البصرة ، والاخر الى بغداد . وكان الحسن البصري على رأس فرع البصرة (٢٣٠) ومن تلاميذه واصل بن عطاء(٢٣١) ، وعمرو بن عبيد(٢٣٢) ، وأبو الهذيل العلاف (٢٣٣) ، والنظام (٢٣٤) ، والجاحظ (٢٣٥) . اما فرع بغداد ، ويأتي زمانيا في الدرجة الثانية بعد فرع البصرة، فقد كان على رأسه بشر بن المعتمر (٢٣٦) وابو موسى المردار ، ومعمر بن عباد (٢٣٧) ، واحمد بن ابي دؤاد (٢٣٨) .

وقد اشترك المعتزله بمبادىء عامة ، عرفت باسم أصول المعتزلة وهي :

---

(٢٢٩) ـ الشكعة : المرجع السابق ، ص ١١٧

(٢٣٠) ـ الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٧

(٢٣١) ـ الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٨ ـ ٥٩

(٢٣٢) ـ الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٦٢

(٢٣٣) ـ الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٦٢ ـ ٦٥

(٢٣٤) ـ الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٦٢

(٢٣٥) ـ الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٩٤ ـ ٩٦

(٢٣٦) ـ الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ص ٨١

(٢٣٧) ـ الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٨٣ ـ ٨٨

(٢٣٨) ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٢١

١ ـ القول بالتوحيد ٢ ـ القول بالعدل ٣ ـ القول بالوعد والوعيد

٤ ـ القول بالمنزلة بين المنزلتين ٥ ـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر(٢٣٩)

وقد ناهض أهل السنة المعتزلة (٢٤٠) ، ذلك لانهم رأوا الوقوف عند النص دون التأويل • وقد يكون ذلك منهم لانهم كانوا يرون ان معرفة صفات الله وذاته فوق العقل البشري • وبذلك يكون جوهر الخلاف بين الفريقين في سلطة العقل ومداها وحدودها(٢٤١) •

ان التوحيد من أهم مبادىء المعتزلة ، وهو امر امتاز به المسلمون جميعا • ولكن المعتزلة فلسفوا هذا الامر ، بمعنى انهم استمسكوا بآيات التنزيه ،وشرحوها وحللوها تحليلا فلسفيا •

ففي مسألة رؤية الله بالابصار ، صح لديهم بالادلة العقلية والنقلية ، عدم امكان الرؤيا الا بالقلب • وفي مسألة صفات الله ، قالوا ان ذات الله وصفاته شيء واحد لا يلحقها تغير ، ولاتقوم بها محدثات(٢٤٢) •

وكان طبيعيا بعد ان اثيرت هذه المسائل أن تثار مسألة تتصل بها أشد الاتصال ، وهي مسألة كلام الله وخلق القرآن • وهي أبرز أمر كان في تاريخ المعتزلة ، لما اتصل بها من أحداث تاريخية واجتماعية وسياسية • وقالوا حول ذلك ان القرآن نوع من الكلام الذي يخلقه الله ، وانما سمي كلام الله لانه خلق الله من غير واسطة(٢٤٣) • وقد ناهض المعتزلة في القول بخلق القرآن أهل السنة أو السلف(٢٤٤) • حتى استطاع ابو الحسن الاشعري حل النزاع حول خلق القرآن ،

---

(٢٣٩) ـ الاشعري : مقالات الاسلاميين ، ص ١٥٥ ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ٤٢٨

(٢٤٠) ـ المقدمة ، ص ٤٢٩

(٢٤١) ـ أحمد أمين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٩ ـ ٤٠

(٢٤٢) ـ المقدمة ، ص ٤٢٩ ـ الشهرستاني : الملل والنحل ، جزء ١ ، ص ٥٥ وص ٦٣

(٢٤٣) ـ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٦

(٢٤٤) ـ ابن خلدون : مقدمة : ص ٤٢٩

وعمل على التقريب بين تعاليم الدين ومبادىء العقل • فهو صاحب مبدأ بلا كيف الذي يقضي باطاعة اوامر الدين ، والعمل بها دون ممانعة او مناقشة •

أما الاصل الثاني وهو العدل ، فهو من أهم اصول المعتزلة مع التوحيد ، حتى ان المعتزلة عرفوا باسم أهل العدل والتوحيد(٢٤٥) • وحين بحثوا في عدل الله ، وصلوا الى :

آ ــ ان الله يسير بالخلق الى غاية ، وانه يريد خير ما يكون لخلقه •

ب ــ ان الله لايريد الشر ولا يأمر به •

جـ ــ ان الله لم يخلق أفعال العباد لا خيرا ولا شرا • وان ارادة الانسان حرة • والانسان خالق أفعاله ومن أجل ذلك كان مثابا على الخير معاقبا على الشر(٢٤٦) • بمعنى أن الانسان حر الارادة ، والله حكيم عادل • ولا يجيز ان يريد من العباد خلاف ما يأمر به ، ثم يحكم عليهم ويعاقبهم • فالله خلق أمام الانسان الخير والشر ، والكفر والطاعة ، والايمان والمعصية وخيره(٢٤٧) • ولو كان الله يريد الكفر للكافر ، والمعصية للعاصي مانهاه عن الكفر والعصيان • ويجب أن يدرك الانسان أن الامور تحوي على صفات ذاتية تجعلها حسنة أو قبيحة ، والشرع حين يأمر يفعل شيء لانه حسن بالعقل ، وحين ينهي عن آخر لانه قبيح بالعقل أيضا • وبالتالي فقد خالف المعتزله الجبرية ، الذين يرون بأن الانسان مجبر(٢٤٨) •

وقد أثارت مسألة خلق الافعال عند المعتزلة وخصومهم مسائل كثيرة متفرعة ،

---

(٢٤٥) ــ الشهرستاني : الملل والنحل ، جزء ١ ، ص ٥٤

(٢٤٦) ــ الشهرستاني : المصدر السابق جزء ١ ، ص ٥٥ ــ ٥٦ ــ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٤٥

(٢٤٧) ــ الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٣ ــ المسعودي : مروج الذهب ، جزء ٢ ، ص ١٩٠ ــ ١٩١

(٢٤٨) ــ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ٣ ، ص ٥٤ ــ ٥٥

لن نطيل الحديث عنها • منها مسألة التولد ، أي الاعمال التي تتولد عن العمل الاصلي • ومسألة الاشياء التي تحدث عن السبب الاول ، فهل تعزى اليه • وكذلك بحثوا في العلاقة بين السبب والمسبب ، وأيهما موجود اولا[٢٤٩] •

أما الأصل الثالث وهو الوعد والوعيد ، فقد ناقشه المعتزلة ووصلوا الى أن الايمان بالله هو معرفة بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح • وأن كل عمل فرضا كان أو نفلا فهو ايمان • وكلما ازداد الانسان خيرا ازداد ايمانا[٢٥٠] ،والكافر هو عكس ذلك • وعدل الله وصدقه يؤدي الى أن يكون صادقا في وعده ووعيده، فيعاقب من أساء على ذنبه ، ويجزي من أحسن على عمله • والله لايغفر لمن فعل ذنبا أو اثما كبيرا ، على حين قد يغفر الذنوب الصغيرة • ويقودنا تصنيف الاعمال في زمر الى الاصل الرابع من أصول المعتزلة الا وهو المنزلة بين المنزلتين •

رأى المعتزلة ان مرتكبي الكبيرة من المؤمنين لايخلدون في النار لقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره • ومرتكب الكبيرة مؤمن ، ولكنه فعل شرا فيعاقب على الشر الكبير • وهو بذلك في منزلة بين الكفر والايمان[٢٥١] •

٥ ـ الامر بالمعروف والنهي عن المنكر • وهو تكليف للمؤمنين بالجهاد واقامة حكم الله على كل من خالف امره او نهيه سواء أكان كافرا أم فاسقا[٢٥٢] • وهذا الاصل اسلامي معروف ، ورد في آية قرآنية واضحة التعابير • ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، واولئك هي المفلحون[٢٥٣]

(٢٤٩) ـ احمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ٣ ، ص ٥٨ ـ ٦٠
(٢٥٠) ـ ابن حزم : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩
ـ الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٥٢ ـ ٥٣
(٢٥١) ـ الشهرستاني : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٦٠ ـ ٦١
(٢٥٢) ـ المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٩٠ ـ ١٩١
(٢٥٣) ـ آل عمران آية ١٠٤ •

اختلف المسلمون حول قضية الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، هل يكفيها العمل بالقلب واللسان اذا لم يقدر الانسان ان يفعل اكثر من ذلك ، ام يجب أن يجاهد ويقوم الامر بيده • وقد رأى المعتزلة في ذلك ان الامر بالمعروف ممكن بالقلب وباللسان ان كفى ، وان لم يكف فباليد ، والا فبالسيف • ولم ينل هذا المبدأ من الشرح ما نالته المبادىء السابقة ، وذلك لمساسه بالسياسة •

كان عدد معتنقي مذهب الاعتزال قلة في بادىء الامر ، الا انهم ازدادوا عددا ومكانة في الدور الاول من العصر العباسي ، سيما بعد ان اتخذه المأمون مذهبا رسميا للدولة • والزم الناس بالقول بخلق القرآن • وعقد مجالس المناظرة من أجل نشره ، ومن لم يقل بخلق القرآن من كبار الشخصيات كان مصيره السجن أو القتل[٢٥٤] • ويبدو أن ثقافة المأمون الواسعة ، وما حمله من ثقافات عصره بما في ذلك الفلسفة ، جعله يرى رأي المعتزلة ، ويقول بخلق القرآن ويوصي أخاه المعتصم بالسير على هديه • ويؤخذ على المأمون العالم فرض ما اعتنقه على الناس بالقوة • سار المعتصم والواثق من بعده سيرة المأمون[٢٥٥] • على حين عاد المتوكل الى السنة ، واضطهد المعتزلة فضعف شأنهم[٢٥٦] • ولكن نصر السنة الاكبر كان على يد ابي الحسن الاشعري ، الذي تربى بين أحضان مذهب المعتزلة • ثم رفض تعاليمهم ، بعد ان تسلح بالاسلحة المنطقية التي أمدوه بها ، وحاربهم بها بقية حياته ، وقوض دعائم نظرياتهم ، وأعاد لايمان السلف منزلته • وكان ظهوره نهاية لامر المعتزلة[٢٥٧] •

يبدو على هذا الشكل أن المعتزلة كان لهم ككل الفرق الاخرى في الفترة بين بداية القرن الثاني حتى منتصف القرن الثالث دعاة يجوبون ويعملون على نشر مبادئهم ، ونشطوا من أجل ذلك من أقصى المشرق الى أقصى المغرب[٢٥٨]

---

(٢٥٤) ـ انظر تفاصيل ذلك في المقريزي : المصدر السابق ، ورقة ١٢٤ وجه

(٢٥٥) ـ المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٤٩ •

(٢٥٦) ـ المسعودي : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٨٨ ـ امين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٨

(٢٥٧) ـ حتى : تاريخ العرب ، جزء ٢ ، ص ٥١٨ ـ ٥١٩

(٢٥٨) ـ أحمد امين : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٩٢ ـ ٩٣

هذا ولا بد من القول ان تعاليم المعتزلة كان لها أثر كبير في النهضة الثقافية في العصر العباسي الاول .

ب ـ علوم اللغة العربية

ـ النحو :

رأى اكثر العلماء ان النحو أخذ عن ابي الاسود الدؤلي ، وان أبا الاسود أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . وقال بعضهم رسم النحو نصر بن عاصم، كما قيل ان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية . وعلى الغالب فان أبا الاسود الدؤلي هو واضع هذا العلم (٢٥٩) .

نشأ علم النحو في مدينتي البصرة والكوفة اللتين صارتا من أهم مراكز الثقافة في القرن الاول الهجري وكان يقيم في هاتين المدينتين جالية تنسب الى قبائل عربية مختلفة ، ذات لهجات متعددة ، وآلاف من الصناع والموالي الذين كانوا يتكلمون الفارسية . ومن ثم تعرضت العبارات العربية السليمة الى الفساد ، ودعت الضرورة الى تقويم اللسان العربي .

نهض أبو الاسود الدؤلي لوضع أساس مدرسة البصرة التي تعتبر أقدم من مدرسة الكوفة ، وأكثر شهرة منها . وتأثرت هذه المدرسة، بالمنطق أكثر من مثيلتها، حتى سمي نحاة البصرة أهل المنطق (٢٦٠) .

ويبدو ان وجود المذاهب الفلسفية في البصرة قد أثر على النحاة فيها . وربما كان من أهم الفروق بين المدرستين ، أن مدرسة البصرة رأت وضع قواعد عامة للغة في الرفع والنصب والجر والجزم ونحوها تلتزمها وتسير عليها في دقة وحزم ، على الرغم من وجود مسائل لاتنطبق عليها القاعدة العامة . على حين ان الكوفيين ، رأوا أن يحترموا كل ماجاء عن العرب ، وأجازوا للناس ان يستعملوا استعمالهم (٢٦١) .

---

(٢٥٩) ـ ابن النديم : الفهرست ، ص ٥٩ ـ ٦٠ .
(٢٦٠) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٣٨
(٢٦١) ـ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥

أشهر علماء البصرة أبو عمر بن العلاء ، والخليل بن أحمد صاحب كتاب العين الذي يعتبر أول معجم وضع في اللغة العربية ، مرتب على الحروف الهجائية . أما سيبويه الفارسي صاحب الكتاب الذي يعرف بأسمه كتاب سيبوية ، فهو يجمع القواعد التي انتهت اليها مدرسة البصرة منذ عهد أبي الاسود الدؤلي (٢٦٢) . حتى ان علم النحو استمر على ماوضعه سيبوية ، وكل ماجرى بعده هو شرح لغامض أو اختصار لمطول (٢٦٣) . ومنهم أيضا الاصمعي وأبو عبيدة ، وقد تألق نجمهما في عهد هارون الرشيد . والمبرد صاحب كتاب الكامل الذي توفي بعد ذلك بقرن (٢٦٤) . والى جانب هؤلاء يمكن القول ان هناك بعض من أخذ عن الدؤلي امثال يحيى بن يعمر ، وعنبسة بن معدان ، وميمون بن الأقرن ، ونصر بن عاصم (٢٦٥) .

ومن أشهر علماء الكوفة في النحو الكسائي العالم الفارسي الذي عهد اليه الخليفة هارون الرشيد بتهذيب ولدية الامين والمأمون ، وهو أحد القراء السبعة . وتلميذه الفراء ، والمفضل الضبي الذي صنف كتابه المفضليات وأهداه الى الخليفة المهدي (٢٦٦) .

وقد وضعت في اللغة والنحو كتب عديدة عدا ماذكر منها كتاب جمهرة اللغة لابن دريد ، والبارع في اللغةلابي علي القالي .وكتاب الامالي فياللغة والادب(٢٦٧). وقد انتظم علم النحو على يد عالمين هما ابن مالك وابن هشام وكلاهما قد اهتم بتنظيم المادة لا تحديدها(٢٦٨) . كما ألفت كتب كثيرة في الاشتقاق والتصريف ، فكان أبو علي الفارسي ، وتلميذه ابن جني صاحب الخصائص (٢٦٩) .

---

(٢٦٢) ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٢.
(٢٦٣) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ٢١٠ ـ ٢١١
(٢٦٤) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٣٩.
(٢٦٥) ـ ابن النديم : الفهرست ، ص ٦٢
(٢٦٦) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٣٩
(٢٦٧) ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٩٠ ـ ٤٩٦
(٢٦٨) ـ احمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٤ ، ص ٢١٠ ـ ٢١١
(٢٦٩) ـ الثعالبي : يتيمة الدهر ، جزء ١ ، ص ٨٩.

ومما يلاحظ أن اللغة والنحو وضعت اسسها في العراق[٢٧٠] • وقد أحتمل علماؤها في جمع اللغة وابتكار النحو العناء الكبير • فقد عملوا على مخالطة الاعراب في البادية ، وتحملوا السفر وخشونة العيش وصبروا على المكارة في سبيل تحقيق اهدافهم •

ـ الادب :

المقصود بعلم الادب ، الاجادة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم • وينقسم الى فنين : الشعر المنظوم وهو الكلام الموزون المقفى الذي تتكون أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية • والكلام المنثور ، وهو الكلام غير الموزون • وكل واحد من الفنين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام [٢٧١] •

١ ـ الشعر :

قالوا : الشعر ديوان العرب ، وبذلك فهو فن قديم وجد ونما وبلغ الاوج في الجاهلية ، فما الجديد في العصر العباسي ؟

لقد أنشد العرب الشعر في الجاهلية والعصر الاموي ، وتطرقوا الى ابواب متعددة معروفة ومألوفة ، كالمدح والهجاء والرثاء ، بنظم جيد وعبارات بليغة[٢٧٢] • وجاء شعراء العصر العباسي ، فساروا على نهج من سبقهم ، واضافوا أبوابا جديدة لم يطرقها هؤلاء • كما استعملوا ألفاظا أرق ومعاني أعذب • وكان ذلك نتيجة من نتائج اختلاط الاجناس الاسلامية وتمازجها الثقافي ، مع تغير صور الحياة وقيم الاشياء [٢٧٣] • فكان وصف الكتّاب والكتب والاقلام ، ووصف أدوات العلم والمعرفة ، وتناول أدوات الحضارة ، والتأريخ للمظاهر الكبرى والاحداث

---

(٢٧٠) ـ أحمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ٢ ، ص ٣١٦

(٢٧١) ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ٥٣٢ و ٥٢١

(٢٧٢) ـ ابن خلدون : مقدمة ، ص ٥٣٤ ـ ٥٤١

(٢٧٣) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٤٠

الخطيرة[٢٧٤] ، والانحياز احيانا الى الفرق الدينية والسياسية[٢٧٥] ، الى جانب انشاء الشعر في الفكاهة والضحك واللهو والعبث ، كوصف الخمر والكأس وغيرها [٢٧٦] .

امتاز هذا العصر بظهور شعراء من الفرس اعتنقوا الاسلام وتعلموا العربية . وقد أمد هؤلاء الشعر العربي بطائفة كبيرة من الآراء والافكار التي اكتسبوها في حياتهم ، وادخلوا فيه الخيال الحي الرقيق ، والتعبير الدقيق ، عميق الاحساس .

وربما ترجع نهضة الشعر والادب الى تشجيع الخلفاء والسلاطين والوزراء لرجال الادب ، ومنحهم العطايا الجزيلة تارة ، وتقليدهم المناصب الرفيعة تارة أخرى. ولذلك نلاحظ انتشار المدح في هذا العصر ، واشتداد روح التنافس بين الشعراء والكتاب الذين كان من أهم أغراضهم ان يحظوا بالتقرب الى رجال الحكم رغبة في استدرار عطفهم وكرمهم .

كانت الحركة الادبية في الشام قوية في هذه الفترة ، وتفوقت على غيرها من البلاد الاسلامية الاخرى في القرن الثالث الهجري . أما في النصف الاول من القرن الرابع الهجري وفي بلاط سيف الدولة بالذات ، فقد ظهرت حركة أدبية وعلمية كبيرة فاقت ما كانت عليه في بغداد وقتذاك . وقد شهد الثعالبي لشعراء عرب الشام بأنهم أشعر من شعراء عرب العراق ومايجاورها [٢٧٧] . وكان بعض العراقيين يعجبون بطريقة الشاميين المثلى في الشعر [٢٧٨] . ولاشك في ان الشام كانت في ذلك الوقت ملهم الشعراء لانهم يستطيعون فيها الجمع بين فصاحة البادية ، وحضارة المدن .

---

(٢٧٤) ــ الشكعة : المرجع السابق ، ص ٢٦٤

(٢٧٥) ــ أحمد امين : ضحى الاسلام ، جزء ٣ ، ص ٣٠٨ ــ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٤٢ ــ ٣٤٣.

(٢٧٦) ــ الشكعة : المرجع السابق ، ص ٢٦٤

(٢٧٧) ــ الثعالبي : يتيمة الدهر ، جزء ١ ، ص ٨

(٢٧٨) ــ الثعالبي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٩

وقد نبغ منهم في القرن الثاني الهجري ابو الوليد عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي(٢٧٩) ، ومنصور النمري (٢٨٠) ، وابو خالد التنوخي القنسريني (٢٨١) .

امتاز شعراء الشام في القرن الثالث الهجري بمزايا عديدة . منها توفرهم على دراسة الادب العربي واشتغالهم بفنونه ، وعنايتهم باختيار اللفظ ، وابراز معانيهم بأروع صورة من صور الجمال اللفظي في المفردات والتراكيب. وقدمدحهم ابو بكر الخوارزمي بقوله : (مافتق قلبي ، وشحذ فهمي ، وصقل ذهني ، وأرهف حد لساني ، وبلغ هذا المبلغ بي ، الا تلك الطرائف الشامية ، واللطائف الحلبية التي علقت بحفظي ، وامتزجت بأجزاء نفسي (٢٨٢)) . وكان على رأس شعراء الشام في ذلك القرن كلثوم العتابي(٢٨٣) ، وأبو تمام الطائي(٢٨٤) ، والبحتري(٢٨٥) ، وديك الجن (٢٨٦) .

ومن أمراء الشعر العباسي في هذه الفترة ــ عدا شعراء الشام ــ ابن الرومي، وأبو نواس ، وهو ممن أذاع القول في الخمر والغزل والصيد ، وغير ذلك من فنون الشعر التي تناسب ما انتشر في العصر العباسي من حضارة وترف . وقد وجد الشعر الجديد قيمة كبيرة لدى عدد من العلماء . فقد قال ابن قتيبة في هذا المجال ، ناقدا لمقيمي الشعر : (فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم

---

(٢٧٩) ـ مجلة المجمع العربي في دمشق ، مجلد ٣٢ ، ص ٤٠١ ــ ٤٠٢

(٢٨٠) ـ الاصفهاني : الاغاني ، جزء ١٢ ، ص ١٧

(٢٨١) ـ ابن العديم : بغية الطلب ، جزء ٨ ، ورقة ٧٦

(٢٨٢) ـ مجلة المجمع العلمي العربي ، مجلد ٥ ، ص ٢٩٦ ــ ٢٩٩

(٢٨٣) ـ هو كلثوم بن عمرو ، وكنيته ابو عمرو . انظر : المسعودي : مروج الذهب ، ط الازهرية ١٣٠٣ هـ ، جزء ٢ ، ص ٢٣٩ ـ ياقوت الحموي : معجم الادباء ، جزء ١٧ ، ص ٢٧ ــ ٢٨ ـ مجلة المجمع العلمي بدمشق : مجلد ٥ ، من ص ٢٩٩ حتى ٣٠٤

(٢٨٤) ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٣٣٤ ــ ٣٣٥ ـ مجلة المجمع العلمي بدمشق ، مجلد ٥ ، ص ٢٩٦ وص ٣٥٤ .

(٢٨٥) ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ٥ ، ص ٧٤ ـ مجلة المجمع العلمي بدمشق ، مجلد ٥ ، ص ٢٩٦ وص ٤١٣ ــ ٤١٤ .

(٢٨٦) ـ ابن خلكان : المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٥٦ ـ مجلة المجمع العلمي بدمشق مجلد ٥ ، ص ٤٠٥

قائله ، ويضعه مواضع متخيرة ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له عنده ، الا انه قيل في زمانه) .

٢ ـ النثر :

تنوع النثر الى حد كبير في العصر العباسي كمثيله الشعر ، وكانت لهذا التنوع أسباب لاتختلف في كثير أو قليل عن اسباب تنوع الشعر ، كعملية الترجمة وماتبعها من انتشار الثقافة ، وقضية اختلاط الشعوب الاسلامية المختلفة وماتتج عنها من نتائج هامة كان منها اكتساب العرب بعض الالفاظ الجديدة الى لغتهم . وخاصة فيما يتعلق بأنواع المأكل والملبس والات الغناء والدواوين ونظامها وغير ذلك (٢٨٧) . ويهمنا ان نبحث في تنوع الابواب التي تطرق اليها النثر . فقد استمر الكتاب في الكتابة فيالابواب المعروفة في الفترة السابقة وأضافوا اليها أبوابا جديدة ، كان منها :

١ ـ باب الفكاهة المرحة الخفيفة . وكان على رأس من كتب في هذا المجال أبو عثمان الجاحظ في رسالته المشهورة ، التي أسماها التربيع والتدوير ، وكذلك الصابىء في مقاله الطويل عهد التطفل(٢٨٨) .

٢ ـ باب انشاء المقالات التي تستهدف أصلاح المجتمع من الناحية السياسية والاجتماعية ، وتدين كل حاكم مستبد ، وتستنكر فداحة الضرائب ، وتحمل على ظلم القضاة ، كرسالة الخوارزمي في شأن وال ظالم نكب به الناس (٢٨٩) ورسائل بديع الزمان الهمذاني عن ملك ظالم سفاح ، محب لاراقة الدماء (٢٩٠) . وعن قاض منحرف ، وعن فداحة الضرائب والتنديد بمصادرة الاموال ، ومحاربة الغلاء (٢٩١).

٣ ـ باب القصة العربية القصيرة ، التي تمثلت بمقامات بديع الزمان الهمذاني.

---

(٢٨٧) ـ احمد امين : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ١٧٤

(٢٨٨) ـ الشكعة : المرجع السابق ، ص ٢٥٢

(٢٨٩) ـ الشكعة : المرجع السابق ، ص ٢٥٤ ـ ٢٥٥ نقلا عن ديوان رسائل الخوارزمي

(٢٩٠) ـ الشكعة : المرجع السابق ، ص ٢٥٦ نقلا عن رسائل بديع الزمان

(٢٩١) ـ الشكعة : المرجع السابق ، ص ٢٥٧

ظهر عدد من الكتاب البارزين في العصر العباسي الاول وعصر سيطرة الاتراك، يأتي على قمتهم الجاحظ • فقد تثقف بالثقافة العربية التي تلقاها من علماء البصرة أمثال ابي عبيدة والاصمعي وأبي زيد الانصاري والاخفش والنظام(٢٩٢) • وقد أولع بالقراءة، فلم يقع بيده كتاب قط الا استوفى قراءته كائنا ما كان • حتى انه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر(٢٩٣) • اشهر كتبه البيان والتبيين، الذي جمع فيه النثر والشعر، ومستحسن الاخبار وبليغ الخطب • وكذلك كتاب الحيوان وكتاب الطفيليين وكتاب البخلاء، ورسالة التربيع والتدوير • وقد اهتم في جملة ما اهتم به بدراسة البيئة التي تحيط به، فترك لنا أدبا اجتماعيا قيما، وشاركه في ذلك محمد بن اسحق الصيمري(٢٩٤) •

ومنهم أيضا الفضل بن سهل، وسهل بن هارون، وابن المقفع الذي يرجع اليه الفضل في نقل كثير من الكتب عن اللغة الفهلوية والسنسكريتية، وعلى رأسها كتاب كليلة ودمنة • ويعد هذا الكتاب من أقدم كتب النثر في الادب العربي • كما يعد مثلا أعلى في سلامة الاسلوب وسلاسة العبارة (٢٩٥) •

ويعتبر ابن قتيبة من أدباء القرن الثالث الهجري من خيرة كتاب هذا القرن، أشهر كتبه المعارف، والشعر والشعراء، وأدب الكاتب، وعيون الاخبار (٢٩٦) •

ومما لاشك فيه أن ادباء هذا العصر أكثر من أن يقعوا تحت حصر، وكلهم أسهم مساهمة فعالة في مجاله • وسنقتصر على ما أوردنا، ونحيل القارىء الى مصادر تغنيه في هذاالمجال(٢٩٧) •

جـ ـ العلوم التجريبية :

كان لحركة الترجمة أثر كبير في تقدم وتطور العلوم التجريبية في العصر

---

(٢٩٢) ـ احمد امين : المرجع السابق، جزء ١، ص ٢٨٧
(٢٩٣) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق، جزء ٣، ص ٣٧١ ـ ٣٧٢
(٢٩٤) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق، جزء ٣، ص ٣٧٢ ـ ٣٧٣
(٢٩٥) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق، جزء ٢، ص ٣٤٣
(٢٩٦) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق، جزء ٢، ص ٣٤٤
(٢٩٧) ـ انظر الثعالبي : يتيمة الدهر ـ ياقوت الحموي : معجم الادباء

العباسي • فقد عمل العباسيون على نقل الكتب القديمة من المدن المفتوحة الـــى عاصمتهم ، حيث قاموا بترجمتها [٢٩٨] • وما ان جاء القرن الرابع الهجري حتى كان العالم الاسلامي قد ترجم الى العربية معظم الكتب اليونانية والفارسية في علـــوم مختلفة ، الى اللغة العربية[٢٩٩] •

ومن أشهر من ترجم ، ابن المقفع ومحمد بن ابراهيم الفزاري ويوحنـــا بن ماسويه[٣٠٠] والحجاج بن مطر ويحيـــى بن خالد البرمكـــي وآل بختيشـــوع وهم بختيشوع بن جورجيس الجنديسابوري•وبختيشوع بنجبرائيل ،وبختيشوع ابن يحيى[٣٠١] • ويوحنا بن البطريق[٣٠٢] • وقسطا بن لوقا[٣٠٣] ، وآل حنـــين وهم حنين بن اسحق ، وابنـــــه اسحق ، وابن اختــــه حبيش بن الاعســـم ، ماسرجوية[٣٠٤] ، ويعقوب بن اسحق الكندي •

أما أشهر الكتب المترجمة ، فكان كتاب كليلة ودمنة ، وكتاب السندهند ، وكتاب آرسطو في المنطق ، وكتاب اقليدس ، وكتاب المجسطي[٣٠٥] •

كان من أثر الترجمة ، تطور الحضارة العربية وتفتق عبقريات علمية ، لم تكن لتظهر لولا اهتمام خلفاء العباسيين بالعلم والترجمة • وقد حفظ العرب بما قاموا به في هذا المجال آثار الحضارات السابقة ، فأتاحوا لعلماء العصور الحديثة الفرصة بالاطلاع على علوم العصر القديم • وليس هذا فحسب فقد قدموا اليهم خدمات جلى بما أضافوه الى هذه الكتب ، وبالملخصات التي أصدروها • حتى جاء جيل من الكتاب المسلمين ، انتجوا مؤلفات كثيرة في مختلف العلوم [٣٠٦] •

---

(٢٩٨) ـ جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، جزء ٣ ، ص ١٣٦

(٢٩٩) ـ انظر الثعالبي يتيمة الدهر ، ياقوت الحموي : معجم الادباء

(٣٠٠) ـ ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٣٨٠ ـ ابن النديم : الفهرست ، ص ٤٢٥

(٣٠١) ـ ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ١٠٠ ـ ١٠٤ •

(٣٠٢) ـ ابن القفطي : المصدر السابق ، ص ٣٧٩

(٣٠٣) ـ ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٤٢٤

(٣٠٤) ـ يوسف غنيمة : نزهة المشتاق في تاريخ العراق ، ص ١١٠

(٣٠٥) ـ جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامي ، جزء ٣ ، ص ١٣٦ •

(٣٠٦) ـ L. Bernard : The Arab in History., p. 137

حفل الوطن العربي الاسلامي بمراكز حضارية ، كان لها دور كبير في تطوير العلوم ، وعلى رأس هذه المراكز مدرسة الحيرة ، التي اشتهرت بالطب واللغة والفلسفة (٣٠٧) ، ومدرسة حران التي اشتهرت بالفلك والرياضيات والفلسفة(٣٠٨) ، ومدرسة الرها ونصيبين ، اللتين اشتهرتا بالعلوم اللاهوتية الدينية والفلسفة والموسيقى (٣٠٩) • ومدرسة جنديسابور التي اشتهرت بالطب والتشريع (٣١٠) • ويأتي على رأس العلوم التجريبية :

ـ الفلسفة :

انتشرت الفلسفة في الدور العباسي الاول لاسباب متعددة منها :

١ ـ ترجمة كتب الفلسفة اليونانية الى العربية في عهد الرشيد والمأمون وغيرهم من الخلفاء العباسيين الاول ، ودراسة المسلمين لهذه الكتب المترجمة ، وعملهم على تفسيرها والتعليق عليها ، واصلاح أخطائها •

٢ ـ عناية بعض الخلفاء بالفلسفة ، وخاصة الخليفة المأمون ، وحثهم على دراستها •

٣ ـ اثر الكنيسة النسطورية في نقل الثقافة اليونانية •

٤ ـ دور مدارس الرهاونصيبين وحران في ذلك (٣١١) •

من أشهر فلاسفة هذه الفترة ، يعقوب بن اسحق الكندي الذي كان معاصرا للمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، وقد اشتهر في الطب وعلم الحساب والمنطق والهندسة وعلم النجوم الى جانب الفلسفة • وحذا في تأليفه حذو أرسطو ، فترجم كثيرا من كتب الفلسفة وشرح غوامضها (٣١٢) • وأبو نصر الفارابي الذي لقب المعلم

---

(٣٠٧) ـ حسين قاسم العزيز : دور المراكز الثقافية في تفاعل العرب والمسلمين الحضاري ، ص٣٩٤-٣٩٥

(٣٠٨) ـ حسين قاسم العزيز : المرجع السابق ، ص ٣٩٨ •

(٣٠٩) ـ حسين قاسم العزيز ، ص ٣٩٩ ـ ٤٠٠

(٣١٠) ـ مصطفى الشكعة : معالم الحضارة الاسلامية ، ص ١٣٩

(٣١١) ـ دي بور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ١٥ ـ ١٧

(٣١٢) ـ ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٩٣ ـ ٣٩٤

الثاني (٣١٣) • وكذلك اخوان الصفا ، تلك الطائفة التي كانت ذات نزعة شيعية متطرفة ، عملت على التوفيق بين العلم والدين ، وهم جماعة سرية تألفت من طبقات متفاوتة أخذت من كل مذهب فلسفي بطرف • وتعتبر رسائلهم البالغة احدى وخمسين رسالة أشبه بدائرة معارف تدل على الرقي العقلي لمؤلفيها • وعلى الرغم من محاولتهم التوفيق بين الدين والعلم ، فانهم لم يستطيعوا ارضاء أهل الدين ولا أهل العلم • فالمتكلمون والفقهاء والسنيون عابوا عليهم طريقتهم في التأويل • والفلاسفة من المتأثرين بفلسفة أرسطو بوجه خاص ، عابوا عليهم مبادئهم الفلسفية (٣١٤) •

ـ الطب :

عني خلفاء العباسيين بالطب عناية كبيرة ، لاهميته بالنسبة لهم ، فهو علم اساسي دارت حوله العلوم التجريبية بكاملها • فمنذ عهد الخليفة المنصور اعتمد في هذا المجال على الطبيب جورجيس بن بختيشوع النسطوري من مدينة جنديسابور ، ثم على تلميذه عيسى بن شهلا • وقد قام جورجيس أثناء اقامته في بغداد بتعريب كتب كثيرة في الطب عن الفارسية • أما بختيشوع بن جورجيس فقد خدم الهادي والرشيد الى ان توفي ، فقام ابنه جبرائيل بن بختيشوع مكانه ، وعاش حتى خلافة المأمون وقد استمرت أسرة بختيشوع في خدمة الدولة العباسية ، مايقرب من ثلاثة قرون • فأقامت على التدريس في مدارس بغداد والتطبيب في مستشفياتها (٣١٥) •

والى جانب هذه الاسرة ، فقد نبغ في الطب والتأليف يوحنا بن ماسويه (ت ٢٤٣ هـ) (٣١٦) وحنين بن اسحق (ت ٢٦٤ هـ) وثابت بن قره الحراني

(٣١٣) ـ محمد جمال الدين سرور : المرجع السابق ، ص ٢٢٧
ـ أحمد امين : ظهر الاسلام ، جزء ٢ ، ص ١٣٢
(٣١٤) ـ دي بور : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، ص ٩٨ ـ ٩٩
(٣١٥) ـ ابن جلجل : طبقات الاطباء والحكماء ، من ص ٦٤ حتى ص ٢٧٦
(٣١٦) ـ عن مؤلفات يوحنا في الطب ، انظر ابن جلجل : المرجع السابق ، ص ٦٥ ـ ٦٦

(ت ٢٨٨ هـ) [٣١٧] وقسطا بن لوقا البعلبكي (ت ٢٨٨ هـ) [٣١٨] واسحق بن حنين (ت ٢٩٨) [٣١٩] . وسنان بن ثابت بن قره (ت ٣٣١ هـ) ومحمد بن زكريا الرازي (ت ٣١١ هـ) .

والى جانب ذلك ، فقد اصطنع العباسيون أطباء من الهند ، منهم متكـة ، وبازيكر ، وقلبرفل ، وسندباد [٣٢٠] .

كانت الدراسة في مدارس الطب على نوعين ، دراسة نظرية للامراض وكيفية علاجها ، ودراسة عملية ، تشـتمل على التدريب والتمرين على كيفيـة التطبيب والمعالجة ، ويكون دلك باشراف رئيس الاطباء . ولايسمح لطلبة الطب ممارسـة المهنة الا بعد اجتيازهم امتحانا ينظمه رئيس الاطباء ، فاذا اجتازوا الامتحان نالوا اجازة بذلك وحق لهم بعد ان يقسموا اليمين ويمارسوا المهنة تحت رقابة الدولة ، ويعمل الطبيب ضمن اختصاصه . فقد كان هناك طبيب عام ، وطبيب جراح ، وطبيب فاصد ، وطبيب كحال ، وأسناني ، وطبيب النساء ، وطبيب المجانين [٣٢١] .

وكانت أولى بوادر كتب الطب العربية ، عدا الكتب المترجمة ، كتاب فردوس الحكمة لعلي بن سهل الطبري (ت ٢٣٦ هـ) وهو استاذ أبي بكر الرازي ، ولـه مؤلفات عديدة أخرى [٣٢٢] .

أما الرازي فشهرته ومهارته في الطب حديث الجميع . ومن أهم النظم التي رسخها الرازي نظام التجربة الموجهة . ومن أشهر كتبه كتاب الحاوي ، وكتـاب المنصوري ، ورسالة في الجدري والحصبة ، وكتاب الحصى في الكلى والمثانة ، وكتاب

---

(٣١٧) ـ ابن جلجل : المصدر السابق ، ص ٦٨ ـ ٧٦
(٣١٨) ـ جرجي زيدان : المرجع السابق ، جزء ٣، ص ١٤٦ ـ ١٤٨
(٣١٩) ـ ابن النديم : المصدر السابق ، ص ١٤٥
(٣٢٠) ـ الجاحظ : البيان والتبين ، جزء ١ ، ص ٧٨
(٣٢١) ـ ابن جلجل : المرجع السابق ، ص ١٨٦
(٣٢٢) ـ الماحي : مقدمة في تاريخ الطب العربي .

دفع مضار الاغذية ، وكتاب الى من لا يحضره طبيب ، وكتاب برء ساعة ، وكتاب المرشد ، وكتاب الفائق في الطب ، وكتاب الطب الملوكي [٣٢٣] •

ومن أشهر رؤساء الطب سنان بن ثابت (ت ٣٣١ هـ) • فقد عقد امتحانا في عهد الخليفة المتوكل العباسي لاطباء بغداد رخص بعده لثمانية وستين طبيبا بمزاولة مهنة الطب • وقد أمر كل طبيب بأن يحتفظ بصورة من تذكرة الدواء التي يعطيها للمريض ، لتقديمها الى الرئيس ليفحصها ويحكم فيما اذا كان العلاج متفقا مع القوانين • وكان ينزل العقاب بالطبيب اذا مات المريض بسبب اهماله او عدم كفايته [٣٢٤] •

كانت المداواة بالبيمارستانات وهو على نوعين :

آ ــ البيمارستان الثابت

ب ــ البيمارستان المحمول •

وقد بنى هارون الرشيد بيمارستانا بكل مافي هذه الكلمة من معنى ، وكذلك بنى البرامكة بيمارستانا • وأنشأ أحمد بن طولون بيمارستانا [٣٢٥] • وبنى الوزير علي بن عيسى آخر • وكان البيمارستان مقسوما الى قسمين منفصلين أحدهما عن الآخر ، قسم للذكور ، وقسم للاناث • وكل قسم من هذين القسمين مجهز بكل مايحتاج من آلات وأدوات وأطباء ومستخدمين ، ويضم قاعات لمختلف الامراض الباطنية [٣٢٦] • وكان للبيمارستان رئيس يسمى ساعور البيمارستان ، ولكل

---

(٣٢٣) ــ انظر فرات فائق : ابو بكر الرازي ، ص ١٢٠

(٣٢٤) ــ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ٣٨٧ . من المعروف ان الخليفة المتوكل قتل سنة ٢٤٧ هـ ، وان سنان بن ثابت توفي سنة ٣٣١ هـ اي انه عاش بعد المتوكل حوالي أربع وثمانين سنة . ومن المؤكد انه يجب ليكون سنان رئيسا للاطباء ان يكون عمره لايقل عن خمس وعشرين سنة ، فاذا كانت الحادثة المذكورة وقعت في نهاية عهد المتوكل ، فان سنان توفي وعمره يزيد عن ١٠٩ سنة . اي ان تاريخ وفاته ورد خطأ •

(٣٢٥) ــ احمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، ص ١٧٨ وص ٢٨٨

(٣٢٦) ــ زيدان : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٨٨

قسم من اقسامه رئيس ، وكان يلحق بالبيمارستان مدرسة يتلقى طلاب الطب علومهم فيها [٣٢٧] •

ـ علم الفلك والنجوم :

اهتم العرب في جاهليتهم بعلم الفلك ، لحاجتهم اليه • وكانت لهم ملاحظات فلكية كثيرة • وتوقف العمل بعلم الفلك تقريبا في عصر الراشدين والامويين ، ثم عاد نشاط الفلكيين منذ مطلع العصر العباسي • فهذا الخليفة المنصور يقرب اليه المنجمين ويستشيرهم في أمور عديدة • ومن أهم ما اعتمد عليه في التنجيم بناء مدينة بغداد فقد قام المهندسون بهندستها بحضور المنجمين نوبخت الفارسي ، وابراهيم بن محمد الفزاري وغيره • كما قام بوضع أساسها في وقت اختاره نوبخت وماشاء الله اليهودي [٣٢٨] •

كذلك اختار الاسماعيلية ابن حوشب لرئاسة دعوتهم في بلاد اليمن ، لانهم عرفوا عن طريق النجوم أنه سيكون له شأن في نشر الدعوة في اليمن [٣٢٩] •

أصبح المنجمون في العصر العباسي من موظفي الدولة الرسميين ، تصرف لهم الرواتب والارزاق كغيرهم • وأخذ الخلفاء يستشيرونهم في كثير من الامور الادارية والسياسية • ومما لاشك فيه ، أن اهتمام الخلفاء بهذا العلم كان لاسباب متعددة •

١ ـ ارتباط بعض أحكام الدين الاسلامي بالظواهر الفلكية [٣٣٠] •

٢ ـ ان الآيات القرآنية التي كانت تتحدث عن الاجرام السماوية وحركاتها ، دفعت المشتغلين بالامور الدينية الى الاهتمام بعلم الفلك [٣٣١] •

(٣٢٧) ـ احمد عيسى : تاريخ البيمارستانات في الاسلام ، ص ١٨ ـ ١٩
ـ مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، ص ١٤٤ ـ ١٤٥
(٣٢٨) ـ نللينو : علم الفلك ، ص ١٤٣ ـ ١٤٥
(٣٢٩) ـ عمارة اليمني : تاريخ اليمن ، ص ١٤٠
(٣٣٠) ـ عباس العزاوي : تاريخ علم الفلك في العراق ، وعلاقته بالاقطار الاسلامية والعربية ، ص ٦
(٣٣١) ـ نللينو : علم الفلك ، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣

٣ - ان اهتمام الناس بالتنجيم ساعد على الاهتمام بالفلك ودراسته .

قام العرب بمجهودات قيمة في علم الفلك . ففي خلافة أبي جعفر المنصور ، قام أبو يحيى البطريق بنقل كتاب الاربع مقالات لبطليموس في صناعة النجوم [٣٣٢] ، وترجم كتاب (سدهانتا) الذي عرف باسم السندهند .

اشتهر عدد من الفلكيين في عهد المهدي والرشيد والمأمون . فقد ألف ماشاء الله في الاسطرلاب ودوائره النحاسية ، وألف يحيى بن أبي منصور مع سند بن علي زيجا فلكيا . وألف موسى بن شاكر أزياحه المشهورة . ونهض ابناء موسى بن شاكر بحساب طول درجة من خط نصف النهار بناء على طلب المأمون [٣٣٣] . وألف احمد بن محمد الفرغاني كتاب المدخل في علم الافلاك الذي ترجم الى اللاتينية في القرن الثاني عشر [٣٣٤] . وقد اشتهر كثير غير هؤلاء بهذا العلم ، وساعدوا على تقدمه منهم على سبيل المثال لا الحصر ، ثابت بن قرة ، وحنين بن اسحق ، وسهل بن بشار ومحمد بن محمد السمرقندي . وجعفر بن عمر البلخي [٣٣٥] .

ويمكن ان نسجل هنا بعض ماحققه العرب من منجزات فلكية في هذه الفترة . وتبدأ تلك المنجزات بنقل المؤلفات الفلكية للامم السابقة الى اللغة العربية ، ككتب اليونان والكلدان والبابليين والهنود والسريان وغيرهم . ولم يكتفوا بالترجمة بل عملوا على تطوير تلك المؤلفات بما أضافوه اليها ، وبما صححوه من الاخطاء التي وقعت بها تلك الامم .

وكذلك فانهم عملوا على تطبيق ما عرفوه نظريا بالوجهة العملية . فحققوا نجاحا ملموسا [٣٣٦] . ومن جملة انجازاتهم في هذا المجال ، قياسهم لقوس من دائرة

---

(٣٣٢) - ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٤٢

(٣٣٣) - طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ١١٢

(٣٣٤) - مجلة المقتطف ، عدد فبراير ١٩١١ ، جزء ٣ ، ص ١٤٧

(٣٣٥) - طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ١١٣

(٣٣٦) - طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ١١٥

نصف النهار[٣٣٧] ، وتقريرهم لحقيقة ان رؤية الكواكب عند الافق او بالقرب منها ، أكبر منها وهي عند السمت أو قريبا من وسط السماء[٣٣٨] . وكذلك فان ابن الهيثم أقر بأن ارتفاع القطب يساوي عرض المكان[٣٣٩] . كذلك فقد حسب العرب على يد الفلكي البتاني ميل فلك البروج على فلك معدل النهار ، فكان ٢٣° و ٣٥ دقيقة كما حسب طول السنةالشمسية ، وحسب بعد الشمس عن مركز الارض . ووضح مواقع عدد من النجوم . كما اكتشف العرب كروية الارض وحركتها حول الشمس [٣٤٠] .

قام العباسيون ببناء مراصد فلكية عديدة ، وقد كان المأمون اول من نهض بهذه المهمة فأنشأ دار رصد في الشماسية . وبنى في دمشق مرصدا اخر ، استخدم فيها آلات الرصد المعروفة[٣٤١] . وكذلك أنشأ بنو شاكر مرصدا على طرف الجسر المتصل بباب الطاق ، واستخرجوا فيه حساب العرض الاكبر من عروض القمر[٣٤٢] . كما بنوا مرصد سامراء ، وفيه آلة ذات شكل كروي دائري تحمل صور النجوم ورموز الحيوانات في وسطها ، وتديرها قوة مائية[٣٤٣] . ومرصد ابن الاعلم[٣٤٤] .

أما أهم آلات الرصد عند العرب هو الاسطرلاب[٣٤٥] ، والحلقة الاعتدالية ، وذات الجيب[٣٤٦] . والربع المسطري ، والمزاول الشمسية[٣٤٧] .

---

(٣٣٧) - نللينو : علم الفلك ، ص ٢٨١

(٣٣٨) - طوقان : المرجع السابق ، ص ١١٧

(٣٣٩) - طوقان : المرجع السابق ، ص ١١٦

(٣٤٠) - مجلة المقتطف ، عدد فبراير ١٩١١ ، جزء ٣ ، ص ١٤٨

(٣٤١) - زيدان : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٣

(٣٤٢) - ناجي معروف : المراصد الفلكية ببغداد ، ص ١٢

(٣٤٣) - زيغريدهونكة : شمس العرب تسطع على الغرب ، ص ١٢٢

(٣٤٤) - هو المرصد الذي كان يعمل به الفلكي صاحب الزيج علي بن الحسن أبو القاسم العلوي المعروف بابن الاعلم ، انظر - ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٣٥

(٣٤٥) - عن وصف الاسطرلاب انظر ناجي معروف : المراصد الفلكية ، ص ٢٧

(٣٤٦) - حاجي خليفة : كشف الظنون ، جزء ١ ، ص ١٤٥ - ١٤٦

(٣٤٧) - محمد صديق الجليلي : المزاول الشمسية ، مجلة التربية الاسلامية ، العدد ١٠٢ ، ص ٥١٩

ــ علــم الرياضيات .

يشمل هذا العلم على فروع كثيرة ، منها علم الحســاب وعلم الجبر وعلــم الهندسة ، وعلم المثلثات وعلم الحيل . وكانت هذه العلوم ضرورية لكــل صاحب علم . حتى انه كان يقال بأن الانسان لايكون فيلسوفا ولا طبيبا حاذقا الا بدراسة فروع الرياضيات [٣٤٨] كما كانت هناك علاقة وثيقة بين هذا العلم ، وعلم التنجيم والفلك .

وضع العرب مؤلفات في علوم الرياضيات المختلفة كان لها تأثير كبير عــلى الحركة العلمية في الغرب ، ففي الحساب وضعت كتب متعددة ، كان منها كتــاب في الجمع والتفريق ، وحساب الدور ، والحساب الهندي . وفي الثلاثين مســألة الغريبة . وكان ذلك بجهود العلماء الرياضيين محمد بن موسى الخوارزمي ، وابي كامل شجاع الحاسب ، وسنان بن الفتح الحراني ، وأحمد بن عمر الكرابيسي ، ويعقوب بن محمد الرازي ، ويعقوب بن اسحق الكندي ، وابو حنيفه الدينوري ، وسلم بن علي المنجم [٣٤٩] .

أما في الجبر فيمكن ان نقول ، ان العرب أول من ألف في هذا العلم بصــورة علميه منظمة . فقد أخذوا فكرة المعادلات غير المعينة من ديوفنطس ، فأضافوا اليها ووضحوها . واهتموا بالجذور الصماء ، فكان محمد بن موسى الخوارزمي أول من استخدم كلمة أصم للدلالة على العدد الذي ليس له جذر ، وانتقل معنى هــذه الكلمة الى الغرب . كذلك فانه ألف كتاب الجبر والمقابلة الذي يعتبر مصدرا أساسيا اعتمد عليه كثيرون [٣٥٠] . وألف أبو كامــــل شجاع بن أسلم كتاب كمال الجبر وتمامه والزيادة في أصوله ، وكتاب الوصايا بالجبر والمقابلة . وكان من أنبــــغ الرياضيين في طريقة حل المعادلات الجبرية ، واستعمالها لحل المسائل الهندسية ،

---

(٣٤٨) ــ دي بور : تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ص ٨٠.
(٣٤٩) ــ ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٧١ ــ ٣٧٣ وص ٤٠٦ ــ القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٠٦
ــ طوقان : المرجع السابق ، ص ٢١١ ــ كحالة : معجم المؤلفين ، جزء ٢ ، ص ٣٣
(٣٥٠) ــ طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ١٥٩ ــ ١٦٠

وقد حل في مؤلفاته معادلات كثيرة بطرق لم يسبقه عالم اليها[٣٥١] . والف أحمد ابن داؤد الدينوري كتاب الجبر والمقابلة [٣٥٢] . والف ثابت بن قرة كتاب في تصحيح مسائل الجبر بالبراهين الهندسية [٣٥٣] وغيرهم كثيرون [٣٥٤] .

قام العرب بالهندسة بقسط لا بأس به ، ولكنه أقل مما قاموا به في الجبر . فقد ترجم العرب كتاب اقليدس في الهندسة الى اللغة العربية ، ودرسوه دراسة شاملة ، فشرحه بعضهم وعلق عليه ، واختصره آخرون ، وألفوا على نسقه ، وأضافوا اليها نظريات جديدة . فقد وضعوا نظرية الخطوط المتوازية ، وعرفوا علم تسطيح الكرة[٣٥٥] . وعلى رأس الكتب التي ألفها العرب في الهندسة ، كتاب المساحة والهندسة لابي كامل شجاع [٣٥٦] ، وكتاب اغراض كتاب اقليدس ليعقوب ابن اسحق الكندي ، الى جانب كتب اخرى متعددة تبلغ حوالي عشرين كتابا [٣٥٧]، وكتاب الشكل الهندسي لمحمد بن موسى بن شاكر ، وكتاب الشكل المدور والمستطيل لحسن بن موسى بن شاكر ، ولاخيهم الثالث أحمد مساهمات هندسية عملية [٣٥٨] . وكتاب في استخراج المسائل الهندسية ومدخل الى كتاب اقليدس لثابت بن قرة [٣٥٩] ، وكتاب المساحة لابن برزة الفضل بن محمد بن عبد الحميد [٣٦٠] . وكتاب تفسير المقالة العاشرة لكتاب الاصول لاقليدس لابن راهوية الارجاني [٣٦١] . ومن أهم مايذكر للعرب تطبيقهم للمعارف والنظريات الهندسية على فن البناء ، فكانت الابنية الفخمة المتينة .

---

(٣٥١) ـ طوقان : المرجع السابق ، ص ١٦٤ ـ ١٦٥

(٣٥٢) ـ حاجي خليفة : كشف الظنون ، جزء ٢ ، ص ١٤٠٧

(٣٥٣) ـ القفطي : المصدر السابق ، ص ١١٩ ـ ١٢٢

(٣٥٤) ـ ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٣٩٧ ـ ٣٩٨ وص ٤٠٨ ـ القفطي : المصدر السابق ، ص ٧٧ ـ ٧٨

(٣٥٥) ـ حاجي خليفة : كشف الظنون ، جزء ١ ، ص ٤٠٣

(٣٥٦) ـ ابن النديم : الفهرست ، ص ٤٠٦

(٣٥٧) ـ القفطي : المصدر السابق ، ص ٣٧١

(٣٥٨) ـ ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٣٩٢ ـ ٣٩٣ ـ جرجي زيدان : المرجع السابق ، جزء ٣ ، ص ١٩٠

(٣٥٩) ـ ابن النديم : المصدر السابق ، ص ٣٩٤

(٣٦٠) ـ ابن النديم : الفهرست ، ص ٤٠٥

(٣٦١) ـ طوقان : تراث العرب العلمي ، ص ٢١٠

أما علم المثلثات ، فقد عرف عند العرب بعلم الانساب ، والى العرب يعــود الفضل في جعل هذا العلم علما منفصلا عن الفلك ، ومستقلا عن العلوم الرياضيــة الاساسية الاخرى ، فأصبحوا بحق المؤسسين الحقيقيين لعلم المثلثــات ، حتى ان العلم اعتبر عربيا [٣٦٢] .

ويعتبر أبو عبد الله محمد بن جابر بن سنان المعروف بالبتاني من العلماء الذين ساعدو على أن يصبح علم المثلثات علما مستقلا ، فهو الذي اكتشف غالبية النسب المثلثية ، كما تستخدم في الوقت الحاضر . وهو أول من ابتكر الجداول الرياضيــة لنظير المماس . ومن أهم مؤلفاته رسالة في تحقيق أقدار الاتصالات [٣٦٣] . وكذلك نبغ في هذا العلم أبو الوفاء البوزجاني [٣٦٤] ، وأبو اسحق ابراهيم بن هــلال بن ابراهيم بن زهرون الحراني [٣٦٥] .

ـ التاريخ :

يجعل ابن خلدون التاريخ علما ، ويعرفه تعريفا طويلا ، واضح العبارة ، جاء فيه : (ان التاريخ يوقفنا على أحوال الماضين من الامم في أخلاقهم ، والانبياء فــي سيرهم ، والملوك في دولهم وسياستهم ، حتى تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا ....) [٣٦٦] .

حين بدأ العرب بكتابة تاريخهم وجدوا أمامهم مصادر هامة تتمثل في القرآن الكريم وسنة الرسول والشعر والروايات . فكتبوا أول الامر في سيرة الرســول ومغازيه . وكان موطن هذه الدراسة المدينة [٣٦٧] . ولانجد في غيرها من المــدن

(٣٦٢) ـ عبد الحليم منتصر : التراث العلمي العربي في الميزان ، مجلة الهلال ، العدد ٤ سنة ٩٧٣

(٣٦٣) ـ أحمد شلبي : دراسات في الحضارة الاسلامية ، ص ٧٠ ـ احمد شوكت الشطي : مجموعة ابحاث عن تاريخ العلوم الرياضية ، ص٣٥ ـ ٣٦ ـ طوقان : المرجع السابق ، ص ٢٤٦

(٣٦٤) ـ الدوميلي : العلم عند العرب ، ص ٢١١

(٣٦٥) ـ ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٧٥

(٣٦٦) ـ المقدمة ، ص ١٢

(٣٦٧) ـ جب : المرجع السابق ، ص ١٤٧

علماء في المغازي الا في القرن الثاني الهجري [٣٦٨] • وكان نتاج هذه الدراسات كتاب السيرة والمغازي لابن اسحق ، وتهذيب السيرة لابن هشام • ثم نهض ابن سعد بكتابة الطبقات ، الذي أرخ فيها سيرة الرسول وسيرة الصحابة والتابعين • وقد نحا ابن سعد في كتابته لسيرة الرسول منحى احتذاه جميع كتاب السيرة الذين جاؤوا بعده •

ثم توسعت الكتابة حتى شملت التاريخ بالمفهوم العام • وكان جل جامعي الروايات التاريخية من الفقهاء والمحدثين • وتبدت في منتصف القرن الثالث ، الكتابة التاريخية بمعناها الواسع ، حيث اصبح التدوين جزءا لا يتجزأ من الثقافة الاسلامية • وجمعت الكتابة التاريخية بين مواد مستمدة من السيرة النبوية ودراسة تاريخ الأمة الاسلامية [٣٦٩] • فكانت كتب الفتوح والتواريخ العامة وغيرها • فقد ألف البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) كتابه فتوح البلدان الذي يعتبر من المصادر التاريخية الهامة ، وكذلك كتابه انساب الاشراف • والدينوري (ت ٢٧٦ هـ) كتابه الامامة والسياسة ، وكتابه المعارف ، وكتابه عيون الاخبار ، واليعقوبي (ت ٢٨٢ هـ) كتاب التاريخ المعروف باسمه والذي يعتبر من المصادر التاريخية الهامة • والطبري (ت ٣١٠ هـ) وكتابه تاريخ الامم والملوك من أمهات الكتب التاريخية وهو مصدر هام للاحداث التاريخية حتى سنة ٣٠١ هـ ، اعتمد عليه كثير من المؤرخين الذين أتوا بعده • ولاغرو فالطبري أكثر تحقيقا ممن سبقه من المؤرخين •

ـ الجغرافية :

خلف لنا جغرافيو المسلمين ثروة علمية هامة ، كانت خلاصة مشاهداتهم وتجاربهم التي اكتسبوها من أسفارهم • ومما لاشك ان هذه الثروة لم تكن لو لم تنشأ الرحلات ، وقد ساعد على القيام بهذه الرحلات ونجاحها :

---

(٣٦٨) ـ نحيل القارىء في هذا المجال ، الى ماكتبه هاملتون جب من ص ١٤٣ حتى ١٧٢ ـ فرانز روزنثال: علم التاريخ عند العرب ـ عبد العزيز الدوري : بحث في نشاه علم التاريخ عند العرب ـ حسين نصار : نشاة التدوين التاريخي عند العرب

(٣٦٩) ـ جب : المرجع السابق ، ص ١٥٣

١ ـ تأمين طرق التجارة تعبيدا وأمنا ، فلولا وجود الطرق المعبدة المريحة ، ولولا سيادة الامن في هذه الطرق لما كانت الرحلات •

٢ ـ اتساع نطاق التجارة في العصر العباسي ، وحاجة الحضارة الزاهية في بغداد الى منتجات الشرق وغيرها ، والربح الكبير الذي كان يحصل عليه التجار من وراء تجاراتهم ، مهد السبيل أمام الكاشفين والرحالة •

قام عدد من الرحالة المسلمين برحلات كانت على درجة من الاهمية ، لما أسفرت عنه من كتابة مصادر أصيلة تعتبر ثروة كبيرة ، بسبب كونها خلاصة مشاهداتهم وتجاربهم • ويعتبر ابن خرداذبة الذي عاش في النصف الاول من القرن الثالث الهجري من أقدم جغرافيي المسلمين ، ولكتابه المسالك والممالك أهمية كبيرة

أما اليعقوبي (ت ٢٨٢ هـ) ، فقد ترك لنا كتاب البلدان ، بعد أن قام برحلات طويلة في أرمينية وايران والهند ومصر وبلاد المغرب • وعلى رأس هؤلاء الرحالة المسعودي (ت ٣٤٥ هـ) فقد زار كل أرجاء العالم المعروف في عصره وله كتب كثيرة ضاع معظمها وعلى رأس كتبه المتداولة ، كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر . وكتاب التنبيه والاشراف • وكذلك فان الهمذاني (ت ٣٣٤ هـ) ألف لنا كتاب صفة جزيرة العرب • ولا ننسى الاصطخري ، وابن بطلان ، وأبا زيد البلخي وابن حوقل وغيرهم •

٥ ـ الحركة العمرانية :

نشطت الحركة العمرانية في هذه الفترة العباسية ، وأسفر هذا النشاط عن بناء مدن متعددة في شرقي أراضي الخلافة وغربيها وشماليها في منطقة الثغور ، وسأقتصر على بناء مدينتين فقط هما مدينة بغداد ومدينة سامراء • ويجب ان نذكر ان تغيرات جوهرية دخلت في أساليب الفن المعماري • منها استعمال الاجر بدلا من الحجر ، والاكتاف بدلا من الاعمدة ، وتفضيل الزخارف الجصية على الزخارف الحجرية [٣٧٠] •

(٣٧٠) ـ أبو صالح الالفي : الفن الاسلامي ، اصوله ، فلسفته ، مدارسه ، دار المعارف بمصر طبعة ثانية ، ص ١٦٤

كان لابد للخلافة العباسية من بناء عاصمة تليق بعظمتها ، فقرر الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور اتخاذ حاضرة له وسط مناطق خصبة يسهل فيها الاتصال بمناطق الخلافة ، وتتوافر فيها سبل المعيشة (٣٧١) .

خرج الخليفة المنصور بنفسه يرتاد لها موضعا بالمواصفات المذكورة . فتنقل بأماكن عديدة ، فقد انحدر الى جرجرايا ، ثم صار الى بغداد ، ثم مضى الى الموصل ، ثم عاد الى بغداد فقال : هذا موضع معسكر صالح ، هذه دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء ، يأتينا فيها كل مافي البحر ، وتأتينا الميرة من الجزيرة وارمينية وما حول ذلك . وهذا الفرات يجيء فيه كل شيء من الشام والرقة وما حول ذلك . فنزل وضرب عسكره على الصراة ، وخط المدينة ، ووكل بكل ربع قائدا (٣٧٢) . هذه رواية من روايات كثيرة ذكرها المؤرخون حول اختيار مكان عاصمة العباسيين ، ومما يقال في ذلك ان المنصور بعد أن أعجبه المكان ، أراد ان يتعرف على رأي أهالي المنطقة فيه . فدعا أهل هذه النواحي وسألهم عنها قائلا : وكيف هي في الحر والبرد والامطار وغيرها ، فأخبره كل واحد بما عنده من العلم . فلم يكتف بذلك ، بل بعث رجالا من عنده فباتوا في هذه النواحي وأتوه بأخبارها ، فاستقر أمره عليه (٣٧٣) .

كان مكان بغداد قرية قديمة بناها بعض ملوك الفرس ، وتقع على الشاطىء الغربي لنهر دجلة ، في أعلى المكان الذي يلتقي فيه نهر الصراة بدجلة (٣٧٤) .

اختلف المؤرخون كثيرا حول اشتقاق لفظ بغداد ومعناه ، ولكنهم في كل تفسيراتهم لا يخرجون عن تحليلين ، كون الكلمة مركبة ، وأصلها فارسي . وقد سماها المنصور مدينة السلام (٣٧٥) .

---

(٣٧١) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٣

(٣٧٢) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦١٤

(٣٧٣) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦١٦ ـ ٦١٧

(٣٧٤) ـ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦١٨

(٣٧٥) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٦ ـ ٣٦٧ ، من اجل اسمها ومعناه ، انظر ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ١ ، ص ٤٥٦ ـ مجلة المورد العراقية ، المجلد الثامن ، العدد الرابع لسنة ١٤٠٠ هـ مقال عن بغداد مركز العلم والثقافة العالمية في القرون الوسطى للدكتور جليل كمال الدين ، ص ٢٤٧

أمر المنصور باحضار المهندسين والبنائين والفعلة والصناع من النجارين والحدادين من الشام والموصل والجبل والكوفة وواسط . وأمر باختيار قوم من أهل الفضل والعدالة والفقه والامانة والمعرفة بالهندسة ، فجمعهم وتقدم اليهم ان يشرفوا على البناء (٣٧٦) .

وضع المنصور أساس مدينة بغداد في الوقت الذي اختاره المنجمون . بعد ان تأكد من رسمها . فقد أمر أن تخط طريق المدينة بالرماد ، ثم دخل من موضع كل باب ، ومر في طرقات المدينة ورحابها وهي مخطوطة بالرماد ، ثم امر ان يوضع على تلك الخطوط حب القطن ، ويصب عليه النفط ، وتوقد فيه النار ، فنظر اليه والنار تشتعل ، فوقف على رسم مدينته الجديدة (٣٧٧) .

كان البدء في حفر الاساس في سنة ١٤٥ هـ ، ووضع المنصور بيده أول لبنه قائلا : بسم الله والحمد لله ، والارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين . ثم قال لرجاله : ابنوا على بركة الله (٣٧٨) . وشرع العمال في بناء سورها . وكان السور مضاعفا ، الاول داخلي عرضه من أسفله خمسون ذراعا ومن أعلاه عشرون ذراعا . والاخر خارجي ارتفاعه ثلاثون ذراعا وعرضه كعرض السور الداخلي . يحيط به من الخارج خندق عميق أجري فيه الماء من القناة التي تأخذ من نهر كرخايا . وعلى السور ابراج سمك كل منها خمسة أذرع . وبين السورين ستون ذراعا تسمى الفصيل (٣٧٩) .

كان للمدينة أربعة أبواب ، باب خراسان ، وباب البصرة ، وباب الكوفة ،

---

(٣٧٦) ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٥٨ ـ مجلة المورد ، العدد السابق ، مقال عن تخطيط مدينة بغداد للدكتور صبري فارس الهيتي ، ص ١٠

(٣٧٧) ـ مجلة المورد ، العدد والمقال السابق ، ص ١٠ ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٩

(٣٧٨) ـ ياقوت الحموي : المرجع السابق ، جزء ١ ، ص ٤٥٨

(٣٧٩) ـ الطبري : المصدر السابق جزء ٧ ، ص ٦١٩ ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٧٠ ـ ٣٧٢ ـ مجلة المورد : العدد والمقال السابق ، ص ١٠

وباب الشام • وكان بين البابين دهليز ورحبة توصل الى الفصيل الدائر بين السورين ، ويسمى الاول باب الفصيل والثاني باب المدينة [٣٨٠] •

كان قطر مدينة بغداد من باب خراسان الى باب الكوفة ٢٢٠٠ ذراع • وقد بنى المنصور قصره الذي يعرف باسم قصر الذهب وجامعه في وسط المدينة المدورة ، أي في مركزها •• حيث يتفرع عن هذا المركز أربعة شوارع رئيسية منظمة متجهة خارج المدينة على شكل محاور الدائرة حتى تنتهي الى الخندق [٣٨١] • ومد اليها قناتين من الماء ، احداهما من نهر دجيل ، والثانية من نهر كرخايا ، استخدمها لتوزيع الماء في الشوارع والدروب والارباض [٣٨٢] • ثم تطورت العاصمة ببناء ضاحيتي الرصافة في الشرق [٣٨٣] والكرخ في العرب • فجعلت الاولى بمثابة ثكنات للجيش في البداية ، ولكنها مالبثت ان توسعت وظهرت فيها الحدائق والمنتزهات والميادين الواسعة والمباني الفخمة • والثانية بمثابة اسواق للمدينة [٣٨٤] •

عرف الجانب الغربي لبغداد في العصور الاسلامية باسم الزوراء • وقد اختلف في سبب هذه التسمية • فقيل انها سميت كذلك لازورار قبلتها • كما قيل ان المنصور لما عمرها ، لم يجعل الابواب الداخلية على سمت الابواب الخارجية • وقيل أيضا لازورار نهر دجلة عند مروره بها ، أو لانحراف محاريب مساجدها • على حين يسمى الجانب الشرقي الروحاء ، لانبساط مجرى دجله عنده [٣٨٥] • وقد سميت أيضا المدينة المدورة [٣٨٦] •

عني المنصور بنظافة مدينته عناية كبيرة • فكانت تكنس شوارعها ورحابها في

---

(٣٨٠) ــ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٧١ ــ مجلة المورد ، العدد والمقال السابق ، ص ١٠

(٣٨١) ــ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٧١ ــ ٣٧٢

(٣٨٢) ــ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٦٠

(٣٨٣) ــ انظر عن بناء الرصافة : المورد ، ص ١٤ ــ ١٦

(٣٨٤) ــ انظر الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦٥٣ ــ ٦٥٤

(٣٨٥) ــ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٦٧ ــ مجلة المورد ، ص ١١

(٣٨٦) ــ الطبري : المصدر السابق ، جزء ٧ ، ص ٦٥١

كل يوم ، ويحمل التراب خارجها [٣٨٧] . وكان اهتمام المنصور بها يتناسب مع النفقات الكبيرة التي انفقت في سبيل اشادة مثل هذا البناء الضخم ، وعلى الرغم من اختلاف الروايات في تقدير تكاليف البناء ، فان الارجح ان تكاليفها بلغت ١٨ مليون دينار من الذهب [٣٨٨] ، ويجب ان لاننظر الى هذا الرقم بضوء قيمته الشرائية الحالية ، بل حسب قيمته في عهد المنصور ،حين كان ثمن الكبش درهما واحدا[٣٨٩] .

ب ـ مدينة سامراء :

اتفق المؤرخون على سبب قيام المعتصم ببناء مدينة سامراء ، وملخصها ان أهالي بغداد شكوا الى المعتصم من عنت الاتراك وعسفهم ، وهددوه بقتاله بسهام السحر ، فأعلن لهم المنصور ، بأنه لا طاقة له على قتالهم ، وقرر اتخاذ عاصمة جديدة له يسكن بها مع جنده . فقرر اتخاذ مدينة سامراء .

كان موضع سامراء قبل بنائها مرتادا من قبل خلفاء العباسيين ، ويقال ان ابا العباس شرع ببناء مدينة له في منطقة لم يتح لها الظهور ، ثم بنى الرشيد فيها قصرا وحفر عندها نهرا سماه القاطول . ثم بنى المعتصم في ذلك المكان أيضا قصرا أعطاه لقائده التركي أشناس . وقيل ان هذا المكان كان عامرا في العصور القديمة ، وكان فيه مدينة لسام بن نوح . وقيل انها كانت مدينة عتيقة من مدن الفرس[٣٩٠] .

تقع سامراء على نهر القاطول على مسافة مائة كيلو متر عن شمال بغداد بينها وبين تكريت شرقي نهر دجلة . أما أسمها فيقال انها سميت باسم سر من رأى ، فخففها الناس وقالوا سامراء [٣٩١] . شرع المنصور في تخطيط حاضرته الجديدة سنة ٢٢١ هـ ، فأحضر العمال والصناع وأرباب المهن من سائر الامصار الاسلامية لهذه المهمة . فوضع أساس قصره ، وجعل للاتراك قطائع خاصة بهم ، ولغلمانه من

---

(٣٨٧) ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ١ ، ص ٤٦٠ .

(٣٨٨) ـ انظر حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٧٩ نقلا عن الطبري .

(٣٨٩) ـ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جزء ١ ، ٤٥٩

(٣٩٠) ـ انظر عن ذلك ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٣ ـ ١٧٤

(٣٩١) ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٣

أهل خراسان ومن المغاربة . وأفرد للتجار وأرباب الحرف والصناعات أسواقا خاصة . وبنى فيها مسجدا جامعا فخما ، واشتق من دجله قناتين أدخلهما المدينة ، وجعلهما تمران من الجامع ، وتتخللان شوارع سامراء (٣٩٢) .

نقل المعتصم الى مدينته الاشجار والثمار (٣٩٣) وبنى بها عددا من القصور الجليلة ، وكذلك فعل الخليفة المتوكل ، ومن أشهر هذه القصور ، القصر المعروف بالعروس ، الذي أنفق المتوكل على بنائه ثلاثين مليون درهم ، وقصر المختار الذي بلغت تكاليفه خمسة ملايين درهم ، وقصر الوحيد وتكاليفه مليونا درهم ، والجعفري عشرة ملايين درهم ، والغريب أيضا عشرة آلاف درهم ، ويعدد ياقوت الحموي القصور حتى تبلغ سبعة عشر قصرا (٣٩٤) .

يرى ياقوت الحموي بأن سر من رأى مازالت في علو وعمارة منذ أيام المعتصم حتى اخر ايام المنتصر بن المتوكل ، ثم بدأت بالتراجع منذ عهد المستعين حين قويت شوكة الاتراك ، واستبدوا بالملك والتولية والعزل ، بالاضافة الى الخلاف بين رؤسائهم . وبقيت كذلك حتى غادرها الخليفة المعتضد بالله الى بغداد . فبدأ الخراب يمتد اليها (٣٩٥) ، ولم يبق فيها الا موضع المشهد الذي ترى الشيعة ان به سرداب القائم المهدي ، ومحلة اخرى بعيدة عنها يقال لها كرخ سامراء(٣٩٦) .

---

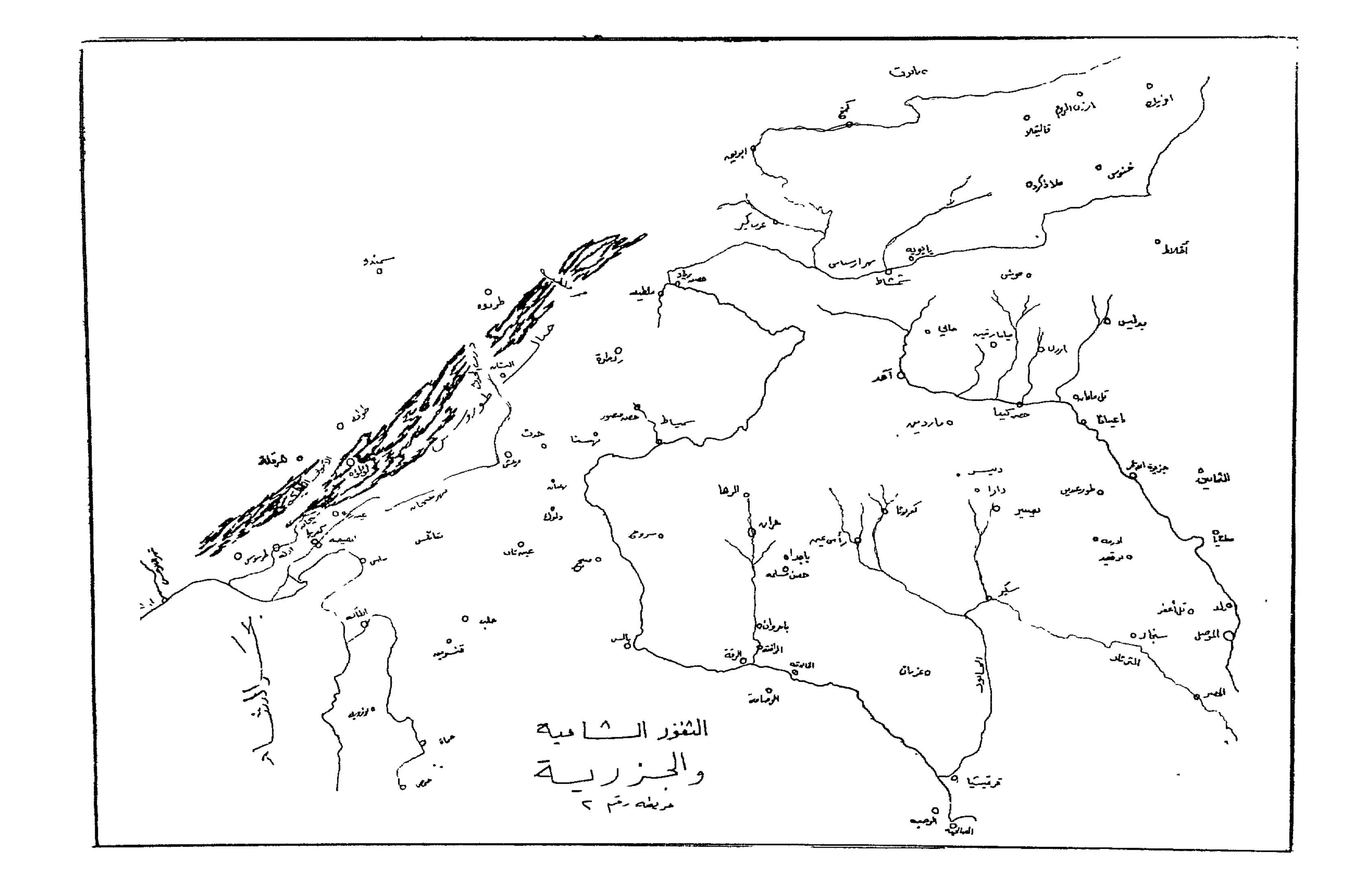
(٣٩٢) ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٥

(٣٩٣) ـ حسن ابراهيم حسن : المرجع السابق ، جزء ٢ ، ص ٣٨١

(٣٩٤) ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٤ ـ ١٧٥

(٣٩٥) ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٦

(٣٩٦) ـ ياقوت الحموي : المصدر السابق ، جزء ٣ ، ص ١٧٦


الثغور الشامية
والجزرية
خريطة رقم ٢
الرها
حران
الرقة
بالس
سروج
منبج
حلب
حماة
آمد
ماردين
دارا
نصيبين
سميساط
ملطية
زبطرة
حصن كيفا
بدليس
جزيرة ابن عمر
الموصل
سنجار
الخابور
قرقيسيا
الرحبة
طرسوس
المصيصة
عينتاب
دلوك
مرعش
الحدث



امتداد أراضي
الخلافة العباسية
آسيا وأفريقيا
خريطة رقم ١



المصادر والمراجع

أ ــ المصادر الخطية

ب ــ المصادر المطبوعة

جـ ــ المراجع العربية

د ــ المراجع الاوربية

هـ ــ الدوريات

أ ـ المصادر الخطية

١ ـ ابن ظافر الازدي (ت ٦٢٣ هـ) الدول المنقطعة أو اخبار الزمان في تاريـخ بني العباس ، مخطوطة مصورة بدار الكتب رقم ٨٩٠ تاريخ .

٢ ـ بيبرس الدوادار (ت ٧٢٥ هـ) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة ، مخطوطة مصورة بجامعة القاهرة رقم ٥٤٠٢٦ ـ ٥٤٠٢٧ .

٣ ـ الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) مخطوطة تاريخ الاسلام بدار الكتب المصرية رقم ٤٢ تاريخ .

٤ ـ ابن شداد (ت ٦٨٤ هـ) الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة ، مخطوطة مصورة بجامعة الدول العربية رقم ٤٣ تاريخ .

٥ ـ ابن عساكر (ت ٥٧١ هـ) تاريخ دمشق او التاريخ الكبير ، مخطوطة بالمكتبة الظاهرية بدمشق تسعة عشر جزءا تبدأ من رقم ٣٣٦٦ حتى ٣٣٨٤ .

٦ ـ ابن فضل الله العمري (ت ٧٤٩ هـ) مسالك الابصار في ممالك الامصار ، مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨ تاريخ و ٥٥٩ معارف عامة .

٧ ـ العينى : (ت ٨٥٥ هـ) عقد الجمان في تاريخ اهل الزمان ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٢٥٦٨ تاريخ و ٥٥٩ معارف عامه .

٨ ـ ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ) بغية الطلب في تاريخ حلب ، مخطوطة مصورة عن نسخة احمد الثالث ، جامعة الدول العربية ، معهد المخطوطات رقم ٩٠ تاريخ .

٩ ـ المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) المقفى في تاريخ مصر والواردين اليها ، نسخة مصورة عن مجلدة باريس في مكتبة الدكتور سهيل زكار .

١٠ ـ النويري : (ت ٧٣٢ هـ) : نهاية الارب في فنون الادب ، مخطوطة بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٩ معارف عامة .

ب ـ المصادر المطبوعة

١ ـ ابن الاثير (ت ٦٣٠) : الكامل في التاريخ ، طبعة المنيرية ١٣٥٧ هـ ، وطبعة دار صادر بيروت ١٩٥٧ م .

٢ ـ ابو زكريا الازدي (٣٣٤ هـ) : تاريخ الموصل ، تحقيق دكتور على حبيب ، طبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ١٩٦٧ .

٣ ـ ابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٧ هـ) : عيون الانباء في طبقات الاطباء ، دار مكتبة الحياة بيروت ١٩٦٥ .

٤ ـ ابن تغري بردى الاتابكي (ت ٨٧٤ هـ) : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، الطبعة الاولى دار الكتب سنة ١٣٥١ هـ .

٥ ـ ابن سعيد الاندلسى (ت ٦٧٣ هـ) : المغرب في حلى المغرب ، عنى بنشرة زكى محمد حسن ، وشوقي ضيف وسيدة كاشف . الجزء الاول من القسم الخاص بمصر ، مطبعة جامعة فؤاد الاول سنة ١٩٥٣ م .

٦ ـ الانطاكي (ت ٤٥٨ هـ) : صلة كتاب اونيخا المسمى التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، من سلسلة Patrologia Orientlis طبعة باريس ١٩٣٢ م .

٧ ـ الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) : الاغاني ، طبعة بولاق .

٨ ـ الاشعري : مقالات الاسلاميين ، القاهرة ١٩٥٠ .

٩ ـ الاصطخري : (ت ٣٤٠ هـ) صور الاقاليم ، طبعة ليدن ١٩٦٧ .

١٠ ـ البحتري (ت ٢٨٤ هـ) : ديوان البحتري ، مطبعة الجوائب القسطنطينية ، سنة ١٣٠٠ .

١١ ـ البيروني (ت ٤٤٠ هـ) : الاثار الباقية من القرون الخالية ، ليبزغ ١٩٢٣

١٢ ـ سعيد بن بطريق (ت ٣٢٨ هـ) : التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ،

ولـه تاريخ يحيى بن سعيد الانطاكي ، طبعة بيروت ، مطبعة الاباء اليسوعيين سنة ١٩٠٩ .

١٣ـ ابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) : تحفة النظار وعجائب الاسفار ، الطبعة الاولى بالمطبعة الخيرية سنة ١٣٢٢ هـ .

١٤ ـ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) : تاريخ بغداد أو مدينة السلام ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .

١٥ ـ ابن عبد الحق البغدادي (ت ٧٣٨ هـ) : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع ، تحقيق وتعليق علي محمد البجاوي ، دار احياء الكتب العربية ؛ عيسى البابى الحلبي وشركاه الطبعة الاولى ١٩٥٤ م .

١٦ ـ البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) : الفرق بين الفرق ، علق عليه محمد بدر ، طبعة مصر ١٣٢٨ ، وطبعة دار الافاق الجديدة ، بيروت .

١٧ ـ ابن الساعي البغدادي (ت ٦٧٤ هـ) : اخبار الخلفاء ، أو مختصر اخبار الخلفاء ، المطبعة الاميرية ببولاق سنة ١٣٠٩ هـ .

١٨ ـ البلاذري (ت ٢٧٩ هـ) فتوح البلدان ، طبعة بريل ١٨٦٦ هـ .

١٩ ـ عبد القادر بدران : تهذيب تاريخ ابن عساكر ، طبعة دمشق ١٣٣١ هـ

٢٠ ـ البلوي (ت في القرن الرابع الهجري) : سيرة احمد بن طولون ، تحقيق محمد كرد علي ، نشر المكتبة العربية في دمشق ، مطبعة الترقي ١٣٥٨ .

٢١ ـ التنوخي (ت ٣٨٤ هـ) : جامع التواريخ المسمى نشوار المحاضرة واخبار المذاكرة ، تصحيح مرجليوث مطبعة أمين هنديه بمصر ١٩٢١ م

٢٢ ـ ———————— : المستجاد من فعلات الاجواد ، تحقيق ونشر محمد كرد علي ، مطبعة الترقي بدمشق ١٩٤٦ .

٢٣ ـ ———————— : الفرج بعد الشدة ، جزءان ، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر سنة ١٩٠٤

٢٤ ـ الثعالبي (ت ٤٢٩ هـ) : يتيمة الدهر ، مطبعة الصاوي ، الطبعة الاولى ١٣٥٢ وطبعة دار الكتب العلمية

٢٥ ـ ــــــــــــــــ : لطائف المعارف ، تحقيق ابراهيم الابيـــاري ، وجسن كامل الصيرفي ، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي وشركاه سنة ١٩٦٠

٢٦ ـ بنـامين التطيلي (ت ٥٦٩ هـ) : الرحلة ، ترجمها عن العبرية عزرا حداد ، المطبعة الترقية بغداد ١٩٤٥ م .

٢٧ ـ الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) : البيان والتبيين وأهم الرسائل ، المطبعة الكاثوليكيه بيروت لبنان ١٩٥٩ ، وطبعة دار الكتب العلميـــة بيروت

٢٨ ـ ــــــــــــــــ : فضائل الاتراك وما اختصوا به من الشجاعة وعلو الهمة وحسن البلاء في خدمة الاسلام ، المطبعـــة العمومية بمصر ١٨٩٨ م

٢٩ ـ ــــــــــــــــ : المحاسن والاضداد ، الطبعة الاولى ، مطبعـــة الفتوح الادبية بمصر سنة ١٣٣٢ هـ

٣٠ ـ ــــــــــــــــ : رسائل الجاحظ ، نشرفان فلوتن

٣١ ـ الجهشياري (ت ٣٣١ هـ) : الوزراء والكتاب ، حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا ، وابراهيم الابياري والشلبي ، مطبعة البابي ، القاهرة ١٣٥٧ هـ .

٣٢ ـ ابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، طبعة حيدر ابـاد ١٣٥٩ م .

٣٣ ـ قدامة بن جعفر (ت ٣٢٠ هـ) : نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، وهو يلي كتاب ابن خرداذبة المسالك والممالك ، طبعة لبدن ١٨٨٩ .

٣٤ ـ ابن جلجل (ت بعد سنة ٣٨٤ هـ) : طبقات الاطباء والحكماء ، تحقيق فـؤاد سيد ، المعهد العلمي الفرنسي القاهرة ١٩٠٨ م

٣٥ ـ ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) : معجم الادباء ، نشر مرغلوث ، مطبوعات دار المأمون طبعـة ١٩٣٦ وطبعـه دار احيـاء التراث العربي بيروت

٣٦ ـ ــــــــــــ : معجم البلدان الطبعة الاولى مطبعة السعادة القاهرة ١٣٢٤ هـ ، وطبعة لايبزغ ١٨٦٧ م ، وطبعة دار صادر بيروت

٣٧ ـ عبد الله بن عبد الحكم : سيرة عمر بن عبد العزيز على ماروا الامام مالك بن انس وأصحابه ، نشر وتوزيع مكتبة ربيع بحلب .

٣٨ ـ ابن حوقل (ت ٣٨٠ هـ) صورة الارض ، ليدن .

٣٩ ـ ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) الفصل في الملل والنحل ، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني المطبعة الادبية ، القاهرة ١٣١٧ هـ .

٤٠ ـ ابو فراس الحمداني (ت ٣٥٧ هـ) ديوان ابي فراس الحمداني ، تحقيق سامي الدهان ، مطبوعات المعهد الفرنسى بدمشق ١٩٤٤ م .

٤١ ـ ابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) : مقدمة ، منشورات الاعلمي بيروت ١٩٧١ ، ونشرة دار الشعب .

٤٢ ـ ــــــــــــ : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، طبعة بولاق ١٢٨٤ ، ومؤسسة الاعلمي بيروت

٤٣ ـ ابن خرداذبه (ت تقريبا سنة ٣٠٠) المسالك والممالك ، ويليه نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة لابي الفرج قدامة بن جعفر ، طبعة ليدن ١٨٨٩ م .

٤٤ ـ ابن خلكان (ت ٦٨١ هـ) : وفيات الاعيان ، وأنباء الزمان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة العربيةمصر ١٩٤٨ م وطبعة دار صادر بيروت .

٤٥ ـ الخوارزمى (ت ٣٨٧ هـ) مفاتيح العلوم ، المطبعة المنيرية القاهرة .

٤٦ ـ حاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) : كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون ، استانبول ١٩٤١ .

٤٧ ـ الدواداري (ت في القرن الثامن بعد سنة ٧٣٦ هـ) : الدرة المضيئة في اخبار الدولة الفاطمية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، وهو الجزء السادس من كتاب كنز الدرر وجامع الغرر ، طبعة القاهرة ١٩٦١ .

٤٨ ــ ابن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦ هـ) : المعارف ، تحقيق ثروت عكاشه ، الطبعة الثانية دار المعارف بمصر ١٩٦٩

٤٩ ــ ———————— : الامامة والسياسية، مطبعة النيل ١٩٠٤

٥٠ ــ ———————— : عيون الاخبار ، نسخة مصورة عن نسخة دار الكتب ، طبعة ١٩٦٣ م

٥١ ــ ابو حنيفة الدينوري (ت ٢٨٢ أو ٢٩٠ هـ) : الاخبار الطوال ، طبعة ليدن ١٨٨٨ م .

٥٢ ــ الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) : دول الاسلام ، طبعة حيدر اباد سنة ١٣٦٥ هـ وطبعة الهيئة المصرية للكتاب .

٥٣ ــ ظهير الدين الروذراوري (ت ٤٨٨ هـ) ذيل تجارب الامم ، طبعة القاهرة ١٩١٤م

٥٤ ــ ابن رسته (ت بعد ٢٩٠) الاعلاق النفيسة ، ليدن ١٨٩١ م .

٥٥ ــ الربعي (ت ٤٤٤ هـ) فضائل الشام ودمشق ، تحقيق المنجد مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٠ م .

٥٦ ــ ابن عبد ربه (ت ٣٢٧ هـ) العقد الفريد ، مطبعة الوقائع المصرية ، طبعة سنة ١٢٩٣ هـ وطبعة دار الكتاب العربي ببروت ١٩٦٥ م .

٥٧ ــ السيوطي (ت ٩١١ هـ) : تاريخ الخلفاء امراء المؤمنين ، وبهامشه كتاب آثار الاول في ترتيب الدول طبعة المطبعة الممنية بمصر سنة ١٣٠٥

٥٨ ــ ———————— : حسن المحاضرة في اخبار مصر والقاهرة ، طبعة المطبعة الشرفيه ١٣٢٧ هـ

٥٩ ــ ثابت بن سنان وابن العديم : تاريخ اخبار القرامطة ، وترجمة الحسن الاعصم القرمطي ، تحقيق سهيل زكار ، طبعة دار الامانة بيروت ١٩٧١ م .

٦٠ ــ التسهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) الملل والنحل على هامش ابن حزم الفصل في الملل والنحل ، المطبعة الادبية بمصر سنة ١٣١٧ هـ .

٦١ ــ ابن الشحنه محب الدين ابو الفضل محمد (ت ٨٩٠ هـ) : الدر المنتخب في تاريخ مملكه حلب ،طبعة بيروت ١٩٠٩

٦٢ ـ الشابستى (ت ٣٨٨ هـ) : الديارات تحقيق كوركيس عواد ، مطبعة المعارف بغداد ١٩٥١ .

٦٣ ـ الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) : أمراء دمشق في الاسلام ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، طبعة دمشق ١٩٥٥ م .

٦٤ ـ الصولى (ت ٣٣٥ هـ) أخبار الراضى بالله ، والمتقي لله ، وهو جزء من كتاب الاوراق ، مطبعة الصاوي . درب الجماميز ، مصر ١٩٣٥ وطبعة دار المسيرة بيروت .

٦٥ ـ الصابىء (ت ٤٤٨ هـ) تحفة الامراء في تاريخ الوزراء ، دار احياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبى وشركاه ١٩٥٨ م .

٦٦ ـ الطبري (ت ٣١٠ هـ) : تاريخ الرسل والملوك ، تحقيق ابو الفضل ابراهيم ، طبعة دار المعارف القاهرة ١٩٦٦ .

٦٧ ـ ابن طباطبا (ت ٧٠٩ هـ) الفخري في الاداب السلطانية والدول الاسلامية ، دار بيروت ١٩٦٦ م .

٦٨ ـ ابن طيفور (ت ٢٨٠ هـ) تاريخ بغداد ، طبعة ليبزغ ١٩٠٨ .

٦٩ ـ ابن طولون (ت ٩٥٣ هـ) : قضاة دمشق ، الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق ١٩٥٦ م .

٧٠ ـ ابن العميد (ت ٦٧٢ هـ) تاريخ المسلمين ، طبعة ليدن ١٠٣٤ هـ .

٧١ ـ ابن العبري (ت ٦٨٤ أو ٦٨٥ هـ) تاريخ مختصر الدول ، المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين بيروت ١٨٩٠

٧٢ ـ ابو هلال العسكري (ت ٣٩٥ هـ) : اثار الاول في ترتيب الدول وهو بهامش تاريخ السيوطي مطبعة مصر ١٣٠٥ .

٧٣ ـ ابن العديم (ت ٦٦٠ هـ) : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، طبعة المعهد الفرنسي ١٩٥١ م .

٧٤ ـ الصاحب بن عباد (ت ٣٨٥ هـ) نصرة مذاهب الزيدية ، تحقيق الدكتور ناجي حسن . مطبعة الجامعة بغداد .

٧٥ ــ العمري (ت ٧٤٩ هـ) : مسالك الابصار في ممالك الامصار ، الجزء الاول ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٤ م .

٧٦ ــ الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) احياء علوم الدين ، اربعة اجزاء القاهرة ١٩٣٩ م .

٧٧ ــ ابن عساكر (ت ٥٧٥ هـ) : خطط دمشق ، المجلدة الاولى والثانية ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق .

٧٨ ــ ابن فضلان : رسالة ابن فضلان ، تحقيق سامي الدهان ، الطبعة الثانية .

٧٩ ــ أبو الفداء (ت ٧٣٢ هـ) : تاريخ ابي الفداء ، مطبعة القسطنطينية ١٢٨٦ هـ ، وطبعة دار المعرفة بيروت .

٨٠ ــ ابن الفقيه (ت ٢٩٠ هـ) مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن ١٩٦٧ م .

٨١ ــ القفطي (ت ٦٤٦ هـ) اخبار العلماء باخبار الحكماء ، ليبزج ١٣٢٠ هـ .

٨٢ ــ القلقشندي (ت ٨٢١ هـ) : صبح الاعشى في صناعة الانشاء ، ١٤ جزءا ، المطبعة الاميرية بالقاهرة سنة ١٣٣٥ هـ .

٨٣ ــ ابن دحية الكلبي (ت ٦٣٣ هـ) كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ، تصحيح عباس العزاوي ، مطبعة المعارف بغداد ١٣٦٥ هـ .

٨٤ ــ الكندي (ت ٣٥٠ هـ) الولاة وكتاب القضاة ، مطبعة الاباء اليسوعيين ، بيروت ١٩٠٨ .

٨٥ ــ ابن كثير (ت ٧٧٤ هـ) : البداية والنهاية في التاريخ ، مطبعة السعادة في مصر

٨٦ ــ المسعودي (ت ٣٤٦ هـ) : مروج الذهب ومعادن الجوهر ،طبعة بولاق ١٢٨٣هـ وطبعة مطبعة السعادة بمصر تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ١٩٦٤

٨٧ ــ ———————— : التنبيه والاشراف ، دار الصاوي للطبع والنشر ١٩٣٨ وطبعة دار التراث بيروت

٨٨ ــ مسكويه (ت ٤٢١ هـ) : تجارب الامم ، مطبعة شركة التمدن الصناعية بمصر ١٩١٤ .

٨٩ ــ مؤلف مجهول : العيون والحدائق ، الجزء الاول ، والجزء الثالث ، والرابع بقسميه الاول والثاني .

٩٠ ـ المقريزي (ت ٨٤٥ هـ) : اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء نشر الشيال ، طبعـــة دار الفكر العربي ١٩٤٨ م ، وطبعة المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية القاهرة ١٩٦٧ م

٩١ ـ ———————— : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثـــار ، ٤ اجزاء ، مطبعة النيل بمصر ١٣٢٤ هـ

٩٢ ـ ———————— : اغاثة الامة بكشف الغمة ، نشره محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٦

٩٣ ـ ———————— : النزاع والتخاصـم فيما بين بني أميـــة وبني هاشم ، المطبعة الابراهيميه ١٩٣٧

٩٤ ـ المقدسي مطهر بن طاهر (من علماء القرن الرابع) : البدء والتاريخ المنسوب الى ابي زيد أحمد بن سهل البلخي ، مكتبة المثنى بغداد ، طبعة مدينةشالون بمطبعة برطوند سنة ١٩١٩ م .

٩٥ ـ المقدسي شمس الدين ابو عبدالله المعروف بالبشارى (ت ٣٨٧ هـ) : احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، طبعة ليدن ١٩٠٦ .

٩٦ ـ ابن المعمار الحنبلي : كتاب الفتوة بغداد ١٩٦٠ .

٩٧ ـ الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) الاحكام السلطانية ، طبعة مصر ١٢٩٨ .

٩٨ ـ المقري (ت ١٠٤١ هـ) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب ، تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

٩٩ ـ ابن المعتز : ديوان ابن المعتز

١٠٠ ـ النرشخي : تاريخ بخارى ترجمة عربية القاهرة ١٩٦٥ .

١٠١ ـ القاضي النعمان (ت ٣٦٣ هـ) : افتتاح الدعوة ، تحقيـــق فرحـــات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع.

١٠٢ ـ ———————— : المجالس والمسايرات تحقيق الحبيـب الفقي،وابراهيم شبوح ،ومحمد اليعلاوي،

طبع المطبعـــة الرسمية للجمهوريـــة
التونسية ١٩٧٨

١٠٣ ــ النويري (ت ٧٣٢ هـ) : نهاية الارب في فنون العرب . مطبعـــة دار الكتب المصرية ١٩٢٥ .

١٠٤ــ ابن النديم (ت ٣٧٧ هـ) الفهرست ، المطبعة الرحمانية بمصر ١٣٤٨ هـ .

١٠٥ ــ النيسابورى : استتار الامام ، مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية ، المجلد الرابع ، الجزء الثاني مايو ١٩٣٦ ، لايفانوف .

١٠٦ ــ الهمداني (ت ٥٢١ هـ) تكملة تاريخ الطبري . المطبعة الكاثوليكية ببروت . الطبعة الثانية ١٩٦١ م .

١٠٧ ــ ابن الوردي (ت ٧٥٠ هـ) : تاريخه ، المطبعة الوهبية ١٢٨٥ هـ .

١٠٨ ــ اليعقوبي (ت بعد ٧٩٢ هـ) : تاريخ اليعقوبي ، مطبعة النجف ١٣٥٨ هـ

١٠٩ ــ ———————— : البلدان مع كتاب الاعـــلاق النفسية لابـــن رسته ، ليدن ١٨٩١

١١٠ــ محمد بن محمد اليماني : سيرة جعفر ، مجلة كلية الآداب ، القاهرة ، المجلد الرابع الجزء الثاني ، لايفانوف .

١١١ ــ أبو يوسف (ت ١٩٢ هـ) : كتاب الخراج . الطبعة الاولى . المطبعه الاميرية ببولاق سنة ١٣٠٢ هـ .



ج ـ المراجع العربيـــة

١ ـ أحمد أمين : ظهر الاسلام ، ٤ أجزاء ، طبعة القاهرة ١٩٤٥

٢ ـ ——— : ضحى الاسلام ، الطبعة السابعة مكتبة النهضة المصرية ١٩٣٦

٣ ـ ——— : فجر الاسلام ، الطبعة العاشرة ١٩٦٥

٤ ـ أرشيبالد : القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط ، ترجمـة أحمد محمد عيسى ، القاهرة ١٩٦٠ .

٥ ـ عواد مجيد الاعظمي : تراث العرب العمرانى في فلسطين في ظل الحكم الاسلامي (المجلة التاريخية العراقية للتاريخ والآثار العدد الثالث سنة ١٩٧٤ م .

٦ ـ أبو صالح الالفي : الفن الاسلامي ، أصوله فلسفته مدارسه ، دار المعارف بمصر ، طبعة ثانية .

٧ ـ أحمد بدر : دراسات في تاريخ الاندلس وحضارتها ، جزء ١ ، طبعة دمشق ١٩٦٩ م .

٨ ـ مصطفى طه بدر : مصر الاسلامية ، القاهرة ١٩٥٤ م .

٩ ـ موسى الوف البعلبكي : تاريخ بعلبك ، بيروت ١٩٢٦ .

١٠ ـ دي بور : تاريخ الفلسفة الاسلامية نقله الى العربية محمد عبد الهادي أبو ريدة ، القاهرة ١٩٣٨ .

١١ ـ أمينة بيطار : الحياة السياسية في بلاد الشام منذ قيام الخلافة العباسية ، حتى الفتح الفاطمي

١٢ ـ ———: موقف القبائل العربية في الشام والعراق من الدولة الفاطمية

١٣ ـ عارف تامر : القرامطة أصلهم نشأتهم تاريخهم حروبهم ، طبعة دار الكاتب العربي بيروت .

١٤ ـ عمر كمال توفيق : مقدمات العدوان الصليبي ، الامبراطور يوحنا تزيمكس وسياسته الشرقية طبعة ١٩٦٦

١٥ ـ ــــــــــ : الامبراطور نقفور فوكاس واسترجاع الاراضي المقدسة ، طبعة الاسكندرية ١٩٥٩ م

١٦ ـ ترتون : أهل الذمة في الاسلام ، ترجمة حسن حبشي ، طبع ونشر دار الفكر العربي ١٩٤٩ .

١٧ ـ هاملتون جب : دراسات في حضارة الاسلام : دار العلم للملايين بيروت .

١٨ ـ محمد صديق الجليلي : المزاول الشمسية ، مجلة التربية الاسلامية ، العدد ١٢ .

١٩ ـ جولد تسيهر : المذاهب الاسلامية في تفسير القرآن ، ترجمة علي حسن عبد القادر ، القاهرة ١٩٤٤ م .

٢٠ ـ بيتشوف الجرماني : تحف الانباء في تاريخ حلب الشهباء ، بيروت ١٨٨٠ م .

٢١ ـ فيليب حتى : تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ، طبعة دار الثقافة بيروت ١٩٥٩ م

٢٢ ـ ــــــــــ : لبنان في التاريخ منذ اقدم العصور حتى أيامنا ، ترجمة انيس فريحة ، مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر ، نيويورك ـ بيروت ١٩٥٩

٢٣ ـ ــــــــــ : تاريخ العرب ، ٣ أجزاء ، طبعة دار الكشاف للنشر ، القاهرة طبعة أولى ١٩٤٨

٢٤ ـ حسن ابراهيم حسن : تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة السابعة ١٩٦٤

٢٥ ـ ــــــــــ : تاريخ الدولة الفاطمية في المغرب ومصر وسورية وبلاد العرب ، الطبعة الثالثة ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٤

٢٦ ـ حسن ابراهيم حسن ، وطه شرف : عبيد الله المهدي ، امام الشيعة الاسماعيلية ، ومؤسس الدولة الفاطمية ، الازهر ١٩٤٧ م .

٢٧ ـ زكي محمد حسن : فنون الاسلام ، الطبعة الاولى ١٩٤٨ م .

٢٨ ـ خاشع المعاضيدي : دولة بني عقيل في الموصل من سنة ٣٨٠ ـ ٤٨٩ هـ ، مطبعة شفيق بغداد سنة ١٩٦٨ م .

٢٩ ـ مجيد خدوري : الصلات الدبلوماطيقية بين هارون الرشيد وشارلمان ، بغداد ١٩٣٩ م .

٣٠ ـ دي خويه : القرامطة نشأتهم دولتهم ، وعلاقاتهم بالفاطميين ،ترجمة وتحقيق حسني زينة .

٣١ ـ زهدي الداية : هارون الرشيد وشارلمان ، مجلة الهلال ١٩٣٢ م .

٣٢ ـ أحمد زيني دحلان : الفتوحات الاسلامية ، طبعة مطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ١٣٣٠ هـ .

٣٣ ـ الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي .

٣٤ ـ ــــــ: بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب

٣٥ ـ ــــــ: نشأة الاقطاع في المجتمعات الاسلامية بغداد ١٩٧٠

٣٦ ـ ــــــ: دراسات في العصور العباسية المتأخرة

٣٧ ـ يوسف الياس الدبس : تاريخ سورية ، مطبعة بيروت العمومية سنة ١٩٠٠ م

٣٨ ـ فرانز روزنثال : عام التاريخ عند العرب ، ترجمة صالح أحمد العلي ، مكتبة المثنى ١٩٦٣ م .

٣٩ ـ ثابت اسماعيل الراوي : العراق في العصر الاموي من الناحية السياسية والادارية والاجتماعية ، مطبعة الارشاد بغداد ١٩٦٥ م .

٤٠ ـ أحمد فريد الرفاعي : عصر المأمون ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٦ .

٤١ ـ رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١ م .

٤٢ ـ أسد رستم : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، طبعة بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٥٦ م .

٤٣ ـ محمد ضياء الدين الريس : الخراج والنظم المالية للدولة الاسلامية ، الطبعة الثالثة ١٩٦٩ م دار المعارف بمصر .

٤٤ ـ مليحة رحمة الله : الحالة الاجتماعية في العراق في القرنين الثالث والرابع بعد الهجرة ، مطبعة الزهراء بغداد ١٩٧٠ م .

٤٥ ـ زكار : تاريخ العرب والاسلام ، دار الفكر بيروت ١٩٧٥ م .

٤٦ ـ جرجي زيدان : تاريخ التمدن الاسلامى ، طبعة مطبعة الهلال ، طبعة رابعة ١٩٢٦ م .

٤٧ ـ وصفي زكريا : عشائر الشام ، طبعة دمشق ١٩٤٥ م .

٤٨ ـ الزركلي : الاعلام ، مطبعة كوستاتسوماس وشركاه سنة ١٩٥٥ م .

٤٩ ـ خليل داود الزور : الحياة العلمية في الشام في القرن الاول والثاني الهجري ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ١٩٧١ م .

٥٠ ـ عبد العزيز سالم : طرابلس الشام في التاريخ ، مطابع رمسيس بالاسكندرية طبعة ١٩٦٧ م .

٥١ ـ محمد جمال الدين سرور : الدولة الفاطمية في مصر وسياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها ، مطبعة دار الفكر ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦

٥٢ ـ ———— : تاريخ الحضارة الاسلامية في الشرق ، الطبعة الثانية ١٩٦٧

٥٣ ـ ———— : سياسة الفاطميين الخارجية ، طبعه دار الفكر العربي ١٩٦٧

٥٤ ـ ———— : الحياة السياسية في الدولة العربية الاسلامية خلال القرنين الاول والثاني بعد الهجرة ، طبعة دار الفكر العربي ١٩٦٤

٥٥ ـ ———— : النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب ، دار الفكر العربي ١٩٦٤

٥٦ ـ حسام قوام السامرائي : المؤسسات الادارية في الدولة العباسية خلال الفترة ٢٤٧ ـ ٣٣٤ ، مكتبة دار الفتح بدمشق .

٥٧ ـ كي ل سترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد ، مطبعة الرابطة بغداد ١٩٥٧ م .

٥٨ ـ حورية عبده سلام : الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مدينة الفسطاط منذ الفتح العربي حتى قيام الدولة الفاطمية ، رسالة ماجستير .

٥٩ ـ عبد الفتاح السرنجاوي : النزعات الاستقلالية في الخلافة العباسية ، الطبعة الرابعة القاهرة ١٩٥٤ م .

٦٠ ـ مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا .

٦١ ـ مصطفى الشكعة : معالم الحضارة الاسلامية ، دار العلم للملايين .

٦٢ ـ أحمد شلبي : دراسات في الحضارة الاسلامية .

٦٣ ـ أحمد شوكت الشطي : العرب والطب ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ١٩٧٠ م .

٦٤ ـ ليلى صباغ : معالم العصر العباسي .

٦٥ ـ أحمد زكي صفوت : عمر بن عبد العزيز ، من سلسلة اقرأ ، دار المعارف بالقاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٦٣ م .

٦٦ ـ الطباخ : أعلام النبلاء في تاريخ حلب الشهباء ، طبعة حلب الاولى ، ١٩٢٥ م .

٦٧ ـ طوقان . تراث العرب العلمي في الرياضيات والفلك ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٣ م .

٦٨ ـ عباس العزاوي : تاريخ علم الفلك في العراق وعلاقته بالاقطار الاسلامية والعربية ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، بغداد ١٩٥٨ م .

٦٩ ـ حسين قاسم العزيز : دور المراكز الثقافية في تفاعل العرب والمسلمين الحضاري ، بغداد ١٩٧٤ م .

٧٠ ـ ابراهيم احمد العدوي : الاساطيل العربية في البحر الابيض المتوسط ، مكتبة نهضة مصر ١٩٥٧

٧١ ـ ———————— : الامبراطورية البيزنطية والدولة الاسلامية ، مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥١ م

٧٢ ـ ———————— : الامويون والبيزنطيون ، الدار القومية للطباعة والنشر ، طبعة ثانية

٧٣ ـ نبيه العاقل : دراسات في تاريخ بني أمية جامعة دمشق ٧٥ ـ ٧٦

٧٤ ـ ———— : عصر الرسول والراشدين ، جامعة دمشق ٧٥ ـ ٧٦

٧٥ ـ فاروق عمر : بحوث في التاريخ العباسي ، دار القلم للطباعة بيروت

٧٦ ـ ———— : العباسيون الاوائل ، طبعة دمشق ١٩٧٣

٧٧ ـ ———— : طبيعة الدعوة العباسية ، الطبعة الاولى ، دار الارشاد بيروت ١٩٧٠

٧٨ ـ سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ،

٧٩ ـ محمد عبد الفتاح عليان : قرامطة العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ١٩٧٠ م .

٨٠ ـ محمد كرد علي : خطط الشام ، دمشق ١٩٢٥ وطبعة دار العلم للملايين بيروت

٨١ ـ ———— : الاسلام والحضارة العربية ، مطبعة دار الكتب المصرية ، طبعة ١٩٣٦

٨٢ ـ ———— : الادارة الاسلامية في عز العرب ، مطبعة مصر ١٩٣٤ م

٨٣ ـ عارف العارف : الحرم المقدسي : مطبعة دار الايتام الاسلامية الصناعية بالقدس ١٩٤٧ م .

٨٤ ـ عاشور : الحركة الصليبية ، القاهرة ١٩٧١ م .

٨٥ ـ فتحي عثمان : الحدود الاسلامية البيزنطية ، بين الاحتكاك الحربي والاتصال الحضاري ، دار الكاتب العربي بالقاهرة ١٩٦٧ م .

٨٦ ـ يوسف العش : الخلافة العباسية ، دمشق دار الكتاب .

٨٧ ـ أحمد عيسى : آلات الطب والجراحة عند العرب ، مطبعة مصر ، القاهرة .

٨٨ ـ يوسف غنيمة : نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق ، مطبعة الفرات بغداد ١٩٢٤ م .

٨٩ ـ عمر فروخ : تاريخ الفكر العربي الى أيام ابن خلدون ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٧٢ م .

٩٠ ـ يوليوس فلهاوزن : أحزاب المعارضة في صدر الاسلام ، ترجمة بدوي : الطبعة الثانية .

٩١ – فان فلوتن : السيادة العربية في عهد بني امية ، مطبعة السعادة ١٩٣٤ م .
٩٢ – فازيليف : العرب والروم ، ترجمة شعيرة ، طبعة دار الفكر العربي .
٩٣ – فرات فائق : أبو بكر الرازي حياته ومآثره ، مطبعة الارشاد ، بغداد ١٩٧٣م .
٩٤ – عمر رضا كحاله : معجم القبائل العربية ، طبعة دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٦٨ م
٩٥ – ———— : معجم المؤلفين ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٩٥٩ م
٩٦ – كلود كاهين : العرب والشعوب الاسلامية . ترجمة بدر الدين القاسم ، بيروت دار الحقيقة ١٩٧٢ م
٩٧ – سيدة كاشف : مصر في عهد الاخشيديين ، طبعة جامعة فؤاد الاول ، القاهرة ١٩٥٠
٩٨ – ———— : أحمد بن طولون : المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ١٩٦٥
٩٩ – شاكر مصطفى : في التاريخ العباسي : مطبعة الجامعة السورية ، دمشق ١٩٥٧ م
١٠٠ – عبد المنعم ماجد : التاريخ السياسى للدولة العربية ، طبعة الانجلو المصرية ١٩٥٧ م
١٠١ – محمد جواد مغنية : الشيعة والحاكمون ؛ منشورات المكتبة الاهلية بيروت.
١٠٢ – آدم ميتز : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ، الطبعة الثالثة ١٩٥٧ م .
١٠٣ – صلاح الدين المنجد : مدينة دمشق عند الجغرافيين والرحالة المسلمين طبعة دار الكتاب الجديد بيروت ١٩٦٧ م
١٠٤ – ———— : بين الخلفاء والخلعاء ، طبعة دار الحياة ١٩٥٧ م
١٠٥ – حسن محمود وأحمد ابراهيم الشريف : العالم الاسلامى في العصر العباسي ، الطبعة الاولى ، دار الفكر العربي ١٩٦٦ م
١٠٦ – حسن محمود : مصر الاسلامية ، العصر الطولوني ، مكتبة النهضة العربية ١٩٦٠.

١٠٧ ـ مشرفة : القضاء في الاسلام . شركة الشرق الاوسط ، الطبعة الثانية ١٩٦٦م
١٠٨ـ الماحي : مقدمة في تاريخ العلم العربي ، مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٥٩ م .
١٠٩ ـ ناجي معروف : المراصد الفلكية ببغداد .
١١٠ـ عبد الحليم منتصر : التراث العلمي العربي في الميزان ، مجلة الهلال ، العدد ٤ سنة ٩٧٣ .
١١١ـ عجاج نويهض : ابو جعفر المنصور ، مطابع دار الصحافة بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٦٢ م .
١١٢ـ جميل نخله : حضارة الاسلام في دار الاسلام .
١١٣ـ نللينو : علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى ، روما ١٩١١ م .
١١٤ ـ حسين نصار : نشأة التدوين التاريخي عند العرب ، النهضة المصرية .
١١٥ـ هاري وهازارد : أطلس التاريخ الاسلامي ، ترجمة وتحقيق خورشيد وزيادة وغيرهم .
١١٦ـ زيغريد هونكه : شمس العرب تسطع على الغرب .
١١٧ ـ هيوارث : مادة الاسماعيلية ، دائرة المعارف الاسلامية .
١١٨ـ جورج يني : تاريخ سورية ، طبعة بيروت ، المطبعة الادبية ١٨٨١ م .

هـ ـ الدوريات العربية والاوربية

١ ـ دائرة المعارف الاسلامية .

٢ ـ المجلة التاريخية العراقية للتاريخ والآثار .

٣ ـ مجلة المؤرخ العربي .

٤ ـ مجلة المجمع العربي بدمشق .

٥ ـ مجلة كلية الآداب ، الجامعة المصرية .

٦ ـ مجلة معهد المخطوطات العربية .

٧ ـ مجلة المقتطف .

٨ ـ مجلة التربية الاسلامية .

٩ ـ مجلة الهلال .

١٠ ـ مجلة المورد العراقية .

١١ ـ Encyclopedia of Islam

د ـ المراجع الاجنبية

1 — L. BERNARD : The Arab in History.

2 — CANARD : Histoire de la Daynastie des Hamdanides de Jazira et de Syrie; A leger 1951.

3 — ________ : Le expédetions des Arabes Contre Constantinople dans L'Histoire et dans la légende 1926.

4 — ________ : Sayf Al Dawla. Recueil de textes relatifs à L,émir Sayf Al Dawla le Hamdanide، A leger 1934.

5 — ________ : Une Lettre de Muhammad Ibn Tugj Al Ikshid، A leger 1936.

6 — CLAUDE CAHEN : Les Syrie du nord; à L,epoque de Croisades et la principauté Franque D,Antioche; Paris 1940.

7 — Cambridge Mediaeval History، Vol. IV.

8 — JUWAYNI : TA'RIKH -1- JAHN - GUSHAY.,. Being a facsimile of a Manuscript dated A.H. 690 with an introduction by Sir Denison Ross; Vol. III; London 1931.

9 — LE STRANGE : Palestine Under The Moslems، London, 1890.

10— ________ : Baghdad during the Abbassid Caliphate., London 1924.

11— LANE POOL : Catalogue of the Collection of Arabic Coins preserved in the Khedivial Library at Cairo; London 1897.

12— ________ : The History of Egypt in the Middle Ages; London, 1901.

13— ________ : The Mohammadan Dynasties.

14 — MARMARDJI : Textes Geographique sur Palestine; Paris 1951.

15 — MUIR : The Caliphate; Its Rise Decline and Fall; Beirut 1963.

16— SAUVAGET : Les Perles Choisies D,Ebn Achihna; Tome I; Beyrouth, 1933.

17— SCANLON (G) : Leadership in Qarmatian sect (in Bulletin De L,institut Français D,Archéologie Orientale; Tome LIX; 1960).

18 — WIET : L,Egypte Arabe; Paris.

19— ZAKY HASSAN : Les Tulunides. Etude de L,Egypte Musulmane à la fin du IXe Siécle; Paris 1933.

الفهرس

دراسات في تاريخ العصر العباسي من سنة ١٣٢ ـ ٣٣٤ هـ

البـــاب الاول :

تمهيـــــــد







صدر بإشراف لجنة الانجاز

سعر المبيع للطالب ١٢٥ ل.س

مطبعة جامعة دمشق